

مجلة العربية



الجزء الثالث والخمسون
جمادى الأولى ١٤٠٤ هـ
فبراير ١٩٨٤ م



مجمع اللغة العربية بالقاهرة
١٥ شارع عزيز أباظة
(المعهد السويسرى سابقا) بالزمالك

مجلة مجمع اللغة العربية

(تصدر مرتين في السنة)

الجزء الثالث والخمسون

جمادى الأولى ١٤٠٤هـ - فبراير ١٩٨٤م

المشرف على المجلة:

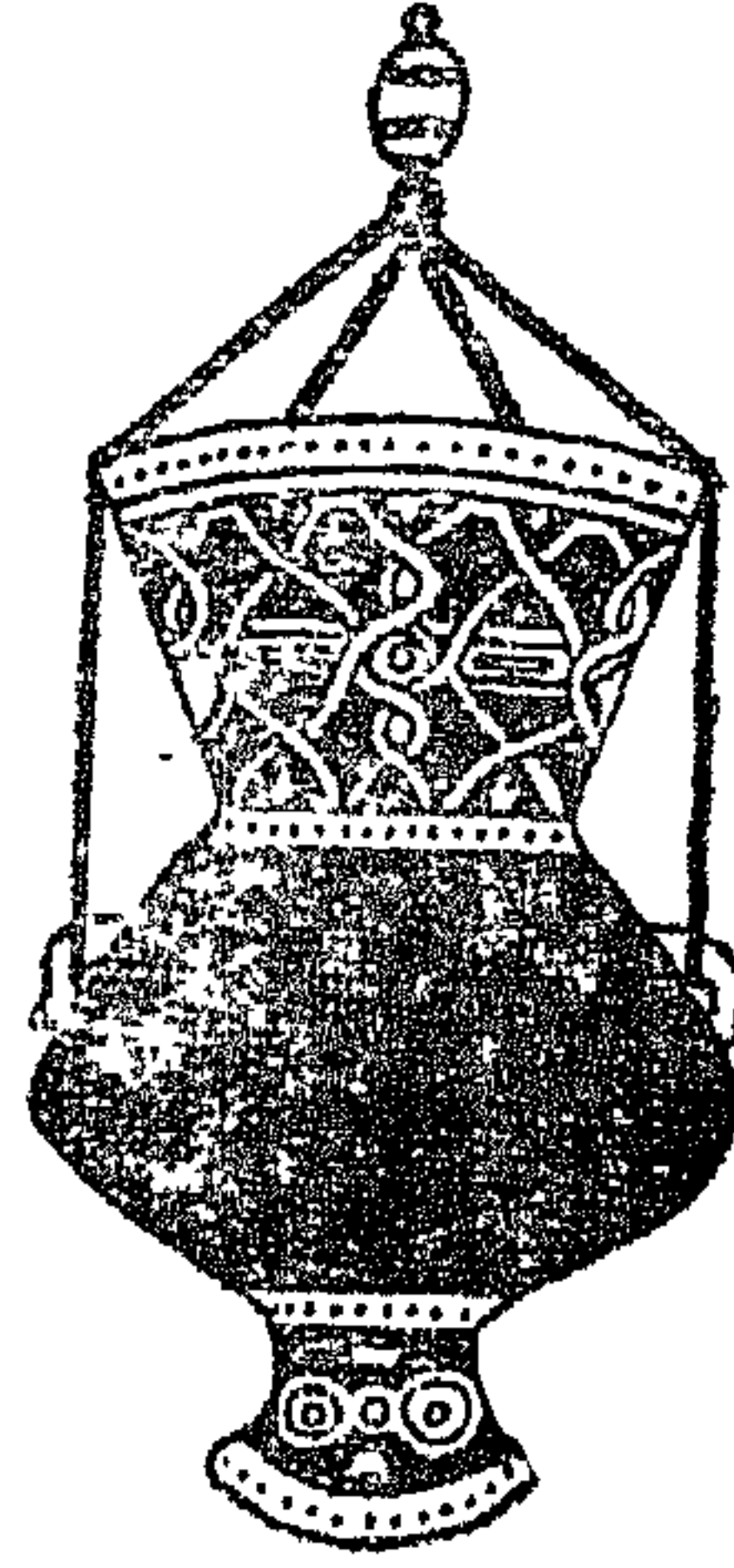
الدكتور مهدي علام

رئيس التحرير

إبراهيم التريزى

الفهرسب

- كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال حلمى
ص ١
- كلمة الأستاذ الدكتور ابراهيم مذكور رئيس المجمع
ص ٤
- كلمة المجمع اللغوية للدكتور حسنى سبيع
ص ٨
- لفنة القرآن والحضارة والحياة قصيدة للأستاذ محمد بهجة الأثرى
ص ١١
- رؤساء المجمع السابقين للدكتور ابراهيم مذكور
ص ٢١
- معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المعاجم وكتب التفسير واللغة للأستاذ عبد السلام هارون
ص ٣٧
- مع الخالدين فى العيد الذهبى لمجمع اللغة العربية
قصيدة للدكتور عبد الرزاق محيى الدين
ص ٣٩
- مجمع اللغة العربية ولغة العلم للدكتور محمود حافظ
ص ٤٢
- مجمع اللغة العربية والمصطلح العلمى للدكتور محمود منتار
ص ٤٥
- مجمعيون شعراء للأستاذ محمد عبد الغنى حسن
ص ٥٣
- تحية لمجمع اللغة العربية وتهنئته بعيدة الذهبى للدكتور عبد الله الخطيب
ص ٧٦
- معجم القرن العشرين العربى للدكتور عدنان الخطيب
ص ٨١



- ذكريات جميلة عن العمل مع الخالدين
للأستاذ عبد الله كنون
ص ٨٧
- المعجمات الطبية وتوحيد المصطلح الطبي
للدكتور حسنى سبح
ص ٩٩
- لغة القانون في مصر
للدكتور عز الدين عبد الله
ص ١٠٩
- الخطوات الأولى لنشأة الفكر العلمى فى
تراثنا
للدكتور ناصر الدين الأسد
ص ١٤٢
- مجمع الخالدين
للأستاذ عبد الله بن خميس
ص ١٥٥
- رأى فى تيسير تعليم النحو
للدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
ص ١٤٧
- نحو معجم موحد لالفاظ الحضارة
للدكتور عبد الكريم خليفة
ص ١٦٨
- الكتابة العربية بواسطة أرقام الحساب
للدكتور عبد الهادى التازى
ص ١٨٢
- مزاعم الصعوبة فى لفتنا
للأستاذ سعيد الأفغانى
ص ١٨٨
- فى تحية مصر
قصيدة للدكتور ابراهيم السامرائى
ص ١٩٥
- تأملات فى الترجمة
للدكتور محمد عزيز الحبابى
ص ١٩٧
- بعض خصائص لغة المخاطبة بين الفصحى
واللهجات فى العالم العربى
للدكتور جريجورى شرباتوف
ص ٢٠٤



- تهيئة مجمع اللغة العربية في عيده
الخامسين
للأستاذ حسن القرشي
ص ٢١٢
- العامية والمصحى في القاهرة والرباط
للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله
ص ٢١٤
- المعجمات العربية وتوحيد المصطلح العلمى
للدكتور يوسف عز الدين
ص ٢٣٩
- معجم العربية الفصحى الذى يصدر في
المانيا الغربية
للدكتور رمضان عبد التواب
ص ٢٥٠
- المعجم العربى في القرن العشرين
مصطلحاته ومناهجه في الجمع والوضع
للدكتور محمد رشاد الجمز اوى
ص ٢٥٩
- اللغة العربية والحاسب الآلى
للدكتور على حسن فهمى
ص ٢٧٢
- تواريخ تأسيس مجمع اللغة العربية في
القاهرة بحساب الجمل شعرا ونثرا
للدكتور حسين على محفوظ
ص ٢٧٦
- تحية مجمع اللغة العربية في الذكرى
الذهبية
قصيدة للدكتور حسين على محفوظ
ص ٢٧٨
- معلقة المجمع
قصيدة للدكتور حسين على محفوظ
ص ٢٨٠

كلمة الأستاذ الدكتور مصطفى كمال هاشم

نائب رئيس مجلس الوزراء للخدمات
وزير الدولة للتعليم والبحث العلمى

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الدكتور رئيس المجمع

الأساتذة الأجلاء

يسعدنى أن أفتتح هذا المهرجان اللغوى العلمى للاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية فى القاهرة ، وأن ألتقى بأعلام اللغة والعلم ، والأدب والفن ، من أعضاء المجمع المصريين ، وزملائهم من أبناء الأمة العربية والمستشرقين ، ومن رؤساء الجامعات والهيئات العلمية والثقافية ، وممثليها من أنحاء العالم فى الشرق والغرب.

كما يسعدنى أن أوجه إليهم تحية التقدير والترحيب والشكر ، على سعيهم النبيل ، للاحتفال بهذه المناسبة الكريمة .

أيها الأساتذة الأجلاء:

إذا كانت اللغة هى الوسيلة المثلى ، للتعبير عن شعور الإنسان وفكره ، وتحقيق التفاهم بين الأفراد والجماعات ، وتوثيق الصلة بين ماضى البشرية وحاضرها ومستقبلها وإذا كانت لغتنا العربية قد اختارها الله سبحانه وتعالى لتكون لغة قرآنه الحكيم ، فنالت أعظم تشريف وتكريم ، وإذا كان مجموعنا هذا معقل هذه اللغة الشريفة ، فإن ذلك يكسب هذا الاحتفال قيمة سامية مجيدة ، ويجعلنا نعتز بهذا المعقل اللغوى العظيم نهى له ما يزيد من طاقاته الخلاقة ، لكى يواصل رسالته الحليمة ، فى أوسع المجالات وأرفع المستويات .

(*) أقيمت هذه الكلمة فى الجلسة الافتتاحية للاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع فى يوم الاثنين ٢٠ فبراير ١٩٨٤ م

أيها الأساتذة الأجلاء :

لقد كان للغتنا العربية التفوق والريادة على مدى عدة قرون ، ظلت فيها حضارتنا العربية الإسلامية مصدرا للحضارة في العلوم والفنون والآداب ، وكانت البعوث تتوافد من الخارج لتتلقى المعرفة في معادنا ، حتى قامت النهضة الأوربية مستفيدة من حضارتنا ، وما زالت بعض المصطلحات والألفاظ العربية مستعملة في اللغات الأوربية شاهدا بما كان للغتنا وحضارتنا من آثار عظيمة في الحضارة الإنسانية ، تلك الآثار التي اعترف بها كبار المؤرخين والمفكرين العالميين .

هكذا عاشت لغتنا العربية في ازدهار وانتشار ، طوال مسيرتها الحضارية على مدى زماني امتد عدة قرون ، وعلى مدى مكاني امتد إلى كثير من بلدان العالم :

ولكن هذا الازدهار الحضاري لم يستمر حين تعرض أهله للفرقة وواجهوا الغزو ، مما استنفد طاقتهم ، وأخذت اللغات الأجنبية تفتحم مجتمعا وتتسرب إلى لغتنا العربية

و حين تحررت بلادنا من قيود الاحتلال ونهضت ، أخذت لغتنا تزدهر مرة أخرى وتسعى لتلحق بالركب العلمي الحضاري وحقت انتصارات أكدت مكانتها على المستوى العالمي ، فصارت واحدة من اللغات الرسمية في الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، وصارت تسمع بالتقدير في المحافل والمؤتمرات التي تعقد في أرجاء العالم . وقد أخذت الدول الإسلامية في أفريقيا وآسيا ، وغيرهما تحرص على تعليم لغتنا العربية إلى جانب لغاتها القومية .

ولا يفوتني التنويه بما يلقاه إنتاجنا الأدبي والعلمي من إقبال يتزايد في كثير من الدول المتقدمة ، بترجمة روائعه الأدبية والعرفان لما يضيفه الفكر العربي إلى رصيد العلم في العالم .

أيها الأساتذة الأجلاء :

لقد أخذت لغتنا العربية تتقدم بخطى وثيقة ، لتستعيد مكانتها بين لغات العالم المتحضر ولا يسعني في هذا المقام ، ونحن نحتفل بالعيد الذهبي للمجمع اللغوي ، إلا أن أشيد بإنجازاته الكبيرة ، من معجمات لغوية كمعجم ألفاظ القرآن الكريم ، والمعجم الكبير والمعجمين الوسيط والوجيز ، ومن معجمات علمية متخصصة ، في الجيولوجيا والفيزيكا والفلسفة ، والجغرافيا ، وما هو وشيك الصدور من المعجمات في البيولوجيا والطب والكيمياء والصيدلة ، والأحياء والزراعة وغير ذلك من العلوم :

ولا ريب أن إخراج هذه المعجمات العلمية المتخصصة - بما تحتويه من عشرات الألوف من المصطلحات - سيشيح لأمتنا العربية توحيد المصطلح العلمي العربي، وييسر لها تحقيق حلمها الكبير في تعريب الدراسات العلمية من التعليم الجامعي .

كما لا يسعني كذلك إلا الإشادة بإنجازات المجمع في مجال ألفاظ الحضارة، ومصطلحات الفنون ، وفي تيسير تعليم النحو العربي وتيسير الكتابة العربية ، وتصويب الألفاظ والأساليب ، ودراسة لهجاتنا القديمة والحديثة ولغة العلم والإعلام العربي ، والعناية بنشر تراثنا اللغوي وتشجيع إنتاجنا الأدبي وإعداد البحوث في قضايا اللغة والأدب والفكر .

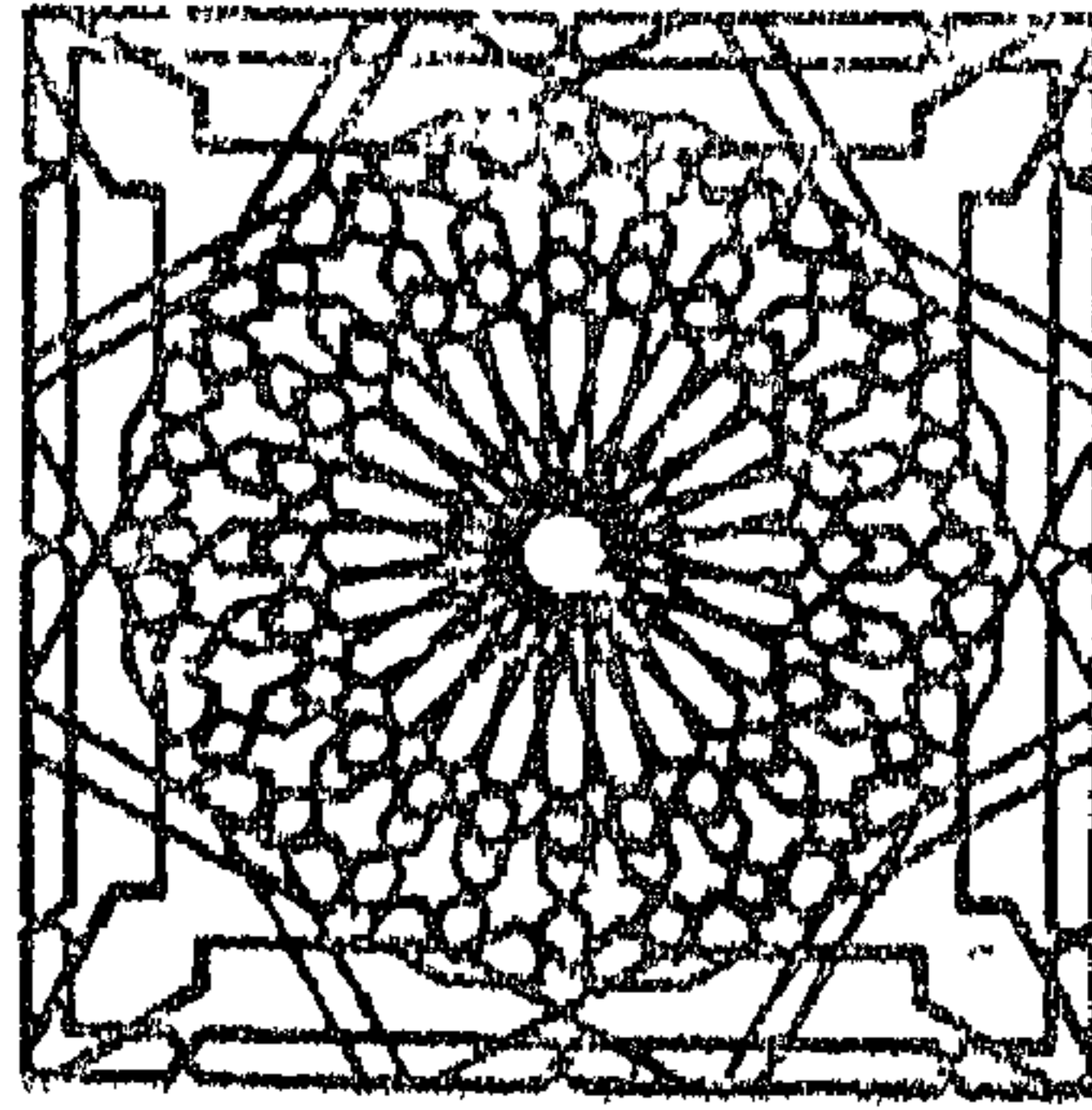
أيها الأساتذة الأجلاء :

كل هذا يشهد لأعضاء هذا المجمع الجليل بأنهم أمناء على لغتنا العربية ، وبأنهم قادرون على تحقيق آمالنا في أن تؤكد لغتنا مكانتها المرموقة ، بين اللغات العالمية الكبرى

فهنئة لكم بعيدكم الذهبي ، وشكرا متجدداً لضيوفنا العلماء الأعلام ، ودعاء خالصاً لله تعالى بأن يظل المجمع منارة للغتنا الخالدة وأميناً على خدمة أمتنا العربية المحيطة .

والله ولي التوفيق .

والسلام عليكم جميعاً ورحمة الله وبركاته



كلمة الأستاذ الدكتور إبراهيم مكي رئيس المجمع

السيد نائب رئيس الوزراء ووزير التعليم والبحث العلمي .

السادة الزملاء الكرام .

سيادتي ، سادتي ..

إني أضم صوتي إلى صوت السيد النائب في الترحيب بالضيوف الكرام ، وشكرهم على إسهامهم معنا في الاحتفال بالعيد الخمسين للمجمع لغة القرآن .. وكنا ولا نزال نعول على مشاركتهم ، ونعتد بعطائهم .

ولست في حاجة أن أقول: إن العربية سبقت اللغات الأوربية الكبرى في عالميتها ، فقد كانت لغة العلم الأولى في العالم بأسره طوال عدة قرون ، من القرن التاسع الميلادي إلى القرن الثالث عشر . وعنها أخذت السريانية والعبرية والأردية شرقاً . وأفادت منها اللاتينية غرباً . وهي التي وجهت نظر اللاتين إلى البحث عن الثقافة اليونانية والفارسية والهندية ، وقد كانوا لا يعرفون منها إلا قشورا .

وأصبح من المسلم به اليوم أن النهضة الأوربية الحديثة مدينة للعربية في وعيها وبقظتها ، في علومها وفنونها . وإذا كان البحث العلمي العربي قد توقف زمناً ، فما أجدره أن يستعيد نشاطه ، ويسترد مكانته ، وهامي ذى العربية تأخذ مكانها في المحافل الدولية إلى جانب اللغات العالمية الكبرى ، وكم أثير في طريقها من صعوبات واعتراضات ، وأحرص على أن أقرر أن مجمعكم هذا قد رد عليها جميعها ، وذلك بمحرريه ومختزليه .

(*) أقيمت هذه الكلمة في الجلسة الافتتاحية للعيد الخمسين للمجمع .

سيداتي ، سادتي :

إن خمسين عاما حقبة قصيرة في تاريخ الجامعات اللغوية والعلمية ، ومع هذا يستطيع مجتمعكم أن يباهي بما تم به من طابع عالمي ، وما قام عليه من أساس موضوعي . صوب فيه إلى خدمة العربية في ذاتها على أيدي من يحسن خدمتها دون تفرقة بين جنس أو وطن ، وهذا اتجاه فريد في بابه ، بين الجامعات اللغوية على اختلافها . تكون في البداية من عشرين عضوا نصفهم من المصريين . والنصف الآخر من العرب المستعربين . التقوا جميعاً على مائدة اللغة العربية . وتفاؤوا في خدمتها . فكانوا يجتمعون مرة كل عام ، ولمدة شهر ونصف تقريباً ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . وما أشبه لقاءهم هذا بندوة علمية دولية يربط أفرادها غرض واحد ، وتجمع بينها غاية مشتركة والأخوة في العلم قد لا تقل عن الأخوة في النسب أو في الوطن . ولم يفرق شمل هذا المجتمع الكريم إلا الحرب العالمية الثانية التي باعدت زمنا بين الأعضاء المصريين وزملائهم من العرب والمستعربين . ثم التأم الشمل مرة أخرى ولا تزال الحرب قائمة ، وعاد منهم من عاد إلى خدمة اللغة . وأذكر أنني رأيت واحدا منهم في زيه العسكري ، ولم يمنعه واجبه الوطني من أن يؤدي رسالة العلم والمعرفة . وقد احتفظ هؤلاء العرب والمستعربون بعضويتهم إلى أن لقوا ربهم ، وتفاؤوا في خدمة اللغة العربية ما وسعهم ، ولا أدل على هذه الأخوة العلمية الصادقة من أن الجمعيتين جميعاً التقوا على أن يكلوا إلى مستشرق ألماني من بينهم إخراج معجم عربي تاريخي ، وهذا المستشرق هو فيشر الذي أمضى من قبل نحو ٥٠ عاما في جمع النصوص العربية القديمة ، وتخصص تماما في العصر الجاهلي و صدر الإسلام . وكم وددنا أن لو تابع مهمته حتى النهاية ، ووضع الجمع تحت تصرفه كل ما هو في حاجة إليه من مراجع ، ومساعدين ولكن الحرب اعترضت طريقه ، ثم حال قصر الأجل دونه وإتمام ما تعاقد عليه .

ومن حسن حظ مجتمعنا أن تواردت عليه أفواج من صفوة الصفوة ، وشيوخ الأدب واللغة وكبار العلماء والمتخصصين وأئمة الفقه والقانون وقد أرخنا لهم في كتاب ظهر منذ عشرين عاما بعنوان «الجمعيون في ثلاثين عاما» ، ونعد كتابا آخر للمجمعين في خمسين عاما . ومن حقهم علينا أن ننوه بهم في عيدنا هذا وأن نسجل اعترافنا بجميلهم ، فقد عززوا الجمع بماضيتهم ومجدهم ، وأثروه بعلمهم وبحبهم . ويطول بي الحديث إن وقفت فقط عند من لقي ربه منهم ، وفي ذكر أسماؤهم ما يغني عن التعريف بهم . ومن ذا الذي يجهل في فوج المؤسسين الخضر حسن ، وحسين وآل ، وإبراهيم حمروش بين الأزهرين ، أو الإسكندري والعوامري والحارم بين شيوخ

دار العلوم : أو الأب انستاس الكرملي بين العراقيين أو كرد علي بين السوريين ،
أو حسنى عبد الوهاب بين التونسيين وفي الفوج الثاني ، وعدته عشرة من المصريين ،
أئمة وأعلام لقوا ربهم بعد أن خدموا أمتهم ولغتهم . وعلى رأسهم مصطفى المراغى ،
ومصطفى عبد الرازق بين الأزهرين ، ولطفى السيد وعبد العزيز فهمى بين رجال
القانون ، وعلى إبراهيم بين الأطباء ، وهيكى ، وطه حسين ، والعقاد ، وأحمد
أمين بين كبار الكتاب والباحثين . وفي الفوج الثالث ، عدته عشرة آخرون مصريون ،
أشباه وأفزاز ، أمثال السنهورى بين القانونيين ، وعبد الوهاب عزام ، وعبد الوهاب
خلاف من مدرسة القضاء ، وزكى المهندس من دار العلوم ، وأحمد زكى ، ومصطفى
نظيف ، ومحمد شرف بين العلماء والأطباء وتلا هذا ١٥ عضواً وهو فوج رابع بين
مصريين وعرب رحم الله من رحل منهم وأطال في أجل الباقين . وأذكر من بين
الراجلين رضاً الشيبى شيخ العراقيين ، وقدرى طوقان عالم الأردن . وأنيس
المقدسى أستاذ الأدب اللبنانى ، والبشير الإبراهيمى من رجال الصحوة الأولى
في الجزائر ، والفاضل بن عاشور مفتى تونس .

أفواج أربعة تعاقبت وكلها بالتعيين ، وعدتها ٥٥ عضواً : وانضم إليهم ما يزيد
عن ٧٠ عضواً اختارهم الجمعيون بأنفسهم . والأصل أن تتولى الحكومة التعيين في
الكراسى الجديدة ، ثم ترك للمجمعين أن يستكملوا أعضاءهم بأنفسهم ، ولهم
دورة انتخابية مرة كل عام .

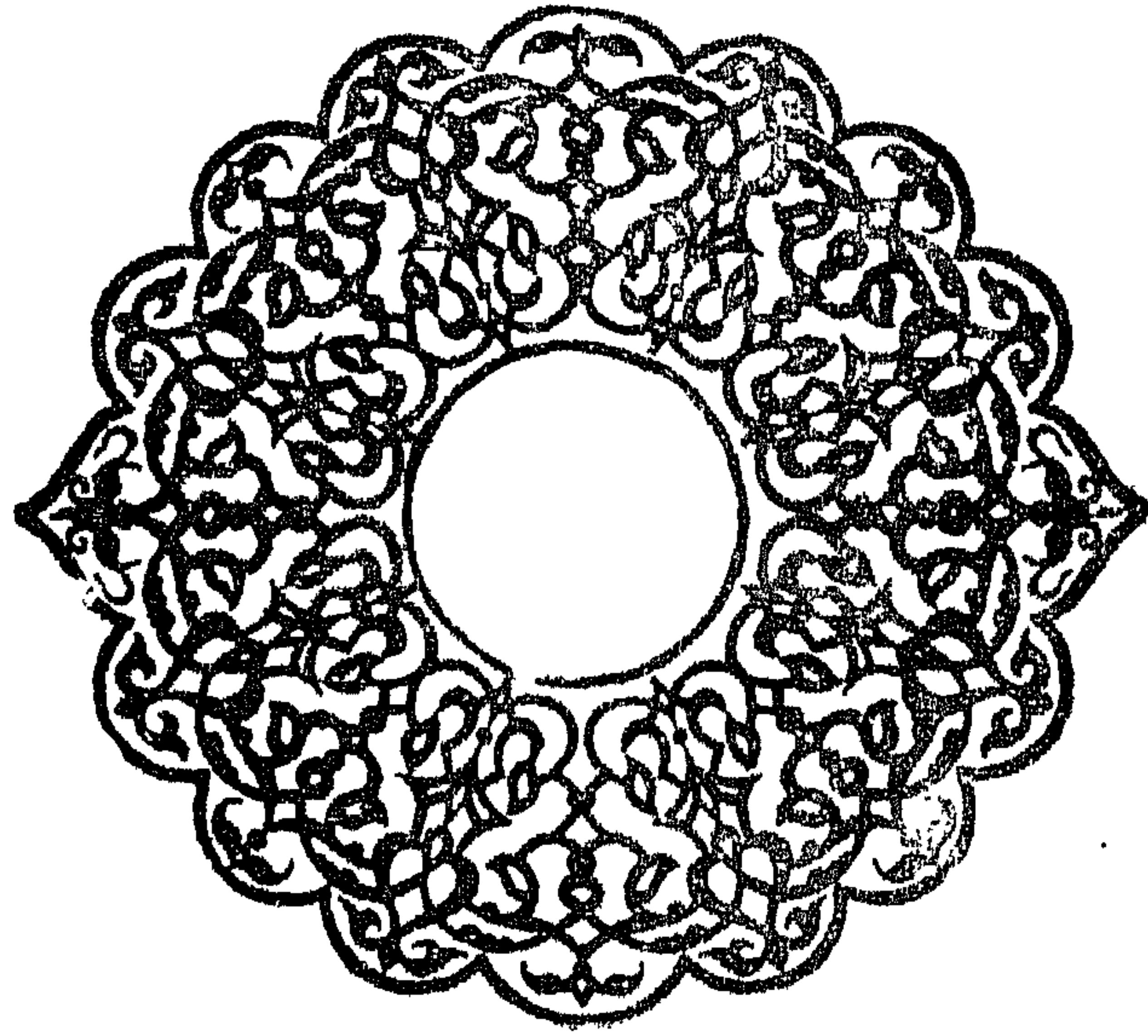
وقد زودوا المجمع بزاد وفسير لاندكر منه إلا بعض من لقوا ربهم ، أمثال :
عبد الحميد بدوى ، وعلى بدوى ، ومصطفى القونى بين القانونيين ، وعبد الرحمن
تاج ، ومحمد على النجار ، محيى الدين عبد الحميد بين الأزهرين ، وشفيق
غربال ، ومحمد رفعت وعبد الحميد العبادى ، وأحمد بدوى بين المؤرخين
ومحمد عوض ومحمد الصياد بين الجغرافيين ، وعلى توفيق شوشه ، ومحمد كامل حسين ،
وأحمد عمار بين الأطباء ، وإبراهيم مصطفى ، وعبد الحميد حسن وحامد
عبد القادر ، ومحمد خلف الله من أبناء دار العلوم وأنطون الجميل ، وتوفيق
دياب والملازنى ، وأحمد حسن أزيات من الصحفيين . ومحمود تيمور شيخ
القصاصيين ، وعزيز أباطة الأمير الشمانى للشعراء تغمدهم الله جميعاً برحمته ،
ومعذرة إن كان فاتنى ذكر بعضهم . وآمل أن يسجلوا جميعاً بالمجمع في سجل
شرف يليق بهم .

* * *

على أن سجلهم الحقيقي في محاضر المجلس والمؤتمر ، وفي مجلة الجمع ومطبوعاته ، وفيما أبدوه من آراء ومقترحات ، وفيما انتهوا إليه من قرارات وتوصيات ، وما قعدوا من أصول فبرهنوا على حيوية العربية ومرونتها ، وقدرتها على مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا . فأجازوا الاشتقاق من الحامد وكان ممنوعاً ، وترسعوا في المصدر الصناعي وما أكثر استعماله في أسماء المذاهب والمدارس الفكرية واستحدثوا صيغاً للدلالة على الآلة والمكان والزمان ، وسلموا بجواز النسب إلى الجمع كما ينسب إلى الفرد . وأقروا ألفاظاً واستعمالات حديثة كنا نتردد بالأمس في قبولها ولا أزال أذكر ملاحظة للمرحوم السنهوري عندما قال يوماً : يكنى الجمعيين فخراً أنهم أدخلوا كلمة أوبرا في معجمهم الوسيط وللمجمع مؤلفات متلاحقة تثبت ما قرر من أصول جديدة ، وما قبله من ألفاظ وأساليب مستحدثة .

سيداتي ، سادتي :

شكراً لكم على حسن استماعكم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :



كلمة الجامع اللغوية للكورني جع نعين المجمع السورى

بسم الله الرحمن الرحيم

السيد نائب رئيس الوزراء للخدمات ووزير الدواة لشئون التعليم والبحث العلمى : الأستاذ الخليل رئيس مجمع اللغة العربية فى القاهرة السادة زملاء الأماثل أعضاء مجلس مجمع اللغة العربية بالقاهرة أيها السادة والسيدات .

لأنه يسعدنى ويشرفنى أن أقف أمامكم ، لألقى كلمة مجمع اللغة العربية بدمشق بمناسبة الاحتفال بالعيد الخمسينى لمجمع اللغة العربية فى القاهرة، يسعدنى أن أنقل إلى السادة الأعلام فيه ، مع التهنئة الخاصة تحيات زملاء لهم فى المجمع العربية الثلاثة من انشام إلى العراق فالأردن عن مدى اعتزاز الجميع واغتنباطهم بما وفق إلى انجازه مجمعكم الموقر ، طوال هذه السنين الخمسين من عمره المديد إن شاء الله ، من منجزات باهرة ، وما قام فيها من أعمال جليلة ، وما خطا خلالها من خطى سديدة ، حرى بها التقدير والإعجاب ، وذلك فى سبيل إعلاء شأن لغتنا المقدسة لغة التنزيل العزيز لجعلها لغة عصرية قابلا وقابلا تفى بأداء حاجات الزمن الذى نعيشه وتسائر ركب الحضارة الماضى بخطى حثيئة ، زاده الله توفيقا وأمله بعونه ، وولى وجهتنا نحو كل ما فيه خير الإسلام والعروبة وبعد فإننا ونحن نحقق اليوم جميعا بمرور خمسين عاما على قيام لنا الصرح الخبيد من صروح العربية ونذكر ما أثر مؤسسيه الأرائل نعمدهم الله برحمته وسائر من تعاقبوا على العضوية فيه ، فسنمد من هديهم هديا يصح لنا تجاهل الطريق ومن ذكر عزماهم عزما يعيننا على المضى فيه .

(٥) أقيمت هذه الكلية فى الجلسة الافتتاحية للسيد الخمسينى للبحر .

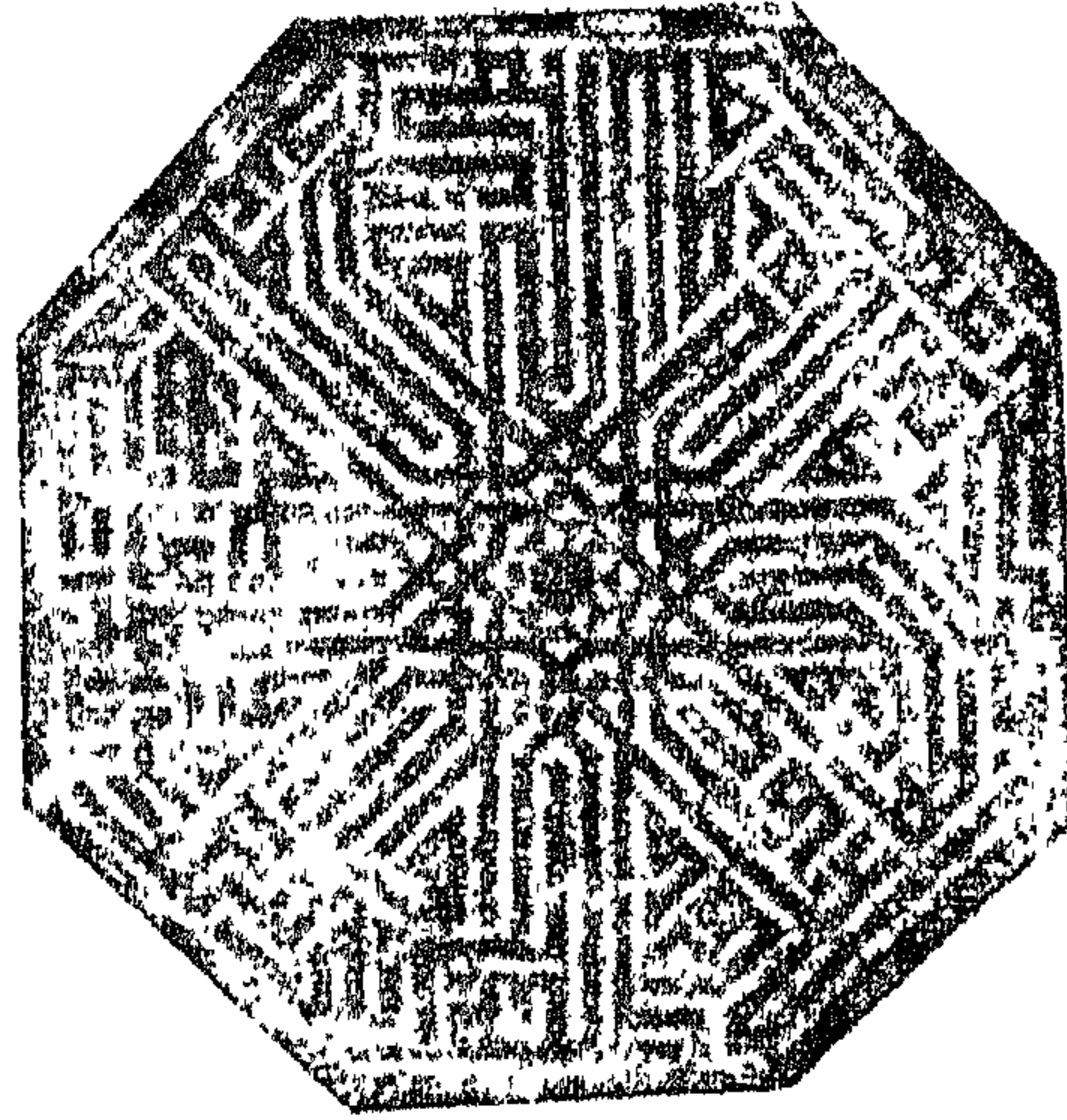
لقد كان مجمعا دمشق والقاهرة ولايزالان شقيقين يعملان لغاية واحدة ، وكان قيامها تعبيرا عن إرادة هذه الأمة في حياة لغتها التي هي أشرف ما نطق به البشر ، وحضارتها التي هي أكرم حضارة عرفها بنو الإنسان وتمهية أسباب النماء لها .

ولئن سبق مجمع دمشق في الظهور أخاه ببضع عشرة سنة لقد كان مما ساعد على قيامه مالمقيه مؤسسه الأستاذ محمد كرد علي من تشجيع وعون من أكابر أصحابه في مصر ، من مهدوا اقيام مجمع القاهرة أيضا ومنهم أحمد تيمور باشا وأحمد زكي باشا وغيرهما رحمهم الله . حتى إذا قام مجمع القاهرة ، اختير بين مؤسسيه رئيس مجمع دمشق الأستاذ محمد كرد علي وعضوية الشيخ عبد القادر المغربي والأستاذ عيسى اسكندر المعلوف أيضا ، ثم لم يفتر التعاون بين المجمعين قط حتى إذا كانت سنة ١٩٥٨ وانتصرت إرادة الأمة في جمع القطرين الشقيقين مصر والشام في وحدة سياسية اندمج المجمعان في مجمع واحد ذي فرعين تدار شؤونهما بموجب القرار الجمهوري ١١٤٤ تاريخ ١٩٦٠ واستبدل مجمع دمشق لذلك اسم مجمع اللغة العربية باسمه الأول المجمع العلمي العربي ، حتى إذا شاء القدر أن تتصدع الوحدة السياسية عز على مجمع دمشق أن يتخلى عن اسمه الجديد وظل يعمل بموجب القرار المتقدم ذكره ثم كان أن اقترح مجمع دمشق سنة ١٩٦٩ وهو يحتفل بعيدة الخمسيني قيام اتحاد يضم المجمع العربية الثلاثة القائمة إذ ذلك فلبى الدعوة مجمعا القاهرة وبغداد وتم الاتحاد بين المجمع الثلاثة ، ثم انضم إليه مجمع الأردن أيضا ، وينا لنتظر اليوم الذي تقوم فيه دولة العرب الواحدة التي تضم لكل أقطارهم ويكون لها مجمعها الواحد الذي تندمج فيه كل هذه المجمع ولأنه لآت بإذن الله ومشيتته .

ولايسعني الا أن أذكر بالإكبار الخطة الرشيدة الى اختطها مؤسسو هذا المجمع لتحقيق غايته النبيلة ، والأعمال الجليلة التي قام بها أعضاؤه ولجانه على مدى خمسين عاما من تأصيل أصول ، وتحرير قواعد ، ووضع مصطلحات في شتى العلوم والفنون ، إلى ما قاموا به أيضا من إحياء طائفة من آثار السلف ووضع (معجم ألفاظ القرآن الكريم) ، (المعجم الوسيط) و (المعجم الوجيز) وغيره وعملهم الدائب في إعداد (المعجم الكبير) .

وقد كان من تمام خطة هذا المجمع الرشيدة مؤتمره السنوى الذى يعقد فى مثل هذه الأيام من كل سنة ويضم أعضاءه العاملين والمراسلين ومن اختارهم لعضويته من الأقطار العربية ، للنظر فيما تدارسته لجانته ومجلسه من مسائل وما اتخذته من قرارات ، ليؤخذ منها بما هو أحرى لنصواب .

وبعد ، فلئن من حق أرض الكنانة - حرسها الله - أن تفخر بجامعتها الأزهر الذى مايزال من نحو أحد عشر قرناً القيم الأمين على موارث العربية والإسلام ، إنه من حقها أيضاً أن تفخر بهذا المجمع الأزهر الذى نرجو أن تعود جهوده على هذه الأمة بالخير العميم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :



لغة القرآن والحضارة والحياة بمؤلفات محمد مهدي الأثرى

- ١ - شعشت كاسها أوف الضياء وعلاها ، أمن لينا السنا لألاء
- ٢ - وصفا ماؤها كما شف ماس ألفت في الضحى عليه (ذكاء)
- ٣ - لذة الطعم . . ما الشهاد لديها ؟ مارضاب العذراء ؟ ما الصهباء ؟
- ٤ - كل لطف مفرق في سواها هو فيها ، وكل حسن رواء
- ٥ - مثل وشى الربيع . . زانت يد الله (م) حلاه ، وأبدعت ما تشاء
- ٦ - وجنى النحل . . فيه من كل زهر ما حباه الربيع والأنداء
- ٧ - طاب في الذوق واستلذ ، وصارت منه للناس نعمة وشفاء
- ٨ - فيه من نشوة الشمول ، ولكن لا يصيب العقول منه بقاء
- ٩ - لغة ؟ أم مزاهر ؟ أم مناجيا ة عذارى فواتن ؟ أم غناء ؟
- ١٠ - يبهج السمع ، إذ تنغم ، والقلـ ب سرورا ، وتنتشى الأعضاء
- ١١ - قاد جرس الألفاظ فيها المعاني وتجارى إيقاعها والأداء
- ١٢ - عاطها حسك اللطيف ومعنا ك ، عما نحك لفظها ما تشاء

(*) أقيمت القصيدة في جلسة افتتاح الاحتفال بالعيد الحسيني للمجمع .

(١) شعشع الضوء : انتشر خفيفا .

(٢) ذكاء : الشمس .

(٣) الشهاد : جمع الشهيد ، وهو العسل - الصهباء : الخمر .

(٨) النشوة : أول السكر - الشمول : الخمر . - الباء : الأسر .

- ١٣- من درارى السماء لونا^١ ولحا^٢
 ١٤- أو الألى (الخليج) : تزدهر اللب
 ١٥- أو نبات الربيع : تبهى به الأر
 ١٦- فى ثنا الورد : هاج فى نفس الصب

* * *

- ١٧- هى (ليلاى) فى الليالى ، وترى
 ١٨- يتملى - ملاوة - من نعيم
 ١٩- ونعيمى فى حب (ليلاى) أسمى
 ٢٠- طرب دائم ، ووصل مقيم ،
 ٢١- و (لليلى) عهد مع العمر باق
 ٢٢- شهوات النفوس مختلفات
 ٢٣- لا يلمنى اللوام إن جهلوني
 ٢٤- اصطفتانى لها الذى نوع الخ
 ٢٥- قد تعلقت منه صبباى ب (ليلا
 ٢٦- دون عشرين والصببا فى عرام
 ٢٧- كل شىء سلوت ، إلا هواها
 ٢٨- كيف أسلو هوى به أنا أحيا
 ٢٩- الثمانون . . قد أراها استقام ال
 ٣٠- ربما . . والفتى رهين الليالى
- للبياليه (ليليات) ظبا^١
 خالط المر حلوه والعناء
 ما تنيل العلاقة العصماء
 والتناذات خافق ، وارتو^٢
 والغوانى عهد هودهن هو^٣
 تتجسارى ما بينها الأهو^٤
 كل نفس نها هوى وصببا^٥
 لتي ، وأعلى من شئنى الاصطفاء
 (ى) ، وصبح الهوى ، ودام الولاء
 وهواها من صبونى والغلاء
 وهواها له فوادى وقاء^٦
 وانتشائى من سحره والفتاء ؟
 عمر فيها من وصلها ، والصفاء
 والليالى من فوقهن القمصاء

* * *

- (١٤) الخليج العربى : هو مأوى اللؤلؤ . - البية : موضع القلادة من العنق - الرواء : حسن النظر فى البهاء والجمال .
 (١٥) تبهى : تحسن وتجميل .
 (١٨) الملاوة : مدة العيش ، وتملى الجيب : عاش معه ملاوة من السن .
 (٢٠) الخافق : القاب .
 وهره وتمتع به .
 (٢٣) الصباء : الحنين والميل .
 (٢٦) العرام : الشراسة والاشتداد - الغلاء : المقالة .
 (٢٨) الفتاة : الفتوة .

- ٣١- نعر الناعقون . لكن إليهم
٣٢- هي في أفقها الرفيع ، وهم في
٣٣- نخل عنك العلوّج إن قرقرها
٣٤- نخلهم عنك قرقرها أو أصواتها ،
٣٥- الثنّاءات دينهم ، والجافسا
٣٦- جهلوها ، وهم مراض قلوب
٣٧- ثم داءان . . ما أرى لهما الدهم
٣٨- ومن الجهل للنفوس اغتيال
٣٩- كبرت أن ينسأها منهما اللغـ
٤٠- ما لذى القبح يسطار من الحس
٤١- انقلاب الزمان . . أعري الزرايز
٤٢- وأرانا الجعلان قد ذمت السور
٤٣- طفح الكيل ، فالمهارق سود
٤٤- فلم البغض ، وهي للخلق نور

* * *

- ٤٥- لغّة المرء ذاته . . إن تهن ها
٤٦- الحفاظ الحفاظ . . يغلى به الصمد
٤٧- وأصول الأرحام ، والوطن الغما

- (٣٢) قها : أذلاء صغار حقراء .
(٣٤) أصواتها : صاحوا .
(٣٥) الثنّاءة : أشد البغض . - السوأة السوءاء : الخلة القبيحة ، وكل كلمة قبيحة أو فعله قبيحة فهي سوءاء .
(٣٧) داء عياء : شديد لا برء منه .
(٤٠) يستطار : ينعر ويفزع .
(٤٢) الجعلان : جمع الجعل . وهو حيوان كالخنفساء ، يكون في مراح البقر ونحوها وفي مواضع الروث يموت من ريح الورد ، فاذا أعيد إلى الروث عاش (حياة الحيوان) .
(٤٣) المهارق : الصحائف البيض .
(٤٦) الحوياء : النفس .
(٣٣) قرقرها : عابوها . - الصاء : القذى الذي يخرج عقب الولادة .
(٤٧) القعساء : المتبعة الثابتة .

- ٤٨ - لا يمارى إلا جهول . . تساوت
٤٩ - ودعى مـزـنـم متغـاض
٥٠ - ليس يعنيه ما يصران ويرعى
٥١ - كثر العاثثون فيها فساداً
٥٢ - ما لهم ، إن مخضتهم في امتحان
٥٣ - هم عليها ، ولست أغلو بحكم
٥٤ - يرسمون الحدود جهلاً كما يمـ
٥٥ - خبط عشواء في الظلام . . تلوى
٥٦ - يعلق الشوك جسمها فيدمى
٥٧ - رب غاوٍ منهم قتيل غرور
٥٨ - أعرج النطق ، أعمش الفكر . . ماذا
٥٩ - ولكم مدع حفاظاً عليها ،
٦٠ - وعليها ، والحكم لله فيها ،
٦١ - عجب عجب . . صحيحة عين
٦٢ - ومعاً في الرجلين . . جاء يداو
٦٣ - وعدو مكاشح . . يظهر الحـ
٦٤ - لست أدرى ، وعل غيرى يدري
٦٥ - ومتى ترعوى السفاهة عن غى
٦٦ - ومتى تجسّد الأنوف ، وتلقى
- في غباه اللسناء والبكماء
عنده دعوة الحفاظ هراء
أعدو يغـوله ، أم بلاء
وغلا بادعائها الجهلاء
(ألف) من فنونها أو (باء)
شهد (الله) ذو الجلال ، وباء
لى هواهم ' وتشتهى الخيلاء
درها ، واستخفت به الأصواء
أو تردى في هوة فتسواء
عنده اللحن والصواب سـواء
من رزاياه يصلح الرفساء
وعليها من ضيمه ضمـراء
أبدا منه غارة شعواء
تتولى قيادها عميـاء !
يه خبـالاً من رجله عرجاء
ب رياء ، وفي الضمير العداء
فيم هذى الجهالة الرعناء ؟
وطيش ، وينتهى السنفهاء ؟
في الكناسات هذه الأقداء ؟

(٤٨) يمارى : يجادل . - اللسناء : الفصيحة البليغة . - غباه : غباوته .
(٤٩) الدعى : المتهم في نسيه . - المزنم : المقطوع من أذنه هنة فتركت معلقة .
(٥٥) يخبط يخبط عشواء : يخطى ويصيب كالناقة التي يعينها سواء إذا حبطت بيدها . الأصواء : جمع صوى ،
وهى ما ينصب من الحجارة ليستدل به على الطريق .
(٥٨) يتلكأ (يتلكأ ، سهلت همزته) : يعتل . - العقال : ظلع يؤخذ في قوائم الدابة ،
(٥٩) الرفاء : من يرفو (يرفأ) الثياب ونحوها .
(٦٠) غارة شعواء : منتشرة متفرقة فاشية .

- ٦٧- ومتى يحفظ. الذمام ، ويرعنا
٦٨- ليس فيهم من الأشائب مفتو
٦٩- (لغة الوحي) جل ذا النعت نعتاً
٧٠- شرف في السماء والأرض سماي
٧١- جلجل (الوحي) في العلي بصداها
٧٢- مس قلب (الأمين) حتى إذا ما
٧٣- رج (أم القرى) ، وبارك في الده
٧٤- أي قدس تقدست باسمه (الفصح
٧٥- اصطفاه من علم البشر النط
٧٦- اصطفاه (وحيه) وهو نور
٧٧- يا لغات اسجدي ، ويا ناعق اصمت
٧٨- جوهر ثاقب ، على الدهر يذكو
٧٩- تتعالى من بعد أفق رفيع
٨٠- وتمسد الحياة من كنزها الوف
٨١- كلما طال شوطها طاوعتها
٨٢- وكذلك الجياد تعطي قواها
٨٣- غدت العلم ما تفرع بالزا
٨٤- ونمى من نطافها الأدب العا
- ه الكرام الأحامس الأوفياء
ن غبي ، أو معشر دخلاء
أين للسن هذه السيماء
كل علباء من ذراه علاء
وتلقاه بالخشوع (حراء)
فاض منه تخاوض البلغاء
ر علاها ، واستغرقت آلاء
ي) ، وعزت بمجده (العرباء)
ق ، ومنه الأصوات والأسماء
يتألا بها ، ونعم الوعاء
وحدياك أيها الادعاء
ما استقامت دنيا ودام ذمها
نحو أفق ، ودأبها الارتقاء
ر ، ويزكوما تجود الحباء
ما براها أين ولا إعياء !
والرجال الأحرار والكرماء
د كريماً ، وما ابتغى العلماء
لي ، ورفت أفنانه والزهاء !

- (٦٧) الذمام : الحق والحرمة . - الأحامس : الشجعان ، جمع أحمس .
(٦٨) الأشائب : الأخطا من الناس .
(٦٩) اللسن : اللغات
(٧١) حراء : من جبال مكة ، كان يتحنث فيه النبي صلى الله عليه وسلم وفيه نزل الوحي عليه .
(٧٢) تخاوض : غرض بصره ، ويقال تخاوضت النجوم ، أي اصفرت الغولاء .
(٧٣) أم القرى : مكة المكرمة . - الآلاء : النعم .
(٧٤) عرب عرباء : صرحاء خالص .
(٧٨) يذكو : يشتبه طيبه ويشتمل . - الذماء : قوة الثعلب .
(٨٠) الوفير : الكثير . - يزكو : ينمو ويزيد . - الحباء : العطاء .
(٨١) الأين : الثعب .
(٨٤) النطاف : المياها الحارية . الأفنان : الأغصان . رهاء الشيء : شخصه .

- ٨٥- ما استدار الزمان لونا فلونا
٨٦- يخصب الجذب بالغيوث رواء
٨٧- ويزان الثرى بغرس وزرع

* * *

- ٨٨- رويت من ساساها العذب (مصر)
٨٩- وحثم ذخرها تليدا أصيلا
٩٠- وحبته من الطريف فنونا
٩١- شاد (عمرو) ، والفضل ماشاد عمرو
٩٢- أصل (الدين) و (العروبة) و (الفصه
٩٣- دارة الطهر والبراءة ، والأهـ
٩٤- هم بنو (مصر) ، (والمحبة) دين
٩٥- ورثوها من (أنبياء) كرام
٩٦- وإذا صحت النفوس تصافت
٩٧- وزها (الأزهر المبارك) شانا
٩٨- ينشر (الدين) و (الساحة) و (الف
٩٩- الليوث الغيوث من كل نجر
١٠٠- الحفاظ الأصيل والدأب الصمد
١٠١- وتجارى الأنسال قرنا فقرنا
١٠٢- فجديد ، يشاد عند قديم
١٠٣- نعمت (الدار) هذه الدار .. أوفت

(٨٧) الوشاء : كثرة المال .

(٨٦) رواء : جمع ريان .

(٨٩) التليد : المال الأصلي القديم .

(٩٠) حبته : أعطته . الطريف : الاستفادة من المال حديثا . يهوى : يحسن ويحبل .

(٩٢) عمرو : عمرو بن العاص رضي الله عنه ، فاتح مصر . الأزياء : العقلام ،

(٩٧) الأملاء : الأخلاق .

(٩٩) النجر : الأصل .

(١٠٠) الرأب : الإصلاح .

- ١٠٤ - حاكت (النيل) في العطاء ، فشيدت فوقه ، وهو تحتها غداء !
- ١٠٥ - ومن (النيل) للنفوس حياة ، ومن (الدار) للحياة غداء !
- ١٠٦ - هي (دار الفصحى) ، وللدار ربّ قد أعز (الفصحى) ومنه الرعاء
- ١٠٧ - أشبلت فوقها حناناً ورعيّاً فلها كل عطفها والرفاء
- ١٠٨ - رمز (مصر) .. فكل قلب بـ (مصر) زهى فيه الحبيبة السمراء !
- ١٠٩ - جيروا لله .. قلب كل كريم يعربى ، دار لها وفناء !
- ١١٠ - شمع (المجمع العظيم) ، وأعلى (لغة الوحي) (لغة الوحي) ، وأعلى
- ١١١ - جمع العلية الفصاح ، وعاشت جمع العلية الفصاح ، وعاشت
- ١١٢ - عبقريون. جاهدوا ، واستطابوا نصب الجهد حسبة ، وأفاءوا
- ١١٣ - أوسعوها تجلة واحتراماً وقياماً ، وما عراهم وناء
- ١١٤ - (لغة الوحي) . . لن يمكن منها أعبان ، تقواه فيها هواء
- ١١٥ - فصحت ، واستقام فيها بيان ليس فيه غير الصريخ هجاء
- ١١٦ - أبت اللعب والتعابث والسخف ف ، وجددت .. وهكذا الصرحاء
- ١١٧ - أعطت (الدين) و (الحياة) ، ولم تعى بشيء - ولم يضمن العطاء
- ١١٨ - وإذا عيت اللغات بزاد تبتغيه الحياة ، فهى هذاء
- ١١٩ - قف هنا : في (كنانة الله) ، واصدع وخليق بـ (شعبها) الإصغاء
- ١٢٠ - أنت في (دائرة العروبة) حر ، وذووها هم قومك الأصغفاء
- ١٢١ - (مصر) قلب ، ونحن نحن الشرايين ، ومنها إليه تجرى الدماء
- ١٢٢ - هيكل محكم الأواصر فرد تعضد القلب^١ عنده الأعضاء
- ١٢٣ - التقينا ، ونحن إذ نرأم (الفصحى) ، هوأنا الحياة والإحياء

(١٠٥) غداء : ذاهب منطلق . (١٠٧) أشبلت : حنت . (١٠٧) الرعاء : الإصلاح .

(١٠٩) جبر : يمين بمعنى حقاً . (١١٢) فعله حسبه : مدخرا أجره عند الله . - أفاء له الخير : جابها .

(١١٣) الوناء : الفتور والضعف . (١١٤) الأعبان : الكثير اللعب .

(١١٥) الهجاء هنا : تقطيع الألفاظ إلى حروفها ، والنطق بهذه الحروف مع حركاتها .

(١١٧) لم يضمن : لم يبخل . (١١٨) الهذاء : الهذر بكلام غير مفهوم .

(١١٩) كنانة الله : أرض مصر .

(١٢٢) الأواصر : جمع الآصرة ، وهى ما عطفت على غيرك من رحم أو مصاهرة ، أو معروف .

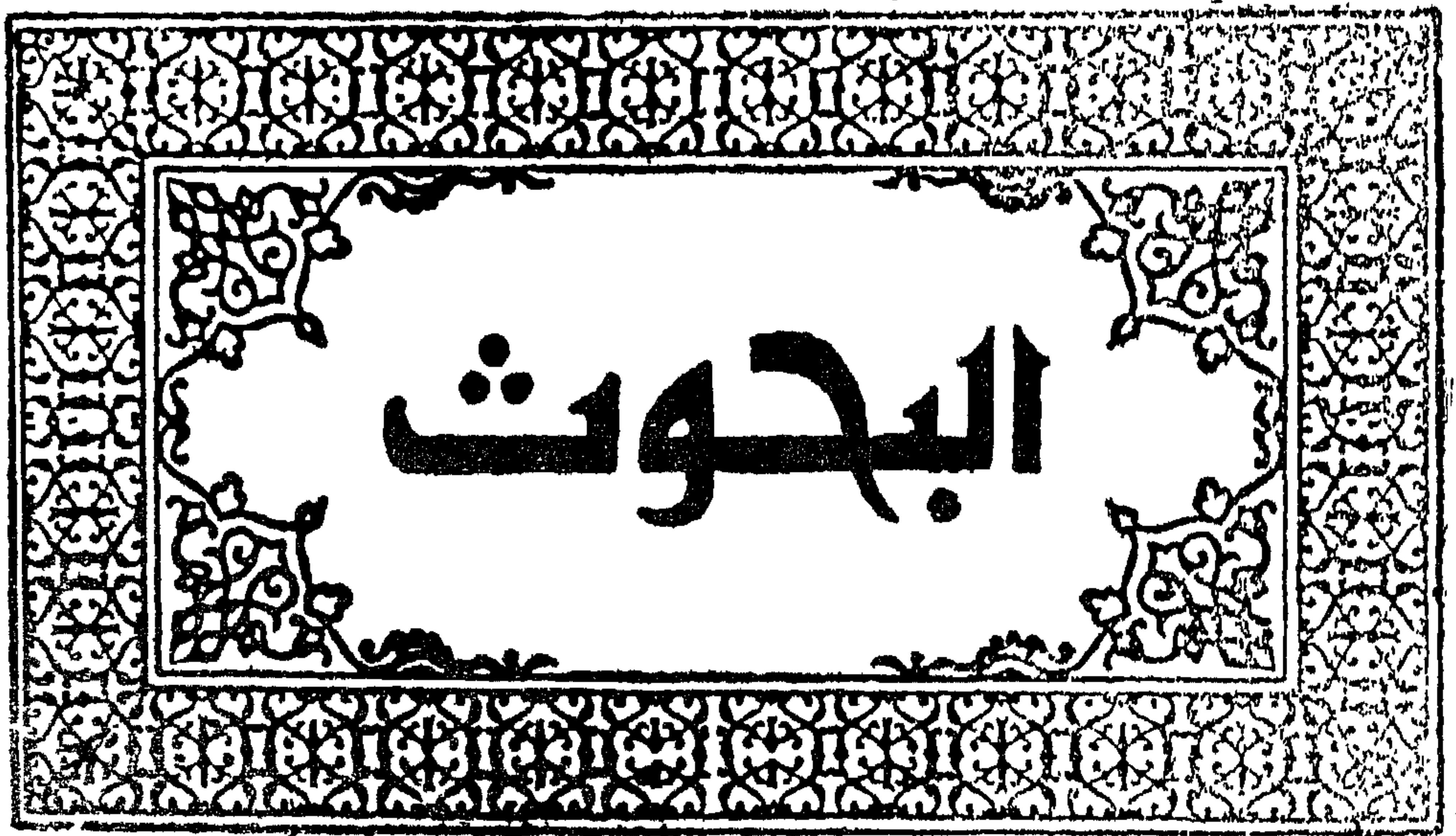
(١٢٣) نرأم : نحب .

- ١٢٤ - نحن نبعث من (الفصاحة) أن نفد -
١٢٥ - لفسداء التمتام ، آثر عندي
١٢٦ - قرع (الله) من يقول ولا يفعد -
١٢٧ - يا لقومي ! وبعض حالات قومي
١٢٨ - نحن في حلبة الحياة ، لنا السب
١٢٩ - (وطن العرب) سررة الأرض ، و (الع
١٣٠ - وعلى الأمة (الرسول) شهيد
١٣١ - جل هذا الإكرام من لدن (الل
١٣٢ - أي شأن لو وعيناه هذا الش
١٣٣ - جهلت نفسها الخلائف ، فاستع
١٣٤ - صاح فيها الفناء ، فليصدق الذو
١٣٥ - إنما تحسن الصنيع البهالي
١٣٦ - هاكم من يد ل (بغداد) عهداً
١٣٧ - إن (عهد الحفاظ) : للوحدة الك
١٣٨ - يفرض العز أن يوثق بالصمد
- صاح منا (الأفعال) و (الأنبياء) !
من بيان لم يصطحبه فداء
ل ، فالقول شأنه الأيفاء
شف داك ، والمصطلحون الدواء
ق ، وفي أرضنا استطال العلاء
رب) على الناس حولهم شهداء
كيف تهدي بهديه الأحياء
ه) ، وجل التشريف والإعلاء
أن ، واسترعت به النعماء
لنت ذئاب عليهم نزاع
د لديهم ، وليقدم الشرفاء
ل ، وتغشى الكرائه البسلاء
بصدق الفعل عنده والوفاء
سبري ضمان ، وللحياة سناء
ق دواماً ، ويقتضيه البقاء

الأستاذ / محمد بهجة الأثري

عضو المجمع من العراق

- (١٢٦) تلميح إلى قول الله عز وجل في سورة الصنف : (يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون) .
(١٢٩ - ١٣٠) تلميح إلى قول الله عز وجل في سورة البقرة (الآية ١٤٣) : (وكذلك جعلناكم أمة وسطا ، لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيداً) .
(١٣٣) نزاع : جمع نزاع ، مبالغة من نزا : إذا وثب .
(١٣٤) الذود : الدفع والطرده .
(١٣٥) البهاليل : السادة الجامعون لصفات الخير . - الكرائه : الحروب .
(١٣٧) السناء : الرفعة .



رؤساء الجمع السابقون للدكتور إبراهيم مذكور

يقوم البحث والدرس على أساس من الخبرة التامة ، والرغبة الأكيدة . والعمل الدؤوب . ولا حياة لهيئة علمية إلا بانتظام عقدها ، وتضافر أعضائها ، وإيمانهم برسالتهم إيماناً جازماً . ومن حسن حظ مجتمعنا أنه قام أول ما قام على رعييل من شيوخ عصره ، بين مصريين ، وعرب ومستعربين ، وكل واحد منهم قمة في بابه وعلم في ميدانه . وتلامهم رعييل بعد رعييل وكلهم خيار من خيار . رسموا الخطة وأقاموا الصرح ، وأدعموا البناء . وساروا في طريقهم في هدوء وحكمة ، وحزم ودقة ووقفوا جهودهم على خدمة اللغة في متنها وتركيبها . وعنوا عناية خاصة بوفائها بمتطلبات العلم والحضارة .

وفي عيد مجمعنا الذهبي أرى واجبا على أن أنوه برؤساء الجمع السابقين الذين حملوا الراية ، وقادوا القافلة ، وأعطوا ما استطاعوا من أوسع علمهم وعظيم خبرتهم . واستمسك بهم زملاؤهم طوال حياتهم ، ولم يحرمهم منهم إلا رحلتهم الأخيرة إلى جوار ربهم وهم ثلاثة كرام تعاقبوا على رئاسة الجمع أربعين عاما ، وما أغناهم عن التعريف وأود فقط أن أشير إلى شيء من جهودهم الجمعية ، وما خلفوه من أثر في صحائف الخالدين .

وأولهم محمد توفيق رفعت الذي قاد السفينة عشر سنوات من عام ٣٤ إلى ٤٤ ؛ وشهد مرحلة التأسيس ، وهي دقيقة عادة . ولكنه استطاع بخبرته الطويلة وزاده الوفير أن يواجه الموقف مواجهة صادقة . وكان الجمع في سنيه الستة الأولى أشبه ما يكون بمؤتمر دولي صغير يضم عشرين عضوا ، نصفهم من المصريين ، والنصف الآخر من العرب والمستعربين ، والكل مؤمن بالعربية وراغب في النهوض بها لكي تصبح لغة العلم والحضارة ، وتسهم في هذا الميدان إلى جانب اللغات العالمية الكبرى . وكانوا يجتمعون طوال شهرين من كل عام ، ويعقدون نحو خمس وثلاثين جلسة . يغذونها أساسا بخبرتهم وعلمهم الغزير . واستطاع توفيق رفعت أن يحقق معهم تعاوناً تاماً وأخوة صادقة .

وشاء ، وهو الفقيه الضليع والقانونى القديم ، أن يبدأ المجمع عمله بوضع لأئحته التى تنظم عمله وتحدد اختصاص هيئاته . وقضى المجمعون فى ذلك ما يقرب من دورة كاملة ، ووضعوا أسسا ومبادئ لا تزال نهتدى بها حتى اليوم، ومن أهم ما اتجهوا إليه تكوين لجان خاصة تقوم بالبحث والدرس ؛ قبل العرض على الهيئة العامة . وأصبح من تقاليد المجمع الثابتة ألا يعرض على مجلسه موضوع قبل أن يستوفى بحثه ودرسه على أيدي المختصين .

وكان المجمعون أنفسهم فى البداية دعامة هذه اللجان ، ثم استعانوا بالخبراء ، وهذا تقليد آخر ربط المجمعين بأهل الصنعة، كل فى ميدان اختصاصه . ويعد هذا التقليد مبدأ هاما من مبادئ العمل المجمعى ، ونخطىء كل الخطأ إن زعمنا أن المجمعين صناع ألفاظ وتعبيرات، ولجان المجمع مفتوحة لكل من له صلة بها من أعضاء، وللمخبراء فيها منزلة خاصة . وحرص توفيق رفعت على أن يسهم فى بعض هذه اللجان ، وكان له فى بحوثها ومناقشتها دور ملحوظ . وفى هذا ما يؤكد أن رئاسة المجمع لم تكن يوما وظيفة شرفية ولا عملا إداريا ، بل هى مهمة تنظيمية يكاتبها الزملاء إلى واحد منهم .

واستن توفيق رفعت سننا أخرى كتب لها البقاء والحياة ، ومنها بدء كل دورة بعرض ما تم من أعمال وقرارات فى الدورة السابقة ، وكان يتولى هو بنفسه هذا العرض . ونما هذا التقليد وتوسع فيه ، واضطلع به الأمين العام للمجمع . وفيما عرضه توفيق رفعت وثائق تاريخية لها وزنها .

ومن سننه استقبال الأعضاء الجدد ، وتوديع الراحلين ، وتلك سنة رأى فيها المجمع آية من آيات الوفاء والتقدير ، وبابا فسيحا من أبواب البحث والدرس ، وعناية بالفكر المعاصر فى مختلف نواحيه . ولكل من الاستقبال والتوديع جلسة علنية تسجل أعمالها ، وتنشر بحوثها ، وقد اضطلع توفيق رفعت نفسه باستقبال خمسة أعضاء جدد وهم أحمد إبراهيم ، وانطون الجميل ، وأحمد حافظ عوض ، وحسن القاياتى ، وعلى توفيق شوشه . وودع اثنين هما حسين والى ، وعبد القادر حمزة .

وله اقتراحات كثيرة نكتفى بأن نشير إلى بعضها ، وفى مقدمتها طبع معجم فيشر والتعاقد معه على إخراجه ، ولهذا المعجم تاريخ طويل ، فقد عاش معه صاحبه نحو ٥٠ عاما ، وكنا نود أن نتوجه على أيدي مجمع القاهرة ، ولكن الحرب العالمية الثانية حالت دوننا وما نريد ، وحاولنا جمع ما تفرق من جزايات هذا المعجم ، ولم شمله دون جدوى ، وذهب مع التاريخ ، ولم نحصل إلا على قدر يسيل .

وعنى توفيق رفعت بالمصطلح العلمى فشجع لحائه ونوعها ، ودعا إلى حفظ مقرراتها فى جزازات خاصة على نحو ما اقترحه مجمعى آخر ، وهو لويس ماسينيون ورأى فوق هذا أن تنشر فى «مجلة المجمع» ، وفى بعض النشرات الخاصة . وما أحوجنا أن نربط لغة العلم فى مصر بأخواتها فى العالم العربى جميعه ، وفى تكوين المجمع ما يهدف إلى ذلك . ولهذا شجع توفيق رفعت على اشتراك المجمع فى المؤتمرات العلمية التى تعقد فى مصر أو خارجها ، وفتح الباب لمن شاء أن يسهم فيها من أعضاء المجمع بل كان يحرص على أن يرسل باسمه ممثلون معينون .

ومع كل هذه التوجيهات والتجديدات لا يفوتنا أن نشير إلى أن رئيس المجمع الأول كان أميل إلى المحافظة وأحرص على القديم ، وشاء القدر أن يخلفه رئيس آخر من دعاة التجديد والإصلاح وهو أحمد لطفى السيد تلميذ جمال الدين الأفغانى ، وصديق محمد عبده ، وقد جراه فى القول بضرورة إنشاء مجمع لغوى ينهض بالعربية ويمكنها من أن تسد حاجات العصر :

ويعد لطفى السيد بحق أول من وضع فكرة إنشاء مجمع لغوى موضع التنفيذ على شكل واضح : بدأ بهذا عام ١٩١٦ فيما سمي «مجمع دار الكتب» ، التى كان مديرا لها وأريد به أن يكون كاتب سر هذا المجمع ، وقد كون من كبار الشيوخ والعلماء وجمع بين العرب والمصريين ، وقدر له أن يعمر بضع سنين ، ثم جاءت ثورة سنة ١٩١٩ ، فاعترضت طريقه ، وانخرط لطفى السيد نفسه فى غمار هذه الثورة ، وعد من قادتها . ولكنه لم يلبث أن عاد إلى فكرته الغالية عام ١٩٣٢ يوم أن كان وزيرا للمعارف ، واستطاع أن يحول هذه الفكرة من حركة أهلية إلى هيئة رسمية ، وصدر المرسوم الملكى بإنشاء المجمع عام ١٩٣٢ ، وصدر بتكوينه مرسوم آخر عام ١٩٣٣ ، ولم يكن لطفى السيد من أعضائه ، مع أنه كان الداعى والمحرك للموضوع ، وهكذا كان لطفى السيد دائما فى كل دعوات الإصلاح ؛ يذكر هدفه ، وينسى نفسه .

وفى عام ١٩٤٠ فقط ، دخل المجمع على رأس الرعيل الثانى الذى اشتمل على عشرة من صفوف أصدقائه ، أمثال محمد مصطفى المراغى ، وعبد العزيز فهمى ، أو من صفوف تلاميذه أمثال : مصطفى عبدالرازق ، ومحمد حسين هيكل ، وطه حسين ، وفى عام ١٩٤٥ ، اختير رئيسا للمجمع ، واستمسك زملاؤه برياسته طوال حياته إلى عام ١٩٦٣ ؛ ورغم رغبته المتكررة فى أن يخفف من أعبائه ، وله فى المجمع أياد كثيرة وآثار خالدة .

فعلى يديه فرق بين مجلس المجمع ومؤتمره ويضم المجلس أعضاء المجمع المصريين الذين درجوا على أن يعقدوا جلسة يوم الاثنين من كل أسبوع ، وحددت دورة المجلس بثمانية أشهر ، تبدأ يوم الاثنين الأول من أكتوبر وتنتهى يوم الاثنين الأخير من مايو .

وأصبح هذا تقليدا ملتزما حتى اليوم ، وقد تضاف بعض الجلسات فى أيام أخرى بموافقة المجلس ، ويجمع المؤتمر بين الأعضاء المصريين والعرب والمستعربين ، ويعقد مرة كل عام وكانت مدة انعقاده طويلة فى البداية ، ثم قضت أعباء الحياة قصرها على أسبوعين رعاية لظروف الضيوف المشاركين ، ويعرض على المؤتمر فى كل دورة ماسبق للمجلس أن أقره ، ولا ينشر شيء باسم المجمع إلا بعد إقرار المؤتمر له .

ولطفى السيد مستحدثات أخرى ، نذكر من بينها جوائز المجمع الأدبية ، فقد شاء أن يأخذ المجمع بيد شباب الكتاب وأن يشجعهم على التأليف والكتابة . وتشاء الظروف أن تكون أول جائزة أدبية للمجمع من تبرع سيادة كريمة هى هدى شعراوي . ثم خصص بعد هذا للجائزة الأدب اعتماد فى ميزانية المجمع ، بدأ رهزيا ، ثم نما على مر الزمن .

وكان شباب الكتاب يسعدون بالجائزة الجمعية برغم تواضعها ، ويكفى أن أشير إلى أن الأستاذ نجيب محفوظ شيخ كتاب القصة المصريين اليوم كان من أوائل من حصلوا عليها . وقد قصرت فى البداية على شباب المصريين ، ثم فتحت بابها للمتسايقين فى العالم العربى جميعا ، وأضيفت أخيرا جائزة أخرى لإحياء التراث ، وما كان أحوجنا إليه .

ويرمى لطفى السيد ظلما بأنه كان من أنصار العامية ، ويظهر أننا نسينا ما كان له من يد فى تخريج جيل من أقلام الصحفيين الأوائل الذين جمعهم «الريادة» أمثال : طه حسين ومحمود عزمى ، ومحمد حسين هيكل ، وأحمد حسن الزيات .

وكان لطفى السيد قلمه ومحفوظاته القيمة فى الأدب العربى ، وكثيرا ما أصغى لها الجمعيون واستمتعوا بسماعها ، وكان يهدف خاصة إلى أن يقرب العامية من الفصحى وأن يجمع الأمة العربية على لغة خطاب واحدة ، وهذا هدف نتمناه جميعا . ونأمل أن نصل إليه إن قضينا على الأمية ، وثقنا الناشئين بثقافة عربية كاملة ، ورغبة فى التقريب بين العامية والفصحى ، دعنا إلى البحث عما تشتمل عليه لغة أصحاب الحرف المختلفة من ألفاظ عربية الأصل ، وهذا هدف لا يزال الجمعيون يناشرونه . وقد دعنا لطفى السيد إلى البحث عما اشتمت عليه لغة هذه الحرف من ألفاظ عربية تمكنا من مواجهة متطلبات العلم والتكنولوجيا المعاصرة ، وكون المجمع لذلك جنودا كان على رأسها إسماعيل مظهر .

وحرص لطفى السيد الحرص كله على أن يباعد بين المجمع والسياسة ، برغم أن مجتمعنا كان يحمل اسم الجالس على العرش ، فسمى «مجمع فؤاد الأول» ثم «مجمع فاروق» . ولم يكن لهذه التسمية أية دلالة خاصة لدى الجمعيين وحظى بعضوية المجمع بعض قدامى السياسيين ، ولكنهم كانوا يخلعون رداءهم السياسى قبل أن يتخطوا عتبة دار المجمع . ولا أشك في أن كثيرين منهم كانوا يسعدون بالروح العلمية التي سادت بحثهم ومناقشتهم ، وكانوا يرون في العمل المجمعى ضربا من الترويح . وشاءت بعض الأحزاب السياسية دون جدوى أن تبسط شيئا من سلطانها على هذه الحياة ، وأبعد لطفى السيد السياسى القديم هذه الأهواء عن صومعة الخالدين .

ورئيس المجمع الثالث هو طه حسين تلميذ لطفى السيد وربيبه ، اتصل به منذ فجر هذا القرن وتوفقت العلاقة بينهما على مر الزمن . وما كان أشد إخلاص التلميذ للأستاذ ، وأعظم إعجاب الأستاذ بتلميذه . جمعت «الحريدة» في البداية بينهما ، وتأكدت العلاقة بينهما في الجامعة المصرية القديمة ، وكان لطفى السيد صلة بها . وما إن عاد طه من بعثته حتى اتجه نحو الصحافة مرة أخرى ، وله في السياسة الأسبوعية بوجه خاص توجيه ونشاط أثار الحركة الفكرية في مصر . ويوم أن أصبح لطفى السيد مديرا لجامعة فؤاد الأول حرص على أن يربط الحاضر بالماضى ، وأن يضم الجامعة المصرية القديمة إلى الجامعة الحديثة ، وفتح الباب لطفه حسين كي يؤدي رسالته في كلية الآداب . ويوم أن اعتدت السياسة على استقلال الجامعة ، وأخرجت طه حسين من كلية الآداب لم ير لطفى السيد بدأ من أن يقف إلى جانب تلميذه وصديقه وقدم استقالته التاريخية .

وعلى بساط مجمع اللغة العربية التقى طه حسين بلطفى السيد في ميدان آخر ، وتعاونوا ما وسعهما على دفع حركة التجديد والسير إلى الأمام . وكان من أول الأمور التي واجهتهما مسألة وضع معجم ألفاظ القرآن ، وقد أيدها لطفى السيد وطه حسين معا ، وإن باعد هذا بينهما وبين الأستاذ الأكبر مصطفى المراغى بعض الشيء . وتلى هذا موضوع آخر كان أعظم خطورة ، وهو الاقتراح الذى قدمه عبد العزيز فهمى ، وهو صديق الطرفين ، داعيا إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية ، وقد قضى المجمع دورة كاملة ، في مناقشة هذا الاقتراح ، ومن الظلم أن يُعزى إلى طه حسين أنه كان من مؤيديه .

ويكفى أن أشير إلى أن المجمع كله رفضه جملة وتفصيلا . والحديث عن الحروف اللاتينية ألصق بالماضى ولا محل له في الحاضر ، ومن اللغظ أن نعود إليه مرة أخرى . سبق

للمجمع أن تعاقد مع المستشرق الألماني فيشر على إخراج معجمه التاريخي ، إلا أن هذا العقد لم يحقق مع الأسف أهدافه ، وكان لابد للمجمع من أن ينعونحو نحو آخر ، فشكّلت لجنة لذلك وكان من حظي أن أسهمت فيها ، وانهقد الرأي على أن هناك نصوصا أدبية ولغوية قديمة ، وأن إحياءها شرط أساسي لاستكمال مصادر المعجم التاريخي ، ولهذا استقر رأي على أن يقنع المجمع الآن بإخراج معجم كبير يعنى بأصول اللغة ومستحدثاتها ويفتح صدره للغة العلم والحضارة ويكمل سلسلة المعجم الوسيط . وشاء طه حسين راغباً أن يتولى بنفسه أمر هذا المعجم وقضى عشر سنوات يعد له ، ويوم أن دُعي إلى الوزارة رغب زملائه جميعاً أن يخففوا عنه ولكنه أبقى إلا أن يتابع جهده السابق وأخرج من هذا المعجم تجربة وزعت على الباحثين والدارسين لكي يبدو ما يعنى لهم من نقد أو ملاحظة وكانت هذه التجربة دعامة العمل في المعجم الكبير ، وقد أخرج منه جزء في حياة طه حسين ولحقه جزء آخر بعد مماته والعمل فيه طويل النفس ، وسيدكر طه حسين ما ذكر هذا المعجم وما تداوله الباحثون والدارسون .

ولطه حسين مواقف أخرى في مجمع الخالدين سجلتها محاضر المجلس ومؤتمره ، وأختم حديثي بموقف واحد منها وهو تيسير النحو على الناشئين ، وتلك قضية عاش معها طه حسين منذ خمسين سنة تقريبا ، فقد اشترك في لجنة كونتها وزارة المعارف لهذا الغرض عام اثنين وثلاثين ، بناء على رغبة محمد جبهى الدين بركات الذي كان وزيرا للمعارف حين ذلك ، وانتهت هذه اللجنة إلى مقترحات حفظت في ملفات الوزارة زمانا ، ثم رُئي عرضها على المجمع ولم يكن فيها أى جديد بالنسبة لطه حسين وكان كل همهم بعد أن أقرها المجمع مع تعديل طفيف أن تأخذ طريقها إلى العمل والتنفيذ ، وطالب المجمع وزارة المعارف بأن تضع كتباً تتمشى مع هذه المقترحات وتبرع هو نفسه أن يسهم في هذه الكتب أو يراجعها ولم تستجب وزارة المعارف لدعوته ولكن فكرة التيسير تسير في طريقها ، وأعتقد أن القائمين على أمر تعليم اللغة العربية في مدارسنا الأميرية والخاصة يدركون تماما أن اللغة تتعلم عن طريق الحوار والقراءة والمطالعة ، وكأني بهم يتخففون الآن من القواعد النحوية ما استطاعوا .

هؤلاء هم شيوخ الخالدين الثلاثة الذين قادوا السفينة ووضعوا تقاليد نهدي بها ونسير على نهجها . وإذا كنا نذكرهم في عيد المجمع الذهبي فإن الباحثين والدارسين سيدكرونهم على الدوام .

الدكتور ابراهيم مدكور
رئيس المجمع

معجم ألفاظ القرآن الكريم بين المعاجم وكتب التفسير واللفظ د. أستاذ عبد السلام هارون

الأمين العام للمجمع

أبسط

القرآن الكريم منذ فجر الإسلام بعنايات فائقة ، مختلفة المناهج والضروب والألوان . ولعل أعظم موسوعة في دراسة تفسير القرآن ومناهج تفسيره

ما قام به العالم الجليل الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه « التفسير والمفسرون » في أجزاء ثلاثة قاربت صفحاتها ١١٣٠ صفحة ، بحث فيها نشأة التفسير وتطوره ، وألوانه ومناهجه ، وأجرى عرضا تفصيليا لأشهر المفسرين ، وتحليلا كاملا لأهم كتب التفسير من عهد النبوة إلى عصرنا الحاضر .

ومع هذا قد خلت صفحات هذه الموسوعة النفيسة من بيان مسلسل لنوع خاص من أنواع التفسير ، هو ما أطلق عليه كتب « غريب القرآن » ، وهو ما يعنى اليوم في مناسبة بحث تاريخ معاجم تفسير القرآن ، التي يقف على رأسها اليوم معجمنا « معجم ألفاظ القرآن الكريم » الذي أصدر مجمعنا الموقر طبعته الأولى في سنوات تأخذ من سنة ١٩٣٥ ممتدة إلى سنة ١٩٧٠ ويعمل الآن على إصدار طبعته الرابعة في مزيد من التحقيق والتنقيح . وإذا رجعنا البصر وتعقبنا المسرد التاريخي لهذا الضرب من ضروب التفسير المعجمي وجدنا أمرا مدهلا في هذه الزاوية المحدودة من زوايا خدمة كتابنا العزيز ، إذ نعثر على محاولات جادة ذات قدر عظيم ، أكل الدهر والتاريخ معظمها ، وأبى لنا منها خيرا محدودا .

وبتعقب كتب التاريخ والتراجم والدراسات القرآنية ، أمثال برهان الزركشى ، وإتقان السيوطي ، وطبقات القراء والمفسرين ، وفهرست ابن النديم ، وكشف الظنون ، نستطيع أن نسرد هذه السلسلة التاريخية في هذه الزاوية :

١ - غريب القرآن ، للصحابي الجليل عبد الله بن عباس المتوفى سنة ٦٨

(*) ألقى البحث في الجلسة الثانية من العيد الخمسين للمجمع .

- ٢- لأبي سعيد أبان بن تغلب بن رباح البكري المتوفى سنة ١٤١
- ٣- لأبي الحسق مقاتل بن سليمان البلخي المتوفى سنة ١٥٠ وقد طبع بتحقيق الدكتور عبد الله شحاته ١٩٧٥
- ٤- لأبي فيد مؤرج بن عمرو السدوسي المتوفى سنة ١٩٥
- ٥- لأبي محمد يحيى بن المبارك اليزيدي المتوفى سنة ٢٠٢
- ٦- لأبي الحسن النضر بن شميل المتوفى سنة ٢٠٤
- ٧- لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٢٠٩
- وكتابه المعروف بمجاز القرآن . وقد طبع بتحقيق الدكتور فؤاد سزكين . وقد عنى أبو عبيدة بكلمة « المجاز » معناها اللغوى العام ، أراد المسلك والطريق إلى تفسير ألفاظ القرآن الكريم وتفهم أساليبه على ضوء طبيعة لغة العرب وأساليبها فى كلامها ، والتنظير بين هذه وتلك .
- ٨- لأبي سعيد عبد الملك بن قريب بن على بن أصمع الباهلى ، المعروف بالأصمعى المتوفى سنة ٢١٣
- ٩- لأبي الحسن سعيد بن مسعدة ، وهو الأخصف الأوسط المتوفى سنة ٢١٥ .
- ١٠- لأبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٥٤
- ١١- لأبي محمد عبد الله بن سلام الجمحى البصرى المتوفى سنة ٢٣٢
- ١٢- لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ . واسم كتابه : « تفسير غريب القرآن » . وقد نشر بتحقيق السيد أحمد صقر سنة ١٩٥٨
- ١٣- لأبي العباس أحمد بن يحيى بن يسار الشيبانى المعروف بشعاب ، المتوفى سنة ٢٩١
- ١٤- لأبي طالب المفضل بن سلمة المتوفى سنة ٢٩٠ أو ٣٠٨
- ١٥- لأبي بكر محمد بن حسن بن دريد المتوفى سنة ٣٢١ . وذكر السيوطى فى البغية أنه لم يتم كتابه . ونجد نصاً منه فى برهان الزركشى ٢ : ٢٧٩
- ١٦- لأبي زيد أحمد بن سهل البلخي المتوفى سنة ٣٢٢

١٧- لأبي عبد الله إبراهيم بن محمد بن عرفة الأزدي العتكي المعروف بنفطويه ،
المتوفى سنة ٣٢٣

١٨- لأبي بكر محمد بن عثمان بن مسبح الشيباني ، المعروف بالجد المتوفى سنة ٣٢٠
ونيف . قال القفطي في إنباه الرواة : « وله كتاب صنفه في غريب القرآن ، وكان
لما فرغ من عمله أخذ نفسه بحفظه فلم يمكنه إلا يسيرا حتى توفي فام يخرج الكتاب عنه .
١٩- لأبي بكر محمد بن القاسم الأنباري المتوفى سنة ٣٢٨ .

٢٠- لأبي بكر محمد بن عزيز ، بهيئة التصغير ، السجستاني ، المتوفى سنة ٣٣٠ .
واسم كتابه « نزهة القلوب » ويسمى أيضا بالعزيزي ، وهو من أشهر كتب غريب
القرآن إن لم يكن أشهرها . قال السيوطي في الإتيان : « أقام في تأليفه خمس عشرة سنة
يحرره هو وشيخه أبو بكر بن الأنباري » . وهذا يدلنا على مبلغ عنايته فيه . وقد نشر
هذا الكتاب لأول مرة بعناية دار الدين النعساني بمطبعة السعادة سنة ١٣٢٥ هـ ثم أعيد
طبعه بعد ذلك مرات أقومها طبعة مصطفى عناني سنة ١٩٣٦ م . ومن المؤسف ظهور نشرة
حديثة سنة ١٩٨٠ من عمل محمد الصادق قمحاوي اعتدى فيها على ترتيب مؤلفه ورتب
الكتاب على ترتيب السور والآيات .

٢١- لأبي عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد ، غلام ثعلب المتوفى سنة ٣٤٥ .

٢٢- لأبي أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة المتوفى سنة ٣٥٥ .

٢٣- لأبي علي أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي ، شارح الحماسة وغيرها ، المتوفى

سنة ٤٢١

٢٤- لأبي محمد مكى بن أبي طالب حموش القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ .

٢٥- لأبي عمر عبد الواحد بن أحمد المليحي المتوفى سنة ٤٦٣ .

٢٦- لأبي القاسم الحسين بن محمد بن المفضل (أو الفضل) الراغب الأصفهاني
المتوفى سنة ٥٠٢ ، واسم كتابه « مفردات ألفاظ القرآن » . وقد طبع قديما في المطبعة الميمنية
بعناية محمد الزهرى الغمراوي مقابلا على مخطوطات الكتبخانه الخديوية سنة ١٣٢٤ .

٢٧- لأبي محمد عبد الرحمن بن عبد المنعم الخزرجي - المتوفى سنة ٥٦٤ .

٢٨- لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، المعروف بابن الجوزي ، المتوفى

سنة ٥٩٧ . واسم كتابه : « تذكرة الأريب ، بما في القرآن من الغريب » .

٢٩- لزين الدين محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، صاحب مختار الصحاح ، المتوفى بعد سنة ٦٦٨ . قال صاحب كشف الظنون :

ذكر فيه أن طلبه العلم وحملة القرآن ، سألوه أن يجمع لهم تفسير غريب القرآن فأجاب ، ورتبه بترتيب الجوهري ، وضم فيه شيئا من الإعراب والمعاني . وفرغ من تعليقه في سنة ٦٦٨

٣٠- لأثير الدين محمد بن يوسف ، المعروف بأبي حيان ، المتوفى سنة ٧٤٥ . قال الصفدي في نكت الهميان : إن اسم كتابه « إتحاف الأريب ، بما في القرآن من الغريب » .

٣١- لعلاء الدين علي بن عثمان بن إبراهيم المعروف بابن التركماني ، المارديني الحنفي ، المتوفى سنة ٧٥٠ . واسم كتابه « بهجة الأريب ، بما في كتاب الله العزيز من الغريب »

٣٢- لأبي العباس أحمد بن يوسف بن عبد الدائم الحلبي ، الملقب بالسمين ، المتوفى سنة ٧٥٦ ، وهو تلميذ أبي حيان الأندلسي . واسم كتابه : « عمدة الحفاظ ، في تفسير أشرف الألفاظ » . وتبذل كلية اللغة العربية بالأزهر جهدا مشكورا في تحقيق هذا الكتاب .

٣٣- لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراقي المتوفى سنة ٨٠٦ . وهو منظومة كما ذكر صاحب كشف الظنون . ولعله الكتاب الوحيد الذي ورد في هذا المجال على هذه الصورة النظامية .

ومن الواضح أن هؤلاء المؤلفين جميعا لم يكن لهم مناص من اتباع أحد منهجين في التأليف :

١- المنهج الأول : التزام ترتيب السور وآياتها ، كما هو واضح في مجاز القرآن لأبي عبيدة . وقد عني بكلمة المجاز ما ذكرته من قبل . وكذلك الأمر في غريب القرآن لابن قتيبة .

٢- والثاني : الترتيب الهجائي أو المعجمي على اختلاف طرق المعاجم في اتباع الأبواب أو أوائل الكلمات ، مع اختلافهم كذلك في التبريب ، وفي ترتيب الأوائل . ويتضح لنا هذا المنهج فيما كتبه السجستاني في كتابه « نزهة القلوب » ، والراغب الأصفهاني في « مفردات ألفاظ القرآن » ، والسمين الحلبي في كتابه « عمدة الحفاظ » فالأول يتبع منهج سرد الكلمات الغريبة بالترتيب القرآني فحسب ، الأسبق فالتالي له وهكذا مع ترتيب الكلمات على الحرف الهجائي الأول فقط ، دون نظر إلى الثاني

أو ما بعده، لالتزامه بالورود القرآني فقط مع مراعاة الحركات الثلاثة في أوائل حروف الكلمات . .

مثال ذلك في الباء المكسورة : بسم الله ، بر ، بطانة من دونكم ، بضاعة ، بضع سنين بدارا ، بيع ، البغاء ، بدعا من الرسل . فالحرف الثاني غير مراعى في ذلك ، لأن ترتيب الورود في المصحف كله يقتضى هذا الوضع .

والكتاب الثاني وهو كتاب الراغب يتبع ذكر المواد اللغوية القرآنية ، ويذكر فيها تفسير الكلمات القرآنية مستطردا إلى تفسير ما يعين له من حديث نبوي أو أثر ، أو أى أسلوب كان ، أو أى لفظ كذلك من ألفاظ المادة .

والكتاب الثالث يتبع ترتيب المواد على نهج سابقه ، سائرا معه على ترتيب أساس البلاغة . ومهما يكن من أمر ، فالملاحظ فيما أبقاه لنا الزمان من هسنا التراث النفيس أنه من العسير جدا أن نجد شيئا من هذه المصنفات خاليا من الاستطراد ، أو استطراد الاستطراد . ومع ما هنا من عظيم الفائدة ، أو من الفائدة المزدوجة ، نجد أنه لا يساير ماجد في عصرنا الحاضر من دقة نظام الوقت الذى يسرع بنا إلى أمور شتى معقدة ، تقتضينا كثيرا من الإيجاز العلمى المنظم ، الذى يصل بنا إلى البغية في وقت محدود مناسب .

ونضيف إلى ذلك أمرا آخر ، هو اختلاف النظر قديما وحديثا في ماهية الغريب من اللغات ، وهو كالأمواج : ما يرى غريبا بالأمس هو واضح اليوم ، وما بعد غريبا اليوم كان واضحا مألوفا في الأمس .

وقد استقر نظام المعجمات في عصرنا الحاضر على ترتيب مواد اللغة بمراعاة ترتيب حروف الهجاء في أوائل المواد وما يليها ، في مواد اللغة وفي مفردات تلك المواد ، مهما اختلفت وجهة النظر في مراعاة مشتقات المادة وتصاريقها في داخلها .

والحق أن ما اتبعه المجمع في تأليف معجماته يتسم بجانب كبير جدا من المحافظة ، وبقدر كبير جدا كذلك من المعاصرة ، يبدو هذا واضحا في المعجم الكبير ، في المعجم الوسيط ، وفي المعجم الوجيز .

أما «معجم ألفاظ القرآن الكريم» ، فقد كان التفكير فيه وفي وضع منهجه وتنظيمه يجرى في بطء متحفظ ، وفي أناة حازمة ، وفي حوار متطاول ، ونقاش مسهب بين أعضاء المجمع على مدى ثلاث عشرة سنة ، إذ يرجع التفكير في إعداد هذا المعجم الذى يعز به مجمع اللغة العربية إلى تاريخ قديم يمتد إلى سنة ١٩٤٠ في الجلسة الخامسة (من الدورة السابعة)

من دورات المجمع ، حيث بدأ الحوار الطويل بين أعضائه في كثير من التردد والتحفظ حول إقرار تأليفه ، وهل هو من اختصاص مجمع اللغة العربية أم هو من اختصاص الهيئات الدينية ؟ وهل يكون في المعجم الوسيط الذي كان إذ ذاك في دور الإعداد ، كفاية عنه ، إذ هو يتضمن تفسير الكثرة الغالبة من ألفاظ القرآن الكريم ؟

ولعل الفضل في بدء تحريك الفكرة بالتنفيذ، يرجع إلى الأستاذ الدكتور منصور فهمي ، الذي ذكر أن « القرآن الكريم هو الأساس المتين للغة العربية » ، وأن « العناية باللغة تتمثل في العناية بأهم عنصر فيها » .

وقد عرض الأستاذ أحمد أمين صورتين لهذا المعجم المرتقب ، ليقرر المجمع أيتهما يختار ليكون عليها معجم ألفاظ القرآن وهما :

١- أن يكون ميسرا ليستفيد منه أكبر عدد من المثقفين بتيسير العبارات الواردة في الكتب القديمة .

٢- أن يكون علميا وافيا بذكر الاشتقاقات والأصول ، وأقوال المفسرين ، مستخدما للعلم الحديث في إعداده بوسائله المختلفة . وفي الوقت نفسه أبدى رأيه في أن يسلك المجمع هذا المسلك الثاني .

وبعد هذا دار نقاش بين الشيخ محمد مصطفى المراغي ، والدكتور طه حسين ، حول طبيعة هذا المعجم ، ورأى الشيخ أن يكون المعجم بحيث ينتفع به أوساط الناس فلا تذكر فيه الخلافات الدينية ، ولا يتعرض فيه لذكر أشياء لم يكن يفهمها العربي وقت نزول القرآن ، ورأى الدكتور طه حسين أن تفسر الكلمات التي لم ينص المفسرون على أن لها أصولا غير عربية ، أن تفسر كما يفهما اللغويون الآن بعد أن تقدمت الدراسات اللغوية المقارنة ، ودراسة اللغات السامية ، وانتهى الأمر بينهما بما قاله الدكتور طه : « أنه لن توضع في معجم القرآن كلمة واحدة قبل أن يوافق عليها الشيخ المراغي ، لا باعتباره شيخا للأزهر ، بل باعتبار أننا نثق به ونطمئن إليه كل الاطمئنان » .

وفي الجلسة الثانية من جلسات المؤتمر في سنة ١٩٤٠ تقدم الدكتور محمد حسين هيكل باقتراح وضع معجم خاص بألفاظ القرآن لأن في ذلك خدمة جليلة لمثقفى العصر ، وأعاد الأستاذ أحمد أمين عرض فكرته التي سبق أن عرضها على المجلس ، وارتأى أن يكون هذا العمل عملا موسوعيا ، على غرار ما صنعه الأوربيون في الكتاب المقدس ، ولا سيما ما يتعلق بالجغرافيا والتاريخ .

ودارت مناقشات جادة حول هذا المعجم ، وبعدها وافق المؤتمر على القرار التالي :

« قرر المؤتمر وضع معجم لغوى لألفاظ القرآن الكريم ، وتكليف لجنة المعجم البدء في هذا المعجم ، على أن تؤلف لجنة فرعية من بين أعضائها ، فكلما آتمت جزءا منه عرضته على اللجنة الأصلية ، وكلما أقرت اللجنة الأصلية قسما عرضته على الجميع . وبذلك قضى على فكرة التردد التي كانت سائدة وقتذاك .

وفي الجلسة الخامسة من جلسات هذا (المؤتمر) أي في سنة ١٩٤٠ عرض منهج العمل في المعجم في ثمانية بنود ، كان في مقدمتها ما يلي :

« يفسر المعنى اللغوي للكلمة كما جاء في النصوص العربية وكتب اللغة القديمة . ويرجع إلى ما يمكن أن يكون للكلمة من أصل في اللغات السامية أو غيرها . »

وقد اعترض الشيخ المراغي على ذلك ، وأشار إلى الاكتفاء بما عرف العرب أنه غير عربي ساعة نزول القرآن أما ما تنوسى أصله أو صار مجهول الأصل فذلك لا ينبغي أن يرد إلى أصله ، وأن علم حديثا أن له أصلا ساميا .

وكان من هذه البنود أيضا : « أن تبين المعاني التي اكتشفها المتأخرون ، المفسرون منهم واللغويون والعلماء ، وأن ينص على مواضعها في كتبهم وآثارهم العلمية المختلفة .

واعترض الشيخ المراغي أيضا بقوله : « إن القرآن ليس كتابا علميا . إنما هو كتاب هداية ووعظ ، كما أن المسائل العلمية تتغير من وقت إلى آخر » .

وانتهى الأمر إلى قرار بوضع هذا المعجم .

وبعد مرور ثلاثة أعوام في الجلسة (الثالثة) من جلسات (المؤتمر) في الدورة (العاشرة) سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ أعيد النقاش في منهج المعجم ، وتباينت الآراء تباينا في الشكل وألفت لجنة لوضع المنهج العملي لإنشاء هذا المعجم من الدكتور هيكل ، والشيخ المغربي ، والشيخ أحمد إبراهيم ، والأستاذ جب .

وفي الجلسة (الثانية عشرة) من جلسات هذا (المؤتمر) عرضت هذه اللجنة تقريرها المتضمن للمنهج المقترح ، وتدارسه الأعضاء في شكله وفي موضوعه ، ووافق المؤتمر على هذا التقرير بعد إدخال تعديلات عليه ، وشكلت لجنة علمية للعمل في المعجم من الدكتور هيكل ، والشيخ مصطفى عبد الرازق ، والأستاذ علي الحارم ، والشيخ إبراهيم حمروش والشيخ محمد الخضر حسين .

وفي الجلسة (التاسعة عشرة) من جلسات (المجلس) في هذه الدورة نوقشت ميزانية المعجم ، واتخذ المجلس قرارها بناء على موافقه من مكتب المجمع على ما ارتأته اللجنة من أن العمل يستغرق لإنجازه ثلاث سنوات ، ويقتضى أن يخصص له مبلغ ثلاثة آلاف جنيهه لشراء الكتب اللازمة ومكافأة الأعضاء والخبراء .

وفي الجلسة (الخامسة والعشرين) الختامية أعلن أن الشيخ محمد الخضر حسين استقال من اللجنة لكثرة أعماله في مشيخة الأزهر وبعض لجان المجمع ، فانضم الشيخ أحمد إبراهيم إلى اللجنة في المكان الذي خلا باستقالته .

وتمضي ثلاث سنوات أخرى فيعرض في الجلسة (السابعة عشرة) من الدورة (الرابعة عشرة) سنة ١٩٤٧-١٩٤٨ نموذج المادة (بكر ، بكم) من المعجم ، ويدور نقاش مضمونه أن المعروض أم يكاد يخرج ، كما قال الدكتور المذكور ، عما جاء في مفردات الراغب الأصفهاني ، ولذلك حدث تعديل في منهج المعجم .

وبعد مرور عامين في (الدورة السادسة عشرة) ١٩٤٩-١٩٥٠ نظر (المؤتمر) في جلستين من جلساته في نماذج لبعض المواد جرى في أثناءهما تعديل جديد في المنهج .

وفي (الدورة السابعة عشرة) ١٩٥٠ - ١٩٥١ خصصت (الجلسة السادسة) من جلسات (المؤتمر) في هـ-هـ-هـ الدورة للنظر في نماذج من مواد المعجم ، فكان من بين المقترحات أن يضاف إلى المعجم التعريف بالأعلام التاريخية والجغرافية وغيرها مما ورد في القرآن ، وشكلت لذلك لجنة من الأستاذ أحمد أمين ، والدكتور إبراهيم مذكور ، والأستاذ زكي المهندس .

وفي (الدورة الثامنة عشرة) ١٩٥١-١٩٥٢ خصصت الجلسة السادسة من جلسات (المؤتمر) لعرض نموذج من المعجم ، ناقشه المؤتمر ، وأصدر توصيات جديدة ، ووافق على طبع المواد التي تم إنجازها من نحو ١٧٥٠ مادة هي مواد القرآن ، وكانت قد قسمته على أربع لجان ، ب-ب-ب كل لجنة عضو من المجمع ، وخبير مساعد من خارجه . وقد خصص لكل لجنة ٤٥٠ مادة على وجه التقريب ، فأُنجز ما أنجز ، ولم يبق إلا ٢٩٠ مادة ، فرئى أن يقدم للطبع في مطبعة وزارة المعارف ما تم عرضه على لجنة التنسيق وأتمت النظر فيه .

وفي (الدورة التاسعة عشرة) ١٩٥٢ - ١٩٥٣ في الجلسة الرابعة من جلسات (المؤتمر) وافق المؤتمر على اقتراح الدكتور إبراهيم مذكور بالبدء في طبع المعجم ، وتفويض اللجنة في تقديم ما تراه .

وقد ظهرت أول طبعة للمعجم ما بين سنتي ١٩٥٣ و ١٩٧٠ وكان هذا في ستة أجزاء ، طبعت الثلاثة الأولى بالمطبعة الأميرية من سنة ١٩٥٣ إلى سنة ١٩٦١ . أما الرابع فقد أخرجه الأستاذ أمين الخولي سنة ١٩٦٨ وطبع بدار الكتاب العربي ، والخامس أخرجه الأستاذ حامد عبد القادر وطبع كسابقه سنة ١٩٦٩ . والسادس ، وهو ختام المعجم ، أخرجه الأستاذ محمد علي النجار ، وطبع في الهيئة العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠ وهذه الطبعة الأولى متعددة المناهج لم تسر على نظام موحد دقيق .

وقد أعيد طبع المعجم مرة أخرى في مجلدين في الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر سنة ١٩٧٠

وشاءت دار الشروق أن تيسر الاستفادة من هذا المعجم فرغبت إلى الجمع في إصدار طبعة خاصة سدا للحاجة ، وتلبية للطلب المتزايد فأخرجته في مجلد واحد سنة ١٩٨١ والجمع الآن بصدد إصدار الطبعة الرابعة من المعجم ، وقد شكلت لذلك لجنة برئاسة الأستاذ الدكتور إبراهيم مذكور رئيس الجمع ، وعضوية عبد السلام هارون الأمين العام للمجمع ، مع الاستعانة بثلاثة من الخبراء ومحررين من محرري الجمع ، ووضعت منهجا موحدا تتفادى فيه بعض ما ظهر من الأمور التي تحتاج إلى إعادة النظر ، وبدأت عملها في ١٣ من أكتوبر سنة ١٩٨٢ وهي تراجع مواد هذا المعجم مادة مادة ، وأنجزت منه إلى الآن ما انتهت فيه إلى حرف الطاء .

وكانت اللجنة موفقة في مراجعتها إذ بدا لها أخطاء طباعية ، وأخرى تحريرية درست بعناية كاملة ، وجرى إصلاحها في هذه الطبعة الرابعة مع إدخال تعديلات جديدة ، بعضها في طريقة عرض المادة بترتيب أدق في الأسماء والأفعال ، وفي العناية بالسياق الذي يضيء معنى الكلمة .

ومما أضيف في المنهج الجديد ذكرا لأعلام القرآنية مع التعريف المرجز والانفتاح بالسياق القرآني ومضامينه في هذا التعريف .

كما أضيف تفسير حروف المعاني ، كحروف الجر والاستفهام والشرط والنداء ، ومعانيها في السياق القرآني ، مع الاكتفاء بمثال قرآني واحد لكل معنى من معانيها .

وإذا أردنا أن نعرض مناهج الأقدمين الذين ألفوا كتبهم بطريقة معجمية ، ونوازن بينها وبين منهج معجمنا الجمعي ، نجد أن أهم ما وصل إلينا منها طباعيا لا يعدو خمسة كتب رئيسية في هذا المجال :

١ - غريب القرآن ، لابن عباس . وقد طبع مرارا باسم « تنوير المقباس » من تفسير

ابن عباس « جمعه أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادى الشيرازى الشافعى ، صاحب القاموس ، من رواية عبد الله بن المأمون الهـ. روى عن أبيه عن أبي عبد الله محمود بن محمد الرازى ، عن عمار بن عبد المجيد الهروى ، عن على بن إسحاق السمرقندى عن محمد بن مروان ، عن الكلبي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس ، وقد ظهرت أول طبعة منه منذ ٩٠ سنة على هامش الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، للإمام السيوطى ، فى المطبعة الميمنية سنة ١٣١٤ . وهذا التفسير مقول فيه ، فإن الكلبي قد أسهب جماعة بالكذب . قال السيوطى فى الإتقان : فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير فهى سلسلة الكذب .»

٢- مجاز القرآن ، لأبي عبيدة ، وقد سبق القول فيه .

٣- غريب القرآن ، لابن قتيبة .

٤- غريب القرآن ، لمحمد بن عزيز السجستانى .

٥- المفردات فى غريب القرآن ، للراغب الأصفهانى .

فلنقارن بين ما ورد فى كل أو لثك تفسيراً لقوله تعالى فى الآية ٦٤ من سورة الشعراء : « وأزلفنا ثم الآخرين » .

١- فى التفسير المنسوب لابن عباس المتوفى سنة ٦٨ هـ نجد نص التفسير فى ٤ : ٨١ : « وأزلفنا ثم الآخرين » يقول : جمعنا فرعون وقومه فى النهاية ، ويقال فى البحر . وكلهم كانوا كافرين .

٢- فى مجاز القرآن لأبي عبيدة المتوفى سنة ٢٠٩ يقول فى كتابه ٢ : ٨٧ : « وأزلفنا ثم الآخرين ، أى وجمعنا . ومنه ليلة المزدلفة ، والحق أنها ليلة جمع . وقال بعضهم : وأهلكنا » .

٣- وإذا سرنا فى التاريخ إلى ابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦ وكتابه مرتب على السور والآيات وجدناه يقول فى تفسير غريب القرآن ٣١٧ : « وأزلفنا ثم الآخرين : قال الحسن : أهلكناهم . وقال غيره : جمعنا أراد جمعناهم ، فى البحر حتى غرقوا قال : ومنه قيل : لياة المزدلفة ، أى ليلة الازدلاف ، وهو الاجتماع . ولذلك قيل للمرضع : جمع . ويقال أزلفنا : قدمنا وقربنا . ويقال أزلفك الله ، أى قربك . ويقال أزلفنى كذا عند فلان ، أى قربنى منه منظراً . والزلف : المنازل والمراقى ، لأنهما تدنو بالمسافر والمراقى والنازل . وإلى هذا ذهب قتادة فقال : قربهم الله من البحر

حتى أغرقهم فيه . ومنه : وأزلفت الجنة للمتقين « أى أدنيت ، وكل هذه التأويلات متقاربة يرجع بعضها إلى بعض .

هنا ما قاله الإمام ابن قتيبة ، وهو تفسير عظيم الفائدة ، ولكنه ضخيم الجسم عظيم الاستطراد . ومن الممكن أن يتناوله الاختصار والاختزال إلى سطرين اثنين .

وإذا عرجنا على غريب القرآن ، المسمى نزهة القلوب للإمام أبى بكر محمد بن عزيز السجستاني المتوفى سنة ٣٣٠ وقد رتب كتابه ترتيباً هجائياً ذكياً فريداً على أوائل الحروف بحركاتها الثلاثة ، كما أسلفت القول ، نجده يقول فى ص ١٦ - ١٧ من كتابه : أزلفنا : جمعناهم فى البحر حتى غرقوا . ومنه ليلة المزدلفة ، أى ليلة الازدلاف ، أى الاجتماع . ويقال : أزلفناهم ، أى قربناهم من البحر حتى أغرقناهم فيه ، ومنه أزلفنى كذا عند فلان ، أى قربنى منه .

أما الراغب الأصفهاني المتوفى سنة ٥٠٢ الذى رتب مواد المفردات على صورة معجمية بمواد اللغة على نظام الزخشرى فى أساس البلاغة ، فهذا تفسيره للكلمة فى مادة (زلف) الزلقة : المنزلة والحظوة ، وقوله تعالى : « فإما رأوه زلقة » معناه لما رأوا زلقة المؤمنين وقد حرموها . وقيل استعمال الزلقة فى منزلة العذاب كاستعمال البشارة ونحوها من الألفاظ . وقيل لمنازل القمر . زلف . قال : « وزلنا من الليل » . قال الشاعر :

* طى الليالى زلنا فزلنا *

والزلى : الحظوة . قال الله تعالى : « إلا ليقربونا إلى الله زلفى » . والمزالف : المراقى وأزلفته جعلت له زلفى قال : « وأزلفنا ثم الآخرين » ، « وأزلفت الجنة للمتقين » . وليلة المزدلفة خصت بذلك لقبهم من منى بعدا لإفاضة . وفى الحديث : « ازدلفوا إلى الله بركعتين » . أما معجم « عمدة الحفاظ » للسمين الحلبي المتوفى سنة ٧٥٦ ، وكتابه مزج فى تفسير غريب القرآن والحديث ، مع ترتيبه على المواد ، فإننا نجد فى مخطوطى مكتبة تيمور برقم ١٥٨ تفسير و ٣٣٧ لغة هذا التفسير :

قوله تعالى : « وزلنا من الليل » أى ساعات والمعنى ساعة بعد أخرى تقرب منها ، من قولهم : أزلفته أى قربته . ومنه : « أزلفت الجنة » ، أى قربت . ومنه : « وأزلفنا ثم الآخرين » . والمزالف : المراقى لأنها نزلت من يرتقى عليها أى تدنيه لما يريد الصعود إليه ، ويكون ذلك فى قرب المنزلة ، ومنه : « وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب » . وقيل المراد بقوله : « وزلنا من الليل » : صلاة المغرب والعشاء . قال الشاعر :

طى الليالى زلنا فزلنا سماوة الال حتى احقوقنا

وقيل : أصل الزلقة المنزلة والحظوة ، فأما قوله تعالى : « فلما رأوه زلقة » ففيه جوابان :
أحدهما : أن هذا مما عكس من الكلام كاستعمال البشارة في العذاب .

الثاني : أن المعنى : لما رأوا زلقة المؤمنين وقد حرموها . وأزلفته : جعلت له زلنى .
ومزدلفة : اسم مكان معروف ، وخصت بذلك لقربهم من منى بعد الإفاضة ، وقيل :
سميت بذلك لاجتماع الناس فيها ، فإن ليلتها تجتمع فيها الحجاج . والإزلاف : الجمع ،
قال ابن عرفة في قوله : « وأزلفنا ثم الآخريين » أي جمعناهم . والأول أشهر .
وبعد هذا كله نجد استطرادا مطوّلا في المادة يمتد إلى نحو سبعة أسطر .

فإذا عدنا بعد هذه الجولة الطويلة إلى معجمنا « معجم ألفاظ القرآن الكريم ٢ : ٥٤١ »
فإننا نراه يتناول التفسير على هذا الوضع العلمى الدقيق :

أزلفنا : « وأزلفنا ثم الآخريين » ٦٤ - الشعراء . أى أدنيناهم وقربناهم من موسى
وقومه ليروهم ويدخلوا مداخلهم حتى يغرقوا .

مع وضع رقم (١) في الطبع تحت أزلفنا ، إشارة إلى أن هذه الكلمة لم ترد إلا في هذا
الموضع الواحد من الكتاب العزيز .

وهذا التفسير مع دقته في عرض الكلمة بذكر موضعها من الكتاب ، ومع الإشارة
إلى أنها وردت مرة واحدة في هذا الموضوع ، تفسير شاف كاف ، تناول المعنى اللغوى
والدلالة التاريخية ، مع الإيجاز وترك الفضول التى نجدها شائعة في معاجم السالفين .

وإنما أسهيت في هذا كله لأقول : إن فكرة مجمعنا اللغوى ، التى اختمرت في
أول أمرها على مدى ثلاث عشرة سنة ، ويتناولها التنقيح والتعديل اليوم ، قد أثمرت
هنا العمل الجليل ، الذى يعيد المجمع الآن طبعه للمرة الرابعة ، بعد تنقيحه وتحريره
إسهاما في خدمة الكتاب العزيز ولغته الكريمة الخالدة .

وشكرا ما

الاستاذ عبد السلام محمد هارون
الأمين العام للمجمع



مع الخالدین فی العید الذهبی لمجمع اللغة العربیة للدكتور عبد الرزاق محیی الدین

غنیت عیدک للأقلام والکتب
وقلت : مصر ایتنت صرحاً لمقولها
یا عربین وأرض العرب لاحنة
ومائرین صسراع الملك فی سغب
إننا لمنکم وإن حدنا وقائدکم
فما الإصباة جازتکم بمنجیتی
قد ادعیننا فلم تفلح دعاوتنا
لا تسساقمر سسماوات بألهة
جربتموها خلافات بلا سبب
فعمدت آبدات العلم والأدب
فقال کل لسان لیثنی آعربی
وکاتبین ودنیساهم بلا قصب
وباسطین ظلال الملك فی لغب
منا وسیان إن أخطی وإن تصب
ولا الخطیئة أصمتکم لترا ف بی
کما ادعیتم ولما الأمر فی لجب
فهل تقرّ وکل الحاکمین نبی
فجربوها بقاءات علی سبب

* * *

یا مجمع الخالدين الخالدين به
یهنیکم أن یعیش الناس فترثم
کم تبعثون وکم تحيون فی زمن
وکم یقاضي إلیکم فی محاكمة
سبحانک الله علاماً وهبت لهم
لا بالحطامین من جاه ومن نشب
وأن تعیشوا بمنجاة من العطب
ما أنتم منه فی زی ولا دأب
وما شهادتم ویقضي الأمر من کشب
من فیض علمک ما استعصى علی الحقب

* * *

(*) ألقى القصيدة فی الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الحمیدي للمجمع
وألقاها الدكتوراً خذ عبد الستار الجواری عضو المجمع من المراتی بإیازة عن المرحوم الدكتور عبد الرزاق محیی الدین

علوت يا بيت إبراهيم مذكراً
 في كل عام لنا حجّ وتلبية
 لا يسقط الفرض من عجز ومن كبر
 من كل فيجّ عصي المتن في صُعد
 مكبرين سواء أن يطالعنا
 وراء نادرة عزت وما التقطت
 أغنت عليها عصور وهي نابضة
 أو أرتجتها متون فهي موصدة
 بقية على اللغة الفصحى وتعلية

* * *

يارادة السلم في حرب موججة
 مرابطون على بعد وربما
 وراصدين ثغور الفتح قاذفة
 نخدا ورداً وتعميرياً وترجمة
 لاضائقين بما استعصت شكيمته
 لا يأخذ الجهد منكم أو يحيط بكم

* * *

بين العراق ومصر في الهوى نسب
 إننا بدأنا وأسسنا وقام على
 إننا روينا وروينا وتم على
 إننا قعدنا وقعدنا وتم على
 إننا افترعنا من الإسلام جامعة
 بدا الخليل وأملها وقام على

وإن يكن كل أرض العرب من نسب
 بنائنا ما أشاد الناس من قبيب
 ساعنا ما شلته البيد من أدب
 قيسنا ما أفاد الرأي من غلب
 ليس الغريب تولأها بمغترب
 تنظيرها سيبويه الفرس والعرب

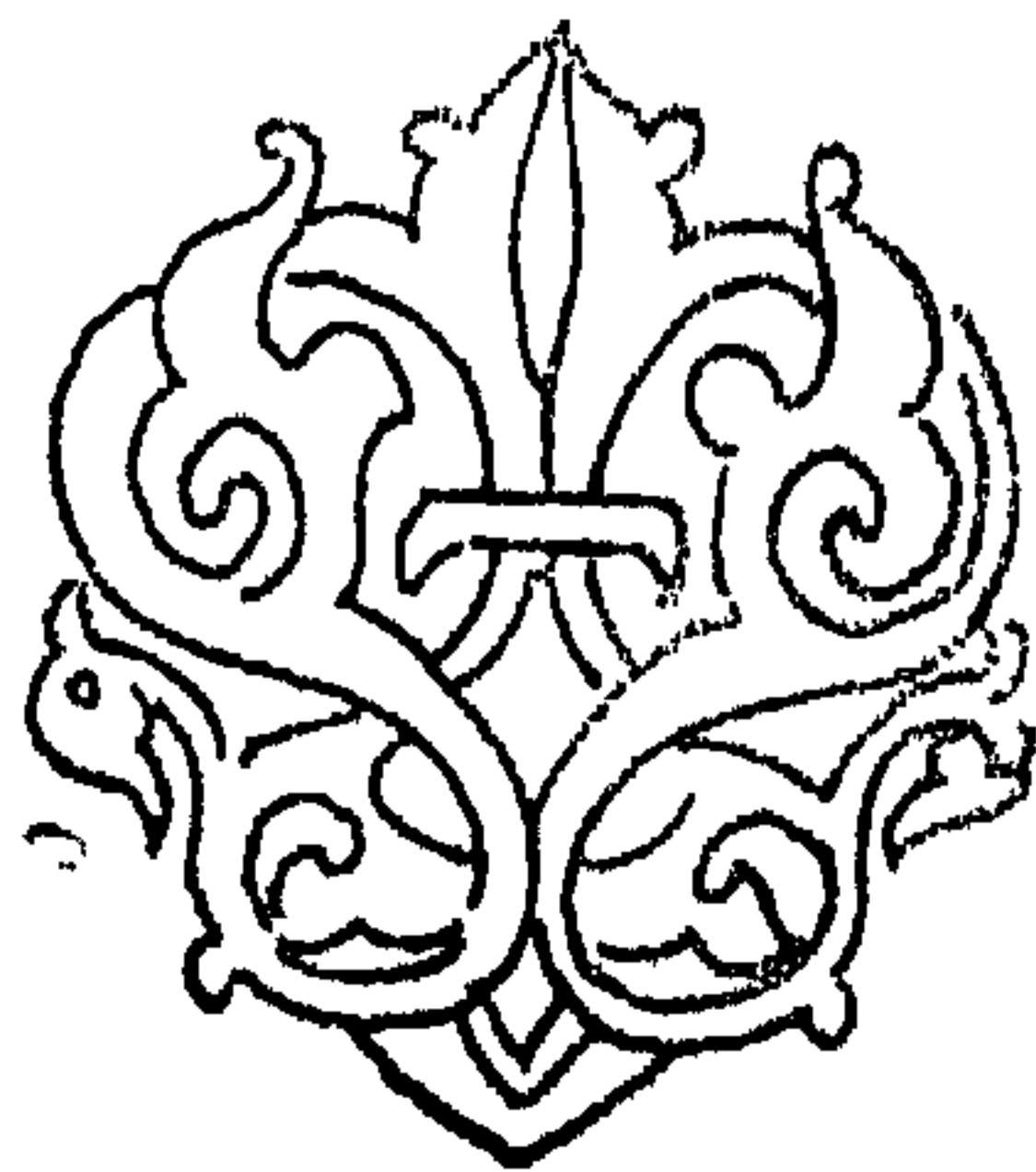
تصنّف الحسن البصرى مجلسها وجمال جولته النظام في الشعب
وشام ما حولها الكندي فانبيجست من صوب حران أقطار من السحب
لا دجلة الخير ضاقت من تدفقها ولا الفرات تلقاها بمضطرب
ألقي الغشاء جفأً حول شاطئه وردّها لفرات سائغ عذب
وسوف تبقى ولا دفع يززعزعا عن السراط ولا نزع لمنقلب
ومصر ما مصر في دنيا عربتنا إلّا الجنان وإلّا ملتقى العصب
كبرى الشقائق أحنأهن عاطفة وسطى الطرائق إن تمنع وإن تهب
أعلت على قمم الأهرام هامتها والأزهر الفد أسراها مع الشهب
الفاطميون أعلوا من منائرها وأوصلوها لآل البيت في حسب
ووسعته بنو أيوب واتسعت للمسلمين حنايا صدره الرحب
فالوافسدون سوائك في كفالتة كما تلاقى بنو العلات عند أب
وسوف تبقى ولا ردع يززعزعا عن السبيل ولا نزع لمنقلب

* * *

يا مصر دورك باق ما بقيت له أولاً فما القوم من نبع ولا غرب
تألّفنى ما تنسأى من مذاهبنا وقرّنى فهو أزكى البر والقرب
حييت عمان في أعلام مجمعها ومجمع الشام في أعلامه النجب

عبد الرزاق محيي الدين

عضو المجمع من العراق



مجمع اللغة العربية ولغة الغام

للككتور محمد حافظ

منذ عهد بعيد إبان القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية للحاق بركب العرب والحضارة ودعوة قوية أن تعيد الأمة للغة العربية سابق مجدها بعد أن خيم عليها تخلف قرون ثلاثة سابقة انعكست آثاره على اللغة والعلم والمعارف الإنسانية كلها، فظهرت في مصر وكذلك في شقيقاتها العربيات حركة مباركة في هذا السبيل على يد نفر من المصلحين والمجددين .

ولكن لعل أعظم إنجاز قومي وعربي أخذ بيد اللغة العربية ونحط بها خطوات فسيحة إلى الأمام، بل انطلق بها إلى آفاق رحبة لتواكب عصر العلم ومقتضيات التطور، هو إنشاء المجمع اللغوية في الوطن العربي ، ففي مصر وفي بداية الثلاثينيات عام ١٩٣٢ أنشئ مجمع اللغة العربية ولو أن محاولات أخرى جادة في هذا السبيل قد سبقت إنشائه في مطلع هذا القرن وسبقت هذه المحاولات إلى ذلك أيضا دعوة قوية في أخريات القرن التاسع عشر ، وقد تحقق بإنشاء هذا المجمع أمل عزيز لها لما تطلع إليه أهل العلم واللغة في مصر ليقوم بدوره البناء نحو اللغة والحفاظ عليها وعلى أصالتها وتراثها ، وليحمل على كتفيه عبء النهوض بها وتطورها وجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون وملائمة للحياة العصرية المتطورة، ودراسة المصطلحات وغير ذلك من المهام في مختلف المجالات . وقد اهتم العلميون بصفة خاصة بإنشاء مجمع اللغة العربية نظراً للدور الرئيسي الذي يمكن أن يقوم به في مصر، بل في الوطن العربي، في تعريب العلم وترسيخ لغة العلم ونشرها، وكذلك للعبء الكبير الذي يمكن أن يقدمه لهم في مجال المصطلحات العلمية السليمة وقد سار المجمع في هذين الاتجاهين شوطا بعيدا بنشاط ملحوظ ودفع حركة النشر والترجمة والتعريب خطوات فسيحة إلى الأمام، وشاع استعمال المصطلحات العلمية السليمة في كثير من المعاجم والمؤلفات ، وقد أدلى فيها المجمع بدلوه وأبلى فيها أحسن البلاء .

الكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء والعلوم الهندسية والطبية والصيدلانية والزراعية

وغيرها، وقد امتد نشاطها قرابة أربعين عاما حتى اليوم، وعلى سبيل المثال توفرت لجنة علوم الأحياء والزراعة طوال هذه السنوات على دراسة مصطلحات علوم النبات والحيوان والحشرات والوراثة وعلوم البحار والزراعة ووضعت بحوثا قيمة في بعض هذه المجالات وقد بلغت جملة المصطلحات العلمية في علوم الأحياء والزراعة التي درستها اللجنة، ووضعت لها المقابلات المناسبة باللغة العربية، وشرحت معانيها، نحو عشرين ألف مصطلح علمي، وقد نشر منها عدة آلاف ظهرت في مجموعة المصطلحات العلمية والفنية التي يصدرها المجمع كل عام.

كما حققت اللجنة مئات الألفاظ من أسماء النبات والحيوان المحولة إليها من لجنة المعاجم بالمجمع وأضافت إليها الشروح والدلالات في العلم الحديث كما وضعت بحوثا قيمة في أنواع الخيتان والثعابين والألفاظ الخاصة بالنخيل ونشرت كلها في مجلة المجمع، كما قامت اللجنة بوضع مصطلحات التحضيرات الخاصة بالفحص المجهرى (الميكروتكنيك) وكذلك نظرت في المصطلحات التي أصدرتها منظمة الأغذية والزراعة الخاصة بالبيئة النباتية وأبدت فيها رأيا علميا وراجعت بعضها مراجعة علمية ولغوية، هذا بالإضافة إلى ما تقوم به اللجنة (وكذلك اللجان العلمية الأخرى بالمجمع) من البحث المستمر في أمهات الكتب القديمة التي كتبها أسلافنا العرب وفي مختلف المعاجم والمراجع، قديمها وحديثها، مما يساعدها في عملها ويسر لها إنجازاتها.

وقد اضطلعت طوال السنين الأخيرتين بعمل معجم وسيط أو وجيز في علوم الأحياء دفعت بجزئه الأول مؤخرا إلى المطبعة وفي سبيل إنجاز الجزء الثاني منه في وقت قريب ويضم هذا المعجم نحو عشرة آلاف مصطلح من المصطلحات العلمية مزودة بالشروح والمقابلات التي أقرها المجمع وقصد بهذا المعجم (اقترح فكرته وعمله المغفور له الدكتور محمود توفيق جفاوى عضو المجمع) أن يكون عوننا لطلاب المعاهد والجامعات في درساتهم لعلوم الأحياء والزراعة. وقد أنجز المجمع كذلك معاجم أخرى متخصصة في علوم الكيمياء والفيزياء والجيولوجيا وغيرها، وقد بلغ عدد المصطلحات العلمية التي أنجزها المجمع في مختلف فروع العلم البحث والتطبيقي نحو مائة ألف مصطلح مزودة بشرحها ومعانيها ومقابلاتها باللغة العربية.

وحيث تتصدى اللجان العلمية بالمجمع لترجمة مصطلح أو تعريبه تدرس المصطلح معنى ومبنى وأصله اللاتيني أو اليوناني وتبحث عن أفضل المقابلات له وقد ترجع في ذلك إلى المعاجم اللغوية القديمة والحديثة وقد تجد مقابلا أو مأثورا دقيقا غير مطروق في الكتب القديمة فتأخذ به ليشيع استعماله ويمر المصطلح بمراحل عدة من الدراسة والمناقشة والتمحيص في اللجان العلمية ومجلس المجمع ومؤتمره السنوى كفيلة بصقله وصوغه الصياغة

المثلى وإقراره وقد أدت آلاف المصطلحات التي أنجزها المجمع بهذا الأسلوب الأمثل والرصين خدمات جليلة للغة العلم ودعمها وترسيخها ونشرها في مختلف المجالات .

ولعل أهم ما يشغل البال بالنسبة لموضوع المصطلحات هو توحيدها في الوطن العربي وهو أمل طالما تطمح إليه المشتغلون بالعلم واللغة لتقضاء على بلبلة قائمة في استعمال المصطلح الواحد بمقابلات مختلفة في البلاد العربية ، ومما يجدر الإشارة إليه أن مجمع اللغة العربية في مصر يقوم بجهود مرموقة في هذا السبيل ، وذلك في مؤتمره السنوي الذي يعرض فيه من المصطلحات العلمية ، ويحضر هذا المؤتمر عدد من أعضاء المجمع اللغوية في الوطن العربي يشاركون في مناقشاته وأعماله .

ولست في حاجة إلى القول إنه إذا كانت حركة التعريب العلمي والنقل إلى اللغة العربية في مختلف مجالات العلوم الأساسية والتطبيقية قد خطت خطوات فسيحة إلى الإمام في الخمسين سنة الماضية مع ظهور المئات بل الآلاف من الكتب والمؤلفات والمعاجم العربية في مصر والوطن العربي فإن اللغة العربية بمجامعها وحفظها وكانت ولا شك المعين الذي لا ينضب واليأس الزاخر الذي اغترف منه المؤلفون والدارسون كؤوسا مترعة بآلاف المصطلحات والمقابلات التي زحرت بها كتبهم وأسفارهم مما ينهض دليلا ساطعا على قوة هذه اللغة وتراثها ونموها واتساع آفاقها وقدراتها الفائقة على استيعاب التطور المتلاحق في شتى قطاعات العلم والمعرفة ودحضا للفرية التي انتشرت بين المتعلمين في أن اللغة العربية تقصر أحيانا عن الوفاء بمطالب العلم الحديث والإيقاع السريع الذي نشهده في هذا العصر لحركة العلم والتقدم العلمي .

تحية إلى مجمع اللغة العربية في مصر في عيده الذهبي ومرور خمسين عاما على إنشائه هيئة مباركة قوامه على اللغة، وتحية إلى علمائه الأعلام يعملون جادين مخلصين ليعيدوا إلى اللغة العربية - لغة العلم - سالف مجدها وهم بالغوه بإذن الله .

والله ولي التوفيق . . .

الدكتور محمود حافظ

عضو المجمع



مجمع اللغة العربية وإصطلاحها العلمي للدكتور محمود مختار

السيد الأستاذ الدكتور ابراهيم مدكور رئيس المجمع .
سيداتي وسادتي ضيوف المجمع في عيدته الذهبي . زملائي الكرام .

أحييكم أجمل تحية في هذه المناسبة السعيدة في العيد الذهبي لمجمع اللغة العربية
الحالدة ، وبعد .

يقولون إن العلم هو معيار حضارة الأمم وبه تصنف إلى أمم متقدمة وأخرى نامية
وثالثة متخلفة . ومن المعلوم أيضاً أن مطية السير في ركب العلم هي لغته ، بوصفها
الصلة الفكرية بين العلماء بعضهم وبعض ثم بينهم وبين مجتمعاتهم .

وللعلم لغة تتميز عن لغة الأدب ولغة الدين بمفهوم ذي أبعاد ثلاثة هي : طبيعتها
وأسلوبها ومفرداتها ، فطبيعة لغة العلم هي الوضوح التام لفظاً ومعنى . وأسلوبها
التركيز مع الاستعانة بالرموز والأشكال والرسوم والمعادلات . وأخيراً تأتي مفرداتها
وهي المصطلحات التي يتحدد كل منها بمفهوم واحد ودلالة واحدة .

وإذا كان العلم المطلق لا وطن له ولا حدود ، فإن لغته تختلف من مجتمع لآخر ،
وتتباين قوة وضعفاً بتباين قوة المجتمع وضعفه . فالمجتمع القوي تغزو لغته العلمية
أفاقاً بعيدة وتفرض نفسها على أنماط الحياة الحضارية بوجه عام والمجتمع الضعيف قد
يسلك أحد طريقين : فهو إما أن يعزل لغته العلمية عن مسايرة اللغات العلمية الحية ،
فيعزل نفسه عن ركب الحضارة ذاتها ، أو أنه قد ينساق خلف مجتمع متقدم منقاداً
بلغته العلمية مكتفياً بالتقاط ما يمن به عليه من فتات العلم . ومن الواضح أن كلا
من طريقي العزل والانسياق أبغض من الآخر .

(*) ألقى هذا البحث في العيد الخمسين للمجمع في الجلسة السادسة (الختامية) .

وقد يكون من أهم أسباب عجز اللغة العلمية في مجتمع ضعيف إهمال اللغة القومية في التعليم وإحلال لغة أجنبية مكانها ، والنتيجة الحتمية لذلك هي جمود اللغة القومية واضمحلالها وإحياز الدارسين لتبعية فكرية أجنبية تجرهم لنوع من الولاء أو الانتماء لمن استقوا العلم بلغتهم . وتلك للأسف إحدى وسائل المجتمع القوي لإحكام قبضته على المجتمع الضعيف .

لأنقل الآن إلى اللغة العربية لأتبين موقعها من مقتضيات العلم ومتطلباته فأقول ، إنها دون شك من أقدر اللغات إيفاء بها . وخير دليل على ذلك هو تألق اللغة العلمية العربية في عصر النهضة الإسلامية ، التي كتب فيها العرب أعظم المؤلفات العلمية وأخذها عنهم علماء النهضة الأوروبية ، وشيدوا بها أسس نهضتهم الحديثة ، وربما كان أروع مثل لذلك كتاب الشفاء لابن سينا الذي يقع في أكثر من عشرين مجادا تناولت شتى مجالات العلوم وترجمت إلى عدد كبير من اللغات الأوروبية . وقد امتد هذا العصر الذهبي لعدة قرون . ولكن نجمه لم يلبث أن أفل في عصور الاضمحلال والتخلف ، فأصبحت لغة العلم هي الأخرى بالهزال وبالعمى .

وفي نهاية القرن التاسع عشر بدأت صحوة عربية لإعادة اللغة العلمية العربية إلى سابق مجدها ، فنشطت حركة التأليف والترجمة في علوم الطب والزراعة والصيدلة والفيزيكا والفلك والرياضة ، وظهر عدد من المعاجم العلمية المتخصصة ، ولكن خطى المسيرة لم تلبث أن تباطأت مع بدء نكبة الاحتلال الأجنبي . وتسلت إلى مجتمعنا العربي دعوى عمق العربية وعجزها عن مسايرة ركب الحضارة . وفرض المحتل لغته على التعليم العام والتعليم العالي مركزا على التعليم الهندسي والطبي والأساسي ، أما التعليم الزراعي والتعليم التجاري فقد حاربها هذه الدعوة واحتفظا وما زالا باللغة العربية العلمية .

وفي الثلاثينيات من هذا القرن تعالت الصيحات والنداءات محذرة من أخطار التعليم الجامعي بلغة غير العربية ومنادية بضرورة تعريب التعليم الجامعي في كافة تخصصاته . ووب قائل يقول إن موضوع التعريب في الجامعات لا يحتاج لأكثر من إصدار تشريع أو قانون يلزم الجامعات بتدريس العلوم باللغة العربية . وهذا صحيح تماما ، ولكنه لا يعدو أن يكون نقطة بداية فقط ، أو أنه الضوء الأخضر الذي يفتح الطريق للسير فقط . أما الطريق ذاته فله ضوابط وأحكام يجب أن يلتزم بها من يطرقه ليبلغ مداه بنجاح . ولدينا تجربة حمة على ذلك ، فقد سبق لأول جامعة في مصر والعالم العربي أن نصت

في صدر قانون إنشائها من نحو نصف قرن أو يزيد على أن تكون لغة التدريس فيها هي العربية، ولكنها تحفظت تخوفاً من أخطار العجلة، فأجازت التدريس بلغة أجنبية إذا لم تكتمل للدراسة بالعربية كل مقوماتها. وفعلاً كان هذا التشريع فتحاً للطريق أمام الجامعيين وحفزاً لهم على ارتياده، ولكن المعوقات كانت أكبر من جهدهم. فالتعليم الجامعي في العلوم الأساسية والتطبيقية الحديثة كان هو نفسه جديداً عليهم، وكانت الأساتذة والمراجع والكتب كلها بلغة أجنبية، فأبطأت موجة التعريب من خطاها حتى بتضح مسارها وسط عاصفة عاتية من تطور سريع في العلوم التقليدية وظهور علوم بيئية وعلوم جديدة، وما صحب ذلك كله من أنهار مصطلحات علمية جديدة لم تتمكن اللغة العربية العلمية من استيعابها ومواجهتها في وقت قصير. وقد رأت بعض الجامعات في الوطن العربي بدافع من القومية العربية المتحمسة تجاوز هذه العقبات وفرض التعليم الجامعي كله بالعربية بتشريع ملزم، دون اعتبار لاستكمال مقوماته. فعزلت علماءها عن ركب العلم الحديث.

ولا يتسع المجال هنا لتناول كافة المقومات للتعريب بالبحث والتحليل، واكتفى بإلقاء الضوء على ما يحتل منها المقام الأول في الأهمية وهي:

- وضع المصطلحات العلمية الموحدة على مستوى الوطن العربي
- تشجيع التأليف والترجمة العلمية :
- تطويع اللغة العلمية العربية لمطالبات العلوم الحديثة .
- العناية بلغة أجنبية حية إلى جانب العناية باللغة العربية .

ومن الواضح أن هذه المقومات الأربعة تمثل أهم مركبات البناء المتكامل لصرح تعريب التعليم الجامعي، ويأتي وضع المصطلحات العلمية في المقام الأول منها بوصفها اللبنة التي يقوم بها البناء. وسوف أقتصر في حديثي اليوم عن هذا المقوم الأساسي وما تبذل فيه من جهود دون انتقاص بطبيعة الحال من أهمية المقومات الثلاثة الأخرى التي قد يحتاج كل منها لأكثر من حديث منفصل.

والحديث عن المصطلحات العلمية العربية ليس جديداً علينا، فقد سبق أن تناولته هيئات علمية عديدة ومجامع للغة العربية وأفراد كثيرون في الوطن العربي الكبير. وعقدت له المؤتمرات والندوات وألقيت الأحاديث وكتبت المقالات التي يضيق المقام عن حصرها، ولكن معظم هذه الجهود ظلت حبيسة الجلات والملفات، وظل التعليم الجامعي يعاني مرضه المزمن بلغة أجنبية. وإذا تقصينا أسباب هذا التعثر في محاولة لعلاجها برز لنا أكثر من سبب:

أولاً : إن المصطلحات قد وضعت بمجهود فردية مرتجلة غالباً ، قام بها لغوى أو علمى بمفرده . ولا يخفى أن أى جهد فردى قد يخطئ مرة بقدر ما قد يصيب أخرى . والطريق الأصوب إذن ، هو تضافر مجموعات من العلميين واللغويين فى كيان متكامل يظللهم جميعاً هيئة موحدة للتنسيق .

ثانياً : ظهور المصطلح الأجنبى المتخصص الواحد فى معظم المعاجم العلمية بعدد من المقابلات العربية ، مما يترتب عليه زيادة البلبلة فى أى المقابلات أصلح . وبالتالى زيادة مشاكل التأليف والترجمة والتعريب ، والطريق الأمثل إذن هو الاقتصار على مصطلح عربى واحد ، مقابل المصطلح الأجنبى الواحد المتخصص ، وهذا يستلزم هيئة موحدة للإشراف والتقنين .

ثالثاً : ظهور المصطلحات فى المعاجم العلمية العربية غير معرفة ، مما يترتب عليه موضح المعنى المقصود واللبس ، فتعريف المصطلح هو أشبه بالملذكرة التفسيرية التى تلحق بالقانون لإيضاحه .

رابعاً : عدم وجود نهج أو أسلوب موحّد متعارف عليه يلتزم أو يستنير به واضع المصطلح وينأى به عن الارتجال أو التزمت ، سواء كان هذا التزمت تمسكاً بقديم مهمل أو بمغلاة فى تعريب مطلق .

وقد كانت النتيجة الطبيعية لهذه العلل فتور الدعوة لتعريب التعليم الجامعى ، بل وظهور لغة مولدة عقيمة تمتزج فيها لغة محلية عامية بلغة أجنبية ركيكة ضعيفة . وقد استشرت هذه اللغة - إن جاز لنا أن نسميها لغة - فى جميع الكليات العلمية الجامعية فى معظم أرجاء الوطن العربى .

فى نخضم هذه الزوبعة العاتية ، ولد مجمع اللغة العربية بالقاهرة منذ خمسين عاماً . ووكل إليه إلى جانب اضطلاع برسائله الحيوية فى الحفاظ على سلامة اللغة العربية أن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون ملائمة للحياة العصرية الحديثة . ورأى المجمع أن المصطلحات العلمية هى العقبة الأساسية التى عليه مواجهتها . فاتخذها هدفاً رئيسياً من بين أهدافه ، ووفر لها الإمكانيات والمقومات التى تكفل لها الصلاحية وتقيا أسباب التعثر التى أشرت إليها من قبل . وسار المجمع متأنياً فى أول الأمر حتى استقرت خطاه ، ثم اتسعت وتسارعت شيئاً فشيئاً يحدوها تعاون وثيق بالهيئات العلمية ويحفزها توفيق مطرد .

فأنشأ المجمع لكل فرع من فروع العلوم الأساسية والتطبيقية لجنة علمية لغوية متخصصة تجمع عددا من اللغويين والعلميين من بين أعضائه وعددا من الخبراء المتخصصين في المادة ، وتزايد عدد هذه اللجان تباعا لتغطي معظم المجالات العلمية حتى بلغ عددها الحالي تسع لجان يعمل فيها نحو ٣٠ عضوا مجتمعا و٥٠ خبيرا . وكان أحدثها لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات أو ما يمكن أن نطلق عليها اسم لجنة الحاسبات الإلكترونية . وهذه اللجان التسع هي :

لجنة الرياضيات بفروعها .

لجنة الفيزيكا :

لجنة الكيمياء والصيدلة .

لجنة الهندسة بفروعها .

لجنة الجيولوجيا .

لجنة الأحياء والزراعة بفروعها .

لجنة الطب بفروعه :

لجنة البترول :

لجنة المعالجة الإلكترونية للمعلومات .

ومهمة كل لجنة من هذه اللجان المتخصصة هي إعداد المصطلحات إعدادا علميا ولغويا دقيقاً وتعريفها تعريفاً معجمياً ، وذلك وفق نهج مفصل ومحدد رسمه لها مجلس المجمع وأقره مؤتمره العام .

وتعرض أعمال اللجنة المتخصصة على مجلس المجمع لمناقشتها وتهديتها أو تعديلها أو ردها إلى اللجنة لإعادة نظرها . وبلى ذلك خطوة هامة وأخيرة وهي عرضها على المؤتمر السنوي للمجمع في حضور أعضائه من مجامع اللغة العربية الشقيقة ؛ لمناقشتها على مستوى عربي شامل وتقنين صلاحيتها للاستعمال على المستوى العربي .

وباكتمال هذه المراحل في صياغة المصطلح العلمي وتقنيته وتعريفه ، يسجل في النشرة الدورية للمجمع ليكون في متناول الجميع ، كما يسجل في جازات ترتب وفق الحروف الهجائية في مجموعات متخصصة . وتحفظ بإدارة خاصة بالجازات والتي نأمل أن يوفر لها حاسب الكتروني في القريب لتيسير الرجوع إليها ودقة العمل بها .

أما النهج المفصل لاختيار المصطلح الذي أشرت إليه فقد أولاه المجتمع اهتماما خاصا :
فعهد بوضعه إلى لجنة خاصة من بن أعضاءه العلميين واللغويين ، في ضوء
التوجيهات والتوصيات التي كانت ترد تباعا في جلسات المجتمع وما سبق من
أحاديث وبحوث في مؤتمرات التعريب في الوطن العربي . وخرجت اللجنة من
كل ذلك بمشروع نهج لاختيار المصطلح العلمي ، عرض على المجلس فناقشه ،
وانتهى فيه إلى صورة سجلت في محاضرة وأخرجت في نشرة خاصة مفصلة وزعت
على نطاق واسع في الوطن العربي . وما زالت متاحة لمن يطلبها :

وأستأذنكم في أن أوجز ماجاء بهذه النشرة بقدر استطاعتي : فقد استهلت
بذكر مبادئ مستقاة من قانون إنشاء المجتمع ، وهي الحفاظ على التراث العربي والوفاء
بأغراض التعليم الجامعي ومسيرة النهج العلمي العالمي : ثم تناولت النشرة بعد
ذلك أسلوب اختيار المصطلح نفسه في كل من حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه ،
وأحاطت كلا منها بضمانات وأحكام .

وبدأت بالترجمة فأثرتها على التعريب ما أمكن ، واشترطت فيها أن يتفق المصطلح
العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي دون التقييد بدلالاته اللفظية . فلا يقال مثلا
تحت التيار مقابل down stream بل يقال مهبط التيار ، ولا يقال قنبلة راديوم مقابل
radium bomb بل يقال مصدر إشعاع راديومي .

وأوصى النهج بالحفاظ على الألفاظ العربية الأصل التي انتقلت إلى اللغات
الأجنبية مثل القرنية مقابل cornea . وأجاز التحلل من القديم إذا ثبت عدم صلاحيته
للاستعمال الحديث مثل الغول مقابل alcohol . كما أوصى بإيثار الألفاظ غير
الشائعة لأداء المصطلحات العلمية ذات الدلالات المحددة مثل لفظ كم مقابل quantum
بدلا من كمية . ونص على تجنب الألفاظ الغريبة والمبتذلة :

ولما كانت اللغة العربية تتميز بطواعمة كبيرة للاشتقاق والتصريف والتوليد والقياس
والحجاز لا تتوفر في أية لغة أخرى ، فقد أوصى النهج بالاستفادة من هذه الميزة على
أن يولبها اللغويون في اللجان عناية خاصة وييسرونها ما أمكن ، حتى لا يلجأ العلميون
لاستسهال التعريب .

أما تعريب المصطلح فقد أجاز النهج إذا لم تيسر الترجمة ، وأخضعه لضوابط
كذلك . منها أن يكون المصطلح الأجنبي مشتقا أصلا من لفظ إغريقي أو من لغة
علمية حمة وانتشر استعماله عالميا . وعلى أن يقاس المصطلح المعرب على اللسان العربي

ويكون قريبا ما أمكن من الأصل الإغريقي ، مثال ذلك لفظ فيزيقا مقابل physics بدلا من فيزياء .

وأوصى النهج باعتبار المصطلح المعرب لفظا عربيا تجرى عليه قواعد اللغة العربية مثل التأيين والبسترة والأكسدة . وأوصى بإقرار مآدرج المختصون على استعماله من مصطلحات خاصة بهم أو مقصورة عليهم مثل فلورة وهدرتة مقابل -fluorescence hydration . وتصحيح الخطأ الشائع أينما يوجد مثل حاسب إلكتروني بدلا من عقل إلكتروني .

وفي كلتا حالتى ترجمة المصطلح وتعريبه أوجب النهج تحديد الدلالة العلمية له تحديدا علميا دقيقا وذلك بضرورة وضع تعريف علمى له، مصاغا بأسلوب معجمى: فالمصطلح بدون تعريف كالبناء بدون أساس .

ونص النهج على إفراد المصطلح الواحد بلفظ واحد : ما أمكن لتسهيل الاشتقاق منه والنسبة والإضافة إليه وتثنيته وجمعه . فلا يقال مقياس درجة الحرارة بل ترمومتر : وأوصى النهج بتوحيد المصطلحات المشتركة بين المواد المختلفة إلا إذا اختلفت دلالاتها .

ومن المعلوم أن التركيب والنحت فى اللغة العربية غير مستحب لأنه يجافى طبيعتها . ولكن اللغة العلمية تضطر أحيانا لقبوله ، بل وتميل للتوسع فيه . وقد سبق أن استساغت اللغة ألفاظا مركبة كاليسملة والدرعمى والبرمائى .

وأجاز النهج كذلك استخدام السوابق واللواحق والتوسع فيها لمواجهة السيل الحارف من الألفاظ العلمية الحديثة . ولكنه أحاطها أيضا بضوابط تتفق وطبيعة اللغة العربية وأحكامها . منها قصر إلحاق السابقة العربية على لفظ عربى مثل لاسلكى ، وقصر إلحاق السابقة المعربة على لفظ معرب مثل بيوفيزيكا . وهذا معناه عدم المزج بين شقين لمصطلح واحد منحوت من لفظين مختلفى الأصل ، ولأهمية موضوع السوابق واللواحق أفرد له المجمع نشرة خاصة وذبلها بمجموعة كبيرة من الأمثلة فى شتى العلوم .

سيداتى وسادتى :

هذا هو جانب واحد من جهود المجمع فى إعداد المصطلح العلمى ومايستلزمه من أحكام وضوابط لاختياره وتعريفه ولتقنينه . يبقى بعد ذلك جانب آخر هام ، وهو نشر

هذه المصطلحات بإصدارها في معاجم علمية متخصصة . وهذه أيضاً قد تبناها المجمع
فأنجز منها هذه المعاجم :

- معجم الفيزيكا النووية ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا
- معجم الجيولوجيا ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
- معجم ألفاظ الحضارة والفنون ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
- معجم الفلسفة ويشمل نحو ١٢٠٠ مصطلحا .
- المعجم الطبي (جزء أول) ويشمل نحو ٨٠٠٠ مصطلحا .
- معجم الفيزيكا الحديثة (جزء أول) ويشمل نحو ٤٥٠٠ مصطلحا .
- معجم الكيمياء والصيدلة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
- معجم الأحياء والزراعة (جزء أول) ويشمل نحو ٥٠٠٠ مصطلحا .
- معجم علم النفس والتربية (جزء أول) ويشمل نحو ١٠٠٠ مصطلح .

وهناك عدد من المعاجم العلمية في مرحلة الإعداد باللجان المختصة .

سيداتي وسادتي :

هذه صفحة من إنجازات مجمعنا الخالد تناولتها في إنجاز أرجو ألا يكون مغلا ،
بها أثريت اللغة العربية بعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية الحديثة في المجالات
العلمية البحتة والتطبيقية ، قياما بواجب المجمع نحو جعل اللغة العربية وافية بمطالب
العلوم والفنون والحضارة الحديثة ، وفتحاً لطريق تعريب التعليم الجامعي وتذليلاً لأكبر
معوقاته .

ويشرفني أن أختم حديثي بتوجيه التحية والتقدير لمجامع اللغة العربية الشقيقة في
دمشق وبغداد وعمان وإلى مركز تنسيق التعريب بالرباط وجميع العاملين في ميدان التعريب
والمصطلحات العلمية . وأدعو لتضافر الجهود بين العلميين العرب بعقد المؤتمرات
العلمية بينهم باللغة العربية ، وعقد ندوات للتعريب والمصطلحات بصفة دورية لمتابعة
الجديد فيها . وفي هذا كله ما يحفز الهيئات الجامعية على فرض تعريب التعليم فيها
دون حاجة لتحفظ ، وبه يوثق الرباط بين أفراد الأمة العربية ويعلو شأنها بين
الأمم المتحضرة لتكون خير أمة أخرجت للناس .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الدكتور محمود مختار

عضو المجمع

مجمعيون شعراء لدأبسان محمد عبد الفنى حسن

يجمع الشعر بخياله الواسع وآفاقه المحلقة. مع اللغة والنحو بدراساتهما المنهجية المتزمنة .

قد

ومنذ البدايات الأولى لظهور اللغويين والنحاة رأينا أن بعض علماء هذين العلمين قد انقاد لهم الشعر ، وذل لهم عصيه ، فنظموا وحلقوا فى الخيال ، وأثر عن كثير منهم الأبيات السائرة ، والأشعار المستحسنة . ونستطيع فى هذا المقام أن نعد عشرات من اللغويين القدامى الذين دخلوا ميدان الشعر بجانب المجال اللغوى فأجادوا فيه . ومن هؤلاء اللغويين الشعراء : الخليل بن أحمد ، وابن السكيت ، وابن فارس صاحب «المجمل» و «المقاييس» وابن خالويه ، وأبو سعيد السيرافى ، ومكى ابن أبى طالب القيسى القيروانى ، صاحب «الكشف عن وجوه القراءات السبع» ، و «شكل إعراب القرآن» وغيرهما ، وأبو عبد الله المائى القرطبى وغيرهم . وهل ننسى الأبيات الرفيعة التى قالها «الخليل بن أحمد» حينما طلبه الخليفة سليمان بن عبد الملك للوفود عليه فى حضرته ، فاعتذر فى شمم العالم المعتز بالله قائلاً :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سمخا بنفسى أنى لا أرى أحداً يموت هزلاً . ولا يبقى على حال
والرزق عن قدر ، لا الضعف ينقصه ولا يزيدك فيه حولٌ محتمال

(*) ألقى هذا البحث فى الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الخمسينى للمجمع .

وهل ننسى (ابن فارس) اللغوى الذى عز عليه أن يشكو حاجته ، فقال فى عزة الغنى بالله :
وقالوا كيف حالك ؟ قلت خير تقضى حاجة ، وتفوت حاج
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا عسى يوماً يكون لها انفراج ؟
وهل ننسى « ابن السكيت » الذى نسب إليه صاحب (شذرات الذهب)
البيتين التاليين :

يصاب الفتى من عثرة بلسانه وليس يُصاب المرء من عثرة الرجل
فعرثته بالقول تُذهب رأسه وعرثته بالرجل تبرا على مهل
وهل يغيب عن بالنا قول « ابن خالويه » المنظوم على الحكمة :

إذا لم يكن صدر المجالس سيدا فلا خير فيمن صدرته المجالس
وكم قائل : ما رأيتك راجلا فقلت له من أجل أنك فارس .

وهل يفوتنا البيتان البديعان فى البحث على الإقلال من الزيارة « لمكى
ابن أبى طالب » ، مع الاستشهاد المحكم الدقيق بمثال من الواقع المحسوس ، وهما :
عليك بإقلال الزيارة إنها إذا كثرت كانت إلى الهجر مسلكا
ألم تر أن القطر يُسأم دائباً ويُطلب بالأيدى إذا هو أمسكا ؟
وأخيراً هل يضيع منا قول « أبى عبد الله الملقب القرطبي » - النحوى اللغوى - فى
حسن الظن بالله ، والأمل العظيم فى جميل إحسانه فى الغد ، كما أحسن بالأمس ،
حيث يقول :

سهرت أعين ونامت عيون لأمر تكون ، أو لا تكون
فاطرح الهم ما استطعت عن النفس س فحملانك الهموم جنون
إن رباً كذاك بالأمس ما كان سيكفيك فى غد ما يكون ..

وبعد : فهذا مدخل لم يكن منه بد للدخول على موضوع « المجمعيون الشعراء »
وهم - بارك الله فيهم - مظنة أن لا يجمعوا بين اللغة والشعر ، ولكنهم جمعوا
فكتب الله لهم التوفيق فى المجالين .

وقد كان أمير الشعراء أحمد شوقي أحق بالدخول في مجتمعنا قبل أن يلججه من الشعراء والنج ، وكان أولى بأن يكون واحداً من أفراد فوجه الأول سنة ١٩٣٣ لولا أن المنية أدركته سنة ١٩٣٤ ، فحُجِبَ عن ساحته .. وبهذا حُرِمَ المجتمع نعمة الظفر بشاعر لم تجد به العروبة منذ ألف عام .

ونسنتهل الحديث عن شعراء المجتمع «بإبراهيم المازني» ، ولو أنه دخل الحرم المجتمعي سنة ١٩٤٧ متأخراً عن زميله «علي الجارم» الذي دخل المجتمع في أول فوج سنة ١٩٣٣ ، وعن رفيقه ، وزميله «عباس محمود العقاد» الذي دخل المجتمع سنة ١٩٤٠ ، «والمازني» جدير بأن يتبوأ مكان الصدارة في الحديث عن المجتمعيين الشعراء ، بشهادة العقاد له في المقدمة التي كتبها للطبعة الثانية من ديوان المازني الذي نشره المجلس الأعلى للفنون والآداب سنة ١٩٦١ حيث يقول : (وللمازني أسلوب خاص لا يدل على أنه أسلوب السليقة والطبع أكثر من هذا التألف الذي تجده بين قلمه ونفسه ، فإن قلمه يتحرى الفخامة في اللفظ. والروعة في حوك الشعر ، كما تتحرى نفسه - على لطافتها - الفخامة في المشاهد ، والروعة في مظاهر الكون والطبيعة) .

وما أصدق المازني وهو يحدثنا عن «الشعر» وقيمته في مقطوعته : (قبر الشعر) التي يقول فيها :

ليست ديواني يكون له	من بديع الزهر ثيجان
فكأن الشعر في جدث	فوقه وردٌ وريحان
يا لها من جفيرة عجب	كلُّ ما تطويه أشجان
كلُّ بيت في قـرارته	جثةٌ خرساءُ مرنان
خارجاً من قلب قائله	مثلما يزفرُّ بركان

وإذا كان الجزء الأول والثاني من ديوان المازني قد ظهرا في حياة الشاعر وصنعا على عينه ، فإن الجزء الثالث قد طبع سنة ١٩٦١ بعد وفاة المازني ، وقد

كان : جموعاً عند شقيقه أحمد عبدالقادر الذي قدمه إلى لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب ، فتولى المجلس إصداره بمراجعة الشاعر « محمود عماد » وضبطه وشرحه . وهذا ظهرت أجزاء ديوان المازني الثلاثة في مجلد واحد .

ومن الغريب أن الشاعر المجمعى « المازني » رضى عن شعره أول الأمر ، ثم أنكره بعد ذلك وهدجه ، ثم أعرض عن نظم الشعر جملة وتفرغ للنثر ، ولكن شعره الخالد لم يهدجه ، بل ظل منتمياً إليه ، منسوباً له ، لصيقاً به التصاق الابن بأبيه ، والمرء بذويه ..

ويجرتنا الحديث عن « المازني » المجمعى الشاعر إلى رفيقه وزميله المجمعى الشاعر : « عباس العقاد » . وللعقاد رأى فى الشعر والشاعر جاء فى خلال قصيدته (الحب الأول) حيث يقول :

إني ألوذ بشعري حين يطرقني من الطوارق نزال وضيغان
والشعر من نفس الرحمن مقتبس والشاعر الفذ بين الناس رحمان
الحب والشعر ديني والحياة معاً دينٌ لعمر ك لا تنقيه أديان
هي الحياة جنينُ الحب من قدم لولا التجاذب ما ضمتك أكوان
والشعر السنة تُفضي الحياة بها إلى الحياة بما يطويه كتمان

وعلى الرغم من حركة (الديوان) التي قام بها العقاد مشتركاً مع المازني فى الحملة على (شوقي) الشاعر بوصفه الرمز الذى تمثلت فيه كل خصائص الشعر التقليدى القديم ، لم يُسقط شعر المناسبات من حسابيه إذا ما عني الشاعر فيه بأصالة الفكر والشعور . وهذا أتاح العقاد لنفسه ولتلاميذ مدرسته أن ينظموا فى المناسبات على شريطة ألا يجعلوا منها معرضاً لتأنق الصناعة وبراعة الأسلوب وحسب ، على نحو ما كان يفعل القدماء ، بل على شاعر المناسبة أن يرتفع بها من مقام الخصوصية والذاتية إلى مستوى الشعور الإنسانى العام فإن العناية فى الشعر بالصياغة وحدها لا تنتج شعراً له قيمة ، وإنما تنتج جملاً جيدة الوصف ، هيئة الشعور .

والحق أن الحملة القاسية التي قام بها العقاد على المدرسة القديمة للشعر العربي ، وعلى « أحمد شوقي » بالذات كانت تخرجني كثير من الأحيان إلى الجرد والتجني على أمير الشعراء ، ولكنها أنجبت لنا شعراء أفادوا من توجيهات العقاد والمآزني وملاحظاتهم ، مع عدم المساس ببناء القصيدة العربية التقليدية ؛ وإن كان بعض الشعراء المتحررين انتهزوا الفرصة ليتخلصوا من قيود الوزن والقافية .. وتلك قضية لا نتعرض لها اليوم لأنها لا تدخل في موضوع بحثنا .

وقد انفرد « العقاد » في شعره بالأصالة وعدم التقليد ، فهو في الشعر العربي كيان متميز وحده ، ومن هنا أكبره الدكتور طه حسين وقال عنه : (إن أكبر العقاد لأنني إذا قرأت شعره مرة ومرة ومرة ، لم أستطع أن أقول لنفسى : قد قرأت هذا الكلام من قبل ، أو أين قرأت هذا ؟ أفى شعر البحتري ؟ أم عند أبي تمام ؟ أم سبق أبو نواس إلى مثل هذا الكلام ؟ كلاً ! إنما تقرأون العقاد فتقرأونه وحده ، لأن العقاد ليس مقلداً ، ولا يستطيع أن يقلد ، ولو حاول التقليد لفسدت شخصيته وشخصية العقاد فوق الفساد ..) .

وعلى الرغم من أن « المآزني » زهد في الشعر وخلص للنثر ، وأن عبد الرحمن شكري زهد في الشعر وفي النثر وفي الناس وفي الحياة كلها ، فإن « العقاد » ظل موالياً للشعر والنثر على حد سواء ، فما أجبل ولا نصبت قريحته ، كما ظل وفيماً لأصدقائه وزملائه المجمعين . وكان دموعه وهو في المجمع كانت وقفاً على رثاء الراحلين من أعضائه . وما زالت محاضراته جلسات المجمع وصفحات مجلته حافلة بمراثيه لأحمد لطفى السيد ، والدكتور محمد حسين هينكل ، ومصطفى عبدالرازق وعبد القادر حمزة ، وإبراهيم المآزني ، وعلى الجارم . كما أن دواوينه حافلة بمراثيه للزعيم محمد فريد ، وسعد زغلول ومحمد محمود ، والكاتبة النابغة مكي زيادة وأحمد ماهر ، وهدي شعراوي ، ومحمود فهمى النقراشي ، وحافظ إبراهيم ، والأديب محمد السباعي وغيرهم من شوامخ مصر الحديثة .

ويحملنا اعتبار (الأقدمية) في دخول المجمع على الحديث عن الشاعر المجمعى :
«على الجارم» . وللأقدمية اعتباراً في التسجيل ، وإن كان ليس لها اعتبار في
التقدير والتفضيل . ولم يكن «الجارم» هو الشاعر الوحيد الذى ظفر بعضوية المجمع
في أول فوج سنة ١٩٣٣ ، فقد كان من العشرين المعيّنين الشيخ محمد الخضر
حسين الذى صار فيما بعد سنة ١٩٥٢ ، شيخاً للأزهر . وهو شاعر وله ديوان طبع
بالقاهرة سنة ١٩٤٧ ، ثم أعيد طبعه من عهد قريب ، وعنوانه (خواطر في الحياة) .

ولقد نظم أستاذنا «الجارم» الشعر وهو طالب في الأزهر ودار العلوم ، وفى
إنجلترا ، وبعد عودته من البعثة ، وظل حياته كلها مواظباً على نظم الشعر ، لم
يتخل عنه لحظة واحدة ، بل شاء الله أن تدركه منيته فجأة وهو يصغى إلى ولده
(بدر الدين) وهو يلقى قصيدة والده فى حفل تأبين الزعيم محمود فهمى النقراشى
سنة ١٩٤٩ م. ونظم «الجارم» الشعر فى أغراض المعروفة فى دواوين العرب
فمدح ، وهنأ ، ورثى ، ووصف ، وتغزل وافتخر . ولم يدع مناسبة إلا قال فيها
وأبداع . ولعله من أوائل شعرائنا الذين ارتفعوا (بالمناسبة) إلى مستوى الأصالة
الفكرية والشعور الإنساني العام، مما جعله مرموق المكانة على الرغم من النظر الشزري
الذى كان يوجهه إليه أصحاب المدرسة الحديثة ... والحق أن الجارم استطاع
فى ذكائه عجيب أن يوائم بين المدرسة التقليدية فى الشعر ، وبين متطلبات
المدرسة الحديثة . وقد ظهر هذا جلياً فى ديوانه (سهجات الخيال) الذى جمعه
ولده «بدر الدين» ونشر فى مجموعة (فى ظلال الوحي) الصادرة عن
دار المعارف سنة ١٩٦١ . ولم يفتر العقاد - رحمه الله - وهو يقدم «لسهجات الخيال»
أن يشير إلى هذه الموازنة بين السلفية والعصرية عند الجارم أن يقول : (إن
الجارم ركن من أركان مدرسة شعرية تستحق الآن أن تعرف بلامحها ، وأن
تستقبل بعنوانها ... إنها مدرسة يجوز لنا أن نسميها بمدرسة دار العلوم ...
فالدرعوى لغوى عربى سلفى ، عصرى ولكن على منهج فريد فى بابه بين مناهج المعاهد
السلفية والمدارس الأفرنجية ، وبين - مناهج المحافظة والتجديد ، ومناهج الإبداع

والتقليد. . ولا يسمعك وأنت نقرأ قصيدة لشاعر من أركان المدرسة الدرعية أن تحجب فكرة « اللُّغة » عن خاطرک ، وأن تنسى أن قائل هذا الشعر يثبتُ على القديم وإن أخذ بنصيبه من الجديد ، وحرص على انتسابه إليه حرصه على انتسابه إلى التراث القديم . . .) . ولعل رأی « الجارم » نفسه في قضية الشعر يوضح لنا القيمة الحقيقية لكل شعر جيد حيث يقول :

دولة قامت تناغى دولة فنعمنا في ظلال الدولتين
ربما في الشعر قامت صفحة بالذي يعيا به ذو الصفحتين
إنما الشعر على كثرته لا ترى فيه سوى إحدى اثنتين
نفسه قدسية أو هذر ليس في الشعر كلام بين

وبعد ، فإن ديوان (سبحات الخيال) « لعل الجارم » ليس شعراً جديداً له ، بل كل ما فيه جاء في الأجزاء الأربعة - لديوان الجارم ، ولكن ولده الأملعى أراد أن يرد رداً عملياً على الدين كانوا يتهمون والده العظيم بشعر المناسبات التقليدي ، فانتزع من ديوان أبيه قصائد ومقطوعات تدل على الشعر العاطفي والوجداني والإنساني عند أبيه ، وتؤكد أن المناسبة عند « الجارم » ترتفع عن المستوى الذاتي المحض إلى مناسبات الشعور العام ...

وإذا كان « الجارم » يرق في غزله إلى حد قوله في « الكافية » التي تغنيها أم كلثوم :

مالي فتنت باحظك الفتاك وسملوت كل مليحة إلاك
يسراك قدم ملكت زمام صهابتي ومضيت وهداي في ينادك
فإذا وصلت فكل شيء باسم وإذا هجرت فكل شيء باكي

فإنه يصلب ويشتك حين يدعو إلى العزم والتسامي نحو القمم في قوله :

كاتب الله أن يعيش غريبها كل ذي دعوة إلى الحق نا

لَا تَرَى فَوْقَ قَعَّةِ الطُّودِ . إِلَّا بَطْلًا لَا يَهَابُ هَوْلَ صَعَابِهِ
كُلَّ ذَاتِ الْجَنَاحِ طَيْرٍ ، وَلَكِنْ عَرَفَ الْجَوَّ مُسْرَهُ مِنْ غَرَابِهِ

، إذا كانت جنهات مجسمنا هذا - في مختلف الدور التي سكنها - قد دوت
بشعر « الجارم » وصوته وإلقائه الجميل المتبر على منابره ، فإن المجمع لا ينسى له
قصائده العُصم في افتتاح الدورة الثانية سنة ١٩٣٤ ، والدورة الثالثة سنة ١٩٣٥
ومرثيته لأستاذنا الشيخ أحمد الإسكندري والشيخ حسين والي ، والمستشرق نلمينو
سنة ١٩٣٩ م .

وقد شاء الله ألا يُحرم المجمعُ شاعرًا جهير الصوت عالي المكان ، يسد المكان
الذي كان يشغله « على الجارم » . ولم يطل أمد الانتظار ، فبعد عشر سنوات
من وفاة الجارم - وبالتحديد في سنة ١٩٥٩ - دلف إلى محراب الخالدين
الشاعر « عزيز أباظة » ، دخل بأسلوبه العربي المشرق ، وبيانه الناصح ،
وفكره الوضاء ، وكأنه واحد من مدرسة دار العلوم - أو مدرسة الدراعمة - التي
أشار إليها العقاد فيما سلف من قول ؛ مع أنه من رجال القانون والحقوق ، ولكن
الله يُعطي ما يشاء لمن يشاء ... فأعطى (عزيز أباظة) ذلك البيان وذلك الإشراق
وتلك الفحولة في الشعر التي كادت تضيع بعد « أحمد شوقي » . وبهر « عزيز
أباظة » الناس وفجأهم بديوان يُعدُّ لونا جديدا في دواوين الشعر العربي .
هو ديوان (أنات حائرة) الذي ظهر في سنة ١٩٤٣ ليقول للناس : إن هذا أول
ديوان كان كله وقفاً على رثاء زوجة ، ورفيقة عمر وشريكة حياة .. وأكبر
الناس هذا الصنيع من شاعر جعل رثاءه لقرينته الراحلة براعة استهلاله . وقدم
طه حسين (أنات حائرة) بكلام مؤثر قال فيه : (لا عليك يا سيدي ! احتمال
حزنك كما احتملته إلى الآن جلداً كريماً ، ورقه على نفسك كما فعلت إلى الآن بمثل
هذا الشعر الذي أقل ما يوصف به أنه يرفعك عن الأثرة ، ويجعل من مصابك
غذاءً لبعض النفوس ، وعزاءً لبعض القلوب ...) .

وكان من حظي حينما أهدى إلى «عزيز أباظة» ذلك الديوان الحزين أن أستقبله
ببحث واف في إحدى مجلاتنا العربية عن «رثاء الزوجات في الأدب العربي» .
ومن هنا توثق الود بيني وبين عزيز أباظة ثم ازداد الود حينما عملت معه وتحت
رياسته عضواً في لجنة الشعر بالمجلس الأعلى ، للفنون والآداب .

وكان مجمع اللغة كان روضاً أغن لشاعرية «عزيز أباظة» ، وتجلي ذلك
في مرثيه الخالدة لزملائه المجمعيين : العقاد ، ورضا الشيبى ، وعلى عبدالرازق
ومحمد على النجار ، وأحمد حسن الزيات والدكتور مصطفى القللى ، والفاضل
ابن عاشور ، والدكتور عبد الرزاق السنهورى .

لذا وإذا كان «عزيز أباظة» قد أثرى الشعر بمسرحياته التي منها قيس ولبنى ،
والناصر ، وغروب الأندلس ، والعباسة وغيرها ، فإنه يعد الرائد الثانى - بعد
شوقي - للمسرح الشعرى الحديث .

لقد أليف «عزيز أباظة» منذ ماتت زوجته البكاء والرثاء ! فهو يبكى زوجته
في «أنات حائرة» ، ويرثى بعد ذلك زملاءه في المجمع وغير المجمع ، وكأنه
نذر حياته للدموع . ولعل من أحر دموعه قصيدته (ذكريات) التي يقول في المقطع
الأول منها :

يدكرنيك كلُّ جليل أمر و س يسيره فتندوب نعى
إذا سكب الصباح فأنت همى وإن وقب المساء فأنت أنسى
جمعت على الهوى طرفى نهارى كأنى لم أرعُ بنـواك أمسى
رعاك الله ما فارقت روى وإن فارقت بعض الوقت حسى
أراك كما رأيتك حين كنا على حرم الصبا نضحى ونمسى

وما دمننا في معرض الحديث عن شعراء الديباجة والرصانة في مجمعنا ، فلن يفوتنا
الوقوف قليلاً أمام السيد «حسن القاياتى» وقد نبغ في نظم الشعر في سن مبكرة .

ونشر الجزء الأول من ديوانه سنة ١٩١٠ وهو في السابعة والعشرين ؛ حتى جاز لنا أنه نلقبه (النابغة القاياتي) نسبة إلى بلده « القايات » من أعمال مديرية المنيا . وإذا كنا ألفنا أسماءً محبوبات الشعراء القدامى ، من مثيلات هند ، ودعد ، وليلى ، وعزة ، وبثينة ، فإن القاياتي شبيب بمحبوبته : (إحصان) ، وهو اسم جديد في سجل شعراء الغزل ...

ولما حظيتُ بنشر شعري في (الأهرام) منذ سنة ١٩٢٧ تحت لقب : « شاعر - الأهرام » ، كان شيخنا « القاياتي » ينشر شعره في الأهرام أيضا تحت توقيع (حسن القاياتي . السكرية) ، وهو الحى الذى كان يسكنه قريبا من ميدان باب الخلق . ولم يثنه عمله بالمجمع عن نشر الشعر - وخاصة المقطعات - في صحف ذلك العهد . ومن أوائله أنه كان من شعراء العرب السابقين إلى وصف المخترعات الحديثة مثل التليفون ، والتصوير الفوتوغرافى ، والمركبات التى تنهذى فى الجزيرة بالحسان والفونوغراف الذى أسماه : (مسمعة الغناء) ، ولكنه سُمى (الحاكى) بعد ذلك ... ومن رقيق شعره فى المركبات والحسان الراكبات فيها قوله :

تملكَ ظيُّ	بالجزيرة لُبُّهُ	فما عتبُهُ	والمالكُ القلبُ غالبُهُ
مراكب مثلُ	السحب خيِّبِن ظَنُّهُ	ذواهب عدواً .	أبخلُ الغيم ذاهبُهُ
تعلنَ لمن يُلقى	شباك لحاظِهِ	رؤيدك !	لأيقْتلك ما أنت ناصبُهُ !
يطانُ الثرى لينا	فلو كان وقعها	على زئبق غَضُّ	لما ارتجَّ ذائبُهُ ..

وقد جمع « القاياتي » بين أناقة المظهر وأناقة الشعر . وهو تأنق لم ألقه إلا فى الشاعر « محمد الأسمر » . وكان على عفة لسانه فى الحديث هجاءً مفحشاً فى الشعر . ولم يكن ذلك لطبع فيه ، وإنما كان يصنعه على سبيل (رياضة النفس) كما يقول فى ديوانه ، وكما كان يفعل كبار الشعراء قبيل عهده من أمثال البارودى ، وإسماعيل صبرى . ولم يقف القاياتي - ولو مرة واحدة - على منبر المجمع ليلقى شعراً كما كان يصنع « على الجارم » و « عباس العقاد » ، و « عزيز أباطة » .

ويدخل معنا في مجال الشعر الرصين الدكتور « عبد الوهاب عزام » . ولكن لشعر عزام مذاقا خاصا وجوا خاصا وفكرا خاصا ؛ تأثر فيه بدراسته للشعر الفارسي والتركي . فقد ترجم « بياض مشرق » لمحمد إقبال عن الفارسية ، كما ترجم له « ضرب الكلم » ، وديوان « الأسرار والرموز » . وعلى الرغم من صلوات « عزام » بالمجتمع ، وخاصة في أثناء اشتغاله بالسلك السياسي ، فإننا لا نراه شاعر مناسبات على الإطلاق، بل نراه وقد غمر نفسه في لجج التصوف والفكر العربي الإسلامي . وحين أصدر ديوانه : (الثاني) سنة ١٩٥٤ قدم له العقاد بمقدمة واعية توضح ما بين التصوف وبين السياسة في أشرف معانيها من روابط . وتصوف « عزام » لا ينزول عن الحياة ولا يهرب من غمراتها ، وفي الوقت نفسه لا ينكص عن المعالي ، بل يجعلها سلما إلى حياة فاضلة . . . وكل رباعيات « عزام » و « مثانيه » من البحر الخفيف ، إلا الرباعية الثالثة ، والرابعة فهما من « الرمل » . ولعله اختار الخفيف لسهولة تقليد المعاني عليه . وتكشف لنا الرباعية التاسعة عن بواعث الشعر الظاهرة والخفية التي لا يحيط بها الشاعر :

ينبع الشعر والشواغل شتى كانبجاس المياه بين الرمال
تُبصِرُ الماء صافيا لست تدري كم فيافٍ سرى بها وجبال!

و « عزام » مثل « حسن القاياتي » لم يشترك في مناسبة واحدة من مناسبات المجمع بقصيد أو ببعض القصيد .

ومن شعراء المجمع حفنة كريمة لم يهتم واحد منهم بجمع شعره ، أو صنعه في ديوان أو أكثر ، كما صنع « علي الجارم » و « العقاد » ، و « عزيز أباظة » ، وحتى (المازني) الذي زهد في الشعر بعد جمعه شعره في الجزأين الأولين منه . . . ومن هذه الحفنة « طه حسين » ، و « مصطفى عبد الرازق » ، و « الفاضل بن عاشور التونسي » ، و « عبد الفتاح الصعيدي » والدكتور « إسحاق موسى الحسيني »

يمثل فلسطين ورمزها الخالد في مجمع الخالدين .. وقد كان طه حسين ينظم شعراً تقليدياً بحسن الصياغة ، وينشره في العقد الأول من هذا القرن في صحافة ذلك العهد . كتصديده التي نشرها سنة ١٩٠٩ مخاطباً الإنجليز :

تيمموا غير وادى النيل وانتجعوا فليس في مصر للأطماع متسع
كفوا مطامعكم عنا ! أليس لكم مما جنيتكم وما تجنونه شبع ؟

ولكنه ترك نظم الشعر جملة ، وإن كان قد تناوله بالعرض والنقد والدراسة والتحليل بعد ذلك ، كما فعل في « حديث الأربعاء » ، و « من حديث الشعر والنثر » و « حافظ وشوقي » ، و « مع المتنبي » وغيرها . وظل حب طه حسين للشعر يتمثل في رواية البيت أو الأبيات المؤثرة في مواطن الاستشهاد .

أما الشيخ « مصطفى عبد الرازق » فكان يقرض الشعر في شبابه ، كتنهنته لأستاذه الشيخ محمد عبده التي نشرت في « المنار » سنة ١٩٠٣ ، ومرثيته لوالده حسن باشا عبد الرازق سنة ١٩٠٧ . وقد كان شعره واعداً بمستقبل عظيم ، لولا أنه انصرف عنه في أثناء طلبه العلم بفرنسا ؛ ولما كتب إليه شقيقه (على) يسأله عما صرفه عن الشعر أجابه قائلاً : (إننا شغلنا هنا بالتحقيق عن الخيال ...) .

أما « الفاضل بن عاشور » فكان ينظم الشعر ، ويعمل الأناشيد استجابة لدواع وطنية وقومية عالية حتى سنة ١٩٣٩ ، ولكنه انصرف عنه كما جاء في كتابه : (تراجم الأعلام) المطبوع بتونس - سنة ١٩٧٠م . ويتواضع ابن عاشور فيقول رحمه الله : (ولست مدعياً أئى شاعر ، وإن تعاطيت نظم مقاطيع وقصائد كنت راضياً عن بعضها أحياناً) ...

أما « عبد الفتاح الصعيدي » فكان فيه قدرة على نظم الشعر ، وإن كانت الموهبة لم تتجل فيه واضحة كشعراء المجمع الآخرين^{٦٤} ... وحين تغلبه المناسبة كان يستجيب للشاعرية الكامنة فيه . ولعل دليته التي ألقاها في مؤتمر المجمع ببغداد سنة ١٩٦٥ هي الأثر الباقي من أشعاره ...

والذى أعرفه من صديقى وجارى فى مؤتمرات المجمع الدكتور « إسحاق موسى الحسينى » أنه شاعر وإن كان مقللاً . وفيه قدرة على الارتجال حين يقتضيه الموقف . ففى مؤتمر الدورة السادسة والأربعين لسنة ١٩٨٠ رأيتهُ يستعير قلماً ويسجل على ورقة كانت معه أبياتاً حضرته بمناسبة ختم أعمال المؤتمر ، وإذا به يلقيها علينا فى تأثر عميق ، لغياب بعض إخواننا العرب عن شهود لقائنا قائلاً :

فى كل عام لنا فى مصر مآدبة غنية بغذاء الروح والجسد
فلتبق مصر على الأيام شامخة تزداد فخراً بلاحد ولاعد
وليبق مجمعنا للعرب مئذنة تداع من فوقها الفصحى إلى الأبد

وأذكر من شعره الوطنى الرائع قوله :

أحبيب بلادك واعشق ريح تربتها فالروح من روحها والجسم من تُرب
طوفت فى الأرض لم أعثر على بلد يحكى محاسنها فى الشرق والغرب

سادتى : كنت قد أسلفت القول عن مدرسة أسماها العقاد : (مدرسة دار العلوم أو مدرسة الدراعمة) فى معرض تقديمه لديوان « سبحات الخيال » لعلى الجارم . وقد رأيت من باب الوفاء للحق أن أشير هنا إلى ثلاثة من أعلام هذه المدرسة ، يسعدنى أن أجيء تائباً لهم ، وأن أكون رابعهم . وهم : على الجندى ، ومحمد خلف الله أحمد ، رحمهما الله ، والدكتور محمد مهدى علام بارك الله فى عمره .

ولقد كان « على الجندى » شاعراً من رأسه إلى قدمه ، وكان يتميز بالأسلوب الناصع والديباجة المشرقة . وقد أعانته كثرة محفوظه من الأدب العربى ، وقوة حافظته أن يدير الأفكار والمعانى فى شعره على أفانين من القول ، فلا تخطئه عبارة ، ولا يخونه استعمال ، ولا تعز عليه قافية . وأماى وأنا أكتب هذا البحث دواوينه الثلاثة : أغاريد السحر ، وألحان الأصيل ، وترانيم الليل ، وكلها تدل على شاعرية محلقة ، وأستاذية فى الشعر متمكنة . والحق أن على الجندى كان

شاعراً في مشيئته ، وفي حركاته ، وفي نبضه ، وفي نطقه . والحق أن الاستشهاد بشعره هنا هو عمل شاق محير ، فالمرء يتحير أي شعر يأخذ ، وأيها يدع .

ولكن الذي يحضرنى هو قصيدته « صورة الرحمة » التي صنعها وقدمها إلى الطبيب الجراحى الدكتور « ألبرت دوس » حينما تولى علاج ابنته (خالدة) فكتب لها الله الشفاء على يديه ، وفيها يقول :

ففى الطبُّ ! صُنْعُكَ لَا يُكْفِرُ لَدَىَّ وَفَضْلُكَ لَا يُنْكَرُ
أَحْطَتْ ابْنَتِي بِضُرُوبِ الْحَنَانِ وَرَحَتَ عَلَى عَمَرِهَا تَسْهَرُ
وَكَنْتُ لَهَا فَوْقَ مَا يَرْتَجَى مِنْ الْوَالِدِ الْوَلَدُ الْأَصْغَرُ
فَأَنْقَذْتَهَا وَالرَّدَى نَاشِبٌ بِمَهْجَتِهَا ظَفْرُهُ الْأَحْمَرُ
وَأَنْقَذْتَ نَفْسِي بِإِنْقَاذِهَا وَأَنْتَ بِحَبِي لَهَا أَخِيرُ
وَأَوْلَادُنَا ثَمَرَاتُ الْفَوَادِ بِهِمْ عَيْشِنَا نَاعِمٌ أَخْضَرُ
أَجَىءُ إِلَيْكَ مُعْتَبِي الْحَشَا وَدَمْعِي عَلَى وَجْنَتِي يَقْطُرُ
وَأَرْجِعُ وَالنَّفْسُ رِيَانَةٌ سَرُورًا ، وَوَجْهِي مُسْتَبْشِرُ
شَكَرْنَا « لِأَلْبِرْتِ » مَعْرُوفَهُ وَمَعْرُوفَهُ عِنْدَنَا يُشْكُرُ
ثَنَائِي عَلَيْهِ ثَنَاءُ الرِّيَاضِ تَعَهَّدَهَا الْعَارِضُ الْمَطْرُ
يَقْلَدُهُ الشَّعْرُ أَمْدَاحَهُ وَقَلَّ لَهُ الْبَدْرُ وَالْجَوْهَرُ

ولا أذكر بعد هذا شيئاً من شعر على الجندى ، فكل شعره جرى أن يذكر ، وألاً يتطرق إليه إغفال أو نسيان ، ولكن الذى أذكره أننى فى يوم تأبينه بالمجمع سنة ١٩٦٣ رثيته بتمصيدة باكية ، منعتنى من إلقائها علناً حسبتها القاضية ، وتفضل بإلقائها نيابة عنى الزميل الكريم الأستاذ محمد شوقى أمين ، بارك الله فى عمره ، ولم أكن يومئذ قد ظفرت بشرف الانتماء إلى مجمع الخالدين .

أما العضوان محمد خلف الله ، والدكتور مهدي علام فلم يهتماً بجمع أشعارهما في ديوان . وبائية خلف الله التي نظمها وألقاها في حفل توديعه سنة ١٩٢٩ - بمناسبة سفره في بعثة علمية إلى إنجلترا تعد من روائع بواكيره التي أكدت شاعريته ، وإن كانت سبقتها قصيدته اللامية في يوبيل دار العلوم سنة ١٩٢٧ ، والتي مطلعها :

ملكتم زمام القول والجمع حافل فهل بعدكم يخال بالقول قائل .

وقد كان خلف الله يتسلى بنظم الشعر بعد ذلك ، ولكنه لم يشتغل به كما فعل الدراعمة الشعراء من أمثال محمود غنيم ، وعلى عبد العظيم ، وعبد العزيز عتيق ، وفايد العمروسي ... وكان يستجيب للمناسبة حين تدعوه . فحين نشرت مجلة الثقافة سنة ١٩٨٢ أبيات أستاذي الدكتور مهدي علام ، وأبياتي في حادثة تبادل معطفينا على سبيل الغلط ، إثر رحلة من رحلات المؤتمر إلى السويس ، رأينا خلف الله وهو حبس العلة في منزله بالثغر الإسكندري - يدخل المداعبة الشعرية بيني وبين الدكتور مهدي بقصيدة أسماها « حاشية المعطفين » . نشأها . . . ، وخلع علينا من فضله ما شاء أن يخلع .

وللدكتور مهدي علام أشعار ومقطوعات ومطارحات شعرية دار بعضها بينه وبينى . ولن أجزى لنفسى نشرها إلا إذا أذن لي بذلك . وباليته يجمع شعره المبعثر ويصنع ديوانه على عينه وفي حياته المباركة . وحين يدعى الدكتور مهدي إلى الشعر لا يصرفه عنه صارف ، فهو سريع التلبية لندائه ... وتلك كانت وسياتي لاستدراجه انظم الشعر . ومن ذلك ما صنعه حين أهديتُ إليه نسخة (وحيدة) باقية من ديواني الثاني : (من نبع الحياة) وكانت ممزقة الغلاف . فلم أجد بداً من إهدائها مصحوبة باعتذارى في شعر دعابى ، فما كان منه إلا أن رد على بابياتٍ كريمةٍ جاء فيها قوله :

إذا اعتذرت عن التمزيق في ورق فذا غلاف للب صين في صحف
والتبر في تربه كنز يقدره العارفو فضله من أقدم السلف
إن النضار إذا ما شابه صبدأ ما زال معسده رمزاً على الترف

وللدكتور مهدي علام قدرة فائقة على ارتجال الشعر حين تدعو المناسبة. وهنا تسعفه البلدية الحاضرة بما لا تُمدّه به الروية والإعمال. ولعل من مرتجلاته اللطيفة ما نظمه في أول جاسنة عقدت لممثلي جامعات الجمهورية العربية المتحدة من الإقليمين الشمالي والجنوبي، وكانت ساعة جامعة القاهرة - في خلال انعقاد الجلسة - تنغم الأجراس ثم تدقُّ كل ربع ساعة دقات يعاو صوتها على أصوات المجتمعين ، فأوحت إليه المناسبة على الفور بالأبيات التالية :

ساعةٌ قد رُكِّبت من فوقنا ماتنبي في دقِّها أو تسكتُ
كلما دار حديثٌ بيننا دقت الساعة دقًّا يُعْنِتُ
وإذا ما قال عضو كلمةً كادت الكلمة منا تفلت
صوتها يعاو على أصواتنا فكأننا قد جلسنا نُصت !
أنكرُ الأصوات صوت العير.. بل أنكرُ الأصوات هذي الساعة !

ومن أجمل شعر « الروية » عند الدكتور مهدي علام قصيدته الياثية التي استقبل بها مولد ولده الدكتور حسام الدين سنة ١٩٣٤ والتي يقول فيها :

في انبلاج النهار أشرق ياطفء لي ، كما يُشرق الضياءُ حياً
مثل عُمر النهار في الصبح تبدو ثم تنمو مع النهار فتيسا
تقطع الليل ، والنهار ، وتبقى في بُرود الصبا غلاماً زكياً

بقي أن نستكمل الجولة مع بعض زملائنا الشعراء في العالم العربي الواسع ... ففي المغرب نجد الأستاذ « عبد الله كنون » يحرر مجموعة الشعرية الأولى : (ألواح شعرية) سنة ١٩٦٦ ، ثم يتبعها بعد ذلك بمجموعته : (إيقاعات الهموم) التي صدرت سنة ١٤٠١ هـ . وفي الأولى مشنويات حكمية تذكرنا بمثنى « عبد الوهاب عزام » الصوفية . وقد عالج فيها بعض الشعر الحر ، مع ما نعهده من روح المحافظة عنده ، لعله يثبت مقدرته على خوض كل ميدان جديد .. وفي مجموعته الثانية شعر ديني ،

وشعر للأطفال ، وتأملات في الحياة حتى ولو كانت من وحى المقابر ... ومن
السودان الشقيق نستقبل « أصداء النيل » و « أغاني الأصيل » من شعر الزميل
« عبد الله الطيب » . ويبدو صاحبنا نافرًا من الناس مستوحشًا منهم ، كأنه يطوى
الضلوع على حذر وحزن عميق ، وإن كان يجد في الكتاب عونًا على نوب الزمان
حيث يقول :

فزعت إلى «الكتاب» ، فكان عوني على الأيام والنوب الصّعب
وألقيتُ الكتاب يسلوحُ منه جبينُ الله في الظالم الرّهّاب
كتومُ السر مطوى حشاه على مثل ابتهاجي واكتشابي

ومن العراق يطالعنا الزميل الشاعر « محمد رضا الشبيبي » سنة ١٩٤٠ بديوانه
الذي صدر عن لجنة التأليف والترجمة بمصر سنة ١٩٤٠ . وشعر الشبيبي مملوء
بالوطنيات ، والحكم ، والشعر الاجتماعي ، والأخلاقيات والوجدانيات والوصف
والرثاء . كما يطالعنا الأستاذ « محمد بهجة الأثري » بديوانه (ملاحم وأزهار)
الذي طبع في مصر سنة ١٩٧٤ . ولعل قصيدته : (الشعر) تكشف لنا عن مفهومه
له حيث يقول :

ابن الحقيقة ، والحقيقة نهجه والصدق في أرب الحياة خدينه
العبقرية نبعه ، والبابلية دنة دنة ، وهوى المحبة دينه

ولا يزال علامتنا الأثري ينظم الشعر حتى اليوم ، ولاننسى قصيدته الرائعة التي
ألقاها في مؤتمر الدورة الماضية : التاسعة والأربعين . ولانعرف للدكتور « عبد الرزاق
محيي الدين » ديوانًا مطبوعًا ، وإن كنا نعرف عنه الشعاعية الحق أيام الزمالة
والطلب في دار العلوم . ولعل آخر شعر قاله هو مرثيته التي نظمها في تأبين الدكتور
طه حسين بمجمعنا (ديسمبر سنة ١٩٧٣) وقد اعتذر فيها بأنه ترك نظم الشعر منذ
سنتين عديدة، ولكنه عاد لينظم رثاءً شعرياً لطله حسين . (لأن الشعر مدين لطله حسين
دينًا لا ينسى ...) كما يقول . ثم جاء أخيراً ليمتحننا بقصيدته اليوبيلية العامرة .

بقى لنا من أرض العروبة لبنان وسورية . وإذا كان «لعزام» و«عبد الله كنون»
مثنائي ومثنويات ، ولغيرهما رباعيات ، فلم لا يكون للبنان (سداسيات) ينظرها
الدكتور « عمر فروخ » ؟ وعمر في ديوانه البديع : (فجر وشفق) الصادر عن
بيروت سنة ١٩٨١ - عربي صميم ، ومسلم صادق اليقين ، ومؤرخ واع ، وإنسان
يفيض بالعاطفة الصادقة والشعور الرقيق ، وشاعر محلق ، ومداعب فكاهة خفيف
الروح .. وهو في غزله عفت الضمير والنظر . وقصيدته (فلانة) تدل على ذلك .
وهي تذوب رقة ، ولولا أنه نظمها سنة ١٩٤٨ لقلنا : شيخ نصابي !! (ديوانه
ص ١٧٢) .

أما الدكتور « أمجد الطرابلسي » فهو من شعراء سورية المخلصين ، ولشعره نغمة
عذبة مع علو الأسلوب وعمق الفكرة . وآخر شعره ما نظمه وأنشده في باريس
سنة ١٩٨٢ على قبر زميله وصديقه الدكتور « حكمت هاشم » مدير جامعة دمشق
سابقاً وعُضو مجمعها اللغوي ، حيث قال :

أتيتُ « يا حكمة » أبكى ودكُ أذكر عهدى ههنا وعهدك
أبكى علينا ، لا عليك وحسبك ههنا مصيرى يا أخى بعهدك
هن يا ترى إذا قصيدتُ قصيدكُ يذكر لحدى ، أوزير لحدك ؟

وما دمتنا قد تحدثنا هنا عن زميلنا الشاعر المراسل الدكتور « أمجد الطرابلسي » ،
فلا بد لنا من الحديث عن اثنين من السعوديين ، وثالث من العراق . فالشاعر حسن
عبد الله القرشي قد ازدحمت علينا نغمات شعره الرقيق الذي يمثل نغمات الجزيرة
العربية وريابها العطر . والحق أن القرشي جعلنا دائماً من شعره في زحام . ويشهد
بذلك ديوانه : (زحام الأشواق) . وقد يظن أن الأشواق هنا تمثل الشوق إلى المحبوب
وحده مادام الناس قد انصرفوا إلى هذا المعنى . ولكن شاعرنا يؤكد أن مجموعته تمثل
ألواناً من الأشواق المتراكمة .. كالشوق إلى المجهول ، والشوق إلى الحقيقة ، والشوق
إلى تغيير الواقع المرير ، الذي يعيشه العرب اليوم ، والشوق إلى مستقبل أفضل
للإنسانية ؛

وإذا كنا نترك للقرشي أشواقه إلى المحبوب وحده لينعم في رياض الحب كما
يشاء ، فإننا لانجد منفراً من أن نشترك معه في ندائه للوطن العربي الكبير ، حيث
يقول والأمل يملؤه : ا

يا وطني الباكى ! يا وطني العربي المطرق فوق الجرح
انهض لا تمكث مهموماً ، يا وطني سوف يجيء الصبح

أما زميله وزميلنا الأديب السعودي الكبير عبد الله بن خميس ، فقد عرفناه فوق
كتبه ودراساته الأدبية الجادة شاعراً يذكرنا بنفحات نجد. والحق أن فيه من صفاء
البادية وكرم طباعها شيئاً كثيراً.. وعلى الرغم من غزلياته في قصائده : حنين ،
نجل العيون ، وبلابل الروض ، ويا ليتني ، وغيرها مما نظمه في عهد الشباب الزاهرة ،
وضر الله أيامها ، فإن مقارعة الأيام علمته أن يطوى أحناءه على انتفاضة أمل كبير
في العروبة ، حيث يقول في ديوانه الرقيق : (على ربي اليامة) :

يقول تاريخنا : هل أنتم عرب وهل نتمكم إلى أذوائها مضر؟
وما علمنا بأن الغيب يرقبنا في موعد عنده البركان ينفجر
يأتى على البغي إربى في ضراوته فيستبيه ، ولا يبتى ولا يذر

أما زميلنا العضو العراقي العامل بجمع العراق الدكتور يوسف عز الدين فيمثل
الإنسان الطيب الصابر ، الذي تتألق البسمة على شفتيه وفي قلبه جرح عميق ..
وتمثل دواوينه وخاصة (في ضمير الزمن) و (لهاث الحياة) لوحة شعرية صادقة
من حياته ، أتمها بكتابه : (من رحلة الحياة) . وإذا كان شعره يعكس حبه العميق
للناس فإنه قد أكد هذا المعنى بقوله في مقدمة كتابه هذا : (أنا أحب الناس ، وما دخل
قلبي بغض لأحد منهم .. إني أحاول أن أعوض بحبي للناس وخدمتهم ما فقدته من
حنان المجتمع ، وبر الحياة . وما كرهت شيئاً في حياتي لأن الكراهية مرض يفتك
بالنفوس ...) .

وإذا كان لطابع الحزن والألم في شعر الدكتور يوسف عز الدين أسباب اجتماعية
ومعاشية ذكرها هو بصراحة حبيبة في دواوينه وكتبه، فإنه مع ذلك متفائل مملوء
بالأمل كما يقول في مقطوعته : حياتي^{٢٢} ، من ديوانه :^{٢٣} « لهاث الحياة » :
سَأَصْمُدُّ ، لَا تَلْدُوى أَخَاكَ حَوَادِثُ أَقْبَلُ آلامِي بِكُلِّ حَنَّانِ
وَأَمْسِحُ جِرْحِي بِاسْمِافِي سَعَادَةِ وَأَهْزَأُ مِنْ دَهْرِي وَصَرَفِ زَمَانِي

وكما اجتمع المهندس الشاعر علي محمود طه ، والطبيب الشاعر إبراهيم ناجي
منذ عقود من السنين على ساحة الشعر الرومانطيقى ، اجتمع الشاعر المهندس الدكتور
« إبراهيم الدمرداش » . والشاعر الطبيب الدكتور « حسن علي إبراهيم » اليوم في
مجمعنا على ساحة القريض التقليدى^{٢٤} المحافظ . ولا تزال مرأى الدكتور الدمرداش
للراجلين من زملائنا ترن في آذاننا . ومنها مراثيه للأساتذة الراحلين : زكى المهندس
وإبراهيم أنيس ، وعباس حسن ، ومحمد خلف الله ، وبدر الدين أبوغازى . كما
لا تزال نفعات من قصيدة الدكتور « حسن إبراهيم » في وقفته أمام قبر الرسول
صلى الله عليه وسلم ، وقصيدته الأخرى في الروح تهب علينا رقيقة ، فتحملنا إلى
عوالم من الإيمان والاطمئنان .

وإذا كان الحب هو الخيط الذى يجمع بين الحياة والشعراء جملةً ، فإننا لانجد
شاعراً واحداً من شعراء مجمعنا تخلى عن الحب^{٢٥} ، أو خلا ديوانه من أحرف الحب ،
حتى عند شيخنا « محمد الخضر حسين » الذى تجلت آيات حبه في مرثيته الحزينة
لزوجه التى اختارها الله إلى جواره عقب توليه مشيخة الأزهر... ولكن أوضح وأجهر
ما بدا « الحب » عند زميلنا وصديقنا الشاعر الدكتور محمد محمود الصياد في
ديوانه (ثم جاء الخريف) الذى صدر عن بيروت من عهد غير بعيد ويشيع الحب في
ديوان الصياد من أوله إلى آخره ، حتى كاد الكتاب يكون غزلاً كله ، إلا مرثية
واحدة لصديق ، وقصيدة بعنوان : فى قرىتي ، وهى صورة بارعة ناطقة للقوية
المصرية ، ومحاسن الطبيعة فيها . وأحاديث أهلها وأسماهم ، وصور الفتيان ،
والجهل فيهم .

وبأصدقته وهو يقول :

وقرية في صميم الريف هانئة من حولها عزبٌ شتّى وغيطان
سمراء هادئة الأركان تحسدها مدائن هي للضوضاء ميدان
فقيرة ليس فيها للغنى أثر لكن لها بكفاح القوم غنيان
دخلتها وشعاع الشمس ممتقع كأنه عاشق أحبابه بانوا ...

ويبدو لنا « الصياد » في ديوانه هذا مصراً على الحب ، عازماً على عدم التوبة
من الحب ؛ كما تكشف عن ذلك قصيدته : (لن أتوب) التي يقول فيها :

عُدوا على ما آثمى عُدوا أنا ما ارتويتُ من الهوى بعدُ
سأعيشُ أهل من منابعه حتى يضمّ رفاتي اللحد ...

وصدق الدكتور الصياد ما وعد ! فقد ظل ينهل من ينابيع الحب ، وظل يروينا
من أصغى منابعه ، إلى أن اختاره الله إليه ، وهو ما يزال ظمآن إلى الحب الواسع
العريض الذي لم يسعفه به غرور الحياة ... !

سادتي : بقي من شعراء المجمع أربعة ، رأينا من عدم الإنصاف للعلم والحق
الآن نلّم بهم ، ونحن على يقين أنهم عالجوا الشعر وأكثروا من نظمه ، بل كان لبعضهم
ديوان مطبوع ، ول بعضهم ديوان مخطوط. لم ير النور بعد . فقد كان عبد العزيز فهمي
باشاعرًا قادرًا متمكنًا من الشعر الجيد وله فيه ما ثورات . وديوانه مخطوط. جمعه
أحد مريديه ، ولكن عناية الله لم تدركه بالطبع . كما كان الشيخ حسين والى
معروفًا بالشعر الجزل الشديد الأسر ، واشتهر فوق ذلك بالشعر التاريخي ، وأل تاريخ
الشعري ، الذي كان يبنيه على التاريخين الهجري والميلادي ، فيلزمه التوفيق
في إصابة التاريخ ، مع إجادة التعبير ، وله فيه ديوان (عصا موسى) .

أما ثالث الأربعة فهو الأستاذ أنيس المقدسي ، وقد كان ينظم الشعر العربي الرصين ، والشعر المترجم عن الإنجليزية ، مع التزام الدقة وعدم البعد عن الأصل . وله ديوان لا يزال مخطوطاً .

أما رابع الأربعة فهو الأستاذ عيسى إسكندر المعلوف ، وكان ينظم الشعر ويتسلى به في كثير من الظروف ، وله فيه مداعبات ومطارحات ، ويكفيه يداً على الشعر العربي أنه والد الشعراء المهجريين الثلاثة : فوزي ، وشفيق ، ورياض . وله في رثاء (فوزي) المعروف بشاعر الطيارة ، قصيدة مطولة يقول فيها :

وقفنسا لفوزي كل ما كان عندنا من الأمل البسائي بمسعاه مجدنا
وقد نقض الدهر المروع عهدنا يقول خليلي : كيف صبرك بعدنا ؟
فقلت : وهل صبر فيسأل عن كيف ؟

بقي واحد من شعراء المجمع فاجأنا بالأمس بقصيدة رائية جميلة نظمها ، وألقاها علينا صباح الثلاثاء بمناسبة العيد الخمسيني للمجمع هو الزميل الدكتور إبراهيم السامرائي . وقد علق بحافظتي بيت من أبيات رائيته الرقيقة هو قوله :

أسلية الأمجاد معذرة أن قد تخلف عنى الشعر

وليسمح لي الصديق « السامرائي » اللغوي الشاعر ، أن أقول : إن الشعر ، لم يتخلف عنه ، ولم تفارقه الشاعرية منذ أن أبدعها الله فيه ... ولكنه هو الذي قصد - باختياره - أن يتخلف عن الشعر ويتركه انصرفاً منه إلى البحث اللغوي الذي عرفناه منه في دراساته اللغوية الجادة .

أما وقد جذبته يوبيل المجمع إلى خميلة الشعر فنحن ننتظر منه كل رائع وجميل .

واعل من باب « الشيء بالشيء يذكر » أن نستطرد فنقول : إنه عندما احتفل

في مدينة زحلة اللبنانية سنة ١٩٣٧ بإزاحة الستار عن تمثال فوزي المعلوف شاعر ملحمة « على بساط الرياح » ، حضر أخوه الشاعر شفيق معلوف صاحب ملحمة (عبقر)

من البرازيل نَحْصِيَّةً لهذه المناسبة ليشهد حفل إزاحة الستار عن تمثال أخيه ، ووجه الخطاب إلى تمثال شقيقته قائلاً من مقطوعة مؤثرة رقيقة :

فوزى ! ومالى فى الخطوب يدان ما هكذا الأخوان يلتقيان
قربتُ صدى للعنساقي ، فلم أقع إلا على حَجَرٍ من الصوان

وبعد : فيخجلني أن أقف هنا ، وفي نختام كلمتي مرتجلاً عن أخي وصديقي الشاعر الأردني الدكتور ناصر الدين الأسد ، وهو شاعر فحل ، ولكنى لسوء الحظ افتقدت شعره كله ، فلم يجمع كما أعلم في ديوان ، وقد سبق أن ألقى قصيدة في تونس منذ أعوام ، وكانت رائعة من روائعه ، وضاعت القصيدة . ولكنه هو لم يضع ؛ لأن مكانته عندي وعند أدباء العربية ونقادها لاتزال محفوظة ومذكورة .

وبعد : فهؤلاء هم شعرائنا معجم الخالدين بمصر ، على اختلاف مذاهبيهم في الشعر ، وفي الخيال والوجدان . والأداء ، والأسلوب .. وقد أربوا على الثلاثين شاعراً ، وأرجو ألا يكون أفلت مني شاعر مجمعي ، وإلا فإن ذلك غير مقصود ولا متعمد ، فإنما الأعمال بالنيات ، والعصمة لله وحده .

محمد عبد الفنى حسن
عضو المجمع



نحية لمجمع اللغة العربية ومحنة بعيد الذهبى للدكتور عبد السلام الطيب

مَضَى عَلَى مَجْمَعِ الضَّمَا دِ نِصْفِ قَرْنٍ فَحَيُّوا
خَمْسُونَ عَامًا تَصَرُّهُ نَ وَهُوَ بَعْدُ صَبِيُّ
يَقُولُ إِنِّي بَدَأْتُ أَلْمَ مَسِيرَ نِعَمِ الْمُضَى
إِنَّ التَّخَلْفَ عَارُ إِذَا الْعُقُولُ الْمَطَى
خَمْسُونَ عَامًا تَصَرُّهُ نَ سَيْرَهَا جُلْدِي (١)
أَحْيَا الْفَصِيحَةَ فِيهَا نَ جُهْدُهُ الْمَرْضَى
وَقَدْ أَطَّلَ عَلَى النَّيْبِ لَ عَيْدُهُ الذَّهَبِيُّ
وَوَغَابَ عَنْهُ رَجَالُ مَا الدَّمْعُ فِيهِمْ عَصِيُّ
وَلِلْمَنَآيَا سِهَامُ تَرْمِي وَنَحْنُ الرَّمِيُّ
كَانُوا نُجُومًا هُدَاةً إِذْ لَيْلُنَا نَابِغِيُّ
لَمَّا نَعَا لِي أُنَيْسًا كَمْ حَزَّ ذَاكَ النَّعِيُّ
هَمِي عَلَيْهِمْ سَحَابُ مِنْ رَحْمَةِ سَرْمَدِي (٢)

* * *

(*) ألقى القصيدة في الجلسة الخامسة من الاحتفال بالعيد الحسيني للمجمع

(١) الجلدِيُّ بضم الجيم وسكون اللام أى سيرة الشدي

(٢) الدكتور إبراهيم أنيس عضو المجمع رحمه الله .

بِالضَّمَادِ تَعْتَزُّ مِصْرُ^٤ وَشَعْبُهَا الْعَرَبِيُّ^٥
 وَلَنْ يَزَالَ لِابْنِ مِصْرٍ^٤ لِلضَّمَادِ حِزْبٌ وَفِي^٥
 وَلِلْجُنْدِيِّ رُكْنٌ^٤ فِي أَرْضِ مِصْرَ قَوِي^٥
 وَالنَّيْلُ مِنْ جَنَّةِ الْ^٤ خُلْدِ مَاوَهُ الْكَوْثَرِيُّ^٥

* * *

قَدْ هَيَّجَ الشُّعْرُ هَذَا الْ^٤ لِقَاءَهُ وَهُوَ حَرِي^٥
 إِذْ هَزَّ أَعْمَاقَ نَفْسِي^٤ مَجَالَهُ الْفِكْرِيُّ^٥
 وَالشُّعْرُ وَالْفِكْرُ صِنُوعَا^٤ نَ قَدْ قَضَى الطَّائِي^٥
 وَصَاحِبِي مِنْ بَنِي الْعِجْنِ^٤ نَ مُسْلِمٌ سِنِي^٥
 تَلَا بِحَرْفِ الْيَزِيدِ^٤ يَ مَارُوي الدُّورِيُّ^٥ (٤)
 وَالْأَرْبَعِينَ حَدِيثًا^٤ وَمَنْذَهُبٌ مَالِكِي^٥
 وَسَالِكٌ بِجُنَيْدِ^٤ وَعَقْدُهُ أَشْعَرِي^٥
 وَفِي السِّيَاسَةِ عِنْدِي^٤ طَرِيقُهُ مُرْجِي^٥
 وَقَدْ يُشَارِكُ فِي النَّقْـ^٤ دِ إِيَّاهُ تَحْلِيـ^٥
 وَلَمْ يَغِبْ عَنْهُ فِي النَّقْـ^٤ دِ مَنْذَهُبٌ بِنِي^٥ (٥)
 نِعْمَ الرَّئِيُّ وَمَا ذُمُّ^٤ مَ فِي الْقَرِيضِ الرَّئِيُّ^٥

* * *

(٣) الطائي هو أبو تمام وقال في الشعر واكنه صوب المقول ، وقال خذها ابنة الفكر .
 (٤) يحيى الزبيدي عن أبي عمر وابن العلاء أحد القراء السبعة والدوري أحد الرواة عن اليزيدي وأهل
 الك . وفي طريقة الجنييد السالك .
 (٥) ولك أن تقول « مذهب منيوي » .

تد أحسن ابن خميس
وعاد مذكور روح
أعان ذلك بيان
كما يقول ويشفي
وما لخل العلاء
وكم أفاد علوما
والمجمعون كل
وآخذ بسبيل
وفي ربوع المعالي

وبهجت الأثرى^(٦)
من الحماس فتى
كأس وقلب ذكى
بقوله مهدي
ي نجل هارون سى^(٧)
تحقيقه العلى
بحاثة ألمعى
بها يتم الرقى
لهم أثاث ورى

* * *

وابن خميس قوافي
ثم المعاني الرشيقا
يشهد لطف الحجازي
رقيقه حضرى
والشيخ من منبع الشع
جرحهم شجى
ت لفظهن سوى
أسره النجدي
وجزله بدوى
ر غارف وغذى

* * *

وبهجت أبهج القد
يُمده النفس الحر
ب نسجه الإشكرى^(٨)
ر وألف وأد الجرى

(٦) كان هذا أول بيت في القصيدة حركه في النفس سماع قصيدتي عضوى المجمع الأستاذ محمد بهجت الأثرى والأستاذ عبد الله بن خميس ثم توالى الأبيات .

(٧) خل العلاء إشارة إلى قول أبي العلاء في سقط الزند (أهدى السلام إلى عبد السلام الخ) والمراد الإشارة إلى اسم الأستاذ عبد السلام هرون أمين المجمع .

(٨) الإشكرى صاحب المعلقة وقصيدة الأثرى همزية من الخفيف .

قد اطمَسانتُ قوافيهِ - واتلابُ الرويُ
 أمالمعاني فقد شعُ - مع نُورهنَّ السنيُ
 فأعجبَ النَّاسَ صدقُ فيها وقصدُ جليُ
 وحبَّةٌ من مُجيدِ قصيدته مرويُ
 شيخُ جهيرٍ منيرُ - موققُ أريحيُ
 وما تشككي الثمانيدُ ن إذ شكَا المزيُّ (٩)
 فزاده اللهُ عمراً يزداً وهو هنيُ
 ما انفكَّ يعطى العطاءُ كثير وهو السخيُ

* * *

ومن أحميدُ الأعاري ض مضمُرُ رائبي (١٠)
 حياً به مجمع الضما د خاطرُ رافديُ
 شمناً به بارق الشعُ - ر لاح منه حبيُ
 فالسـامرائيُ وبلُ به وسيلُ آئي (١١)
 وفوق حزن المعاني روض وقطفُ جنبيُ

* * *

فقل لمن عنده الوزُ ن مذهبُ رجعيُ
 دَع المَحَاكَاةَ واعلم أن المَحَاكَاةَ عيُ
 وسينخها لو تأمدُ ت كلُّه أجنبىُ
 إن استجيدَ لدى القوُ - وم نازري
 هو الصديُّ ووزنُ ذا الشـ - طيرنـ المَحكي

(٩) المزي هو زهير بن أبي سلمى وقوله معروف .

(١٠) الأحمد المضممر مجزوء من بحر الكامل وبه جاءت قصيدة الدكتور إبراهيم السامرائي وقافيتها راء مضمومة .

(١١) السامرائي هنا بتخفيف الراء المراد الدكتور إبراهيم السامرائي عضو المجمع .

وَعَمَّقَهُ جَانِدِي	الْوَزْنَ شَيْءٌ أَصِيلٌ
هُ مُعْجِزًا يَا أُخِي (١٢)	وَالجَّاحِظُ الْفَحْلُ سَمًا
هُ قِيلَ تَفْعِيلِي	لَيْسَ كَشَيْءٍ مِمَّنَا
إِذِ الشَّبَابُ غَوَى	مَنْ قَبْلُ حَاوِلْنَاهُ
إِذِ الْجَدِيدُ شَهَى	نَعْدَهُ تَجْدِيدًا
تَوَفَّرَ جِدِّي	وَكَانَ مِنَّا عَلَيْهِ
تَبَانُ مِنْهُ الْخَفِي	ثُمَّ تَرَكَنَاهُ لِمَا اسْتَه
شِعْرُ الَّذِي هُوَ حَى	إِذْ لَمْ نَجِدْ فِيهِ رُوحَ الشَّ
فَرَاغَهُ الْفَنِّي	وَصَحَّ حَقًّا لَدَيْنَا
شِعْرُهُ الْبَهْرَجِي	وَرَبَّ قَوْمٍ طَبَاهُمُ
أَبَاهُ مِنَّا الْأَبِي	إِنَّا رَفَضْنَاهُ ؛ إِنَّا

* * *

وَأَقَى وَأَهْدَتْهُ مِي	هَاجَ الْفُؤَادَ خِيَالٌ
بِهَا وَشَرَّخِي طَمْرِي	حَسَنَاءُهَا مِ فُؤَادِي
هِيَ الْبَيَانُ النَّقِي	إِنَّ الْجِزَالَ عِنْدِي
هُوَ الْهُوَى الْعُنْدِي	وَحِبُّهَا فِي فُؤَادِي
كَ وَشَيْهَهَا الْعَبْقَرِي	فَحْيِيهَا حِينَ حَيَا

* * *

لِ إِنَّهُ لَغْنِي	عَبْدُ الْغَنِيِّ وَبِالْفَضْلِ
هُ الْحَكِيمُ الْعَلِي	أَشْهَادَ بِي فِجْزَاهُ اللَّـ
لَهُ الثَّنَاءُ الزَّكِي	خَيْرَ الْجِزَاءِ وَعِنْدِي
وَكَالِكُمْ بِي حَفِي	ثُمَّ السَّلَامُ عَلَيْكُمْ

الدكتور عبد الله الطيب
عضو المجمع من السودان

(١٢) قال هذا الجاحظ في أوائل كتاب الحيوان .

(١٣) هو الأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن عضو المجمع وألقى كلمة عن شعراء المجمع .

معجم القرن العشرين العربي

للكورعنان الخطيب

القرن ماض وانقضى معظمه فهل يرى كوعدهم ، معجمه ؟

تفاخرت اللغى كل بمعجمها ، فالفخر كل الفخر لأمها الضاد ، إذا لم يعرف العالم أمة كالعرب فاقوا سائر الأمم عناية بلغتهم ، وسعيا في جمعها وتدوينها وبحثا في مفرداتها وتعقبا للدلالة الحرف الواحد من حروفها بحسب موقعه من اللفظ الواحد .

يعترف بهذه الحقيقة المستعرب جون أ . هيوود كبير أساتذة الدراسات العربية في جامعة درهام الإنكليزية في كتابه « صناعة المعاجم في العربية » (١) أو إذا صح التعبير « معجمة اللغة عند العرب » إذا يقول « . . . وكان لدى العرب معجم شامل هو (لسان العرب) كانت دونه دقة وشمولا معاجم سائر اللغات قبل القرن التاسع عشر . » فكيف يكون الفخر بالمعجم العربي إذا ما أضفنا إلى اللسان : التهذيب والصحاح والمقاييس والأساس والقاموس وتاج العروس الذي كان من نتاج القرن الثامن عشر الميلادي .

هذا ما كان عليه المعجم العربي ، يوم هل القرن التاسع عشر ، غير أن معاجم لغات الغرب أخذت تواكب نهضته العلمية وحضارته المادية لتقى بمتطلبات النهضة والحضارة ، فماذا صنع العرب بمعجمتهم الموروث للحاق بمعاجم لغات الأمم المتمدنية ؟ لقد بدأ القرن التاسع عشر والعرب متوقعين على أنفسهم في ظل حكم يحاول اللحاق بموكب الحضارة الغربية ، يعثر خطواته التخلف المستشري في إدارته وطبقات شعوبه المتعددة ، حتى إذا ما غزا نابوليون مصر وقام فيها حكم محمد علي وأسرته ، وهجمت الإرساليات التبشيرية على بلاد الشام ، وأخذت تتنافس فيما بينها ، استفاد العرب من سبائهم وظهرت بوادر الصحوة فيهم مبشرة بوثبة معجمية رائعة . وما دخل القرن العشرون

(*) ألقى هذا البحث في الجلسة الثالثة من العيد الخمسين

(١) انظر Arabic Lexicography, JOHN A. HAYWOOD Leiden E. J Brill

إلا وآتت جهود العلماء ثمارها فظهرت المعاجم تترى ، وفي كل منها جهد يشكر عليه صاحبه ، وليس مقامنا مقام تعداد تلك المعجمات أو الحديث عن مزايا كل واحد منها وعيـوبه ، على أننا نستطيع الجزم بأنه لم يكن بينها المعجم العربي المنشود .

وتعدد علماء العربية المشتغلون بالمعجم العربي ، وتعددت المؤسسات التي تساهم في ذلك ، وكان في طليعتها مجمع اللغة العربية في مصر الذي نحتفل اليوم بعيدة الذهبي ، فإليه تزجى التهناني وعليه تعقد الآمال لتحقيق الوصول بمعجمه الوسيط إلى مصاف معاجم اللغات العالمية .

لقد وضع المجمع نصب عينيه ، منذ تأسيسه هدفا ، عمل جاهدا لتحقيقه هو تجديد المعجم العربي ، فلما كانت سنة ١٩٦٠ صدرت عنه الطبعة الأولى من المعجم الوسيط وقد تهيأ له ما لم يتهيأ لغيره من وسائل التجديد ، واجتمع فيه ما لم يجتمع في غيره من خصائص ومزايا (على حد قوله في المقدمة) ولكنه في الحقيقة لم يكن المعجم المنشود وإنما كان خطوة هامة باتجاهه إذ ظهرت فيه أخطاء وعيوب عديدة ، حملت المجمع على إصلاحها أو تجنبها ما استطاع خلال عشر سنوات أو تزيد ، فلما كانت سنة ١٩٧٢ ظهرت الطبعة الثانية من الوسيط بعد أن أعادت لجنة المجمع قراءة الطبعة الأولى من المعجم مادة مادة مرددة فيها نظرات فحص وتمحيص ، فتتبعت ما ترك المعجم من بعض الألفاظ أو فروع المعاني لتزوده منها بما يسوغ ، وبحرت في مراجعة الشروح والتفسيرات أن تجعل عباراتها أيسر منالا وأقرب إلى دقة وإحكام . . . وأضافت إلى المعجم طائفة كبيرة من أمهات المصطلحات العلمية وألفاظ الحضارة التي أقرها المجمع كما تقول اللجنة الجمعية .

وكان المعجم الوسيط في طبعته الثانية خطوة جديدة عظيمة نحو المعجم المنشود ، ولكنه لم يكن إياه .

أنا لا أريد تعداد عيوب الطبعة الثانية من الوسيط التي حالت دون أن يكون المعجم المبتغى ، غير أنني أحب وضع معالم في الطريق إليه ، وحسبي أن أذكر مثلا واحدا ثم أبين ما أرى ضرورة الالتزام به لتثمر الجهود المبذولة في إعداد الطبعة الثالثة المثمرة الطيبة المرجوة .

سبق أن حاولت بعد صدور الطبعة الأولى من المعجم الوسيط إبداء بعض الآراء فيها وبثت تلك الآراء في كتابين طبع أحدهما في دمشق^(١) والآخر في القاهرة^(٢) وهاكم قصة رأى منها :

للحنف في العربية معان كثيرة رددتها كل المعجمات، وعلماء اللغة مختلفون على المعنى الأصيل للحنف، ويمكن القول بأن آراهم المتضاربة تندرج في ثلاث زمر هي :

أولا : يقول عدد كبير من علماء اللغة بأن المعنى الأصيل للحنف : الميل والاعوجاج والحنيف من مال عن الضلالة فترك الشرك إلى التوحيد ، ومن القائلين بهذا ابن فارس وابن سيده والزحشري والفيومي .

ثانيا : تقول طائفة من العلماء بأن لفظة الحنف من الأضداد فهي تعني الاعوجاج والميل تارة ، وتعني الاستقامة تارة أخرى وفي طليعة القائلين بهذا الرأي الفيروز ابادي وأخذ بهذا الرأي معددا معجم ألفاظ القرآن الكريم الذي صنعه مجمع اللغة العربية بمصر ، فقال : حنف : مال ، ولما لم يجد في ألفاظ القرآن الكريم إلا معنى واحداً قال : والحنيف : الخالص الذي أسلم لأمر الله فلم يلتو في شيء من دينه .

ثالثا : هناك من يقول بأن المعنى الأصيل للحنف : الاستقامة ، وأثبت هذا الرأي صاحب اللسان فقال : قال ابن عرفة في قوله عز وجل (بل ملة إبراهيم حنيفا) قد قيل إن الحنف : الاستقامة وإنما قيل للمائل الرجل أحنف ، تفاؤلا بالاستقامة ، وقال أبو زيد : الحنيف : المستقيم وأنشد :

تعلم أن سيهديكم إلينا طريق لايجور بكم حنيف

وعلق صاحب التاج على قول ابن عرفة قائلا : قلت وهو معنى صحيح وكان المعجم الوسيط في طبعته الأولى قد أخذ بالرأى الأول مثبتا في مستهل تعريفه للحنف أشد حالات الاعوجاج فقال : « حنف الرجل حنفا : اعوجت قدمه فصار ظهرها بطنها حلقة » وكنت فصلت الكلام عن كل هذا في نقدي للطبعة الأولى من الوسيط فلما صدرت الطبعة الثانية ظل الاعتماد فيها على الرأى الأول غير أنها تطلقت في وصف الحنف فقالت : حنف الرجل : اعوجت قدمه إلى الداخل ، مبقية في التعريف قول أبي البقاء في الكليات (وهو من علماء القرن السابع عشر الميلادي) إذ قال : إذا

(١) المعجم العربي ونظرات في المعجم الوسيط من مطبوعات المجمع العلمي العربي دمشق ١٩٦٥ .

(٢) المعجم العربي بين الماضي والحاضر من مطبوعات معهد البحوث والدراسات العربية .

ذكر الحنيف مع المسلم فهو الحاج ، كقوله تعالى : «ولكن كان حنيفا مسلما» . ولم
ذكر وحده فهو المسلم كقوله تعالى :

« فأقم وجهك للدين حنيفا » فهل ما ذكره أبو البقاء من المعانى الأصيلة لمادة لغوية ؟
لأنه بأقوال المفسرين أشبه

سقت قصة مادة (حنف) فى طبعى المعجم الوسيط لأقول : إن المعجم العربى
ليكون معجم القرن العشرين لا بد له من مبادئ يلتزم بها وأساليب يتبعها، وسأحاول
تعداد أهمها فيما يلى :

أولا : الانتقاء ، فليس كل ماورد فى المعجمات القديمة ، يصلح للحشر فى معجم
القرن العشرين ، كما هى الخطوة المتبعة فى المعجم الكبير ، ويجب أن يلاحظ
عند الانتقاء وضوح المعنى وأصالته ، وسهولة الألفاظ وأنسبها ، لتواكب لغة
المعجم مسيرة الحياة الحضارية المعاصرة ، يستبعد منها الحوشى والغريب ، وتسقط
الأساطير والأقوال الضعيفة التى تناقشتها بعض المعاجم وتحذف التعريفات المنافية
للعلم المحقق .

ثانيا : الالتزام بمقررات مجمع اللغة العربية المتعلقة ببناء المعجم العربى ، وفى
طليعتها قراره إكمال المادة اللغوية إذا لم يرد بعض مشتقاتها فى المعجمات القديمة ،
مادام يجرى على سنن العربية وقواعدها الأصيلة وكانت الحياة المعاصرة بحاجة إليه .

ثالثا : الامتناع عن إثبات أى كلمة فى المعجم إذا لم تكن عربية النجار إلا إذا
ألحقت برمز ينبىء عن صفتها ، معربة كانت أو دخلية ، مولدة أو محدثة ، عامية فصيحجة
أو غير فصيحجة ، أو كانت من مصطلحات العلوم والفنون والحضارة ، أقرها المجمع
أو هو فى سبيله إلى إقرارها .

رابعا : إلحاق كل لفظة تدل على بعد أو وزن أو كليل ، أو كان لها ذلك ، بما يفيد
معادل قيمتها المستعمل فى العصر الحديث ، فلا يقبل من معجم حديث أن يعرف بردى
مثلا : بأنه نهر دمشق الأعظم يخرج من قرية الزبستانى على خمسة فراسخ من دمشق مما يلى
بعلبك ، ثم يعرف النيل بأنه نهر مصر والسودان .

خامسا : الالتزام بالتماثل في التعريف بالعدلاء ؛ ففي السماء مثلا اثنا عشر برجاً ، ومن المنتقد أن يجد امراً في معجم حديث تفاوتاً في التعريف بها فيجد :

الأسد : أحد بروج السماء .

الجدى : برج في السماء بجوار الدلو .

الدلو : برج من بروج السماء .

القوس : برج في السماء هو تاسع البروج .

أما الميزان فقد سما المعجم الوسيط عن ذكره في طبيعته .

وفي السنة اثنا عشر شهراً ، ومن غير مقبول اليوم أن لا يجد المرء تعريفاتها متفاوتة فحسب بل يرى مع التفاوت ميلاً عن الصحة أو بعداً عن الدقة منقولاً من معجمات قديمة ، لم يدقق أصحابها فيما نقلوه عن غيرهم ، فيجد مثلاً :

الكانون : ج (كوانين) وكانون الأول : (ديسمبر) ، وكانون الثاني (يناير)
شهران في قلب الشتاء بين تشرين الثاني وشباط ، ولا شهر بينهما ، ويسميهما العرب :
شهرى قحاح .

آذار : الشهر السادس من الشهور السريانية يقابله مارس من الشهور الرومية .

نيسان : الشهر السابع من شهور السنة السريانية يقابله إبريل ، وهو الشهر الرابع من شهور السنة الرومية (الميلادية) ، ونيسان في الحقيقة هو الشهر الرابع من شهور السنة الشمسية ، عرفه البابليون باسم نيسانو NISANU وعرفه العبرانيون القدماء باسم نيس NIS وعرفه السريانيون باسم نيسون NEESON ودخل الضاد معرباً باللفظة نيسان فقال البحترى
مثلاً :

فكأن دينا للسماء على الثرى سلفاً قديماً - حال في نيسان

وقديماً قال عدى بن الرقاع يصف عيرا وأتتا رعين البقل في إبانه ثم نضبت المياه حتى تعذرت : (علمهن في نيسان باقية الشرب) .

فنيسان رابع أشهر السنة لا سابعها ، ولفظه معرب قديماً وليس كإبريل دخيلاً على العربية من قرن مضى ، وقد أثبت المعجم الوسيط في طبعته الثانية تعريفه المذكور آنفاً دون أن يشير إلى حقيقة لفظه كما فعل في تعريف شهر (ديسمبر) إذ أشار إلى أن لفظه من الدخيل .

هذا والمشرف على طباعة معجم في القرن العشرين ، غدا يتمتع بجميع مزايا التقدم التقني الحديث في وسائل الطباعة المعاصرة ، فالطباعة بوساطة آلات الصنف التصويري وبإشراف الحاسب الآلي الإلكتروني توفر جهود الأفراد في الصنف والشكل ومعرفة الخطأ وسهولة استيعاده قبل الطباعة .

إن الحاسب الإلكتروني بقدرته التنبيه على أمور كثيرة يجب المسئولون عن المعجم الحديث أن لا يراها الناس فيه ، فتراهم يبادرون إلى منع ظهورها في معجم . فهو يستطيع تحديد المواد التي وردت فيها كلمات ، تسمح القواعد المقبولة برسمها في صورتين لتوحيد هذا الرسم في المعجم ، مثل الأعداد المركبة مع لفظ مئة ، وداوود ، وأوكسجين . ويستطيع الحاسب الإلكتروني أيضا تحديد المواد التي وردت فيها كلمات مثل أوروبا مرسومة بصيغة تنتهي بالألف مع تحديد المواد التي وردت فيها الكلمة نفسها منتهية بالتاء المربوطة ، ومع هذا التحديد يتمكن المسئول من اختيار أحد الرسمين .

غير أن الحاسب المذكور ، إذا كشف عن أن كلمة سورية وردت في إحدى مواد المعجم برسم ينتهي بالألف ، يعجز عن التنبيه على أن سورية لا تحب أن ترى اسمها ، لأسباب تاريخية ، مرسوما بالألف لأن القانون فيها يلزم أطفال المدارس بكتابة اسم سورية بالتاء المربوطة ويفرض على موظفي الحكومة أن لا يكتبوا اسم الدولة إلا بالرسم الذي المرغوب لها .

كما أن الحاسب الإلكتروني لا يستطيع تخير الرسوم والصور الجيدة التي تمثل الشيء المراد إيضاح تعريفه ، كما لا يستطيع تلقائيا أن يدون تحت الرسم نسبته إلى الحقيقة كبراً أو صغراً ، كما هي سمة المعجمات الحديثة ، إنما يمنع ذلك كله مهندس أو خبير .

إن معجم القرن العشرين اللغوي ، لا يضعه اللغويون فحسب ، إنما يصنعه العلماء في اللغة والمتخصصون في علوم كثيرة أخرى ، متعاونين مع أفراد يتقن الواحد منهم ضرباً من الفن الذي لا بد منه لإخراج معجم يرضى أساطين اللغة وغيرهم من العلماء ، ويعجب الطلاب وسائر القراء .

إن معجم القرن العشرين لا يصنعه بالعربية ، إلا رجال يؤمنون بالفصحى ويحبونها ، يدافعون عن سلامتها ويسهرون الليالي في خدمتها ، وكلمة صنع الضمادية تتضمن معنى لا نظير له في كلمة تقابلها في لغات سائر الأمم ، إنها تتضمن « العمل بإجادة وإتقان ، عن ترتيب وإحكام لما تقدم العلم به ، ليوصل إلى غاية مراده منه » .

« على ما جاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم »

الدكتور عدنان الخطيب

عضو المجمع من سورية

ذكريات جميلة عن عمل مع نخالدين برؤساء عبد الله كنون

كان

للإعلان عن إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة أو مجمع الملك فؤاد الأول كما سمي بادئ بدء في العام الثاني من العقد الرابع لهذا القرن ، صدى استسحان وابتهاج في جميع الأقطار العربية ، لما يحس به جميع المثقفين العرب من حاجة اللغة إلى تطور وتجديد لمسايرة العصر والنهضة العلمية الحديثة . وتشرفت كما تشرف غيرى لأعمال هذا المجمع . ونحن على يقين بأن مصر ، ومالها من قدرات مادية ومعنوية وما تزخر به من أدمغة علمية وأدبية ، ستنفخ في لغتنا الضادية روحاً جديدة وتبعثها من مرقدتها الذي نامت فيه حقبا طويلة ، وكانت المواصلات المتقطعة في أغلب الأحيان تحول بيننا وبين الاطلاع على ما يصدر عن المجمع من إنتاج ، وإنما نتسقط أخباره على قلة من بعض الصحف والمجلات الأسبوعية التي لا تشفى غليلاً من فكرة ولا ثقافة ، بل إنها ربما تندرت به وبرجاله ، وهي التي روجت لمصطلح «الشاطر والمشطور وبينهما كامخ» زعماً بأن المجمع وضعه لما يسمى بالساندويش ، وكنت كثير الحرص على مجلة المجمع التي لا تعرفها شركات التوزيع ، أتطلبها بكل الوسائل ، كما أفعل في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ، ولا أحصل على هذه ولا على تلك إلا بمشقة ، وليس دائماً ، في حين أن مجلة المقتطف التي تتولى توزيعها الشركات المختصة ، قلما تفوتني ، وكانت هذه المجلات الثلاث هي التي تشبع نهى العلمى .

واتصلت مباشرة بالمجمع لأول مرة في سنة 1975 حين كنت في زيارة لمصر ، وحضرت جلسة علنية له ، تكلم فيها الدكتور منصور فهمى الأمين العام للمجمع ، كما تكلم الأستاذ شفيق غربال ، وحضرها ممن عرفت مفتى القدس الحاج

أمين الحسيني وهو الذي اصطحبنى معه إلى المجمع ، وقبل انعقاد هذه الجلسة طرحت سؤالاً على بعض من تحلقنا معهم في قاعة الانتظار عن كلمة (المطبات) وكنت سمعتها كثيراً أثناء الكلام عن السفر بالطائرة ، ولا حظت أن الناس في المشرق يغاب عليهم أن يقولوا منى بضم الميم في اسم هذه القرية من مشاعر الحج ، والمعروف فيه الكسر ، فأنشد ساحة المفتى البيت المشهور :

منى إن تكن حقاً تكن أحسن المنى وإلا فقد عشنا بها زمناً رغداً

لكنه أكد أن اسم القرية هو منى بكسر أوله وأن ما يجرى على ألسنة بعض الناس إنما هو من التعلل بالمنى والتشابه بين اللفظين . وكان اعتذاراً لطيفاً من سماحته لهؤلاء الناس . وذلك مما استفدته بالقرب من أخلاق المجمعين ، وأنا في ذلك الحين أشرف بعضوية المجمع العلمي العربي بدمشق ، إذ التحقت به سنة 1956 بقرار من الرئيس شكرى القوتلى ، وقد عرّجت على دمشق قبل وصولي إلى القاهرة ، عائداً من الحج أنا ورفاقى في الوفد الرسمى ، فزرنا المجمع في بنايته الأثرية ، ورئيسه يومئذ الأستاذ خليل مردم بك ، فاحتفل بنا وتعرفنا ببعض أعضائه وأمينه العام وقتئذ وهو الأمير جعفر الحسينى وكان الأستاذ مردم يحقق ديوان ابن الخياط على عدة نسخ ، منها نسخة مغربية الخط ، فسأل عن بعض الكلمات التى ترددت فى قراءتها ، وأخبرته أن عندنا فى المغرب نسخة جيدة منه فطلب إتخافه بها ، وهى من خزانة السيد اليزيد بن صالح باشاتطوان سابقاً ، فأرسلت إليه صورة منها ، وقد قال فى مقدمة الديوان عند نشره إنها أقدم النسخ التى عثر عليها تاريخياً وأقلها أخطاءً .

وهكذا كتبلى فى هذه الرحلة الاحتكاك بالمجمعيين فى مصر والشام ومخاطبتهم عن قرب ، بعد أن كانت صلتى بهم عن طريق المراسلة ، وخاصة الزملاء السوريين وأولهم الرئيس محمد كرد على الذى كاتبته ببعض الملاحظات على ما قرأته فى المجلة ورد على طالباً مواصلة الكتابة إليه وأهدانى نسخة من كتابه كنوز الأجداد فور صدوره .

وفى سنة 1961 أشعرت بانتخابى عضواً عاملاً فى مجمع اللغة العربية بالقاهرة ،

غير طالب ولا سعى ولا تشوف - علم الله - لأنني لم أكن هناك عند نفسي ، فأحري عند غيري ، والناقد بصير كما يقولون ، وقد كان الأمر كذلك في عضوية مجمع دمشق ، فالقضية إذن إنما هي قسمة وحظ. ونصيب ! . . . وكيفما كان الحال فالأمر جد ويجب أن يُعطى ما يستحقه من الأهمية ، ومجمع القاهرة له مؤتمر سنوي يحضره الأعضاء العاملون للمشاركة بالرأى والمناقشة فيما أنجزه من أعمال طول السنة وتقديم ما يكون لهم من أبحاث لغوية وأدبية ، إضافة إلى تمتين الروابط بين الأعضاء الوافدين من الأقطار العربية وإخوانهم المصريين ، وهى روابط تمثل وحدة اللغة والفكر والثقافة ، لا سيما وقد عُيِّن معي في تلك السنة عشرة أعضاء من مختلف البلاد العربية ، وهم الأساتذة : أحمد عقبات ، إسحاق الحسيني ، أنيس المقدسي ، عبد الله الطيب ، علي الفقيه حسن ، عمر فروخ ، قدرى حافظ طوقان ، محمد البشير الإبراهيمي ، محمد بهجة الأثري ، محمد الفاضل ابن عاشور .

كان استقبال هذا الفوج الجديد من الأعضاء جماعياً ، قام به الدكتور إبراهيم مذكور وهو يومئذ الأمين العام للمجمع ، ورد عليه باسم بقية الأعضاء الشيخ البشير الإبراهيمي . واشتملت كلمة الدكتور مذكور على التعريف بمهمة المجمع ووضع اللغة العربية في الحاضر وما يؤمل أن تكون عليه في المستقبل وقال عن الأعضاء الجدد « إنهم بين أديب ولغوي وفقيه وقانوني وعالم ومؤرخ وصحفي وسياسي ، في غنى عن التعريف ولا سبيل لأن أوفيهم حقهم » ولكنه قدم كل واحد منهم بكلمة موجزة تبين تخصصه واهتماماته ، وكان ذلك في المؤتمر السنوي للمجمع . وفيه ابتداءً عملنا في المجمع ومشاركة كل بما تهيأ له من بحث لغوي أو أدبي أو تاريخي ، مع الإسهام في مناقشة ما يعرض من أبحاث ومصطلحات وقرارات يقدمها مجلس المجمع أو أعضاؤه ، وكان إسهامي الأول ببحث لغوي يحمل عنوان : « لِمَا بِهِ وَأَلْفَاظُ أُخْرَى . . . » وقد نوقش هذا البحث ووقع التنويه به ، وتلقيتُ بعد ذلك ولادة طويلة من غير واحد من الزملاء شواهد تؤيد ما قلته في تعبير « لما به » وكلمة الوسطة من الألفاظ التي ذكرتها معه .

ومن أحسن ما أرويه في هذا الصدد أنه وقعت المذاكرة فيما عُرض على مؤتمر المجمع من اقتراح يقضى بتخصيص موضوع واحد للأبحاث التي يقدمها الأعضاء للمؤتمر ، فكان هناك مُساندون للاقتراح ومعارضون ، وكان الأستاذ عباس محمود العقاد من المعارضين قائلًا إن في ذلك تقييدا لحرية الأعضاء وتضييقاً عليهم في مجالات البحث الواسعة ، وضرب المثل ببحثي المتعلق بتعبير «لما به» وشرحه الذي لولا ترك الباب مفتوحاً في وجه الأعضاء لطرُق ما يعين لهم لما ظفرتنا به .

وكان الأستاذ العقاد إنما يحضر بعد افتتاح الجلسات ، ويتابع بعض فقرات جدول الأعمال ويناقش ما يستدعي المناقشة بعمق ، وخصوصاً المصطلحات العلمية ثم ينصرف قبل اختتام الجلسة . كما أنه لا يحضر الاستقبالات والمآدب والرحلات التي ينظمها المجمع . وبعكس ذلك الرئيس الدكتور طه حسين فإنه كان يحضر الجلسات من الأول ويفتتحها هو على ما كان به من مرض مُزمن ، ويدخل قاعة الاجتماع محمُولاً تقريباً ، ومعه زوجه التي تمسح على رأسه وتُصالح هُندامه . وهو يبتسم ، ويتتبع سير العمل ولكنه لا يقول شيئاً ، إلا إذا مرّت كلمة أو ذكر نص مما يمتُّ لألفاظ القرآن بصلة ، فإنه يذكر الآية التي وردت فيها تلك الكلمة ، أو تُشاكل النص باللفظ ، وإن لم تكن شاهداً على ما يجري الكلام فيه .

وهكذا كانت آى القرآن الكريم على طرف الشمام منه . يقرأها وكأنه ينظر في مصحف ، وهكذا كانت رئاسته فيما أدركناه تشريفية فقط ، أما تسيير الجلسة وما تتطلبه الرئاسة فكان من شأن الأمين العام الدكتور إبراهيم مدكور . على أنه بعد اشتداد مرضه صار يتخلف عن الحضور كثيراً وينوب عنه في رئاسة الجلسات خليفته الأستاذ زكى المهندس .

وعلى ذكر جدول الأعمال نُشير إلى أنه يكون ذا جوانب مُتأكل واحداً منها يستشير فريقاً من الأعضاء ذوي الاختصاصات المختلفة ، فقوائم المصطلحات تهم أهل العلم من جهة وأهل العربية من جهة أخرى . وألفاظ الحضارة ولغة الصحافة تعنى الجميع . وكان يعنى بجمعها وتقديمها الأستاذ محمود تيمور . ومذكرات

لجنة الأُصول والألفاظ والأساليب تحظى بدراسة حادة من علماء العربية . ومواد المعجم الكبير تستقطب أهل اللغة والأدب والعلوم واللغات السامية والمؤرخين وسواهم ثم البحوث التي يُلقبها أصحابها في أبواب المعرفة المتنوعة ، وهي بحسب موضوعاتها تَكُون محطَّ عناية العالمين بتلك الموضوعات .

وتحتدم معارك المناقشة في هذه المجالات ، ففي المصطلحات العلمية الجديدة التي يضعها المجمع بمعرفة اللجان المختصة رُبما حُور مصطلح أو أُختر لإعادة النظر فيه أو استُبدل بغيره مما يقترحه أحد الأعضاء وتكون المناقشة فيها بين أهل الاختصاص وعلماء العربية ، أولئك في تحديد معناها بالضبط وهؤلاء في موافقة صياغتها للقواعد وهذا مع العلم بأن المجمع يُرسل قوائم هذه المصطلحات إلى الأعضاء العاملين بالبلاد العربية للاطلاع عليها وإبداء نظرهم فيها قبل عرضها على المؤتمر لإقرارها ، ولذلك تكون المناقشة فيها خفيفة . وكذلك تُناقش الألفاظ الحضرية والصحفية ويُقر منها ما يُقر ويُستبعد ما يستبعد . ولكن المناقشة تحتد كثيرا وتطول في قرارات لجنة الأُصول ولجنة الألفاظ والأساليب ، ويقف علماء العربية منها مواقف متحفظة ولا يسلمون منها إلا القليل . وكان للمرحوم الشيخ محمد علي النجار في هذا الصدد مصادمات مع غير واحد من الأعضاء المتساهلين الذين يصفونهم بالتزمت والتشديد وخلفه في ذلك المرحوم الأستاذ عباس حسن ، بل إن هذا كان أكثر تصديا وتعرضا لكل مخالفة للقواعد والأصول يواجهها بالنص والدليل الحاضر ولا يدعها تمر بوجه من الوجوه وكان يحمل دفترا صغيرا في جيبه يتضمن نصوصا وشواهد من مختلف الكتب الأمهات والمتون المستعملة والشروح والحواشي في عبارات وجيزة مع الإشارة للمصدر بالاسم والصفحة والطبعة ، فلا يفتأ يرجع إليه ويستظهر به . ويتضايق بعض الأعضاء من استقصائه ، وتُحاول الرئاسة أن تُقلل الموضوع ، ولكنه يمضي لطيبته لا يلوى على شيء حتى يتم (مُرافعته) مستمنحا حِلْم المتضايقين . . ولا يختص هذان العضوان بالمنافحة القوية عن العربية وسلامتها لحد الغضب والتشنج كما رأينا ، فهناك آخرون من مصر كالأستاذ الشاعر محمد عبد الغنى حسن والأستاذ

محمد بهجة الأثرى من العراق ، والدكتور ، عمر فروخ من لبنان وغيرهم . والقضية قضية اتجاهين ، اتجاه محافظ واتجاه مجدد ، والكل يريد الخير للغة العربية ويعمل على تقدمها وازدهارها . وقد يقع هذا التعارض بين رجال من أهل العلم التجريبي ويصل إلى المهاجمة ، فلا أزال أذكر كيف وقف الدكتور عبد الحكيم منتصر ، وهو عالم نباتي كبير في وجه الدكتور محمد كامل حسين ، وهو طبيب وأديب وكان يتكلم على تطوير العربية والتحليل من (الأشمونيات^١) والكتب الصفراء فرد عليه الدكتور منتصر في ثورة عارمة وقال له إن الأشمونيات والكتب الصفراء هي التي حفظت لنا لغتنا وصانتها من العجمة ، وأنت نفسك إذا أردت تحقيق مسألة من لطف لا بد أن ترجع إلى الكتب الصفراء وأشمونيات الطب ! ولا ننسى أن الدكتور كامل حسين هو صاحب كتاب النحو المعقول . . .

وللدكتور محمد أحمد سليمان وهو طبيب أيضاً مواقف من هذا القبيل ، فليس الأمر مقصوراً على علماء العربية ، بل أي اتجاه المحافظة ، ولا خلافه مختصاً بأهل العلم العام ، فمن أنصار التجديد الدكتور مهدي علام الأمين العام الحالي للجمعية وهو دكتور أدب وفلسفة ، ومنهم الأستاذ محمد شوقي أمين وهو أستاذ لغة ونحو ، وكثير من الأعضاء ينهجون نهج التوسط وعلى رأسهم الدكتور إبراهيم مدكور . وإذا كان لي أن أحشر نفسي في هذا المقام غاياً أميلاً إلى التجديد ولكن في حدود أريد كل ما يثرى اللغة ويوسع دلالاتها ، وأفضل أن يكون عمل المجمع منصبا على سد الفراغ وكفاية الحاجة في كثير من أسماء المواد والآلات والمستحدثات العمرانية والحضارية والعلمية ، وما أكرهه وأكون محافظاً فيه كان المحافظة هو الهدم والتجاوز للأصول والقواعد المحررة بدعوى التسهيل والتيسير ، فكم أسفنت لإلغاء حكم المنوع من الصرف مثلاً ، وهو حكم مبني على قياس صحيح واستقرار تام ، وإن كنتُ أحمدُ الله على أن أحداً لم يأخذ بهذا (التجديد) أو التسهيل . وما زالت الأسماء المنوعة من الصرف والعِلل الموجهة لمنعها محترمة من الجميع . وأعتقد أن كل ما كان من هذا القبيل مبني على نظر سديد وتعليل معقول سيبقى بمنجى من التعديل والتحويل .

ويُتصل بهذا الموضوع أن الرئيس الدكتور إبراهيم مذكور طلب مني ذات يوم أن أراس جلسة المجمع ، وكان جدول الأعمال يشتمل على مذكرة للجنة الألفاظ والأساليب ، فقال لي أحمد الزملاء إن الرئيس كلفك برئاسة الجلسة حتى لا تُناقش ، فقلت له ليست هذه أول مرة أراس فيها الجلسة وأناقش ... وعند عرض مواد الجدول جاءت المذكرة المشار إليها وكان فيها توجيه ما جرى به العمل وخاصة في الشرق من حذف كلمة ابن بين الأسماء المتعددة المستعملة علماً للشخص الواحد مثل أحمد محمد عبد الله وأصله أحمد بن محمد بن عبد الله ، وقد صححت المذكرة هذا الاستعمال وأعربته بعدة وجوه منها جراسم الثاني بالإضافة إلى الأول ورفع الثالث أو على الأصح إتباعه للأول . فاستأذنت الرئيس في المناقشة بحكم أن رئاستي بالنيابة وقلت إن هذا الإعراب لا يصح لأن فيه الإتيان بعد القطع وهو لا يجوز ، فوافق الرئيس والمجلس وألغى هذا الإعراب . وهذا مما يظهر توسط الدكتور مذكور بين التجديد والمحافظة .

والمعجم الكبير الذي يُعد من أهم أعمال المجمع ، هو أيضاً مما تتوجه إليه عناية الأعضاء على اختلاف اختصاصاتهم ، فبعد ما تنكب اللجنة المحضرة لمادته وتبذل جهودها طوال السنة في إعداد مسودة قد تزيد أحياناً على مئة وخمسين صفحة تُرسل إلى الأعضاء العاملين خارج مصر للنظر فيها والملاحظة عليها ، وتطرح هذه المسودة على المؤتمر للمناقشة ، فيتدخل خبراء اللغات السامية وغيرها للتأصيل ، وخبراء اللغة العربية للتصحيح ، وخبراء التاريخ والجغرافية والأدب والعلم ، فيدلي كل بدوره ، وتُدافع اللجنة المحضرة عن رأيها إذا كانت هناك انتقادات . . وقد يُستغنى عن بعض المعلومات أو الشروح التي يرى أنه لا حاجة إليها أو ليست مما تتضمنه المعاجم والكتب ممن يساهم في تحرير هذا المعجم ببعض التحقيقات اللغوية وإضافة ما يراه ضرورياً من المعلومات المتعلقة بتاريخ المغرب الكبير والأندلس وتراجم أعلام من الشرق والمغرب وغير ذلك ، فيؤخذ ذلك بعين الاعتبار في غالب الأحيان وحباً رملاً في صرح هذا المشروع الكبير هي من التعاون الذي لا تتحقق الأمور العظيمة إلا به .

وبالمناسبة أذكرُ أني كنتُ حريصاً على وضع المعجم الوجيز ، أثناء الاشتغال بالمعجم الوسيط وبعد صدوره . وأثناء الاشتغال بالمعجم الكبير ، وكنتُ أطلب التعجيل به ولا سيما في الجلسة الختامية للمؤتمر ، ليوضع بأيدي الطلبة والصحفيين وناشئة الأدب ، عسى أن يكتفوا به عن بعض المعاجم المدخولة التي ملأت الساحة . وقد صدر والحمد لله ، وأتمنى لو أُعطي امتياز له لبعض دور النشر الكبيرة بعد مراجعته لإخراجه في طبعة فاخرة وتوزيعه على أوسع نطاق في البلاد العربية ليكون بمتناول جميع الراغبين .

وتحتلُّ البحوث اللغوية ، محل الصدارة في الأعمال اليومية للمؤتمر بحيث يكاد لا يخلو يوم من إلقاء بحث أو بحثين ، إما ابتداءً أو بعد عرض قوائم المصطلحات ولا يكتب كل الأعضاء أبحاثاً بل إن منهم من لم يكتب بحثاً أصلاً وخصوصاً القدامى منهم ، ويتشرف الجميع إلى سماع بعض المتكلمين من ذوي الاختصاصات المتنوعة ، أو المعروفين بالإجادة فيما يتناولونه من الموضوعات ، ومن حسن المعاملة التي نلقاها نحن الضيوف من إخواننا المصريين في المجمع أنه إذا كان هناك متكلمان مصري وعربي وافد، يقدم الوافد على المصري في الكلام ، وهو أدب رفيع لم أره في غير مجمع اللغة العربية بالقاهرة . وتَعقُب المناقشة أو التعاليق كل بحث . وتُحال بعض الأبحاث على اللجان المختصة ، وتحظى بعضها بالإطراء لما تتسم به من الجودة والعمق . ويضيق المقام حتى عن إعطاء الأمثلة فهي كثيرة ، فضلاً عما في ذلك من الحرج .. ولكني أذكر فيما يخصني أني قلما حضرت مؤتمراً للمجمع ولم أقدم بحثاً . وأبحاثي التي قدمتها تتراوح بين موضوعات اللغة والنحو والأدب والتراجم . وبالإضافة إلى بحث « لما به وألفاظ أخرى » المذكور آنفاً كان لي بحث بعنوان شبيه بهذا وهو: « القنْداق وألفاظ أخرى » أثبت فيه الفرق بين القنْداق والقنْداق ، على خلاف ما درَج عليه ابنُ منظور في لسان العرب وبينت معناه ، وبحث بعنوان « هل اسم خلدون ونحوه مُكبر على الطريقة الإسبانية » فندت فيه ما زعمه (دُوزي)^١ وتبعه غير واحد من الكتاب العرب أن هذه الأسماء التي على وزن فَعْلون مَقْيِسة على^٢

الإسبانية وذكرت أمثلة لها من عصر الجاهلية وصدر الإسلام قبل أن تفتح إسبانيا وشرحت قاعدة التكبير في الإسبانية بما يستبعد تطبيقها على هذه الأسماء العربية ، وكان لهذا البحث صدى استحسان إلى حد أن الأستاذ إبراهيم اللبان هنأني وقال لي : لقد دافعت عن رأيك بحجة لا تردُّ وزاد قائلاً : إن إخوانك المصريين يحبونك ويقدرون علمك وخلقتك ، وهو كلام قال لي مثله الدكتور إبراهيم أنيس أكثر من مرة . وإنما أذكرُ هذه العبارات التي تنضح بالود والخلق الكريم اعتزازاً بها وتنويهاً بأصحابها جزاهم الله خيراً - فالقائم بحاله وقد قال معيار : « اذكرونا مثل ذكرانا لكم » .
 ومما يتعلق ببحث فعلون أننى تقابلت مع الأستاذ عباس حسن صاحب كتاب « النحو الوافى » فى أحد الاستقبالات وكان لم يدخل المجمع بعد . فلما تعارفنا قال لى أنت الذى ألقىت بحثا فى الأسماء على وزن فعلون . فعلمت أن خبره تجاوز أهواء المجمع .

ومن الأبحاث اللغوية التى ألقىتها بحث ، بعنوان « السليقة عند العرب المحدثين » بينت فيه أن السليقة فى العربية كالأجتهد فى الفقه لم ينقطعاً بتهة ، فصححت بعض الألفاظ التى كان الأدباء يتحفظون بإزائها ويعدونها من العامية كالفنان وكالطيارة التى تجرى على الأقلام الخ ، وبحث فى علم الجنس الذى يقابل علم الشخص ، وبحث يتعلق بتحقيق رسالة فى أحكام الاختصاص للعلامة عبد السلام بن الحاج الجرفطى ونظمها فى رجز جعلته ذيبلا لباب الاختصاص فى الفية ابن مالك أقول فيه :

تكملة	لباب	الاختصاص	تسُدُّ منه	موضع	الخصاص
وترفعُ	الأجفاف	بالتأكيد	عمَّا لدى	الناظم	والمكودى
فإن قارئهما	لو	أنصفا	لقال كلُّ	منهما	قد أجحفا

ولما ألقىته علَّقَ عليه بعض الأعضاء وقال لى الأستاذ زكى المهندس نائب الرئيس وأستاذ العربية الذى تخرج على يده عدة أجيال : لقد أفدتُ من هذا البحث كثيرا وأعجبني نظمك له وسأخلو معه وأستمع بقراءته على انفراد .

والذكريات من هذا القبيل كثيرة يطول تتبعها ، ولكن أطرفها أو من أطرفها ما حكاها في الدكتور كامل مُراد ، وكنتُ ألتقي به أحياناً في حدائق «كروبي» عشية فيجلس إليّ ونتحدث عن المجمع وما مرّ في جلساته من مداولات ، وكأنّه آنس منى ما جعله يحكى لي أنه كان في رحلة بالكويت وأن وفداً من جمعية إسلامية زاره وطالب منه التفضل بمحاضرة في نادي الجمعية عن الإسلام ، فقال له أنا مسيحي لا أعرف عن الإسلام شيئاً ، وضحك وضحكتُ معه وعرفت ما يُريده . وكنتُ فعلاً أجهل أنه مسيحي ! . .

وإن أنس لا أنسى الرّحلات التي ينظمها لنا المجمع إلى بعض المدن كالإسكندرية وبور سعيد وإلى بعض المعالم التاريخية كأهرام سقارة أو بعض المنشآت الصناعية وغيرها ، وتكون فرصة لنا للاطلاع على مآثر مصر ومظاهر نهضتها الحديثة ، ومناسبةً للاجتماع والاحتكاك بجميع موظفي المجمع والعاملين فيه من محررين وكتاب ومديرين ومنتطى متن حافلة كبيرة ويختلط بعضنا ببعض ونتحدث في مختلف الشؤون ، ويكون خروجنا من القاهرة مُبكراً ، فنتناول وجبة الفطور ببعض المحطات الريفية ويوزّع علينا الدكتور مهدى علام من جرّاب يصحبه معه حقنات من اللوز والفول السوداني. وعند الوصول تستقبلنا الجهة المقصودة بحفاوة بالغة ونتفرج على العمل ونطوف بالبلد أو نقف على الأثر ونستمع إلى البيانات المفيدة ، ونتناول طعاماً الغداء على مائدة المستقبلين ثم نعود مُودعين بما استقبلنا به من حفاوة ، ولا يتخلف هذا التقليد في مؤتمر من مؤتمرات المجمع ، ويكون مرتين في كل مؤتمر أي رحلة وزيارة في يومى عمل يتخفّف فيهما الأعضاء من تعب العمل ويستفيدون مما يرونه على الطبيعة ما يزيدهم معرفة بمصر قلب البلاد العربية النابض وقبّة الإسلام كما عبر عنها أحد رحالتنا الكبار .

ولا أستطيع أن ألمّ بهذه الرحلات العديدة فلأشير إلى واحدة منها ، وفي مثلها يُقال يكفى من القلادة ما أحاط بالعنق ، وتلك هي التي زرنا فيها المُفاعِل الذرى

بالصحراء ، فأخذتنا النشوة بالاستماع إلى الخبراء الواقعين عند كل جهاز من أجهزة المركز ، وهم يتحدثون إلينا عن سير العمل بلغة عربية سليمة ، عامية مصرية ولكنها عربية خالصة تستوعب جميع التفاصيل عن تشغيل الجهاز وجميع المصطلحات إلا في النادر حين يضطر الخبير إلى استعمال مفردة أجنبية ، معتذرا عن عدم معرفته لمرادفها العربية - راجياً من المجمع أن يسميها - وفي المفردات التي يستعملها هو ، ما لم يضع المجمع له اسماً بعد ، فيلاحظ الأعضاء أنه مصطلح لا بأس به أو أنه أوفق الكلمات للمفردة الأجنبية فيشجعونه على المضي في الحديث ، ويستمر هو في الحديث ويُطبق القول على الفعل عشر دقائق أو خمس عشرة دقيقة أو عشرين ، من غير أن يتوقف أو يتلعثم أو يستعمل كلمة أجنبية فأحرى جملة إلا في القليل النادر كما ذكرت آنفاً ، وهذا الخبير غالباً ما يكون شاباً أو فتاة ، دكتوراً في الخامسة والعشرين وما قاربها . وهو أمر يُدخل الغبطة على النفس ويُفهم القلب بالسرور .

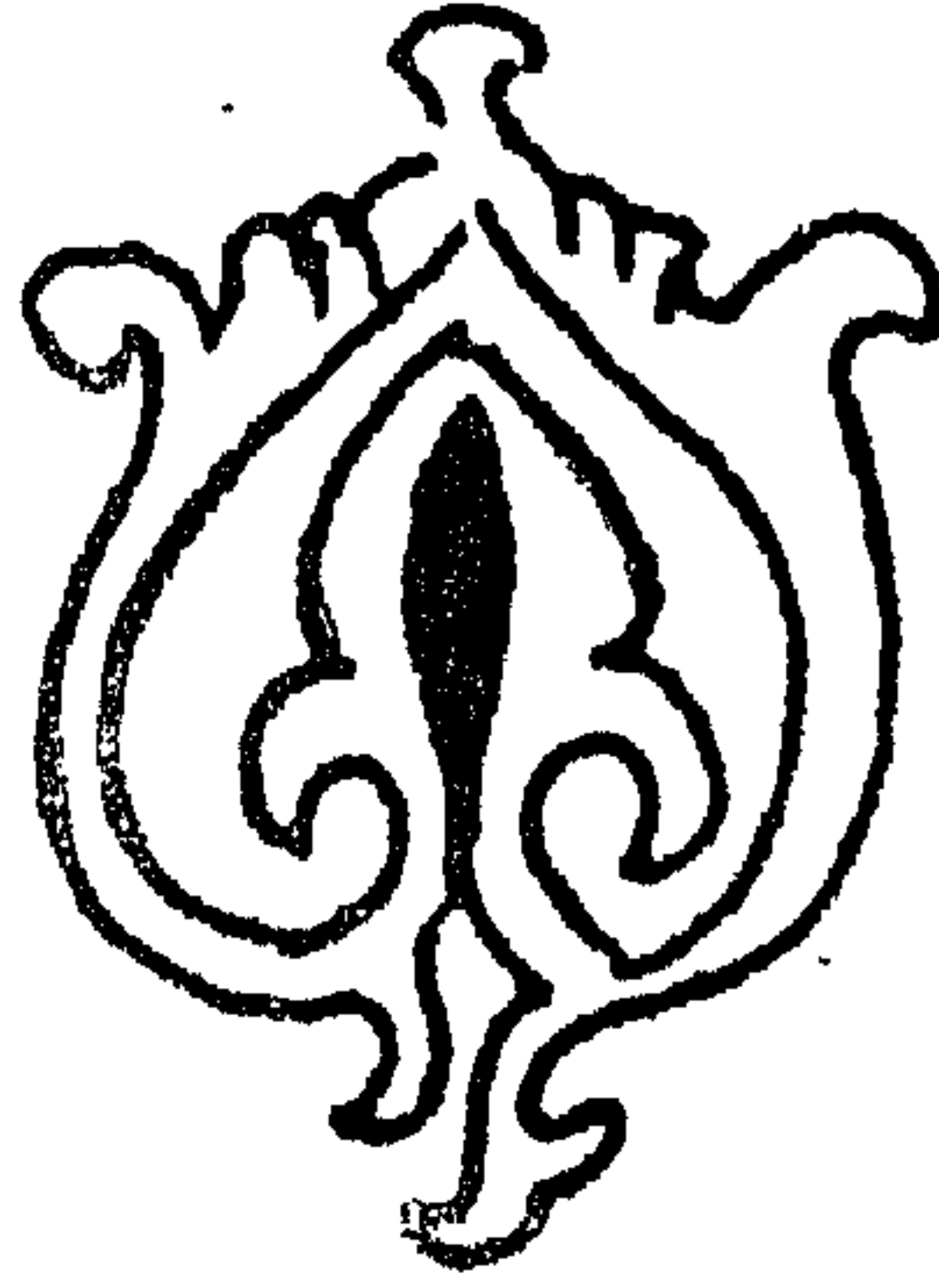
ولعلني أظنبت في هذه الذكريات الجميلة ، ومع ذلك بقيت أشياء وأشياء لم ألم بها ، وهي الهمسات الخفيفة بين المتجاورين في الجلسة وكنت دائماً جازاً للدكتور مهدي علام وهو صاحب ملاحظات وتعقيبات شعرية ونثرية ، والدكتور أحمد عمار وهو صاحب نكت ولطائف . وكنت أنشدته مرة مما جر إليه الموضوع هذين البيتين :

العلماء كلهم من سادا أو لم يسد لم يبأغ المرادا
فرزقهم مرخم منادى (كياسعا فيمن دعا سعادا)

فلم يتمالك من الإعجاب بهما وصار ينشدهما مرات في المجلس وكلما تقابلنا وكان كثيراً ما يطرح عليّ بعض الأسئلة على سبيل الاختبار كعدد حروف القرآن ونصفه بالكلمة أو الحرف والكلمة التي تتركب من عشرة أحرف مما كنا نتعاطاه في الكتاب فألقى عليه أسئلة مماثلة^{١٧} ، وكان كثير الانبساط والانشراح ولضحكه صوت عال يشير انتباه الأعضاء من بعيد . وفي بعض الأحيان يكاد يجعلني لا أتابع ما يقال

في المجلس بمُستملحات وإنشاءات ، وقلتُ في العام الماضي للدكتور علام إن الدكتور
عمار يُدخِن كثيراً فقال لي لقد صارت حياة عمار عبارة عن التدخين والنكته ،
فيالله كأنه كان يسرع إلى أجله . ومن الأشياء التي فاتتني في هذه الذكريات بعض
المطارحات الشعرية وخاصة مع الأستاذ محمد عبد الغني حسن ، ومنها الإشارة إلى
كيفية تسيير الجلسات وضبط المناقشة وفن الإدارة مما تميّزه السيد الرئيس الدكتور
إبراهيم مدكور ، ولكن الكلام طال وربما أدى إلى الملل وفي العنوان ما يدل على الجواب .
فتحيةً للخالدين في العيد الذهبي لمجمعنا الموقر ، وفّر الله جمّعهم وبَارَك في أنفاسهم
ورحِم من ودع منهم وبوأهم مقعد صدق في المالأ الأعلى ، والسلام .

الاستاذ عبد الله كنون
عضو المجمع من المغرب



المعجم الطبي وتوحيد المصطلح الطبي للدكتور حسني سرح

أعني بالمعجمات الطبية في بحثي هذا ، المعاجم الثنائية اللسان الأعجمية العربية (فرنسية - عربية ؛ وهي الأقدم وإنكليزية - عربية ؛ وهي حديثة نسبة) سواء فيها الشامل في مفرداته لمعظم علوم الطب (وقد أربا عددها على العشرين) أو المختص الذي اقتصرت مواده على فرع واحد من فروع الطب أو أحد أجزاءه فرع ما . وما أريد به من المصطلح العربي ما شاع استعماله في طب يومنا هذا ما بين قديم موروث عن الطب العربي الإسلامي أو مولد حديث النشأة من مبتكرات القرنين الأخيرين للميلاد .

من المعاجم ما هي من صنع هيئة أو لجنة لها من المؤهلات العلمية واللغوية ما يجيز لها العمل ، ومنها ما هي صنع أفراد من الأطباء ، أو آخزين ليسوا على شيء من الثقافة الطبية ، فجاء صنعهم أبتراقرب ما يكون بحاطب ليل ، لا شأن له في هذا الموضوع . وثمة معجمات عربية - أو (أعجمية - عربية) ذات شروح للمعاني وهي قلة بين سواها لا بد من الإشارة إليها في حينه .

أربع عواصم عربية كانت مراكز لوضع المصطلح الطبي ، وهن : القاهرة ودمشق وبغداد وبيروت . كان البدء في مصر سنة ١٨٢٧ م يوم أسس في أبي زعبل فقصر العيني أول مدرسة للطب الحديث ، وكان التدريس فيها على النسق الفرنسي ، إلا أن لغتها كانت العربية وحدها ، وظل الأمر على ذلك حتى منيت البلاد بالاحتلال الإنكليزي سنة ١٨٨٩ م ، وصارت تلك المدرسة إلى « كلية طب القاهرة » وفرضت الإنكليزية لغة للتدريس فيها . وقد كانت أيام الوحدة مع سوريا محاولة للعودة إلى تدريس الطب فيها بالعربية ، غير أنها باءت بالإخفاق .

أقبل أساتيد مدرسة قصر العيني بهمة لا تعرف الكلال على ترجمة الأمهات من كتب الطب الفرنسية ، واخترطوا في باب المصطلح خطة رشيدة . فأحبوا ما وجدوه وافياً بالغرض من مصطلحات الطب العربي الإسلامي ، وما لم يجدوا له مقابلاً في طب أسلافهم مما جد في الطب الحديث لجؤوا فيه إلى الترجمة ووضع أسماء له من أصول عربية ، ولم يعمدوا إلى تعريب اللفظ الأجنبي إلا إذا لم يجدوا عن ذلك مندوحة . ومن تصفح عشرات الكتب التي طبعت في تلك الحقبة لا يسعه إلا أن يكبر ما قام به هؤلاء الرواد الأوائل ويؤمن أن المصاعب لا تلبث أن تلين أمام همم الرجال ، ويود لو أنه أتيح لخلفهم أن يتابعوا السير على الطريق نفسه .

غير أن ما وضع في تلك الحقبة التي امتدت ستة عقود ونيفاً من مصطلحات ظل منشوراً فيما ألفه وترجمه هؤلاء الرواد ولم يجردوه ، فيما أعلم ، في معجمات خاصة غير أن الطيب المصري محمود رشدي البقلي (ت نحو ١٣٠٧ هـ - ١٨٩٠ م) وضع معجماً باسم « قاموس فرنساوي عربي » طبع في باريز (سنة ١٢٨٦ هـ ١٨٦٩ م) ويقع في ٣٥٨ صفحة تشمل على نحو ٧٠٠٠ لفظ .

واستأنف العمل في وضع مصطلحات الطب في أوائل العشرينيات من هذا القرن الميلادي ، عندما وضع الدكتور محمد شرف معجمه الطبي واسمه « معجم إنجليزي - عربي في العلوم الطبية والطبيعية » ، وهو كما يدل عليه اسمه معجم شامل يخق له أن يعد أباً لكل ما ظهر بعده من معجمات طبية (أعجمية - عربية) طبع ثانية سنة ١٩٢٩ فجاءت هذه الطبعة في ألف صفحة من القسط الكبير ، وكان ثمرة جهد دائم امتد بضعة عشر عاماً ، وعزيمة صادقة لا يؤتى مثلها إلا القليل من أفاض الرجال . وكان منهجه في وضع المصطلح نحو المنهج المأخوذ به اليوم ، غير أنه كان كثيراً ما يضع مقابل اللفظ الإنكليزي عدة ألفاظ عربية ، وكأنه أراد بذلك أن يترك لغيره ولمن يأتون من بعده أن يختاروا منها ما يرونه أوفى بالمعنى المراد .

انتخب الدكتور محمد شرف عضواً عاملاً في هذا الجمع الخليل سنة ١٩٤٦ واستأثرت به رحمة الله عام ١٩٤٩

ولجمع اللغة العربية في القاهرة « ونحن نحتفل بعيدة الذهبي في هذه الأيام » القدر المعلى في وضع المصطلحات على اختلاف ضروبها . إلى جانب فضله الكبير في

تحرير قواعد وإيجاد منهجية قيمة في وضعها، وللمجنة مصطلحات الطب فيه سعى متميز ولا سيما في عهد رئيسها الصديق الراحل الدكتور أحمد عمار « نائب رئيس المجمع » إذ أبلى بلاء حسنا في وضع مصطلحات الطب وأسهم لإسهاما عميقا تغمده الله برحمته .

وأصدر المجمع سنة ١٩٣٥ مجلته الخاصة وتحتوى ما يطرح في مجلس المجمع وفي مؤتمره السنوى من بحوث وما يقرر فيه من مصطلحات، ناهيك بالمقالات القيمة التي ينشئها أعضاؤه الأعلام . وأفرد للمصطلحات كتابا خاصة تصدر سنويا أيضاً باسم « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » بلغ عددها ٢٥ ، تكاد تؤلف لو جمعت عدة مجلدات ضخمة جديرة بأن تعد في عداد ما اصطلح على تسميته بموسوعة المصطلحات .

وفي القاهرة أيضاً أبدت الجمعية الطبية المصرية التي تأسست سنة ١٩١٩ اهتماما خاصا في عهد رئيسها المرحوم على باشا إبراهيم « وهو عضو عامل في هذا المجمع أيضاً » وبعد أن أبدلت بالمؤتمر العربى الأول اسم مؤتمرها الثامن المنعقد في بغداد سنة ١٩٣٨ ، اتخذ فيه القرار التاريخى للسعى إلى توحيد مصطلحات الطب ، وكان بعد ذلك أن تم الاتفاق سنة ١٩٤١ تصافر جهودها وجهد مجمع اللغة العربية بأن تألفت لجنة خاصة لهذه الغاية وعقدت اجتماعات أسبوعية انتهت بها إلى وضع مصطلحات طبية في مختلف علوم الطب كالتشريح والفسولوجيا والطب الباطنى وعلم الرمذ وحفظ الصحة وغيرها وبأشرت بنشرها في زاوية خاصة عنوانها « صحيفة المصطلحات الطبية العربية » من مجلتها « المجلة الطبية المصرية » ابتداء من المجلد ٣٣ سنة ١٩٥٠ وتابعت النشر عدة سنوات . أطلعت على معظم ما استل من المجلة من نساءل في علوم الطب المنوعة وإذا بها تتشابه مع ما نشره مجمع اللغة تشابها كلياً مع بعض الخلاف .

حظيت بيروت بشانبة المدارس التي درست الطب بالعربية ، مدرسة المبشرين الأميركيين الإنجليين الذين أموا الثغر في النصف الثانى من القرن التاسع عشر الميلادى للتبشير بمذهبهم ، وكان فيهم عدة أطباء عكفوا على دراسة اللسان العربى فأتقنوه ، وافتتحوا سنة ١٨٦٦ ما دعوه بـ « الكلية السورية الإنجيلية » وهى التى صار اسمها بعد الحرب العالمية الأولى « جامعة بيروت الأميركية » وكان من فروع تلك الكلية مدرسة للطب ، وقد ظل تدريس العلوم جميعاً في هذه الكلية بالعربية حتى عام ١٨٨٣ م ثم حلت الإنكليزية محل العربية

وضع أساتذة الكلية السورية الإنجيلية هذه بضعة عشر كتاباً في مختلف العلوم :
الكيمياء ، والنبات ، والحيولوجيا ، وكان منها عدة كتب في فروع الطب المختلفة ،
وكان فيما استعملوه من مصطلحات ، طائفة استمدوها من كتب الطب العربي القديم
ولا يبعد أنهم اقتبسوا عدداً مما وضعه أساتيد قصر العيني ، كما ترجموا طائفة أخرى
محافظين في الغالب على اللفظ الإنكليزي كما هو بلا تبديل أو بإدخال تغيير يسير
عليه ، ولم يجردوا فيما أعلم ما استعملوه من مصطلحات في معجم خاص .

ولا بد لي هنا من الإشارة إلى أنه أنشئت في بيروت أيضاً سنة ١٨٨٥ م جامعة
أخرى فرنسية ، أنشأها الآباء اليسوعيون ولم يكن لكلية الطب الفرنسية هذه أى
إسهام في المصطلح الطبي العربي .

وما اطلعت عليه من مؤلفات أحد أساتذة كلية الطب الفرنسيين الدكتور دى
برون ترجمة لكتابه بعنوان «الخلاصة الطبية» ، طبع مطبعة الآباء اليسوعيين سنة ١٨٨٨ م
لم يخرج المترجم فيه عن مصطلحات مدرسة قصر العيني .

وفي بيروت أيضاً صدر سنة ١٩٦٧ بمناسبة الاحتفال بالعيد المئوي للجامعة
الأمريكية ، معجم طبي إنكليزي عربي باسم « قاموس حتى الطبي » صنعه الدكتور
يوسف حتى أستاذ الأمراض الباطنة والتشريح في كلية الطب بالجامعة الأمريكية حتى
سنة ١٩٢٨ ظهر له ثلاث طبقات آخر ، كان آخرها سنة ١٩٧٩ ، وهو في غاية
الأناقة والإتقان ، يقارب عدد صفحاته الألف ، وقد ألحق مؤلفه بطبعته الأخيرة
لوحات ملونة إيضاحية ، ومسرداً عربياً إنكليزياً للألفاظ مرتباً على حروف
الهجاء ، عدد الألفاظ فيه يربى على ١٠٠٠٠ كلمة . وقد اعتمد الدكتور حتى في معجمه
هذا على المصطلحات التي جاءت في منشورات الجامعات اللغوية الثلاثة ، مضيفاً إليها ما جاء
في معجمات أخرى في علمي الحيوان والنبات وغيرهما ، ولذا يكثر أن يقع
مقابل اللفظ الإنكليزي فيه عدة ألفاظ عربية مما نقله عن المصادر المذكورة ، وتكرر
طبع هذا المعجم أربع مرات خلال اثني عشر عاماً يدل على ما لقيه من رواج .

أما بغداد فقد بدأ مجمعها العلمي العراقي أن ينشر في مجلة المجمع العلمي العراقي سنة
١٩٦٧ «المجلد الخامس عشر» ما أنجزته اللجنة الجمعية للمصطلحات الطبية ، وفي مقدمتها
مصطلحات التشريح ثم علم الجراحة وعلم الولادة ولم أطلع على سوى ذلك . تختلف
المنهجية التي سلكت في المصطلحات الطبية عن ماهي متبعة في كل من مصر والشام ، كما
أن السوابق واللاحق في المصطلحات لا تخلو من اختلاف أيضاً .

وللمرحوم داود الخالبي معجم تخصصي في أمراض الجلد حسن الوضع :

وما طبع مرة في بغداد وأخرى في الموصل من المعجم الطبي الموحد فسيأتي ذكره حين البحث في توحيد المصطلحات .

وأما دمشق فقد رافق وضع المصطلحات الطبية فيها استعمالها بالفعل من اليوم الأول الذي أسست في دمشق مدرسة سنة ١٩١٩ عربية اللسان باسم «المعهد الطبي العربي» وفي عهد حكومة الأمير فيصل بن الحسين قبل أن يتوج ملكا على سورية وكان هذا المعهد خلفاً من «مدرسة الطب العثمانية» التي فتحت أبوابها في دمشق سنة ١٩٠٣ وانتهى أمرها سنة ١٩١٨ بعد أن أصبح مستقرها في السنوات الثلاث الأخيرة في بيروت في مباني كلية الطب اليسوعية التي مر ذكرها والتي صادرتها الدولة العثمانية خلال الحرب العالمية الأولى .

وكان التدريس في هذا المعهد الذي آل فيما بعد إلى كلية الطب في «الجامعة السورية» وهذه أصبحت اليوم «جامعة دمشق» بالعربية ولم يقو الانتداب الفرنسي الذي فرض على سورية ببعيد إنشاء المعهد واستمر ربع قرن من الزمن .

لم يقو على تحويله عن ذلك ، وكل ما هنالك أنه زيد في مناهجه درس للغة الفرنسية إذ دخل في هيئة التدريس فيه ثلاثة أساتذة فرنسيين للطب الإنساني وأستاذ فرنسي واحد لمدرسة طب الأسنان يلقون محاضراتهم بالفرنسية ، وكانت محاضراتهم في بادئ الأمر تترجم إلى العربية :

نشط أساتيد هذا المعهد في وضع المصطلحات الطبية يؤازرهم في ذلك «المجمع العلمي العربي» الذي أسس سنة ١٩١٩ أيضا . وكانت خطتهم في ذلك نحو من الخطة التي اختطها أساتيد مدرسة قصر العيني : أحيوا ما وجدوه وافيا بالغرض من مصطلحات الطب العربي الإسلامي القديم ، واجتنبوا ما استطاعوا اللجوء إلى تعريب الألفاظ الأجنبية . وكان مما ساعد ذلك أن جل الأساتيد الأوائل في هذا المعهد قد تخرجوا في كلية الطب العثمانية في إسطنبول ، ومنهم من درس في مدرسة الطب العثمانية في دمشق ، وكان الأطباء الأتراك قد وضعوا لمصطلحات كثيرة أسماء بالعربية وأدخلوها في لغتهم :

كانت المحاضرات في هذا المعهد تجلى في بادئ الأمر على الطلاب إملاء ، إلا أن أساتيدته سرعان ما تخطوا هذه المرحلة إلى مرحلة التأليف بالعربية الفصحى ، وكان لمطبعة الجامعة السورية التي أنشئت سنة ١٩٢٣ الفضل في تيسير نشر ما يؤلفون في مختلف علوم الطب

ومنذ سنة ١٩٢٤ أخذ المعهد يصدر مجلة شهرية شارك في الكتابة فيها أطباء ولغويون من مختلف الأقطار العربية ، وكانت بحوثهم ومناقشاتهم مما أعان على تحرير كثير من المصطلحات واختيار ما تثبت أولويته من الألفاظ المقترحة .

ومن السنن الحسنة التي أخذ بها أساتيد هذا المعهد وكانت توطئة لظهور معاجم المصطلحات ، أن كان كل منهم يباحق بكل كتاب يؤلفه مسردا للمصطلحات التي استعمالها في ذلك الكتاب . وتلا ذلك وضع معجمات مختصة كان في طليعتها معجم الفيزياء « وكان هذا العلم وعلوم الكيمياء والحيوان والنبات مما يدرس في السنة التحضيرية لمعهد الطب » وضعه الدكتور جميل الخاني رحمه الله وألحقه بكتابه «التقطوف الينعية في علم الطبيعة» الذي أتى به بكل ما جدد إذ ذاك في هذا العلم ، ولم يقتصر اعتماد مصطلحاته على كلية الطب بل أخذ بها مدرسو التعليم الثانوي أيضا وفي مصالحي أخرى في القطر ، ولما كان الدكتور الخاني يدرس أمراض الجلد أيضا ، وضع في هذا الفرع من علم الطب مصطلحات ما يزال أكثرها مأخوذا به .

وتلا معجم الفيزياء «معجم الألفاظ والمصطلحات الفنية في فن الجراثيم» وضعه الأستاذ الدكتور أحمد حمدي الحياض رحمه الله سنة ١٩٣٤ وأتى فيه بمئات من المصطلحات العلمية ، وعمله هذا يعد فتحا جديدا في بابيه لم يسبق إليه .

ومن المعجمات المختصة ما قمت بوضعه في الأمراض الباطنة ، في سنة ١٩٣٥ أخرجت معجما فرنسيا عربيا وعربيا فرنسيا في أمراض الحملة العصبية ، وفي سنة ١٩٣٦ أخرجت معجما آخر في الأمراض الإلتانية والطفيلية ، تلاه سنة ١٩٣٧ معجم في أمراض جهاز التنفس .

وفي مصطلحات الكيمياء ألف الدكتور محمد صلاح الدين الكواكبي سنة ١٩٣٦ معجما كان كثير مما تضمنه مما وضعه هو نفسه ، طبع هذا المعجم ثمانى طبعا وكان الدكتور الكواكبي أستاذ الكيمياء في كلية دمشق ، درس مدة في كلية بغداد فكان — على ما حكى — أول من درس فيها بالعربية .

ووضع الأستاذ الدكتور مرشد خاطر « وهو من خريجي كلية الطب اليسوعية في بيروت » عدة كتب في الأمراض الجراحية ألحق إليها معاجم متخصصة كما أن مجلة المعهد الطبي العربي وهو المشرف عليها ، لم يخل أى من مجلداتها الحادية والعشرين من مسرد في مصطلحات الطب . والمعجم الشامل الوحيد الذي صدر في دمشق ، كان من وضع لجنة — المصطلحات العلمية في كلية الطب من الجامعة السورية ، وقوامها من الأساتيد مرشد خاطر ،

وأحمد حمدي الخياط ، ومحمد صلاح الدين الكواكبي ، واسم المعجم هو معجم المصطلحات الطبية الكثير اللغات للدكتور أ. ل. كابر فيل وكثرة لغاته نابعة من أنه يحوت إلى الجانب الفرنسي الأصلي ، مسردين باللغتين الإنكليزية والألمانية ، وبانضمام الترجمة العربية إليه ، أصبحت لغاته أربع .

طبع النص العربي من هذا المعجم في مطبعة الجامعة السورية سنة ١٩٥٦ وجمد كلمات ١٤٥٣٤ في ٩٦٠ صفحة .

طلب إلى ساني المرحوم الأمير مصطفى الشهابي أن أعرف بهذا المعجم في باب التعريف النقدي من مجلة مجمع اللغة العربية بدمشق ولدي نظرتي السريعة الأولى إليه ، إذا به يستحق أن يكتب عنه فيما لا يستعيبه هذا الباب من الخبايا ، فتحوّلت إلى باب المقالات وكان عدد المقالات التي نشرتها في هذه المرحلة ١٤ ثم بدأ لي من الخير أن أشفع هذه النظرة الأولى بنظرة أخرى أقرب إلى التأنى والاستقصاء وكان منها سائر المقالات ، وذلك بعنوان « استدراك وتعقيب » جاءت في ٥٣ مقالة .

نظرت في مصطلحات المعجم بعدئذ مادة بعد مادة ، ودونت وجهة نظري في الكثير منها مستنداً إلى المراجع الموثوق بها من معجمات طبية أجنبية مختلفة ومعجمات لغوية عربية ، وموازناً بين تلك المصطلحات وبين ما أقره مجمع اللغة العربية في القاهرة وما سبق أن شاع استعماله من قبل في كلية الطب في دمشق ، إلى جانب إثبات الترجمة الإنكليزية لبعض المصطلحات التي لا تنطبق على المصطلح الفرنسي ، وهكذا بلغت عدة المقالات ٦٧ ، ولما جمعت نساثلها كون مجموعها مجلداً آربي عدد صفحاته على الألف في آخره : ولست أدعي أنني جئت فيما عرضت له بالقول الفصل ، بل بأكبر ظني أنني لو أتيت لي معاودة النظر - بعد طول هذه المدة - في هذا الذي كتبت لزدت أشياء واستدركت أشياء ، إلا إني كما أرجو أن أكون بما صنعت - قد أسهمت إسهاماً ضئيلاً في وضع مصطلحات الطب ، وأن أكون قد ذلت بعض المصاعب ، لأن الطريق طويل ، والحاجة إلى متابعة العمل وتضافر الجهود فيه ستظل قائمة مادام العلم في تطور العلم والله من وراء القصد .

وهناك معجم طبي آخر « فرنسي - عربي » شرحت الألفاظ فيه شرحاً موفياً ، من صنع المرحومين مرشد خاطر وأحمد حمدي الخياط يقع في أربعة أجزاء ، صدر منه الجزء الأول قبل عدة سنوات بإشراف نجل الدكتور هيثم الخياط نجل الدكتور أحمد حمدي الخياط بعد أن أضاف إليه ما يقابل اللفظ الفرنسي من لفظ إنكليزي وتوقف بل تريت لإتمام نشره

بانتظار الانتهاء من توحيد المصطلحات ، الأمر الذي لا بد وأن يحمله من إعادة النظر فيه إزاء التعدد في المصادر ، والجهات التي عنيت بمصطلحات الطب العربية وما بدا في وضعها وصياغتها من مفارقات ليست بالقليلة ، وما حدث في شأنها من بلبلة واضطراب ، إزاء هذا كله ، كان لا بد من التفكير والسعي وراء توحيد ما اختلف فيه ، وما أكثره ؟ ومن أحق منا نحن معشر الأطباء بأن يضطلع بهذا الأمر الخطير ، فلا عجب أن ينهض اتحاد أطباء العرب مشكوراً وأن يعد لهذا الأمر عدته باتخاذ قراراً سنة ١٩٦٦ بتوحيد مصطلحات الطب العربية وأن يسند تحقيق هذه الأمنية إلى صفوة مختارة - كما جاء في القرار - من أساتيد وأطباء راسخين في علمهم ومتمكنين من لغتهم الضادية - وأنالم أكن بينهم في بادئ الأمر - جاعلاً منهم لجنة لم تلبث أن والت اجتماعاتها طوال عدة سنوات متنقلة بين العواصم العربية المختلفة .

تولى الزميل الأستاذ محمود الحليبي - نائب رئيس المجمع العلمي العراقي - مقراً للجنة - رئاسة تحرير هذا المعجم ، وقام المجمع العلمي العراقي مشكوراً في مطبعته بطباعة بعض التجارب من المصطلحات المقررة ممن يعينهم أمرها لاستطلاع الرأي فيها - وكان عدد من استجاب لهذه الرغبة قلة - ويا للأسف - وتم طبع الطبعة الأولى من المعجم - المعجم الطبي الموحد - إنكليزي عربي سنة ١٩٧٣ في بغداد ، أثبت على غلافه - طبعة خاصة - إذ جاء في آخر صفحاته وعددها ٣٨٥ ما يلي : استدرارك وتصويب : بعد إنجاز طبع هذا المعجم أعيد النظر فيه مرة أخرى وأجريت التعديلات والاستدراكات الآتية ، وبلغ عددها ٣٧٦ في أربع عشرة صفحة . ومع هذا أعيد طبع هذا المعجم بالأوفست في القاهرة سنة ١٩٧٧ بصورته السالفة بلا تغيير وبعد سنة أخرى (١٩٧٨) طبع في مطبعة جامعة الموصل طبعة ثانية مصححة :

وكان من مقررات مجلس وزراء الصحة العرب سنة ١٩٧٩ السعي إلى إيجاد معجمين طبيين أحدهما إنكليزي عربي والثاني فرنسي عربي يعتمد عليهما المكتب الإقليمي لمنطقة الصحة العالمية بشرق البحر الأبيض المتوسط ، حسماً للخلاف الكثير البادئ في المصطلحات الطبية والصحية في التقارير وفي ترجمة المنشورات في مختلف أقطار الوطن العربي بعد أن أخذ كل واحد يعمل على هواه ، وأوكل أمر تحقيق هذه الأمنية إلى المكتب الإقليمي المذكور وسرعان ما دعا مدير المقر في الإسكندرية أعضاء لجنة المعجم الطبي الموحد ، لاستطلاع الرأي فيما هو عاقد العزم عليه ، وبعد المذاكرة رأى المجتمعون أن تكلف لجنة جديدة تضم بين أعضائها معجم أعضاء اللجنة السابقة

لاتحاد أطباء العرب ، مع زملاء جدد من ذوى الثقافة الفرنسية ، مهمتها إعادة النظر في المعجم السابق وإضافة ما ينبغى أن يضاف إلى المعجم ما فات إثباته فيه من المصطلحات .

وبعد عقد عشر لقاءات في بلدان شرقي الوطن العربي وغربه على مدى أربع سنوات أنهت اللجنة عملها ، ووكلت الإشراف عليه إلى مقرر اللجنة الزميل النشيط الدكتور محمد هيثم الحياط عضو مجمع اللغة العربية بدمشق ومن أساتيد كلية الطب فيها ، فبذل - جزاه الله خيرا - الجهد المشكور ومضى في التحرير والإشراف على الطباعة - وقد تمت في سويسرا ، بعد أن أضاف إليه مسردا عربيا إنكليزيا ليعين به الباحث العربي في إيجاد ما يقابل الكلمة العربية من لفظ إنكليزي ، فضلا عن مئات الصور الإيضاحية ، آخر الكتاب ، فجاء هذا المعجم الثلاثي اللغات : إنكليزي - عربي - فرنسي ، أفضل من سابقه ومما صدر من هذا النوع من معجمات طبية شاملة ، وأخرج المعجم بحلة قشبية تسر الناظرين ، اشتمل على ٢٣٠٠٠ مادة في ٧٦٠ صفحة وعلى ١٥٠٠٠ كلمة في المسرد المشار إليه والمرتب على الحروف الهجائية وهكذا تم إنجاز المعجم بشكله الحالي على نفقة منظمة الصحة وإسهام مادي من المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية ويؤمل أن يصدر قريبا نسخة منه بترتيب فرنسي - عربي - إنكليزي ؛ تلبية لحاجة الأقطار العربية التي درس أطباؤها ومثقفوها اللغة الفرنسية .

لقد عمل القائمون على هذا المعجم ما في وسعهم في طبعته الثالثة على أمثل صورة ممكنة ولا يدعى لعملهم أنه جاء منزها عن الخطأ ومبرءا من كل عيب ، وإنما هو خطوة على الطريق الطويل - كما قلت آنفا - ولا بد أن يتعاقب على هذا العمل فيه لجان بعد لجان ليضاف إليه ما يجد من جهة ، وليتناول ما سبق من جهة أخرى ، وبالتنقيح والتهذيب والإصلاح على هدى ما يظهر صوابه ، مما يقوم إليهم من مقترحات وما يوجه إلى عملهم من نقد هادف .

هذا آخر ما أدت إليه المساعي الحميدة من أجل توحيد المصطلحات الطبية العربية ولا شك أن غيرها من العلوم الأخرى لقيت وستلقى الاهتمام المرتجى ، لنخلص إلى التأكيد بأن لغتنا المقدسة لغة حية خالدة .

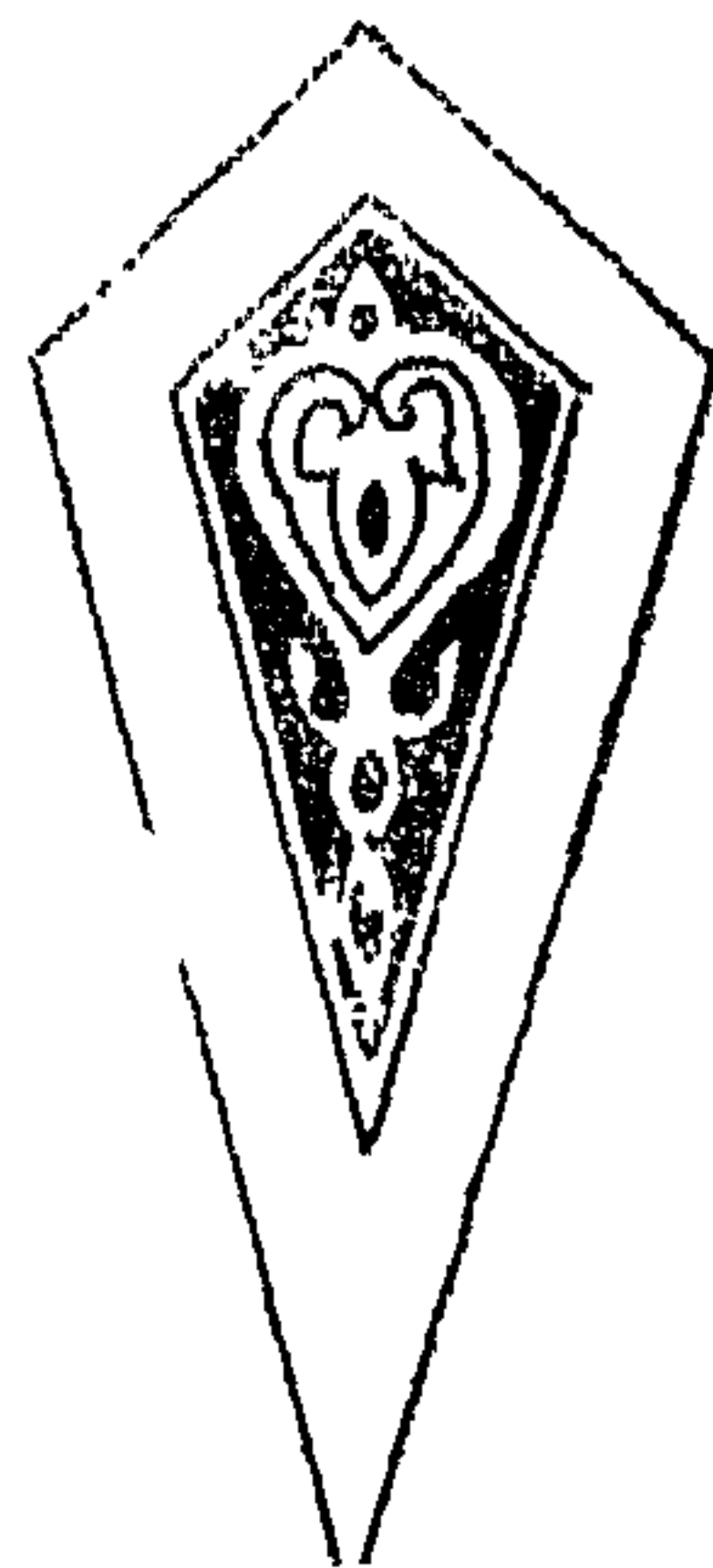
* * *

هذا ما كان من أمر توحيد المصطلحات في شرقنا العربي الأوسط أما المغرب العربي وفي مدينة الرباط وفي معهد الدراسات والأبحاث للتعريب على التخصيص فإن ، مديره النشيط الدكتور أحمد الخضر غزال يقدم على عمل ، الأول من نوعه في العالم العربي ، يرجى فيه

الخبر العقيم وذلك من أجل توحيد المصطلحات العلمية ومن بينها مصطلحات الطب ، موضوع بحثي هذا ، وذلك بالاستعانة بالحاسوب - الكمبيوتر - إحدى عجائب هذا العصر .

إن ما صنعه الأستاذ غزال كما رواه إلى ورأيت بعضه ، حينما أتبع لي زيارة معمله قبل بضعة أشهر ، أنه حضر مئات الألوف من جزازات تحوي كل ما نشر من معجمات و مسارد لغوية في دنيا العروبة قاطبة ، ثم أخذ بتصنيفها فتدقيقها ومن بعد تمحيصها ونخلها ليخلص بعد هذا كله إلى ما هو جدير بالأخذ به لخزنه ، وقال : « لي إن حصيلة ما خزنه حتى يوم لقائنا إذ ذلك ، بلغ ٤٠٠ ألف » ، تم خزنه وبرمجته في مركز الحاسوب العالمي في روما . وبعد هذا أصبح من السهل جدا ، أن يلجأ الباحث إلى الحاسوب بالتكس للبحث عن مطلوبه فيتلقى الجواب بعد دقيقة أو أكثر قليلا ، ما ثلا أمامه بخط عربي مشكول وبجانبه اللفظ الأجنبي على شاشة شبيهة بشاشة التلفاز ، طلب إلينا الأستاذ اختبار عمله فاخترت بعض ألفاظ طبية أذكر منها ثلاثة : أولها المصطلحات التي تنتهي بالكاسعة thie بالفرنسية أو thy و thia بالإنكليزية من أمثال neuropathy و myopathy وما حملني على هذا الانتقاء الاختلاف الواقع في ترجمة هاتين الكلمتين وما كان على شاكلتهما فقد جاءت ترجمة neuropathy في معجم شرف : مرض عصبي و myopathy مرض عضلي ، مرض العضلات أو النسيج العضلي . وفي معجم كليرفيل : عصبية في الأولى ومرض عضلي في الثانية وما أثبتته في النظرة - نقد معجم كليرفيل - هو اعتلال عصبي واعتلال عضلي للأولى والثانية ، وهو ما أثبت في المعجم الطبي الموحد . ولدى استفتاء الحاسوب كان اعتلال عصبي ، إصابة عصبية في الأولى واعتلال عضلي في الثانية .

الدكتور حسنى سبيح
عضو المجمع (دمشق)



لغة القانون في مصر

للدكتور عز الدين عبد السيد

تمهيدا :

نقصد بلغة القانون « لغة علم القانون » . ولما كان القانون هو مجموعة القواعد التي يقوم عليها نظام المجتمع وتحكم سلوك الأشخاص وعلاقاتهم فيه ، ويكفل احترامها ما للسلطة العامة من قوة الجبر والإلزام ، كان منطقياً أن يتخذ علم القانون مكانه بين سائر العلوم الاجتماعية التي يطلق عليها أيضاً « العلوم الإنسانية » ، وأن يكون متصلاً بها معتمداً عليها في إقامة قواعده . فالقانون يتصل بعلم السياسة عندما يعنى بوضع قواعد النظام السياسي في المجتمع ، ويتصل بعلم الاجتماع من حيث الاعتماد عليه في معرفة الحقائق الاجتماعية في المجتمع ، ويتصل بعلم التاريخ للإفادة من تجارب الماضي لاختلاف النظم القانونية ، كما أنه يتصل بعلم الاقتصاد عندما يعنى بتنظيم الروابط الاقتصادية .

هذا وليس ثمة شك في أن من أوليات المسائل في أي علم من العلوم وضع مصطلحاته وضبط تعاريفه . وقد بالغ البعض في التعبير عن هذا المعنى بقوله « كل علم ما هو إلا لغة محكمة الصنع » . وللمصطلحات والتعريفات أهمية خاصة في العلوم الاجتماعية من حيث كون المبتغى منها بصفة أساسية هو التعبير « بكلمات » عن « أفكار » تمثل بذاتها « حقائق » .

وعلى ذلك فإنه يلزم لغة القانون وضع مصطلحات القانون وضبط تعريفاته . وهي ، بعده ، لغة تتصف بسماة ثلاث ، هي : الدقة والبساطة والوضوح ، يترتب على تخلف أي منها الوقوع في التخليط وصعوبة الوصول إلى فهم حقيقة المراد . ولا يحول الحفاظ على هذه السماة دون انتقاء الخزل من الكلام والشيق من أساليب التعبير .

(*) أستاذ كرسي القانون الدولي الخاص بكلية الحقوق بجامعة القاهرة حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٥٦ - عميد كلية الحقوق بجامعة عين شمس من ٢٤ أكتوبر سنة ١٩٥٦ حتى ٢٣ أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، وأستاذ كرسي القانون الدولي الخاص بهذه الكلية حتى يولية سنة ١٩٧٤ ، وأستاذ متفرغ بها حتى سبتمبر سنة ١٩٧٧ ، ثم أستاذ غير متفرغ بها حتى ٣٠ نوفمبر سنة ١٩٧٨ ، تاريخ اعتزاله العمل بناء على طلبه .

والقانون الذى نضطلع ببيان لغته هو ما أصطلح على تسميته « القانون الوضعى » . وهذا مصطلح فى لغة القانون استقر فى الفقه المصرى ترجمة للمصطلح الفرنسى droit Positif الذى يعنى « مجموعة القواعد القانونية التى تكون « النظام القانونى » الذى يحكم فعلا حياة جماعة من الناس فى مكان معين وزمان معين . وبهذا المعنى يقال « القانون الرومانى » و « القانون الفرنسى القديم » و « القانون الفرنسى الحالى » و « القانون المصرى الحالى » . فالمقصود بصفة « الوضعية » للقانون هو توافر « الإيجابية » أو « الفعالية » (وهى الترجمة الدقيقة للكلمة الفرنسية (Positif Positif) لقواعده بمقتضى ما يصاحبها فى التطبيق من إجبار على احترامها وسريانها ، تفرضه السلطة العامة فى المجتمع .

والقانون الوضعى بهذا المعنى هو موضوع علم القانون ، الذى يبحث فيما هو « كائن » ، وذلك على خلاف « علم فلسفة القانون » الذى يعنى بالبحث عما « يجب أن يكون » ، فهو لا يتناول نظاما قانونيا لجماعة من الناس فى زمان معين ، بل يتناول القانون فى شمول ، مفتشا عن الأصول والخصائص العامة لتطوره التاريخى ، ومتخذنا فى تقديره معيارا من العدل المثالى الذى يفرضه العقل وحده .

ويرتبط تاريخ لغة القانون فى مصر بتاريخ بداية وجود « القوانين الوضعية » فيها . وبيان ذلك أن ولاية القضاء فى مصر كانت موزعة بين جهات عديدة ، تطبق كل منها شريعة خاصة بها . ويأتى فى صدارة هذه الجهات المحاكم الشرعية ، وكانت ولايتها عامة من حيث مادة الخصومة ، فتشمل المواد المدنية والمواد الجنائية ومسائل الأحوال الشخصية ، وذلك فيما عدا ما يكون من هذه المسائل خاصا بغير المسلمين فيلجأون فى شأنها إلى مجالسهم الطائفية (أى المجالس المليية) وقامت بجانب هذه الجهات « المحاكم القنصلية » ، وهى محاكم أجنبية تطبق كل منها قانون الدولة التى تتبعها . وقد جاءت هذه المحاكم وليدة نظام الامتيازات الأجنبية التى نشأت فى مصر فى القرن السادس عشر إبان تبعيتها للدولة العثمانية (وقد نشأ) « الامتياز الأول » بمعاهدة أبرمت مع فرنسا فى سنة ١٥٣٥ ، وجاء بعده « الامتياز الأكبر » بمقتضى معاهدة أبرمت مع فرنسا فى سنة ١٧٤٠ وتاتهما امتيازات مماثلة تقررت بمعاهدات أبرمت مع عدد من الدول الأوروبية خلال القرن الثامن عشر ، وبمعاهدة أبرمت مع الولايات المتحدة الأمريكية فى سنة ١٨٣٠ . واعتاد رجال الإدارة (الحكام) الفصل فيما يرفع إليهم من خصومات ، فاجتزأوا بذلك جانبا من ولاية القضاء .

وظلت الحال كذلك حتى عهد محمد علي باشا فامتدت يده إلى القضاء ليصلحه . وكانت الخطوة الأولى في سبيل هذا الإصلاح هي إنشاء مجلس قضائي سمي أول الأمر « جمعية الحقانية » ، وسمى فيما بعد « مجلس الأحكام » ، (سنة ١٨٣٩) . ونيطت بهذا المجلس مسائل كثيرة ، من تشريعية وقضائية ، أخصها ذكر القضايا العامة التي تقدمها إليه « دواوين الحكومة » . ثم مست الحاجة لهيئة تتولى الفصل في المواد التجارية ، فأُنشئ « مجلس تجار الإسكندرية » ليفصل في المنازعات التجارية بين « الأهالي » (أي الوطنيين) بعضهم وبعض ، أو بينهم وبين الأجانب . ثم أنشئ « مجلس تجار مصر (القاهرة) » على غرار مجلس تجار الإسكندرية . وفي عهد عباس الأول تم إنشاء خمسة مجالس قضائية للأقاليم . وأخذ الزمن يحكم على هذه المجالس جميعا من حيث كفايتها للغاية المبتغاة منها ، ألا وهو تكوين هيئة قضائية . وكان الحكم حينها ضدها فتلغى وترد وظائفها إلى رجال الإدارة (كما حصل في عهد سعيد باشا سنة ١٨٥٧) وأحيانا لصالحها فتتعدد ويتفرع تربيها وتشكيلها ، حتى استقرت في عهد إسماعيل إلى أن عصفت بها يد الإصلاح الحارف الشامل . وفي سنة ١٨٧٣ أنشئت « المجالس الحسبية » لتختص بمسائل الولاية على المال .

وقد كان هذا التعدد في جهات القضاء وعدم وجود ضوابط دقيقة تحدد ولاية كل منها ، مؤديا إلى وقوع التنازع في الاختصاص فيما بين بعضها والبعض ، وإلى تحقق تضارب الأحكام الصادرة منها ، مما وصف بحق بأنه « فوضى النظام القضائي » ، الذي صاحبه فوضى النظام التشريعي . ودعت هذه الحال إلى التفكير الجاد في الإصلاح الشامل ، وجاءت الخطوة الأولى في سبيله بإنشاء المحاكم المختلطة « (وهي محاكم مصرية تؤلف من مصريين وأجانب) على غرار الأنظمة القضائية الأوروبية الحديثة ، وذلك في سنة ١٨٧٥ ، وأصدرت مجموعات قوانين (تقنينات) نقلا عن القانون الفرنسي ، تطبقها هذه المحاكم فيما يدخل في ولايتها من مسائل (وهي القانون المدني والقانون التجاري والقانون البحري وقانون المرافعات والقانون الجنائي وقانون تحقيق الجنايات) . وجاءت الخطوة الثانية في سبيل هذا الإصلاح بإنشاء « المحاكم الأهلية » (في سنة ١٨٨٣) وإصدار مجموعات قوانين تطبقها فيما يدخل في ولايتها من مسائل ، وذلك على غرار المجموعات (التقنينات) المختلطة .

وبصدور مجموعات القوانين المختلطة ومجموعات القوانين الأهلية وجد « القانون الوضعي » ، بمعناه السابق ذكره ، في نطاق واسع في مصر ، ووجدت « لغة القانون

الوضعي» ، وهي لغة أجنبية بالنسبة للقوانين المختلطة والمحاكم المختلطة ، ولغة عربية بالنسبة للقوانين الأهلية والمحاكم الأهلية وكان ما يصدر من قوانين ينشر في الجريدة الرسمية بهاتين اللغتين . وقد زال هذا الإزدواج في لغة القانون في ١٥ من أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، وهو التاريخ الذي انقضى أجل المحاكم المختلطة بحلوله تنفيذاً لأحكام اتفاق إلغاء الامتيازات الأجنبية في مصر المبرم في سنة ١٩٣٧ . وانفردت لغة القانون العربية في الميدان القانوني . وكما انقضى أجل المحاكم المختلطة ، انتهى العمل بمجموعات القوانين المختلطة . واستمر العمل بمجموعات القوانين الأهلية ، وكان قد لحق بعضها التعديل ، إذا أصدر في سنة ١٩٠٤ قانون العقوبات وقانون تحقيق الجنايات اللذان حلا محل قانوني سنة ١٨٨٣ ، ثم أصدر في سنة ١٩٣٧ قانون عقوبات جديد لا يزال سارياً حتى الآن . وقد نشطت الحركة التشريعية لتعديل هذه المجموعات بعد العمل باتفاق إلغاء الامتيازات واستكمال مصر سيادتها التشريعية ، فصدر القانون المدني في سنة ١٩٤٨ وصدر قانون المرافعات في سنة ١٩٤٩ ليحل محلها ابتداء من ١٥ أكتوبر سنة ١٩٤٩ ، كما صدر قانون الإجراءات الجنائية (وهي التسمية الحديثة لقانون تحقيق الجنايات) في سنة ١٩٥٠ .

على هذا الوجه نشأت « لغة القانون الوضعي » في مصر . وهو تعبير ينصرف ، إذا ما أطلق إلى « لغة علم القانون » أو « لغة الفقه » ، لأن فقهاء القانون هم الذين يصنعونها ، وهي لغة تتصف بها تقدم ذكره من السمات ، ويتفرع منها في الميدان القانوني لغة التشريع ولغة القضاء ولغة المحاماه ، ويكون لكل منها خاصية أو أكثر تميزها من غيرها .

أولاً - لغة التشريع :

وكانت لغة التشريع أسبق في الوجود في مصر من سائر هذه اللغات بما في ذلك لغة علم القانون ذاتها . وليست هذه الأسبقية في الوجود أمراً مستغرباً ، لأن « القانون الوضعي » دخل مصر في صورة تشريع تضمنه « مجموعات قوانين » (أي تقديرات) وضعت باللغة الفرنسية ، ثم ترجمت « مجموعات القوانين الأهلية » إلى اللغة العربية ، وكانت هذه الترجمة أول « لغة تشريع عربية » في مصر في مجال القانون الوضعي . وكانت مهمة المترجم شاقة وعسيرة . فهو قد واجه مصطلحات ونظماً قانونية لا تتفق تماماً في المعنى والمضمون مع مثيلاتها في الفقه الإسلامي ، كما واجه مصطلحات ونظماً قانونية

غير معروفة في هذا الفقه . ولم يبلغ الأمر عنده هذا القدر من المشقة بالنسبة للسائل القانونية التي أستقيت أحكامها من الشريعة الإسلامية ، مثل الشفحة وبيع المريض مرض الموت .

وإذا ما قيس جهد ناقل هذه المجموعات القانونية إلى اللغة العربية بزمانه لكان جهدا جديرا بالتقدير والاحترام ، وبخاصة عند من يعاني النقل إلى اللغة العربية من لغات أجنبية فيما استجد من فروع القانون أو في موضوعات كل منها ، في زماننا الذي نعيشه . على أنه رغم هذا الجهد الكبير الذي بذل في نقل هذه المجموعات إلى اللغة العربية ، سرعان ما بدا الخلاف في بعض المواضع بين النص الفرنسي والنص العربي . ووقف القضاء حائرا أمام هذا الخلاف . فرأى بعض المحاكم « وجوب الأخذ بالنص الفرنسي لأنه الأصل الذي وضعت به المادة ، فضلا عن أن اللغة الفرنسية هي لغة القانون » . ورأى البعض الآخر من المحاكم « وجوب الأخذ بالنص العربي ، وذلك أولا - لأن القانون استلزم النشر . وهذا يكون باللغتين العربية والفرنسية ، وجمهور الأفراد يجهل اللغة الفرنسية فيتعين الأخذ بالنص العربي . وثانيا - لأن لغة المناقشة في القوانين هي اللغة العربية » . ورأى بعض الفقهاء « وجوب التوسط بين الرأيين واعتبار اللغتين العربية والفرنسية لغتين أصليتين ، ويرجع إلى ظروف كل حالة ويؤخذ بالنص الذي يظهر أنه يتفق مع غرض المشرع » .

على أن هذا الوليد الجديد « لغة التشريع » قد تولاه بالعناية والنماء رجال القانون الأوائل ، رواد القانون الوضعي المصري ، فتناولوا نصوص مجموعات القوانين ، وغيرها من التشريعات ، بالشرح والتفسير وإزالة غموض النص وسد نقصانه حيث وجد ، ونقد عبارة النص أو حكمه ، واقتراح البديل المستحسن له . وهو وارد في التشريع من مصطلحات أو تعريفات أو تعبيرات أو أحكام . وكان من هؤلاء الرجال أساتذة بمدرسة الحقوق (كلية الحقوق بجامعة القاهرة فيما بعد) وقضاة ومحامون . وكان بين هؤلاء وأولئك القاضي الفقيه والحامي الفقيه ، مما يشبه ما كانت عليه الحال عند الرومان ، إذ كثيرا ما وصف رجل القانون الروماني بأنه فقيه وقاض ومشرع . ونذكر من هؤلاء الرواد الذين بدأ نشاطهم في أواخر القرن الماضي وتوالى في أوائل القرن العشرين الأساتذة : أحمد فتحي زغلول وأحمد قمحة ومحمد حلمي عيسى وعبد العزيز فهمي وعلي ماهر وعبد الحميد بدوي وعبد الحميد أبو هيف وعبد الفتاح السيد وأحمد لطفي وأحمد نجيب الهلالي ومحمد صادق فهمي وعبد السلام ذهني ومحمد كامل مرسى وأحمد أمين وأحمد نشأت وعلي زكي العراقي وعبد الرزاق أحمد السهوري ومحمد صالح وعلي الزيني وكامل ملش ومحمود سامي جنيته وأحمد صفوت وعزيز خانكي .

والواقع من الأمر أن عناية هؤلاء الرواد بلغة التشريع إنما جاء خلال صنعهم لغة علم القانون أو لغة فقه القانون . ولقد صاحب جهدهم في لغة التشريع جهد آخر بذلته « إدارة قضايا الحكومة » . ولطند الإدارة تاريخ قديم . ذلك أنه لما أنشئت المحاكم المختلطة عقد لها الاختصاص بنظر الدعاوى التي ترفع بين الحكومة والأجانب ، الأمر الذي اقتضى أن يكون للحكومة من يمثلها أمام هذه المحاكم من الموظفين رجال القانون . لذلك عنيت الحكومة بإنشاء قوميتيه (تعريب الكلمة الفرنسية Comité) قضايا الحكومة « أى « لجنة قضايا الحكومة » لتتولى الدفاع عنها أمام هذه المحاكم ، ثم تولت هــ لما الدفاع أمام المحاكم الأهلية بعد إنشائها . كان إنشاء هذه اللجنة في سنة ١٨٧٤ . وتناول نظامها التعديل في سنة ١٨٧٦ فأعتبرت « هيئة استشارية للحكومة وممثلة لها أمام القضاء » . وتوالى تعديل هذا النظام في سنة ١٨٨٠ ثم في سنة ١٨٨٤ حيث أضيف إلى اختصاصها « تحضير القوانين والأوامر واللوائح » . وفي سنة ١٨٩٦ أنشئت « اللجنة الاستشارية لسن القوانين واللوائح » مهمتها « وضع مشروعات القوانين والأوامر واللوائح في صيغة قانونية القوانين والأوامر واللوائح في صيغة قانونية وجعل نصوصها ملائمة للقوانين المتبعة » . وفي سنة ١٩٢٣ صدر القانون الأخير « بتنظيم أعمال إدارة قضايا الحكومة » التي آلت إليها اختصاصات مختلف هذه الهيئات ، وأخصها ذكرا وضع مشروعات القوانين والأوامر واللوائح في صيغة قانونية . وظلت هذه الإدارة تمارس هذه المهمة حتى آلت إلى مجلس الدولة منذ إنشائه في سنة ١٩٤٦ . ويجرى التعبير عن هذه المهمة في قانون هذا المجلس الصادر في سنة ١٩٧٢ بما تنص عليه المادة ٦٣ منه من أنه « على كل وزارة أو مصلحة قبل استصدار أى قانون أو قرار من رئيس الجمهورية ذى صفة تشريعية أو لأئحة أن تعرض المشروع على قسم التشريع لمراجعة صياغته ، ويجوز لها أن تعهد إليه بإعداد هــه التشريعات » .

وهكذا ، منذ أواخر القرن الماضي وخلال الربع الأول من القرن العشرين ، ولدت لغة التشريع وأخذت تنمو وتبدأ ، وإنما بخطى مدروسة وجهود صادقة . وهى لغة وصفها أستاذنا الفقيه القاضى المشرع الدكتور عبد الرزاق السنهورى بقـوله « يجب أن تكون واضحة دقيقة . فاللغة المعقدة تجعل القانون مغلقا ، كما أن اللغة غير الدقيقة تجعل القانون مبهما . ويجب أن يكون للتشريع لغة فنية خاصة به ، يكون كل لفظ فيها موزونا محدود المعنى . ولا يجوز أن يتغير معنى اللفظ الواحد باستعماله في عبارات مختلفة . كما أنه إذا عبر من معنى بلفظ معين ، وجب ألا يتغير هذا اللفظ إذا أريد التعبير عن هذا المعنى مرة أخرى . ولا يتنافى أن تكون لغة التقنين غنية على أن تكون بسيطة تنزل إلى مستوى فهم الجمهور » .

واستمرت لغة التشريع ترتقى صعودا خلال الثلاثينات والأربعينات وأوائل الخمسينيات . وهو ارتقاء أسهم فيه كل من اشترك في إعداد التشريع أو مراجعة صياغته أو نقده . في هذه الحقبة من الزمان . فبعد أن قام النظام النيابي في مصر بالعمل بدستور سنة ١٩٢٣ وجدت الهيئة التشريعية مجسمة في البرلمان (مجلس الشيوخ ومجلس النواب) ، وضمت اللجان التشريعية المشكلة داخلها أكفاء من رجال القانون ، أكثرهم من كبار المحامين المتفقيين في القانون . وبذلك اتفرت لهذه الهيئة مكنة الارتقاء بلغة التشريع ، وذلك بجانب مجهود مجلس الدولة منذ إنشائه ، وجهود فقهاء القانون من أساتذة الحقوق وغيرهم من المشتغلين بالقانون . ويجب أن يذكر بالعرفان والتقدير في هذا المقام فضل اللجان التشريعية التي تولت وضع مشروعات عدد من التقنيات الجديدة ، مثل التقنين المدني (الصادر في سنة ١٩٤٨) وتقنين المرافعات (الصادر في سنة ١٩٤٩) ثم التقنين الصادر في سنة ١٩٦٨) .

وأن من يدرس مختلف هذه التقنيات ليستظهر في يسر ويقين مستوى ارتقاء لغة التشريع في مصر واتصافها بما سبق ذكره من السمات . تأمل المادة الأولى من التقنين المدني وهي تقول : « تسرى النصوص التشريعية على جميع المسائل التي تتناولها هذه النصوص في لفظها أو في فحواها . . . » ، والمادة ٩٠ منه وهي تقول : « التعبير عن الإرادة يكون باللفظ وبالكتابة وبالإشارة المتداولة عرفا ، كما يكون باتخاذ موقف لا تدع ظروف الحال شكاً في دلالة على حقيقة المقصود . . . » والمادة ١٢٩ منه وهي تقول : « إذا كانت التزامات أحد المتعاقدين لا تتعادل البتة مع ما حصل عليه هذا المتعاقد من فائدة بموجب العقد أو مع التزامات المتعاقد الآخر ، وتبين أن المتعاقد المغبون لم يبرم العقد إلا لأن المتعاقد الآخر قد استغل فيه طيشا بينا أو هوى جامحا ، جاز للقاضي بناء على طلب العاقد المغبون أن يبطل العقد أو أن ينقص التزامات هذا المتعاقد . . . » . ثم تأمل المادة الثالثة من تقنين المرافعات الصادر في سنة ١٩٦٨ (وهي منقولة عن المادة ٤ من تقنين المرافعات الصادر في سنة ١٩٤٩) وهي تقول : « لا يقبل أى طلب أو دفع لا تكون لصاحبه فيه مصلحة قائمة يقرها القانون ، ومع ذلك تكفى المصلحة المحتملة إذا كان الغرض من الطلب الاحتياط لدفع ضرر محقق أو الاستيثاق لحق يخشى زوال دليله عند النزاع فيه » . أفبعد هذا دقة في بيان المراد وبساطة ووضوح في التعبير ، مع جزالة اللفظ وحسن الأسلوب !!

وقد انبسطت لغة التشريع هذه في عدد من البلاد العربية التي تأثر مشروعها بالتقنيات المصرية فيما أصدره من تقنيات جديدة استعانوا في وضعها ببعض الفقهاء المصريين ، وبخاصة الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري . نذكر من هذه

التقنيات القانون المدنى السورى (الصادر فى سنة ١٩٤٩) وقانون أصول المحاكمات السورى (أى قانون المرافعات الصادر فى سنة ١٩٥٣) والقانون المدنى العراقى (الصادر فى سنة ١٩٥١) والقانون المدنى اللبى (الصادر فى سنة ١٩٥٣) وقانون المرافعات اللبى (الصادر فى سنة ١٩٥٣) والقانون الكويتى رقم ٥ لسنة ١٩٦١ بتنظيم العلاقات القانونية ذات العنصر الأجنبى .

على أن موجة عارمة من التشريع سادت مصر فى الخمس وعشرين سنة الأخيرة صاحبها الإسراع فى إعدادة وإصداره . وقد ترتب على التعجل فى التشريع عدم إيفائه بالغاية المقصودة منه وظهور العجز فيه ونقصانه فى بعض الحالات ، مما يشهد به أن تشريعا يصدر ولا يكاد يمضى عام أو أكثر إلا ويجرى تعديله أو إلغاؤه وإصدار تشريع جديد . ومهما قيل من أن سرعة تطور أحوال البلاد وتنوع احتياجاتها كانا يقتضيان هذا التعجل فى التشريع ، فإن ذلك لا يبرر ما جرى ، وكان من المستطاع توخى مزيد من الدقة فى التقدير . هذا من حيث أحكام التشريع . أما من حيث لغة التشريع فقد أصابها الهزال وبدأت فى بعض الأحيان فاقـسـة بعض سيئاتها المذكورة آنفا ، وتوقف ارتقاؤها ، لا بل إنها أصيبت بنكسة قد تعود بها إلى الوراء . وليس من الإنصاف فى شىء أن تلقى المسؤولية عن كل ذلك على كاهل الجهات التى عهد إليها بإعداد التشريع أو مراجعة صياغته ، أى مختلف اللجان التشريعية الخاصة ومجلس الدولة ، فقد وقعت أحداث وتوافرت ظروف ، يعرفها ويعيها كل من عاش خلال هذه المدة ، شاركت فى هذه المسؤولية حتى أنه تراهى إلى السمع أن بعض التشريعات كان يصدر دون أن يعرض على مجلس الدولة . ترى متى يأتى فجر صحوة تستعيد بها لغة التشريع سابق رفعتها وتزدهر مسابرة سنة التطور .

ثانيا - لغة الفقه :

وإذا كنا قد قدمنا الكلام فى لغة التشريع على الكلام فى لغة علم القانون (أو لغة الفقه) فما ذلك إلا مراعاة للترتيب التاريخى . فقد نشأت الأولى قبل الثانية ، وإن كانت قد تمت وترعرعت فى ثنايا هذه الأخيرة . ويحق علينا الآن أن نفتح المجال للكلام فى لغة الفقه . ولقد مرت هذه اللغة فى مراحل ثلاث ، يمكن أن نطلق على أولها « مرحلة التكوين » وعلى ثانيها « مرحلة الإزدهار » ، وعلى ثالثها « مرحلة الارتخاء أو النكس » .

وتشمل المرحلة الأولى الربع الأول من القرن العشرين وما يزيد عليه قليلا . وقد عاش فى هذه المرحلة من أسميتاهم فيما تقدم « رواد القانون » ، الذين بنوا لغة فقه القانون ،

وهم يتحملون مشقة النحت في صخره و مساعدتهم على تحملها هدوء النفس وبطء جريان الزمن والإيمان بالعلم والأمانة فيه . فهم يدرسون القانون بلغة أجنبية ، وينقلون ما يدرسونه إلى اللغة العربية بما يقضيه ذلك من وضع المصطلح الدقيق والتعريف الذي لا يتسع لغير المراد ولا يضيق به . مع حسن التعبير ورقة الذوق فيه . ولقد عير الأستاذ زكي عريبي المحامي عن هذه المعاني بقوله (في المجلد الثاني من الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية من سنة ١٨٨٣ إلى سنة ١٩٣٣) : « وأنت في مصر - كاتبا كنت أو أستاذا في جامعة ، محاميا أو قاضيا ، مهندسا أو طبيبا - لا تكاد تذكر أمامك اللغة حتى تتجه بفكرك إلى مختلف الصعوبات التي تعانها إذا طلب منك أن تكتب أو تدرس أو تحاضر في فرعك الخاص . لقد أخذت - كما أخذ أفراد هذا الجيل والذي تقدمه - العلم عن أوروبا . أخذته سهلا ميسورا بلغة أجنبية لقنتها صغيرا في طرازها الأخير فحصلت بها على أداة رقيقة مطواعة لحاجات العصر ، قد استوفت دقائقها من مسميات وأفعال وتعبيرات لها دلالتها الخاصة المحدودة . درست بهذه الوسيلة في لين وسهولة . وإذا بك انتقلت فجأة لمحصولك العلمي إلى محيط يريد أن يفهم منك ما فهمته ويأخذ ما أخذته . وليس سبيل التفاهم مع هذا المحيط إلا بلغة قد يكون معانها ذهبا ، ولكنه ذهب لا يزال تبرا . . . وإن كثيرا من المشتغلين بالقانون في مصر - بل قل غالبيتهم المطلقة - درسوا القانون بلغة أجنبية استجمعت شروط الصلاحية للتعبير عن كل فكرة انتجها الفكر الحديث . وجميع هؤلاء - محامين كانوا أو قضاة أو وكلاء نيابة - مطلوب منهم أن يصوغوا ما تعلموه بالفرنسية أو الإنجليزية كلاما عربيا فصيحاً . . . ولكن يمكن حصر الصعوبات في هذا السبيل ومعالجتها . . ؟ أن ما نواه في عالم الحقوق يميز لنا أن نعتقد أنه ليس في اللغة أدواء أصيلة نمنعها من أن تأخذ مكانها تحت الشمس كلغة عصرية تضرب بسهم في مختلف العلوم والفنون . . . » .

وهذا العسر في إنشاء لغة عربية لفقهاء القانون ، وضرورة هذا الإنشاء وأهميته ، كلها أمور كانت قائمة في ذهن المشتغلين بالقانون في هذه المرحلة وعبروا عنها فيما نشره من مؤلفات .

وإذ كان الفقه « هو استنباط الأحكام القانونية من مصادرها العلمية » نرى الأستاذ أحمد فتحي زغول (في مقدمة كتابه « شرح القانون المدني » المنشور في سنة ١٩١٣) يقول : « مضى جيل منذ وضعت القوانين الحاضرة ، ولا زال شرحها غامضا أو غائبا عن أذهان ذوي الحاجات وأرباب الخصومات لقلة المصنفات على كثرة المشتغلين بتطبيقها والمحترفين بها » . ثم يضيف في مقام بيان ما اتبعه في تأليف كتابه قوله :

« أبدلت من بعض الألفاظ ألفاظاً أخرى لورودها في المعنى المراد أو لكونها أقول أدل عليه من الأولى . ولولا أن النص العربي أسرف في الألفاظ ما ورد الحكم الواحد بأكثر من عبارتين مختلفتين معنى ومبنى ، وسمى الشيء الواحد بأسماء هي أقرب للتناقضات منها إلى المترادفات في علم التشريع - لولا ذلك لقلنا خطأ مشهور خير من صواب مهجور . على أني لم أطرق هذا الباب إلا مع الحذر . وتكاد الكلمات التي اخترتها تعد بالسهولة لقلتها . وإنما أردت فتح باب أرغب إلى المشتغلين بالقانون أن يدخلوا منه إلى لفظ أمكن وعبرة أسد ، حتى تصح لغة القانون ، ويكون لنا في علم الحقوق معجم نستعين به على الشرح والتصنيف . وإذا كان لامناص من لفظ جديد فخير لنا أن نختار ما يطابق المعنى المراد من أن نحشوا الحافظة بكلمات قهرها المترجمون في هذا الزمان على غير معانيها . وذلك أقرب إلى الفهم وأبقى في الذاكرة وأسهل في الانتفاع بالكتب العربية وأقوم للغة ، وما هو بالشيء القليل . ولسنا نحتاج إلا إلى قليل من الإرادة والصبر حتى تصقل الألفاظ الجديدة بالتداول ويعتادها اللسان وتطمئن إليها الآذان . »

بهذا الأسلوب الناصع الدقيق عبر الأستاذ أحمد فتحى زغلول عن سمات لغة الفقه ويجيء بعده الأستاذ الدكتور عبد الحميد أبو هيف ليقول في كتابه (المرافعات المدنية التجارية والنظام القضائي في مصر الذي نشرت طبخته الأولى في سنة ١٩١٥) : « لم أقتصر في هذا الكتاب على درس المرافعات من الوجهة النظرية فان هذه الطريقة عقيمة إن هي لم تقترن بدراسة المرافعات من الوجهة العلمية ، لذلك عمدت إلى أحكام المحاكم وعاداتها فجعلت من اهتمامي نصيبا كبيرا ، ولكني لم أفرط في عقدها حيث وجدتها تتناقض مع القواعد الصحيحة المستنبطة من الطريقة التاريخية ومن مقارنة الشرائع وإذا كانت هاتان الطريقتان هما العمدة لمشرعي هذا العصر في تفسير القانون وإصلاحه فلذلك لم آل جهدا في تبيان هاتين الطريقتين وكيفية الانتفاع بهما في إصلاح القانون الحاضر وتحضير قانون المستقبل . »

ولقد كان نشر هذا الكتاب للدكتور عبد الحميد أبو هيف حدثا كبيرا في ميدان القانون ، وكتب في تقديره أساتذة وقضاة ومحامون كلمات تعبر بدورها عن ارتقاء لغة فقه القانون من ذلك ما قاله الأستاذ الدكتور عبد السلام ذهني ونصه : رأينا أن العالم الأوربي ينظر إلى مؤلفه كنظر المالى إلى رأس ماله ، يتعهده كل آن بالنماء والزيادة . . . ومرافعات الدكتور أبو هيف هو الكتاب البكر في فن القانون . . . إذا قرأت من الصفحة الأولى منه فلا تشعر بعد زمن إلا وقد طرحت بك الحاذبية

إلى المائة فتتلهف للمائتين ثم تعدو للثالثة : ترى أبو هيف يقف بك أمام القانون الأهلى المصرى ويعمل لك مقارنة بالقانون المختلط يطوف بك على القانون النمساوى والألمانى ثم يمر بك على أهل التأليف . ثم يقف به لحظة يعرض فيها عليك رأيه الشخصى فترى آيات النقد تتدفق وأسلوب التعبير المنطقى يضىء وحججـة العمل تؤيده فلا تشعر بعمل فى دراسة علم المرافعات ، على ما هو معروف عن هذا العلم من الحفاف الطبيعى وشدة ضغطه على الروح والأنفاس أن وجد عيبا فى التشريع ينبهك إليه وإن اختلف فى رأى مع القضاء أبان لك أوجه الخلف وعزر رأيه بالدليل الوافى فالقضاء لا يفلت من نقده ولا المشرع نفسه .

ويقول الدكتور محمد بهى الدين بركات فى كلمة قدم بها كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف : «عمل الفقيه المصرى عمل شاق ودقيق، يحتاج إلى التيقظ المستمر الدائم، وإلى المقارنة بين الشرائع ووزن الألفاظ وتقدير الظروف التى وضعت فيها تقديرا حكما . . . لذلك كانت مهمة المؤلف عندنا وعرة المسلك ينوء بحماها كل من قدر مسئوليته » قدرها .

ويقول الأستاذ عزيز خانكى فى وصف كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف «لم يترك محالا للنقد إلا أظهر خطأه رأينا يدك بعض الأحكام دكا ، وينسف بعض النصوص نسفا ، لم ينظر إلى القائل بل نظر إلى القول ، وحكم على كل نص أو رأى أو حكم بأثاره ونتائجه ، مهما علت منزلة واضعه أو قائله أو مصدره . ما خاف أحد إلا الحق وما راعى شيئا إلا المصلحة العامة » .

وإذا كان ما تقدم هو قليل مما قيل فى فقه الدكتور أبو هيف وفى لغته الفقية، فإنه قد جلب من ذاكرتى أمرا عاصرته يتعلق بهذا الموضوع . فقد حدث أن شكلت لجنة فى سنة ١٩٤٥ لمراجعة مشروع قانون المرافعات المدنية والتجارية (والذى صدر فى سنة ١٩٤٩) وكنت فى ذلك الوقت مدرسا بكلية الحقوق بجامعة القاهرة ومنتدبا سكرتيرا فنيا لهذه اللجنة ، وشهدت كيف كان كتاب الدكتور عبد الحميد أبو هيف مرجعا أساسيا تستهدى به اللجنة وتحتكم إليه عندما يحتدم الجدل بين أعضائها . ولقد أفادت اللجنة الكثير من مواقفها من التشريع الذى كان قائما ومن مقترحاته فى تعديله سواء فى حكم النص أو فى صياغته التشريعية .

وإذا ما طفنا فى هذه المرحلة الأولى من مراحل لغة الفقه أو مرحلة التكوين ، بعد استعراض هذه اللغة فى مؤلفات من سبق ذكرهم من الفقهاء ، وجدنا الأستاذ محمد

حلمى عيسى يقول في مقدمة كتابه «شرح البيع في القوانين المصرية والفرنسية وفي الشريعة الإسلامية» (منشور في سنة ١٩١٦) : «وقد سلكت في تأليفه الطريق الذي سلكه الشارع في وضع القانون ، قارنت أولا بين مراده (من أهلي ومختلط) وبين مصدره الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي . وجعلت المقارنة في الشريعة على كتاب مرشد الخيران للمرحوم قدرى باشا ومجلة الأحكام العدلية لوضعها على نسق القانون ترتيبا ومواد . . . وعلى هذا النحو سرت في الشرح لأن واضع القانون لم يترك لنا مذكرات إيضاحية ولا أعمالا تحضيرية لتكون مرشدا وهاديا لكل باحث يدرك منها غرض الشارع ويقف على حكمة ما أثبت وما علة ما عدل أو ابتكر . بل ترك الناس حيارى يذهبون كل مذهب في تأويل قوله وتعليل عمله . . . كذلك آخذ الكثيرون واضع القانون بالإسراف في التعبير حيث يغني الإيجاز . وبالتفصيل حيث يجب البيان ، والتراخي في تحرى الإصلاح ، بل ويضعف التركيب وسقم العبارة وعجز الألفاظ التي استعمالها عن أداء ما يراد بها وبموضعها إلى حد يحتاج معه المطلع للرجوع إلى النص الفرنسي لاستيضاحها وهو عيب كبير واقع ما له من دافع غير ما أظهره أولئك المنكرون من محاولة تلافى هذه النقائص في مؤلفاتهم والعمل على استبدال ما استنكروه بإصطلاحات أوفى بالغرض وأنسب للقانون . وإنا على آثارهم مهتدون فقد أثبت ما عثرت عليه من الاصطلاحات التي ظننتها كذلك ولعلنا وفقنا . . . ولكننا إن آخذناه بكل ذلك فيجب ألا ننسى أن هناك غرضا ظاهرا للشارع يصلح أن نسترشده به في شرح قانونه وهو الرجوع إلى نفس مصادر الأحكام التي دونها فيه . . . ثم يضيف المؤلف قوله : «لسنا نجعل أو نتكر عمل الشارع في هذا السبيل وهو يشرع لأقوام مختلفة الجنسية متعددي الأحوال الشخصية خاضعين لامتيازات أجنبية يجب مراعاتها في معاملاتهم ، كما يجب مراعاة الأخذ بأسباب الرقي والانتفاع بما أظهرته تجارب الأمم الراقية ودواعي الحضارة . . . ولقد راعيت ما استطعت في تحريره السهولة في العبارة والبسط في القول والإفاضة في الشرح والإحاطة بمختلف المذاهب وتنوع الآراء وتعدد الأحكام ، والتفصيل في التعليل ، لأنني رأيت أن ذلك أدعى لرسوخ المسائل في الذهن وأقرب لفهم أحكامها وأنمي ملكة التفقه وأسهل لمعرفة طرق الاستنباط وسبل القياس وأظهر في كيفية تحليل المواد وتطبيق الحوادث على جزئياتها والتدليل على ما استخلص من الآراء منها»

وإذا ما أردنا رؤية صورة لتطبيق هذا المنهج الذي التزم به المؤلف في مقدمة كتابه لأوردنا مقتطفات منه تأتي في صدارتها العبارة التي استعمل بها الفصل الأول (في البيع على العموم) ونصها : «أصل البيع هو المقايضة . فهي أول ما عرف الإنسان من

أنواع التعامل وكيفية ذلك أن الإنسان خلق مدنيا بطبعه فلا يستطيع أن يعيش بمفرده ولا يستطيع أن يسد حاجته دون معونة بني جنسه . فهو منظر لمعاملتهم وتبادل المنفعة معهم يأخذ منهم ما تمس إليه حاجته ويعطيهم ما زهد فيه أوزاد عن لوازمه ، فطرة الله التي فطر الناس عليها فتبادل المنفعة أو الأخذ والعطاء الذي انساق إليه الإنسان من أول نشأته هو المسمى بالمقايضة أو المعارضة كما سماها القانون المصري » ثم يقول المؤلف في تعريف البيع ، البيع لغة مقابلة شيء بشيء مالا أولا . واحطلاحا عقد يلتزم به أحد المتعاقدين نقل ملكية شيء للآخر في مقابلة التزام ذلك الآخر يدفع ثمنه المتفق عليه بينهما» ويذكر المؤلف أن هذا التعريف (وقد ضمنه المادة ٣٣٥ من القانون المدني الأهل) مستمد من أحكام الشريعة الإسلامية والقانون الفرنسي اللذين هما مصدر التشريع المصري. ويقول المؤلف بعد ذلك : « والتعريف الذي اختاره المشرع المصري هو ما يميل لتعزيزه علماء القانون الفرنسي في مؤلفاتهم ويمتاز تعريف القانون المصري عن تعريف القانون الفرنسي بأن حكم البيع والغرض منه وهو نقل الملك منصوص عليه فيه صراحة بعكس القانون الفرنسي فإنه مستفاد دلالة ثم نرى المؤلف وهو يقف «وقف الناقد من نص تشريعي يوضح أساس النقد ويقترح العلاج لميب النص . نجد مثلا لذلك موقفه من المادة ٢٦٧ من القانون المدني الأهل التي تقتضي بأنه يشترط لصحة البيع أن يكون البيع مما يجوز التبايع فيه» فيقول المؤلف ما نصه « بظهور من مقارنة عبارة (مالا يجوز التبايع فيه) بما يقابلها في النص الفرنسي أن هناك تصرفا في التعبير قصر مؤدى العبارة العربية على البيع ، مع أن النص الفرنسي يصدق على البيع كما يصدق على غيره ، وربما كان التعبير لا يقبل التعامل فيه أو (لا يجوز التصرف فيه أو الاعتبار به) أوفى بالمراد ، لأن المقصود من التعبير الفرنسي هو قابليته الشيء المعقود عليه لأن يكون محلا للعقد . والتعامل يراد به لغة التصرف من بيع ونحوه ، فاستعماله يكون أكثر مطابقة للإصلاح الفرنسي وسنجرى على استعماله منعا للبس الذي ينشأ من استعمال عبارة القانون المصري قليلا حفظ ذلك . . . »

ومثال آخر لجهود الرواد الأوائل في إنشاء لغة الفقه نتخذه من لغة الأستاذ أحمد نجيب الهلالي في كتابه « شرح القانون المدني - في العقود - الجزء الأول في البيع والحوالة والمقايضة » المنشور في سنة ١٩٢٢ . فهو يستهل كلامه في عقد البيع بقوله « البيع أعظم العقود شأنًا وأكثرها شيوعًا وأولها بالعناية ، فهو واسطة التجارة عند الأمم المتحضرة ، وعليه يتوقف نظام المعاش وإتساع الرفه والنعيم ، وهو ضروري للحفاظ على العمران الإنساني

وتيسير أسبابه ولولاه لاختل نظام الحياة وكسدت سوق الأعمال فبقيت البضائع عروضاً جامدة، وبطلت التجارة أو كادت وتفتشت سوق النهب والسرقة والحيلة والسؤال حتى يحصل الناس على أقواتهم وحاجات منازلهم، فبالبيع والشراء يتداول الناس العروض والبضائع وسائر أنواع الأثوة ويستجلب المحتاج ما يرغب فيه من الضروريات والحاجيات والكماليات بقيمتها ممن لا حاجة له بها، ولذلك نجد أنه لا يكاد يمر بالإنسان يوم واحد من غير أن يتكرر منه البيع أو الشراء، وإن صح أن إنساناً لا يبيع شيئاً لأنه لا ملك له، فما من إنسان ألا وهو محتاج للشراء حتى يتوصل إلى سد الحاجة وإمساك الرمق فضلاً عن الرغد والثروة. أفبعد هذا دقة ووضح في بيان أهمية البيع وهو بعد أن يورد تعريف البيع كما جاء في المادة ٢٣٥ من القانون المدني الأهلي (وقد سبق ذكر نصها) يعلق عليه بقوله ومن قراءة هذا التعريف يتبين أن القانون المصري تلاقى العيب الذي وقع فيه الشارع الفرنسي فنص على نقل الملكية في تعريف البيع ويستهل المؤلف كلامه في المقايضة بقوله: «أصل البيع المقايضة والفرق بينهما أن المقايضة لا ثمن فيها، لأنها مبادلة شيء بشيء، فكل عاقد من العاقدين يتعهد فيها بتمليك الآخر شيئاً على سبيل التبادل، ولذلك قالوا كل طرف في المقايضة يعتبر بائعاً ومشترياً في آن واحد، لأنه يبيع ملكه للطرف الآخر على أن يحل ملك الآخر محل ثمن الشيء الذي بذله له».

وتأمل فيما يقوله أستاذنا الدكتور محمد كامل مرسى (في كتابه الملكية والحقوق العينية الطبعة الثانية المنشورة في سنة ١٩٢٨ في تعريف المال: المال لغة كل ما يقتنى ويملك من الأعيان) وكان في الأصل خاصاً بالذهب والفضة، ثم أطلق على كل ما ينتفع به وقانوناً هو كل شيء نافع للإنسان يصح أن يستأثر به دون غيره، وبعبارة أخرى يملكه، وعرف في الشريعة الغراء بأنه ما يمكن إدخاره لوقت الحاجة... وكانت الأموال بادية الأمر قاصرة على الأشياء المادية، سواء كانت منقولة أو ثابتة ولما أصبحت الآن تشمل أيضاً كل ما يكون جزءاً من الثروة وأمكن تملكه لمصلحة فرد أو جماعة، فتشمل المنازل والأراضي وأثاث المنزل والإيرادات وحقوق الارتفاق والانتفاع وحقوق المؤلفين وشهادات الاختراع وغيرها، أي أنها الآن تطلق أيضاً على الأشياء غير المادية... ويجب عدم الخلط بين المال والشيء لأن المال شيء وليس كل شيء مالا....

ولينرد تأملنا فيما كتبه الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري في مؤلفه (عقد الإيجار المنشور في سنة ١٩٢٩) في صدد تحديد الأجرة: أما عن الأجرة فيجب

أن يقوم تحديدها على أساس التضامن اللازم بين رأس المال والعمل بحيث لا يجحف أحدهما بالآخر فكلا العاملين ضروري للإنتاج، ويستأجر الأرض الزراعية مثلا لا يجنى محصولا من غير مواتاة الأرض له والأرض لا تواتى إلا بالعمل فاذا أريد تحديد الأجر الذى يوفيه المستأجر للمؤجر، وجب أن يراعى فى ذلك تحقيق المساواة بين هذين العاملين، فاذا كان ربح نشاطه الفريقان وإن كانت خسارة أصابتهما معا. غير أن للمسألة وجهها آخر، وذلك أن المالك إذا أجر ملكه، فليس ذلك بذية أن يكون شريكا للمستأجر يشاطره الربح والخسارة، وهـ و لو أراد ذلك لوجد السبيل إليه فى عقد الشركة أو فى عقد المزارعة وإنما يريد أن يضمن لنفسه ربحا ثابتا يأخذه من المستأجر ويتركه وشأنه له الربح وعليه الخسارة. وهذا مطلب مشروع لا يجوز أن يمنع منه المؤجر» .

وإذا ما تناولنا مؤلف الأستاذ أحمد أمين فى (شرح قانون العقوبات المصرى - القسم الخاص - الطبعة الثانية المنشورة فى سنة ١٩٢٤) وجدناه يعرف الرشوة بقوله « الرشوة إتفاق على جعل أو فائدة مقابل أداء عمل أو الامتناع عن عمل يدخل فى وظيفة المرتشى أو مأموريته» ويعقب على هـ - هذا التعريف بقوله : « إذا ذكرت الرشوة انصرف الذهن إلى موظف عمومي يتجر بوظيفته وما يتصل بها من عمل وسلطة ذلك هو الأصل ومن أجله سبق حكم المادة ١٠٣ ولكن الشارع المصرى خرج على هذا الأصل فى المادة ١٠٤ عقوبات ، فأدخل فى حكم المرتشين أشخاصا ليسوا بالموظفين العموميين ولكنه اعتبرهم كذلك ليجرى عليهم أحكام الرشوة» أفبعد هذا دقة وبيان ووضوح .

ثم تراه، فى الباب الخاص، بالإنح التي تقع بواسطة الصحف وغيرها، أو الجرائم القولية والكتابية، يبدأ الكلام بقوله : «من الحقوق المعترف بها للأفراد حرية الفكر ، أى أن يكون لكل إنسان الحق فى أن يفكر كما يشاء وأن يجاهر بفكره ورأيه قولا وكتابة وحرية الفكر تستتبع حتما حرية الخطابة وحرية الكتابة، وفى ضمنها حرية الصحافة غير أن هذا الحق مقيد كسائر الحقوق الشخصية، فلا يجوز استخدامه للإضرار بالمصلحة العامة أو بحقوق الأفراد الآخرين، ومن أجل ذلك عنيت الحكومات ببيان الحدود التي يباح فيها استعمال هذا الحق ووضعت الجزاءات لمن يتجاوز تلك الحدود » هذا الكلام الفقهي قبل ونشر فى مصر قبل ما يزيد على نصف قرن من الزمان نتأمل . . !!

وفصل بعد ما تقدم إلى مؤلف كتب، في أواخر المرحلة الأولى من مراحل لغة
فقه القانون في فرع من فروع القانون عسير بالنظر إلى الخلاف في موضوعه ومصادره
وطبيعة قواعده مما يحتاج إلى دقة في الفهم وترو في إبداء الرأي ووضوح في العرض ويسر
في الأسلوب هذا المؤلف هو كتاب (القانون الدولي الخاص المصرى والمقارن المنشور في سنة
١٩٢٨) لصاحبه الأستاذ الدكتور على الزيني ويكفي لبيان قدر هذا الفقيه في الموضوع
وفي لغة القانون أن نورد عبارة جاءت في كتابه بصدد مسألة « بيان طبيعة قواعد
القانون الدولي الخاص وتأثير تطبيقها على موضوع القضية » ونص هذه العبارة هو :
« تختلف قواعد القانون الدولي الخاص في طبيعتها وتأثير تطبيقها اختلافا بينا عن
القواعد التي يحكم بها في القضايا الوطنية ، ويظهر هذا الاختلاف أولا ، في كون
الأولى خلافا للثانية ليس من شأنها إذا طبقت أن يكون الحكم بها فاصلا في موضوع القضية
ولا تنهى مهمة القاضى بمجرد تطبيقها بل تبتدىء وذلك - وهذا هو وجه الخلاف الثانى -
لأنها قواعد إرشاد وليس قواعد حكم كالثانية ، لأنها ترمى إلى بيان حدود اختصاص القاضى
بنظر القضايا ذات العنصر الأجنبى أو إلى تعيين القانون الذى يجب عليه أن يبحث فيه عن
الحل الذى يقضى به ليكون حكمه فاصلا في موضوع القضية بشكل تنهى معه
الخصومة .

وبعد فاني لم أقصد بذكر هؤلاء الفقهاء دون غيرهم ممن عاصروهم غرض الطريف عن
هؤلاء، ففقهاء هذه المرحلة أسهبوا جميعا في إنشاء لغة الفقه، وإنما قصدت إلى الاكتفاء
بذكر بعضهم بوصفهم نماذج تعبر عنهم جميعا.

ولقد كانت السمة السائدة للغة في هذه المرحلة الأولى مرحلة التكوين هي
اتباع الطريقة المقارنة في الدراسة، وهي مقارنة تناولت عادة القانون الأهلى والقانون
المختلط والقانون الفرنسى، وكذلك الشريعة الإسلامية حيثما كان النظام القانونى الوارد
في هذين القانونين له ما يقابله في هذه الشريعة .

وقد عنى فقهاء هذه المرحلة بوضع المصطلح القانونى الفرنسى بجانب المصطلح
القانونى العربى، وكان من شأن ذلك تيسير الرجوع إلى المراجع القانونية الفرنسية، فقهية
كانت أو قضائية، وكذلك تيسير الدراسة العليا للراغبين فيها وقد هجر فقهاء المرحلة
الثالثة هذه الطريقة فأصبح استئناس خريجها بالمراجع الأجنبية عسيرا عليهم، وتعدت
الدراسات العلية على الساعين إليها في مصر أو في الخارج، وبخاصة بالنظر إلى ضعفهم
في اللغات الأجنبية بعامة، وإنه وإن كان الفقه المصرى قد بلغ من الثراء ما يكفي لمعاونة
القضاة في تطبيق انقانون ومعاونة المحامين وغيرهم من رجال القانون في تفهم القانون
المصرى وأداء واجباتهم، إلا أنه مما لا شك فيه أن معرفة لغة أجنبية لا تزال ضرورة

للتفقه في القانون، وبخاصة للدراسات العلمية بل أنه لا شك فيه أيضا أن معرفه أكثر من لغة أجنبية أصبحت ضرورة للباحث في مختلف فروع المعرفة، فالتقدم العلمي يجرى حديثا، والتسابق فيه أصبح ظاهرة من ظواهر العصر الذي نعيش فيه والعلماء، في أي بلد إن وقفوا حبيسي حدود وطنهم، امتنع عليهم متابعة التقدم العلمي وفاتهم موجهه وانعزلوا عن جهود زملائهم في الخارج ولقد أصبحت معرفة لغة أجنبية أو أكثر ظاهرة عامة عند المشتغلين بالعلم في مختلف بلاد العالم .

كذلك كان فقهاء القانون الوضعي في هذه المرحلة الأولى قراء للمتنوع من كتب التراث بما ضمنه من أدب أو لغة أو فقه إسلامي، مما أحدث أثرا واضحا في لغة فقه القانون الوضعي التي بنوها فجاءت هذه اللغة منتقاة اللفظ دقيقة التعبير رفيعة الأسلوب

وإذا ما انتقلنا إلى المرحلة الثانية في حياة لغة الفقه، التي أطلقنا عليها «مرحلة الازدهار» لوجدناها تشمل المدة من أول الثلاثينيات حتى أوائل الخمسينيات من القرن العشرين وقد شارك في هذه المرحلة عدد من فقهاء المرحلة الأولى ممن أطال الله عمرهم وفريق نشأ وتكون خلال هذه المدة وقد تلفت هذا الفريق إلى الورا فوجدوا فقه القانون لغة وموضوعا ماضيا غنيا تليدا يتجه إلى أعلى، فافادوا منه غذاء فكريا دسما ونظروا إلى المستقبل تحذوهم الرغبة والإرادة في أن يضيفوا إلى ما ورثوه جديدا حتى يستمر الخط البياني في الاتجاه إلى الأعلى . ولقد حملوا عبء شرح ما صدر من تقنينات جديدة في هذه المرحلة (التقنين المدني الصادر في سنة ١٩٤٨ وتقنين المرافعات الصادر في سنة ١٩٤٩ وتقنين الإجراءات الجنائية الصادر في سنة ١٩٥٠) وكذلك بذل المزيد من العناية بفروع من القانون أو بموضوعات من موضوعات فروعها زادت أهميتها في تطور مختلف العلاقات القانونية والاقتصادية ، سواء من الوجهة الداخلية أو من الوجهة الدولية، مثل القانون الدولي الخاص والقانون البحري والقانون الجوي، وشركات المساهمة وعلاقة العمل والمنظمات الدولية والعقود الدولية والتحكيم الدولي في مواد القانون الخاص .

وقد نهج فقهاء هذه المرحلة نهج أسلافهم فقهاء المرحلة الأولى من حيث الإفادة من دراسة القانون المقارن ، والحفاظ على سلامة اللغة ودقة التعبير مع تخير اللفظ والعبارة ، وكذلك الحفاظ ، عند غالبيتهم ، على وضع المصطلح الأجنبي بجوار المصطلح العربي . وزاد الإنتاج الفكري في الميدان القانوني كما وارتقى كيفا ، سواء اتخذ صورة بحوث أو مؤلفات مطولة أو وسيطة أو موجزة . ولما واتت بعض البلاد العربية نهضة متطلعة، في أعقاب الحرب العالمية الثانية، تناولت فيما تناولته الارتقاء بما هو كائن من جامعات

أو إنشاء جامعات جديدة ، وجدت هذه البلاد في الفقه القانوني المصري معينا غنيا فاض عليها ، وصار له أثره في فقه القانون ولغة هذا الفقه فيها . فهذه المرحلة الثانية في لغة فقه القانون هي بحق مرحلة الازدهار .

وبانتهاء هذه المرحلة في أوائل الخمسينيات بدأت المرحلة الثالثة القائمة حتى الآن ، مما أطلقنا عليها « مرحلة الارتقاء أو النكس » في لغة الفقه . ولهذا الارتقاء أو النكس أسباب عديدة يتشابه بعضها ببعض . فقد حشر الطلاب في كليات الحقوق حشرا هو في الأغلب على غير رغبة وعلى غير استعداد لدراسة القانون ، وتعثرت العملية التعليمية وانقطعت الصلة بين الأستاذ والطالب ، وضعف مستوى الخريجين عما كان عليه فيما مضى من الزمان ، حتى بالنسبة لغالبية الأوائل منهم . وكان لهذا الضعف أثره في اختيار من يعدون للدخول في هيئة التدريس فتغير مستوى أعضاء هذه الهيئة بصفة عامة ، فيما عدا ندر يسير منهم . وجرى البدار في التأليف (مؤلفات وبحوث) لدوافع لا محل لذكرها ، وجاء أغلبه دروسا للطلاب ، بعيدا عن البحث العلمي العميق ، واستبعدت الإفادة من القانون المقارن ، وقل ، وأحيانا انعدم ، الاستئناس بالفقه الأجنبي (في القوانين الأجنبية التي تعد من مصادر القانون المصري) حتى عندما يكون ضرورة في دراسة القانون الوضعي ، وأصبح التأليف الجديد ، بصفة عامة ، معتمدا على المؤلفات العربية التي نشرت في المرحلتين السابقتين . وهجرت طريقة وضع المصطلح الأجنبي بجانب المصطلح العربي فتعثر الطلاب في الدراسات العليا . وأخذت لغة الفقه في الهبوط ، وشابها أحيانا أخطاء لغوية صرف . وساعد على تضخم هذه المشكلة وجود تلك الموجة العارمة من التشريعات ، على الوجه السابق ذكره ، وإدخال بعضها في مناهج الدراسة بكليات الحقوق ، فزاد عدد مواد الدراسة مما ترتب عليه المزيد من التأليف المتعجل الفطير .

ويمكن تلخيص ما آلت إليه لغة الفقه في هذه المرحلة الثالثة على هذا الوجه : لغة متعجل في كتابتها ، يشوبها أحيانا عدم الضبط والدقة في التعبير عن المعنى ، مجردة أحيانا من العناية بانتقاء اللفظ والأسلوب مع عدم خاوها من الأخطاء اللغوية . ولقد أصبحت هذه الأمور سمات عامة في لغة الفقه . ومع ذلك فلا تزال الدنيا بخير فقد نشرت في هذه المرحلة مؤلفات بعض فقهاء المرحلتين الأولى والثانية أو أعيد نشرها . كما نشرت خلالها مؤلفات لبعض فقهاء ذات مستوى رفيع أو مقبول ، مجردة من العيوب التي شابته لغة الفقه في هذه الحقبة من الزمان .

وهذا الذي نقوله ينبغي أن لا يدعو إلى التشاؤم واليأس . وإنما هو تنبيه إلى واقع معيب ، نقصد به إلى الحفز على النهوض بلغة الفقه من جديد . فهذه اللغة ، شأنها

شأن مختلف جوانب حضارة أمة من الأمم ، تضيء وتخبو ثم تضيء ، تعلقو وتهبط
ثم تعلقو من جديد .

ثالثا - لغة القضاء :

وإذا كان ما تقدم هو حال لغة الفقه فما حال لغة القضاء؟

يوجد خلاف بين القضاء والفقه ، يترتب عليه اختلاف بين لغة الواحد منهما
ولغة الآخر . فيقول الأستاذ الدكتور عبد الرزاق السنهوري : « الفقه هو استنباط
الأحكام القانونية من مصادرها بالطرق العلمية . والقضاء هو تطبيق الأحكام القانونية
على الأفضية التي ترفع إلى المحاكم . الفقه هو المظهر العلمي للقانون والقضاء هو المظهر
العملي ولكل من الفقه والقضاء مزايا وعيوب فزيه الفقه هي نظرة إلى الروابط
الاجتماعية نظرة واسعة شاملة فلا يضيق بخصوصية ولا يقف عند منعرج ، بل يسير
قدما إلى الأمام ، يتمشى مع التطور ويسابق الزمن ولكن عيب الفقه أنه كثيرا
ما ينصرف عن الحياة العملية ، وهو قى سعيه إلى العموميات يبتعد عما فى الحياة من ملايسات
وظروف خاصة فى كل قضية من أفضيتها . ومزية القضاء أنه دائم الاتصال بالحياة العملية ،
يستمد قواعده منها ، ويحرر القانون بحيث يجعله يتمشى مع تطوراتها . ولكن عيبة
نظرة ضيقة لا تحاط إلا بما حولها ، ولا تمتد إلى ما وراء ذلك ، وشيء من البطء
فى التطور يتفق مع نزعة محافظة القضاء ونرى من ذلك أن للفقه مزايا ليست للقضاء ،
وأن للقضاء مزايا ليست للفقه ، وأن عيب كل منهما هو فقده لمزايا الآخر ، فهما
يكملان بعضهما بعضا وخير النظم القانونية هو النظام الذى ينطوى على مزاج
موفق من الفقه والقضاء » .

ولما كان عمل القضاء هو تطبيق القانون ، وكان مظهر هذا التطبيق هو ما يصدره من
أحكام ، كانت لغة القضاء هي لغة هذه الأحكام . وهى تتصف ، بجانب السمات
العامة للغة القانون الوضعى ، بصفات خاصة تميزها من لغات التشريع والفقه والحماماه
وتشتق هذه الصفات من طبيعة عمل القاضى ، الذى أحسن بيانه الأستاذ زكى عربى
الحامى (فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) فى قوله : « الأحكام أداة توزيع العدالة ،
فهى عنوان الحقيقة والحكم تقرير للحقيقة كما استطاع أن يراها القاضى على
ضوء عناصر الدعوى ومرافعات الخصوم وعمل القاضى عمل حكيم هادىء يتحسس
مكان النصفة فيدل عليه والقاضى قبل كل شيء ناقد . والنقد يتطلب قدرة
على فهم الرأى المعروض ثم قوة على تحليله ورده إلى عناصره الأولية ، ثم صحة نظر

وسلامته. تقدير يستطيع بهما الوقوف على الحقيقة وسط بحر زاهر من الآراء المتناقضة ، وقد ينطوى كل منها على بعض الوجاهة ... على أن مهمة القاضي وقد أصاب الحز لا تنهى باصابتها ، إذ عليه بعد ذلك أن يؤيد حكمه بقلمه ، فتكون أسباب حكمه مقنعة . وليس الإقناع في مكنتها إلا أن يكون كاتبها من المقدرة بحيث يستطيع أن يعالج بقلمه القضية من جميع نواحيها . يبين وقائعها بجلاء ويستعرض مختلف الآراء فيها بدقة وإيجاز . يناهض ما يرى مناهضته ويؤيد ما يرى تأييده . ثم يقف عند الرأي الذي يعتقد صحته موقفا له قوته وله جلاله . تلك هي مهمة القاضي ككاتب . وليس يستسهلها إلا جاهل بأعباء الكتابة ومشاقها .

تم يضيف الأستاذ زكى عريبي إلى ذلك قوله : « لكل قلم قوته ، ولكل كاتب طريقته فن العبث أن نضع قواعد مطلقة لصياغة الأحكام . الأمر قبل كل شيء حسن ذوق وحسن تصرف . ولكن للغة الأحكام مع ذلك مميزات يجب التنويه بها ، وهي حسن اختيار اللفظ ودقة الأداء ، والابتعاد عن التعمل والتزيد ، والحرص على الوقار إذ يكره في لغة الأحكام العنف والشدة وجموح العاطفة ، فالقضاء بطبعه وبالمهمة السامية التي يؤديها ... » .

وإذا ما رجعنا إلى تاريخ لغة القضاء في مصر قبل إنشاء المحاكم الأهلية في سنة ١٨٨٣ لوجدنا لغة الأحكام التي كانت تصدر من مجالس الأحكام ومجالس التجار (السابقة الإشارة إليها) مشوبة بالعجمة وضآلة التعبير وركاكة الأسلوب . ثم بذل قضاة هذه المحاكم جهودا في تخليص لغة الأحكام من هذه العيوب ، وهي جهود وضحت ثمارها منذ سنة ١٨٩٠ تقريبا ، حين استقامت لغة القضاء وأخذت في اكتساب صفاتها المميزة السابق ذكرها ، واستمرت ترتقى صعودا على مر الزمان .

ولو شئت أن نورد لك أمثلة للغة القضاء منذ ذلك التاريخ البعيد لوجدنا الكثير . نخذ حكم ٧ فبراير سنة ١٨٩٥ الذي صدر من محكمة استئناف مصر الأهلية (دائرة أحمد بك عفيفي ومستر كوريت وسعد بك زغلول « الزعيم السياسي فيما بعد ») وقد جاء به « وحيث إن الزعم بوجود صالح أو حق لشخص أجنبي في العين المتنازع فيها لا يغير اختصاص المحاكم الأهلية بنظر الخصومة المرفوعة بها ما دام الخصوم من رعايا الحكومة المحلية (أى من المصريين) ، حتى ولا يغير أيضا هذا الاختصاص تغير صفة الخصوم بعد رفع الدعوى ، بمعنى أنه إذا انتقلت تبعية أحد الخصوم من رعايا الحكومة المحلية إلى متبوعية دولة أجنبية أو انتماء لها فلا تخرج

الدعوى عن اختصاص المحكمة الأهلية المنظورة أمامها قبل حدوث هذا التغير ما دام أنها مختصة بنظر موضوعها .

وتأمل حكما صدر من المحكمة نفسها في السنة ذاتها (دائرة حامد محمود وقاسم أمين ومسيو دي هيلتس) جاء به : « . . . وحيث إن القاضي بتخطيه هذه الحدود (أى حدود اختصاصه) صار عديم الصفة في الفصل وأصبح كأنه في بلد أجنبي . ومتى أنعدمت صفة المحكمة في الفصل لا تكون أحكامها أحكاما ولا قضاتها قضاة ، وإنما يكونون كأفراد فصلوا فيما رفع إليهم وصاغوا فصلهم في قالب الأحكام . وإن كان ذلك في استطاعتهم فليس في وسعهم أن يمنحوها من عند ياتهم ما هدفه الشارع من القوة . . . »

ونخذ حكم المحكمة ذاتها الذي صدر في ٤ مايو سنة ١٨٩٩ (دائرة سعد زغلول ومسيو دو هيلتس ومستر كوبلجن) ، وقد جاء به : « . . . وحيث إن الوكالة بلا مقابل ليست كغيرها من العلاقات التي ترتبط بتبادل المنافع وتجعل كل طرف خصما للآخر في منفعتة ، وإنما هي علاقة مبنية على الثقة ، وموجب قبولها النجدة ، وموضوعها معونة الموكل ، ومقتضاها تبادل الإخلاص بين طرفيها وتعاونهما بالصدق على الوفاء بما ينشأ عنها من التعهدات . . . »

وأضف إلى ذلك حكم المحكمة ذاتها الذي صدر في ١١ مارس سنة ١٩٠٦ (دائرة سعد زغلول ومستر التون ومستر ساتو) ، وقد جاء به : « . . . وحيث إن الحكم بالشفعة للشفيع ليس عبارة إلا عن تقرير صحة الطلب ، فهو من الأحكام المبينة للحقوق لا المنشئة لها خلافا لما قدره قضاة أول درجة . وحيث أنه بناء على ذلك لا يعتبر بيع العقار المشفوع فيه بعد طلب الشفعة وقبل القضاء فيه من قبيل بيع الآمال ولا بيع ما لا يملكه الإنسان بل هو من قبيل بيع الحقوق المتنازع فيها ، وهذا جائز بلا خلاف . وحيث أنه مع ذلك فإن بيع الأمل ، أى الشيء الذي يأمل الإنسان امتلاكه في المستقبل جائز إلا في بعض المستثنيات ، ومتى تحقق الأمل نفذ البيع . . . » . وصدر من هذه الدائرة حكم آخر في ١٨ مارس سنة ١٩٠٦ جاء به : « . . . أن المباحث التي يجريها رجال الإدارة والإقرارات التي تحصل أمامهم من أحد الخصوم والتحقيقات التي يعملها الخبراء المعينون بحكم المحاكم ، لا يمكن أن تكون بمقتضى المبادئ القانونية حجة يحتج لها أمام القضاء ، ولا يصح أن يترتب عليها بنوع أصلي حق لخصم على آخر ، إنما يجوز الاستعانة بها لتقوية أدلة تقدم للمحاكم بالطريقة القانونية . »

هذا طراز للغة الأحكام ، أو لغة القضاء ، في آخر القرن الماضي ومستهل القرن العشرين ، بناها رجال آمنوا بقدسية عملهم فقاموا بتفسير القانون وتطبيقه بأناة ودقة تقدير ، وصاغوا أحكامهم في أقوال سليمة دقيقة متخيرة الأسلوب . وربما ساعدتهم على ذلك نهضة واتت اللغة العربية بعامة وامتدت إلى اللغات العلمية بخاصة . وقد مضى رقى لغة القضاء ، بعد ذلك ، في طريقه غير وان ولا متردد . وسائر سمو الأسلوب نضح الفكره وغمر سيل هـنـه النهضة درجات القضاء كلها : محاكم الدرجة الأولى من جزئية وكنية ، ومحاكم الدرجة الثانية . واستمر الحال كذلك حتى أنشئت محكمة النقض في سنة ١٩٣١ لتكون المحكمة العليا المشرفة على صحة تطبيق القانون أمام جميع المحاكم الأهلية ، يلجأ إليها بطريق الطعن في الأحكام الانتهائية بسبب مخالفتها للقانون أو خطئها في تطبيقه أو تأويله ، وتكون مهمتها هي تقويم مسايق من المحاكم من شذوذ في تطبيق القوانين وتقرير القواعد القانونية الصحيحة فيما يختلف فيه من المسائل وتثبيت القضاء بشأنها . وقد اختير لأول تأليف لهذه المحكمة رجال قانون أفذاذ ، على رأسهم الفقيه الكبير شيخ القضاة عبد العزيز فهمي ، فأقامت المحكمة قضاء رفيع المستوى يهـدى إلى الصواب في فهم القانون وتفسيره ، وطبعت لغة الأحكام بطابع جليل ممتاز ، جمع إلى دقة الأداء رشاقة اللفظ وجمال الأسلوب . ولقد وصف الأستاذ زكي عربي الحامى (في الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية) لغة الأحكام في قضاء محكمة النقض خير وصف ، بقوله : « حدث ولا حرج عن أحكام محكمة النقض في عهدنا الحاضر . أرجع إلى أى حكم تقع عليه يدك من أحكام دائرتها ، أقرأ ما شئت بلا تمييز تقرأ أداليا قد أسبغ على قضاء المحكمة العليا ما كان يجب له من روعة وجلال . لسنا نحاول هنا تحليلا لهـنـه الناحية من أدب العصر . ولكن من ذا يملك أن يمر دون أن يقف وقفة إعجاب وطرب على مثل هـذا القول لمحكمة النقض ترسم به حدود حرية النقد : . . . » وبما أن ما ذهب إليه الحكم المطعون فيه من أن العرف جرى على المساجلة بالعبارات الحماسية والأساليب التخيلية وألفاظ التهويل المبالغة والتحذير والترهيب لمجرد التأثير على النفس وحملها على التصديق في الشؤون التي ليس من المستطاع حمل المناظر على تصديقها بالطرق البرهانية الهادئة . هذا الرأي لا تحيزه محكمه النقض والابرام بل إنها تصرح بأن فيه خطرا على كرامة الناس وطمأنينتهم وتشجيعا للبداءة وذنس الشتم . والحقيقة ليست بنت التهويل والتشهير والمبالغة والترهيب ، بل بنت البحث الهادئ والجدل الكريم . وإذا كان لحسن الهيئة مظهر ناطق فانه الأدب في المناظرة والصدق في المساجلة . . .) . بل أنظر إلى لغة هـذه العاطفة الحياشة تجلجل بحق الإنسان إذا عذبه إنسان ، لا فرق لدى حارسة القانون بين رجل ورجل (. . .) وبما أن هـذه المعاملة التي

أثبتت المحكمة أن الخبث عليه كان يعامل الطاعنين بها هي إجرام في إجرام ، ومن وقائعها ما هو جنائية هتك عرض يعاقب عليها القانون بالأشغال الشاقة ، وكلها من أشد المحازي إثارة للنفس واهتياجها ودفعا بها إلى الانتقام . ولو صح أن المأمور كان يطلب نوع الطاعنين بمركز البوليس كما يقول الشاهد الذي اعتمدت المحكمة شهادته وكان هذان الطاعنان يتخوفان من تكرار ارتكاب مثل هذه المنكرات في حقهما كما يقول وكيل أحدهما في تقرير الأسباب وفي المرافعة الشفهية ، فلا شك أن مثلهما ، الذي أودى وأهتيج ظلما وطغيانا ، والذي ينتظر أن يتجدد إيقاع هذا الأذى الفظيع به - لا شك أنه إذا اتجهت نفسه إلى قتل معذبه فانها تتجه إلى هذا الجرم موتورة مما كان ، منزعة واجمة مما سيكون . والنفس الموتورة المنزعجة هي هائجة أبداً ، لا يدع انزعاجها سهيلا إلى التبصر والسكون حتى يحكم العقل ، هادئا متزنا مترويا ، فيما تتجه إليه الإرادة من الأغراض الإجرامية التي تتخيلها قاطعة لشقاها . ولا شك ، بناء على هذا ، أن لا محل للقول بسبق الإصرار إذ هذا الظرف يستلزم أن يكون لدى الخاني من الفرصة ما يسمح له بالتروى والتفكير المطمئن فيما هو مقدم عليه .

ولا شك أن الثروة التي أثمرتها محكمة النقض ، خلال الثلاثين سنة الأولى من عمرها ، سواء من حيث المبادئ القانونية أو من حيث لغة الأحكام ، لتعتبر جزءا من الثروة القومية في الميدان القانوني . وهي بعد لا تزال همدى ونورا لمن تولوا القضاء في هذه المحكمة ، بعد هذه الحقبة من الزمان ، وكذلك لمن تولوا القضاء في غيرها من المحاكم .

وإذا كان إنشاء محكمة النقض في سنة ١٩٣١ حدثا هاما في تاريخ القضاء المصري ، فثمة حدث آخر في هذا التاريخ له أهميته من وجهة نظر أخرى . هذا الحدث هو إنشاء مجلس الدولة في سنة ١٩٤٦ ليكون دارا للإفتاء والتشريع والقضاء . وإذا كان دور هذا المجلس في الإفتاء والتشريع ليس جديدا في الميدان القانوني ، إذ كانت تقوم به إدارة قضايا الحكومة من زمن بعيد ، على ما سبق بيانه ، فان دور المجلس في القضاء هو الجديد كل الحدة والخطير كل الخطورة . ذلك أن القضاء العادي كان محظورا عليه طبقا للوائح المنظمة له (المادة ١٥ من لائحة ترتيب المحاكم الأهلية) النظر في طلب إلغاء القرارات الإدارية المخالفة للقوانين واللوائح ، وإن كان مختصا بطلب التعويض عن الضرر المترتب على هذه القرارات . وكان خلو النظام القضائي المصري من قضاء له ولاية إلغاء القرارات الإدارية نقصا فيه ، سده المشرع بإنشاء القسم القضائي في مجلس الدولة

والذى أصبح طبقا لقانون المجلس المعمول به الآن (قانون سنة ١٩٧٢) يضم المحكمة الإدارية العليا ومحكمة القضاء الإدارى والمحاكم الإدارية والمحاكم التأديبية . ويطلق على الوظيفة القضائية التى يمارسها مجلس الدولة « القضاء الإدارى » ، بالمقابلة « للقضاء العادى » ، أى القضاء الذى تمارسه المحاكم المدنية والجنائية ، ولعل أبرز ما يتولاه القضاء الإدارى هو « قضاء الإلغاء » ، أى إلغاء القرارات الإدارية النهائية المخالفة للقانون ، بمعنى عام . وكانت ممارسة هذا القضاء أمرا جديدا فى ميدان القضاء المصرى ، شمر بأهميته الرعيل الأول من رجال المجلس ، وكان كثير منهم قد اختيروا من بين رجال القضاء العادى ، وهى أهمية مرجعها حمل عبء التفرقة بين عمل السيادة وعمل الإدارة ، وبيان متى يكون القرار الإدارى معيبا من حيث الاختصاص أو الشكل أو مخالفة القوانين أو اللوائح أو الخطأ فى تطبيقها أو تأويلها أو إساءة استعمال السلطة . وهذه أمور تستدعى الدقة فى تحديد المعنى والدقة فى التعبير عنه ، ومن هنا تتضح أهمية لغة الأحكام أو لغة القضاء . ولقد بناها الجيل الأول من قضاة مجلس الدولة بحذق وإحكام فى أسلوب رصين شيق .

ونورد هنا أمثلة للغة القضاء عند القضاء الإدارى : خذ حكم محكمة القضاء الإدارى (الذى صدر فى ٢٩ ديسمبر سنة ١٩٤٧) ، وقد جاء به : « . . . لا وجه للدفع بأن منح الترخيص فى الاستيراد أو رفضه من إطلاقات الإدارة التى ترخص فى تقديرها بلا معقب عليها من محكمة القضاء الإدارى ، ما دام المدعى يستند فى طلب إلغاء قرارات الحكومة بشأن عدم الترخيص فى استيراد تقاوى البطاطس إلى أنها مشوبة بإساءة استعمال السلطة ، وهو سبب يسوغ إلغاء أى قرار إدارى مهما كانت صفته ، وسواء أكان من الإطلاقات أم من غيرها » .

وتأمل حكم المحكمة ذاتها (الصادر فى ٤ فبراير سنة ١٩٥٠) وقد جاء به : « أن أعمال السيادة ما هى إلا الأعمال التى تتصل بالسياسة العليا للدولة والإجراءات التى تتخذها الحكومة بما لها من السلطة العليا للمحافظة على سيادة الدولة وكيانها فى الداخل والخارج . ولا جدال فى أن الجنسية ، وهى العلاقة بين الفرد والدولة ، تدخل فى صميم المسائل المتعلقة بسيادة الدولة التى لها مطلق السلطان فى تعيين من يكون متمتعاً بجنسيتها ومن لا يكون ، وفى فرض ما تشاء من القيود والتكاليف على مواطنيها . وبديهي أن الدولة حين تسن تشريعا ينظم الجنسية ويعرف كنهها ويحدد شرائطها ويرسم الإجراءات اللازمة لإثباتها أو

الحصول عليها لا تنزل عن سيادتها لأنه منبث وصادر عنها ويتعين احترامه وتنفيذه، ومن واجب المحاكم تطبيقه. وليس في ذلك أى مساس بسيادة الدولة. وما تصدره الحكومة من قرارات تنفيذيا لهذا التشريع يندرج تحت أعمال الحكومة (يقصد أعمال الإدارة) ولا يعتبر من الأعمال المتعلقة بالسياسة العليا للدولة. والقرار المطعون فيه لا يعدو أن يكون من القرارات الإدارية المتعلقة بتنفيذ بقانون الجنسية، ولهذا فهو بعيد عن أعمال السيادة...»

وأنظر حكم المحكمة الإدارية العليا (المصادر في ٢٥ مايو سنة ١٩٦٣) الذى تقيم فيه التفرقة بين القرار الإدارى والعقد الإدارى والعقد المدنى، وقد جاء به: «إذا كان القرار الإدارى هو عمل قانونى غير تعاقدى يصدر عن إرادة منفردة من جانب إحدى السلطات الإدارية ويحدث بذاته آثارا قانونية معينة متى كان ذلك ممكنا وجائزا قانونا، فإن العقد الإدارى شأنه شأن العقد المدنى من حيث العناصر الأساسية لتكوينه، لا يعدو أن يكون توافق إرادتين بإيجاب وقبول لإنشاء إلتزامات تعاقدية تقوم على التراضى بين طرفين أحدهما هو الدولة أو أحد الأشخاص الإدارية، بيد أنه يتميز بأن الإدارة تعمل فى إبرامها له بوصفها سلطة عامة تتمتع بحقوق والتزامات لا يتمتع بمثلها المتعاقد معها، وذلك بقصد تحقيق نفع عام أو مصلحة مرفق من المرافق العامة. كما أنه يفترق عن العقد المدنى فى كون الشخص المعنوى العام يعتمد فى إبرامه وتنفيذه على أساليب القانون العام ووسائله، أما بتضمينه شروط استثنائية غير مألوفة فى عقود القانون الخاص، سواء كانت هذه الشروط وارثة فى ذات العقد أو مقررة بمقتضى القوانين واللوائح، أو بمنح المتعاقد مع الإدارة فيه حقوق لا مقابل لها فى روابط القانون الخاص بسبب كونه لا يعمل لمصلحة فردية بل يعاون السلطة الإدارية ويشترك معها فى إدارة المرفق العام أو تسييره أو استغلاله تحقيقا لنفع عام. فبينما مصالح الطرفين فى العقد المدنى متساوية ومتوازنة، إذا بكفتى المتعاقدين غير متكافئة فى العقد الإدارى تغلبا للمصلحة العامة على المصلحة الفردية».

ولغة الأحكام، أو لغة القضاء، التى نشأت وارتقت (لدى القضاء العادى أول الأمر ثم لدى القضاء الإدارى) خلال الستين عاما الأولى من القرن الذى نعيش فيه، قال فى شأنها أحد كبار رجال القانون فى سنة ١٩٣٣ (الأستاذ زكى عريبي الحامى فى الكتاب الذهبى للمحاكم الأهلية) ما نصه: «والآن، وقد استبدرتنا حياة لغتنا القضائية كما كانت واستعرضنا بعض الأدلة على نهضة جالية لا تنكسر، نود لو استطعنا أن نزيح طرفا من سحيف المستقبل فنظن على ما يعده الزمن لهذه اللغة الكريمة العزيزة. كأتى بها وقد راق لها الجو وانبسط أمامها

ميدان العمل فسيحا غير محدود . كآني بها وقد استولت على مشاعر جيل جديد ممعن في الأدب وثقافة العصر فراح يفكر بها ويكتب ويؤلف . وكآني بهذا الحيل وقد ضرب بسهم في جهود البشرية نحو الكمال . وكآني بمصر وقد وقفت على قدميها في طليعة العالم العربي تبادل الغرب ثقافته بثقافة تقارضه علما يعلم لست بحالم إن أرى هذا اليوم روية العين » .

ولقد تحققت نبوءة هذا القانوني الكبير خلال ما يقرب من الثلاثين عاما منذ تاريخ كتابة كلمته هذه . ولكن يبدو أنها قد أخذت تحبو خلال العشرين سنة الأخيرة . فأصبحنا نصادف من الأحكام ما لا ترقى لغتها إلى المستوى السابق المزدهر . وربما كان السبب في ذلك زحمة الحياة وزيادة الأعباء على القضاة على نحو يضيق فيه الوقت بتخير لغة الأحكام . ما حيلة القضاة ما دام جدول قضايا الجلسة الواحدة يضم ما يجاوز المائة قضية في كثير من الأحيان ، بعضها معقد بسبب ما يلجأ إليه بعض المحصوم من الكيد واللدد في الخصومة . ومهما يكن من أمر فلا يزال القضاة يجتهدون في الحرص على لغة الأحكام أكثر من اجتهاد رجال الفقه في الحرص على لغة الفقه .

وابعا - لغة المحاماة :

تختلف صناعة المحاماة عن صناعة كل من التشريع والفقه والقضاء ، ولذلك فإن لغتها وإن دخلت في المعنى العام للغة القانون الوضعي واتصفت بسماتها ، إلا أن لها من السمات الخاصة ما يفرقها من لغة كل من التشريع والنقح والقضاء . ويقول الأستاذ أحمد فتحي زغلول في مقدمة كتابه «المحاماة» (المنشور في سنة ١٩٠٠) ما نصه : «حق الدفاع قديم وجد منذ وجدت الخصومة ، وهي من لوازم الاجتماع ولا بد فيها من الهجوم والدفاع ، وقد يختلط الأمر على طالب أحدهما فيركن إلى من يآتمنه في حقوقه . وهذا يرشده برأيه ويعمل لنصرتة ويدفع عنه مخاصمته . وقد وجد عند الأمم في جميع الأزمان رجال تضلعوا من القانون وقصروا عملهم على مساعدة المتخاصمين بابداء المشورة لهم أو بالدفاع عنهم أمام القضاء ، وقد وجد هو أيضا مع وجود الأمم تبعا لوجود الخصومة ، فهو كذلك من لوازم الاجتماع» ويقول الأستاذ أحمد رشدي المحامى في المحاماة أيضا (في الكتاب الذهبي للمحاكم الأهلية) : «لعل صناعة من صناعات البيان والمنطق لم تشغف الناس بالتحديث عنها والتطلع إليها وإلى أصحابها قدر ما تشغفهم بذلك صناعة المحاماه، ولعل مرد هذا الشغف ما أقامته المحاماة بينها وبين الناس من صلة القربى ، فالمحاماه منذ كانت لم تقع من آمال الناس... وحاجاتهم موقعا بعيدا عن موقع النجدة في الضيق والعون بما لا يستطيعون من وسيلة على ما يطلبون من غاية . . ثم يصف المرافعة بقوله : «ما هي المرافعة؟ أليست هي رسالة تؤديها عن صاحب الحق إلى من يملك إقرار الحق أو إنشائه؟ إذن لا يناصر من أن تزود - لتبليغ هذه الرسالة - صدق اليقين

وقوة البرهان ، وأن ترى كيف تمهد سبيلها إلى الأسماع ثم إلى القلوب بلطف الأداء ورفق العبارة وحسن الخطاب . فالمرافعة ليست بذلك هي الفصاحة وحدها ، ولا هي العلم بالقانون وحده ، ولكنها ، قبل أن تكون غزارة علم وزخرف كلام ، يجب أن تكون حول الدعوى سياسة يقظة واستبصار ، وحول الدليل حذقا في الأداء ولياقة في إيراد الأمر وإصداره .

و الواقع من الأمر أن لغة المحاماة قد تكون شفوية فتسمى « المرافعة » وقد تكون كتابية فتسمى « المذكرة » وهي في الحالين « لغة دفاع » أو « لغة إقناع » . ويقول الأستاذ أحمد فتحى زغلول في المرافعة : « أساس المرافعة دقة البيان ، والمراد بها قوة الحججة ووضوح البرهان ، لا تزويق العبارة وزلافة اللسان . وأخص صفاتها الوضوح والإيجاز . أما الوضوح فشرط مهم في المرافعة لأن السامعين ينساقون مع المتكلم عادة ، فان غاب عنهم مراده خلفاء المعنى أو تعقيد العبارة كان حكمهم عليه . ولن يفيد بعد ذلك ما يعود إليه من التوضيح والتفسير ، لأن بوادى الأفكار هي التي تعلق بالآذان فلا تمحى منها تماما . ومن الواجب أن تؤثر المرافعة في نفس القاضى وأن يكون لكل كلمة منها وقع عنده ، لأنها إذا فقدت هذه المزية انقضى الغرض المقصود منها وأصبح استعمالها خيالا باطلا وأما الإيجاز فمن أكبر أركان المرافعات ، فينبغى للمتكلم أن يكون كلامه مع سامعيه كما يكون القارئ مع نفسه إن وجد منها فتورا أو ملاءمة طوى الكتاب ليعود إليه متى انصلح فكره ، وإذا مر بموضوع لا يهتم له كر عليه مسموعا ليصل إلى الأهم من الكتاب . وأن يلتفت إلى أن السامع ملزم بالإصغاء إلى ما يلقى عليه من الكلام فعلى المتكلم أن يجذب إليه وأن لا يتعبه بما لا فائدة فيه من سقط الكلام وحشوه بما يخرج عن موضوع الخطاب . ولحسن الإصغاء حد ، فاذا تجاوزته المتكلم تولد في السامع الملل وصار القول فضالة أحسن القائل أو أساء » . ويضيف الأستاذ أحمد فتحى زغلول في شأن « المذكرة قوله من حسن الصناعة أن يلاحظ الكاتب المكتوب إليه وأن لا يغيب عنه أنه يعرض ما كتب على رجال تعلموا وتهذبوا وتفرغوا لأعمال وظيفتهم التي استنفدت أوقاتهم كلها ، فن الحكمة أن يحفظ عليهم زمنهم وأن لا يقدم إليهم من الوقائع إلا على قدر الكفاية ولا من الأدلة إلا ما كان قاطعا في الخصومة مع الاقتصاد في الألفاظ » .

ولقد أجمل الأستاذ زكى عريبي صفات لغة المرافعة في احترام قواعد اللغة ، وكونها مطابقة لمقتضى الحال ، فلإسهاب منها مواضع والإيجاز مواضع ، وكونها لغة حديث لا لغة كتابة ، وأنها لغة التماس بحيث يحوطها الاحترام الكلى للهيئة التي تجرى المرافعة أمامها ، وأنها في الوقت عينه لغة جرأة وعزة مع الاعتدال ، فليس أزرى بالمرافعات ولا أضيع لبهجتها ولا أقل لسلاحها من سفه لغتها .

ولقد صاحب إنشاء المحاكم الأهلية إنشاء لغة المحاماة ، وحمل هذا العبء عدد من الرواد ، أمثال الأساتذة حسين صقر واللحاني والباجورى وسعد زغلول وأبو شادى والهللباوى ، وجاء بعدهم ليكمل الرسالة فريق الأساتذة أحمد لطفى السيد وعبد العزيز فهمى ومكرم عبيد ومرقس فهمى ووهيب دوس ومحمود أبو النصر ومصطفى مرعى . ولنضرب أمثلة للمستوى الرفيع الذى بلغته لغة المحاماة فى الربع الأول من القرن العشرين . من ذلك مرافعات أحد المحامين فى قضية اغتيال سياسى صدر الحكم فيها من محكمة الجنايات فى أبريل سنة ١٩١٠ . فقد جاء فى مرافعة الأستاذ أحمد لطفى عن المتهم قوله : « إعلم أيها الشاب (يقصد المتهم) أنه إذا تشدد معك قضاتك - ولا أخالهم إلا راحميك - فذلك لأنهم خدعة القانون وهـذا هو السلاح المسلول فى يد العدالة والحرية وإذا لم ينصوك - ولا أظنهم إلا منصفيك - فقد أنصفك ذلك العالم الذى يرى أنك لم ترتكب ما ارتكبته بغية الإجرام ، ولكن باعتقاد أنك تخدم بلادك . وسواء وافق اعتقادك الحقيقة أو خالفها فتلك مسألة سيحكم التاريخ فيها . . . وأن هناك حقيقة عرفها قضاتك وشهد بها الناس وهى أنك لست مجرما سفاكا للدماء ، ولا فوضويا من مبادئه الفتك بنى جنسه ، ولا متعصبا دينيا خلته كراهية من يدين بغير دينه . إنما أنت مغرم ببلدك ، هائم بوطنك ، فليكن مصيرك أعماق السجن أو جدران المستشفى فان صورتك فى البعد والقرب مرسومة على قلوب أهلك وأصدقائك ، وتقبل حكم قضاتك باطمئنان واذهب إلى مقرك بأمان . . . » .

وفى قضية سياسية أخرى صدر الحكم فيها من محكمة جنايات مصر فى مايو سنة ١٩٢٥ يقول الأستاذ إبراهيم الهللباوى فى مرافعته عن أحد المتهمين : « . . . معظم العلماء يميلون الآن ، أيضا فى أوروبا التى نتعلم عنها ، إلى نبد عقوبة الإعدام . فاليكم ، ولو أنى أمام محكمة فى أمة صغيرة غير معروف للغرب أنها تعطى حكما وأمثلة للعدل - ولكن ليس للعدل وطن ولا للحكمة دار - إذا استطعت أن أقدم بين يديكم أن هذه العقوبة علاج خطير تنفر منه النفس إلا فى الأوقات الخطرة ، فانى أستطيع أن أقول صونوا الهيئة الاجتماعية من خطر هؤلاء السفهاء . انتفعوا من قوة هؤلاء الشبان فقد ينفعون إذا تابوا ، وقد تصلح المقادير من أمرهم ، خصوصا وأن عقوبة الجرائم السياسية مبنية دائما على خطأ فى التقدير . هؤلاء البغاة يدكرون أنهم ارتكبوا الجريمة بحسن نية . هم كالمجنون الذى يتوهم خوفه من البرىء فيقتله . فى عرفهم هو قصد الخير . أنا لا أطلب منكم أن تحترموا هذا ، وإنما وأنتم تزنون قدر العقوبة عليكم أن تزنها بقدر فكر الحانى . أعنى القانون القاصر من عقوبة الإعدام لأنه عرف أنه لا يقدر تمام التقدير الظروف كلها . . . » .

وجاء فى مرافعة الأستاذ وهيب دوس عن المتهم نفسه فى القضية ذاتها : « فرض القانون فيما فرض ضمانا لحسن سياسة القضاء وإقامة العدل بين الناس - أن لا يتقدم متهم أمام هيكل

قضائكم دون أن يرافقه في هذه المرحلة الأليمة محام يتولى الدفاع عنه - محام يشترك معكم في شرف خدمة القانون ، ويرتفع عن أوساط المتهمين إلى الوسيط الذي يفهم فيه معنى العدالة كما تفهمونه أنتم ، ويقدر أغراض الشارع التي وكل إليكم تحقيقها كما تقدرونها ، فيعرض عليكم المتهم كما يجب أن يعرض - بريثا أو مذنبا - ويصور لكم العواطف التي اجتاحت نفسه وعصفت بوجدانه فافقدته أسمى ما يتحلى به الإنسان في إنسانيته ، وأرقى ما يطمح في السمو إليه من فضيلة الرفق والتضحية والتسامح التي لو سادت لما اجترم مجرم جرمه ، ولما قامت الحاجة لنظام القضاء . أوجب القانون هذا ، مع افتراض أن يكون بين هؤلاء المتهمين معترف أو متلبس بجريمته ، دون أن يحرم هذا الفريق من هذه المساعدة ، أو يقلل من أهميتها بالنسبة له ، فكان قضاؤكم باطلا إذا لم يسترشد بدفاع المحامين الذين أصبحوا ركنا أساسيا في القضاء الجنائي تسعى إلى تحقيق قيامه نفس السلطة التي تقيم الدعوى إذا قصر المتهم في حق نفسه فلم يسع إليه أو حتى إذا رفضه هو رفضا باتا » .

ومن مرافعة الأستاذ مكرم عبيد في قضية فصلت فيها محكمة الجنايات في إبريل سنة ١٩٢٦ ، نقتطف قوله : « لقد أثارت هذه القضية بين الناس على تباين نزعاتهم وأهوائهم شديدا همهم وكامن عواطفهم ، وهذا طبيعي لأن القضية سياسية . والسياسة كانت ولا تزال مسرحا لكل عاطفة وسوقا لكل شهوة ، وميزانا لكل ضعف وكل قوة . ولقد نتج من هذا الخلط بين السياسة والقانون أن اختلطت في القضية أسباب الحق بالباطل ، والعدل بالظلم ، والصدق بالكذب ، حتى أصبحت مجتمعا لكل تناقض ومضربا لكل مثل . غير أن القضية قد أثارت أيضا هواجس الناس ونحاور فهم ، وهذا غير طبيعي ، لأن القضايا يقصد منها أولا وقبل كل شيء الوصول إلى العدل ، والعدل تطمئن له النفوس ولا تجزع . ولكن الناس خافوا - وحق لهم أن يخافوا - لأنهم خشوا أن هذه القضية ذات الأهمية الاستثنائية قد تختل لها التوازن القانوني قبل أن تصل إلى حرمة القضاء ، فتجر إلى إجراءات استثنائية في الإتهام والتحقيق ، ومن طبيعة الاستثناء أنه لا يعرف حدا ، لأنه لا يعرف قاعدة ، بل هو ضد كل قاعدة ، ولا يعبأ بعدل أو مساواة لأنه لا مساواة مع استثناء ، ولا يخضع لضمان لأنه لا يرى ضمانا إلا في هدم الضمانات . ثم أن الاستثناء هو الفكاك من كل قيد . ومن سوء حظ البشرية أن هناك نفوسا إذا لم تكبح تجمح ، وإذا لم ترعو لا تستحي . وهناك نفوس تجزع ونفوس تطمع . وهكذا فالاستثناء مهما نلظننا في تسميته ، هو الظلم بعينه لأنه يفتح الباب لكل شهوة ، ويتنافى مع كل مساواة . ولهذا قلت إن الناس قلقوا وأوجست نفوسهم خيفة ، لأن كل ظلم مهما كان فرديا فهو ظلم مزدوج ، ظلم واقع على الفرد ، وظلم يهدد المجموع ، فهو إذن فعل وتهديد وواقعة وسابقة » .

على هذا الوجه المتقدم بيانه نشأت لغة المحاماة وازدهرت ، واستمر ازدهارها جنة فيحاء حتى آخر الأربعينيات . والواقع من الأمر أن المحامين لم يقف نشاطهم ، خلال هذه الحقبة من الزمان ، عند حد القضايا الخاصة في رحاب القضاء يطلبون فيه الحق والعدل ، بل أنهم شغلوا أنفسهم بالقضايا العامة ، قضايا الوطن من سياسية واجتماعية واقتصادية ، في رحاب المصالح القومية ، يدافعون عن استقلال البلاد في مواجهة المستعمر ، ويدافعون عن الحريات العامة في مواجهة حكم متسلط ، ويطالبون بالأخذ بيد الفقراء الضعفاء ، وينهون إلى ضرورة معالجة الوضع الاقتصادي للبلاد والتطويح بسيطرة الأجانب عليه . ولقد كان من بين المحامين قادة وشركاء في العمل السياسي في ثورة سنة ١٩١٩ ، وفي الحياة النيابية بعد العمل بدستور سنة ١٩٢٣ ، وفي الحياة الصحفية ، وفي ميدان الشركات . ولم ينس المحامون ، مع كل ذلك ، عملهم الأصلي في خدمة القانون ، فكان منهم فقهاء ، واختير منهم الكثير ليشغل مناصب القضاء من أولى مستوياته حتى العليا منها .

وقد جرى منذ أوائل الخمسينيات أن اهتزت لغة المحاماة . فقد قلت في قاعات جلسات المحاكم المرافعات المدوية المحلجلة ، وأصاب لغتها ولغة المذكرات الهزال ، في كثير من الأحيان ، ويمكن القول - دون مبالغة - أن الخط البياني لمستوى لغة المحاماة أخذ ، ولا يزال يأخذ ، في الاتجاه نزولا . وهذه ظاهرة التقيينا بها فيما تقدم من عرض لنشأة وتطور لغة الفقه ولغة التشريع ، وكذلك في لغة القضاء إلى حد ما .

* * *

خاتمة :

وبعد ، فاننا إذا ما أردنا تقصي أسباب الارتقاء وأسباب تقيضه في لغة القانون ، بمختلف فروعها على ما سبق بيانه ، لوجدنا أن الدين بنوا هذه اللغة ونهضوا بها عاشوا زمانا مليئا بالتطلع إلى المعرفة والسعي إلى الحضارة والنهوض بالمجتمع . فنجد أواخر القرن الماضي ، وفي خلال الثلث الأول تقريبا من القرن العشرين ، تعاقبت أجيال من الرجال تغذوا بالثقافة العربية ، ثم اغترفوا من الثقافة الأوروبية ، وهو أمر اقتضاه سيادة الحضارة الأوروبية في كثير من جوانب العالم ، كما اقتضاه قيام علاقات بين مصر ودول أوروبا وبين المصريين ورعايا هذه الدول ، وكان أبرز هذه العلاقات علاقات مصر بالمستعمر . وبدا الاهتمام بمعرفة اللغات الأجنبية واضحة ، بجانب تهضة واتت اللغة العربية وآدابها . وكانت القراءة هي الوسيلة الوحيدة للمعرفة قبل دخول الإذاعة في مصر في أوائل الثلاثينيات ، وهي وسيلة أكثر عمقا ودقة . وكانت متطلبات الحياة أبسط وأيسر مما هي عليه الآن ، وكان المجتمع أكثر هدوءا واستقرارا مما هو عليه الآن . وكانت شعلة الوطنية ملهبة لإرادة التقدم والارتقاء .

وقد كان من شأن كل ذلك وجود أجيال من أفراد متعددي الثقافة متنوعى الاهتمامات فوجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس ، الأديب أو الشاعر أو الفنان ، أو العلم بشيء من الأدب أو الشعر أو الفن . ووجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس الملم بفرع أو أكثر من سائر العلوم الإجتماعية ، أو الإنسانية كما يسميها البعض . كعلم الاجتماع أو الفلسفة أو علم النفس . ووجد رجل القانون أو الطبيب أو المهندس المشتغل بالسياسة وبالقضايا القومية الكبرى ، وقد تكون وسيلة هذا الاشتغال هي الانضمام إلى حزب سياسى أو المشاركة فى العمل الصحفى ، أو إنارة رأى العام بطريقة المحاضرات العامة ، وقد كانت أمرا مألوفا ، وكان الإقبال عليها شائعا . وصاحب كل ذلك الاهتمام بترجمة الكثير من المؤلفات أو البحوث الأجنبية ليجد الساعى إلى المعرفة فيما ترجم زادا للثقافة والتعرف على الإنتاج الفكرى فى بلاد سبقتنا فى التقدم .

وعلى هذا الوجه اتفرت فى مصر بيئة صالحة لنمو العلم وانتشار الثقافة ووجود لغات علمية عربية لمختلف فروع المعرفة . وكان للغة القانون نصيب من ذلك ، فولدت ونمت وارتقت على الوجه السابق بيانه . ولكن ما كاد النصف الأول من القرن العشرين ينقضى إلا وقد أصاب هذه البيئة تغير أحدث ، ولا يزال يحدث ، أثره فى كل ما ينمو ويعيش فيها . ذلك أن المجتمع المصرى اهتز هزة عنيفة مفاجئة فى أوائل الخمسينيات غيرت نظمه السياسية وامتدت إلى التغيير فى نظمه الاجتماعية والاقتصادية . وتوالت الأحداث سراعا فى سبيل تعجل الوصول إلى الأهداف . ويعيننا من كل ذلك - فى مقام كلامنا فى لغة القانون - ما حدث فى ميدان التعليم والثقافة . فقد جرى التوسع فى التعليم العام على نحو لم يسبق الإعداد له إعدادا كافيا ، نتص فى المعلمين وفى أدوات التعليم ، وكان اهتزاز فى مناهج الدراسة ، إذ ازدحمت بما سمى المواد القومية وأوجزت فى بعض المواضع فهزل قدر الإفادة من تراثنا الأدبى والعلمى وبدأ ضعف التلاميذ فى اللغة العربية ظاهرة عامة ، وصاحب ذلك ، أول الأمر ، جفاء نحو اللغات الأجنبية ، ونقص كبير فى عدد من يمكن أن يعهد إليهم بتدريسها ، فبدت جهالة هذه اللغات أو ما يقرب من الجهالة ظاهرة عامة كذلك .

وهذا التوسع فى التعليم العام لم يصاحبه توسع فى التعليم العالى تنوع فروع حاسب ما تقتضيه احتياجات البلاد وما يفتح الأبواب أمام تنوع استعدادات الطلاب وصلاحياتهم . لقد جاء التوسع على حساب الجامعات ، ففتحت أبوابها لكل طارق ، واقتضى إقبال الطلاب على بعض الكليات بما يزيد على طاقتها أن أنشئ « مكتب تنسيق قبول الطلاب بالجامعات » ، الذى يوزع الطلاب على مختلف الكليات حسب الأعداد المحددة لكل منها وعلى أساس

مجموع درجات الطالب في الثانوية العامة وكانت النتيجة لذلك أن حشر كثير من الطلاب في كليات لا يألون الدراسة فيها ، وصار عدد طلاب الفرقة الدراسية الواحدة يحصى بالآلاف فضاقت بهم المدرجات وعجزت المعامل عن استقبالهم ، وتعثرت العملية التعليمية بأيدي أعضاء هيئة التدريس وضاقت أوقاتهم عن الأبحاث العلمية . ثم جاء إنشاء الجامعات الإقليمية لتجتزئ عددا من أعضاء هيئات التدريس بالجامعات القديمة فتصاب الجامعات كلها بنقص شديد في عدد أعضاء هيئات التدريس ، وتسود الانتدابات بينهم فيزداد وقت البحث العلمي ضيقا . ولم يعالج توزيع الطلاب على الجامعات على أساس إقليمي أى جانب من جوانب مشكلة التعليم الجامعي أو التعليم العالي بصفة عامة . وكان من شأن ذلك كله ضعف مستوى خريجي الجامعات ، وهو ضعف يرتفع خطه البياني من عام إلى عام ، ويتناول التكوين العلمي في فرع التخصص ، كما يتناول اللغة العربية واللغات الأجنبية والقدرة على الإفادة من التقدم العلمي على المستوى العالمي . وتراكم الخريجون في ميادين لا تستوعبهم .

هذا عن التعليم . وأما عن الثقافة ، فلم نعد نرى المثقف المتعدد الاهتمامات ، مما كان موجودا في مصر حتى أواخر النصف الأول من القرن العشرين على سبق بيانه ، وقل الاهتمام بترائنا الفكرى أو كاد ينعدم . وقل الاهتمام بالتزود من الثقافات الأجنبية . حقيقة أنه في أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات ، توفر الاهتمام باعادة طباعة عدد من كتب التراث ، وتوفير الاهتمام بترجمة عدد من المؤلفات الأجنبية في مختلف فروع المعرفة ، ولكن حال دون الانتفاع بهذه وتلك ضعف ملكة القراءة عند غالبية الشباب واكتفائهم بالإذاعة المسموعة أو المرئية وسيلة للمعرفة . ومن الحقائق أيضا أن عدد المجالات الثقافية الحادة قد قل أو كاد ينعدم فلم نعد نرى ما يماثل مجلة المقتطف الشهرية أو مجلة الهلال الشهرية في عهدها القديم أو مجلة الرسالة أو مجلة الكاتب المصرى . كما أن الصحف اليومية لم تعد تفسح المجال الكافى لمختلف وجوه الثقافة ، وذلك على خلاف ما كانت تجرى عليه من قبل . لقد قرأ جيلنا في شبابه في الصحف اليومية ، بصورة دورية منظمة ، الشعر قديمه وحديثه والقصة الطويلة وغيرها من ضروب الأدب .

وإذا كانت هذه هي حال التعليم والثقافة ، فاننا إذا ما أضفنا إليها القلق الذى يعيش فيه الناس ، ومشاكل حياتهم ، حتى اليومية منها ، التى تشغل بالمهم وتأخذ جانبا من تفكيرهم ، لوجدنا أنه ليس بمستغرب أن بيئة المجتمع المصرى في الربع الثالث من القرن العشرين قد اختلفت تماما عن بيئته في النصف الأول من هذا القرن ، ولذلك فان الأولى لم تنتج ، إلا بالقليل ذات المستوى من رجال الفكر مثل ما أنتجته الثانية .

إن الخيل الحاضر لمعدور ، فهو يعيش زمانا طغت فيه الماديات على كل شىء وصارت بذاتها قيا تغشى البصائر عن القيم الفكرية . ومع ذلك فان العقل لا يزال هو جوهر الإنسان ،

ولا يزال نتاجه الفكري هو الذي يسعد البشرية ويسير بها قدما . وما التكنولوجيا الحديثة إلا جانب من هذا التاج . وعقل الإنسان هو الذي ابتكر العقول الإلكترونية ، وسيظل هو سيدها جميعا .

ولعل خير سبيل للنهوض بالمشتمع المصرى علميا وثقافيا ، هو أن يبدأ الجيل الحاضر بالتزود بتراث أسلافه القريب ، تراث النصف الأول من القرن العشرين ، ثم يتجه بعد ذلك إلى علم وثقافة من سبقنا من الأمم يتزود منها بالحديد ويلاحق تقدمها فيها ، ولا بد له من التوسل إليها بالإلمام بلغة أجنبية أو أكثر ، ومن الخير أن يصاحب ذلك حركة ترجمة تسعف من لا يعرف أية لغة من هذه اللغات وتمكنه من مزيد من المعارف .

وفيما يتعلق بلغة القانون وهي موضوع كلامنا ، أقول للجيل الحاضر من رجال القانون : أمامكم ثروة معتبرة ، تراكمت خلال نصف قرن من الزمان ، من لغة الفقه ولغة التشريع ولغة القضاء ولغة المحاماة ، ارجعوا إليها واستمتعوا بها بعد استيعابها ، تجدونها في المؤلفات والبحوث والنصوص التشريعية ومجموعات أحكام المحاكم ، في القضاء العادى والقضاء الإدارى ، وفيما نشر من المرافعات في أشهر القضايا . وعليكم بعد ذلك - أن كان هناك محل - أن تطوعوا لغة القانون حسب مقتضيات العصر الذى نعيش فيه ، مع الحرص على قواعد اللغة العربية نحوا وصرفا وأسلوبا .

ولا يغيب عنكم أن مجمع اللغة العربية قد عبد لكم الطريق بما بذله ، ولا يزال يبذله ، من جهد علمى دقيق محكم ، أسهم فيه علماء فى اللغة وعلماء فى القانون ، أثمر وضع المصطلحات القانونية وضبط تعريفاتها فى مجال عدد من فروع القانون وهى : القانون المدنى والقانون التجارى وقانون المرافعات والقانون الدولى الخاص والقانون الإدارى والقانون الدولى العام والقانون الإدارى ونشر كل ذلك فى مطبوع يصدره عنوانه « مجموعة المصطلحات العلمية والفنية » . ولا يزال المجمع بسبيل استكمال عمله بتناول باقى فروع القانون وما استجد من موضوعات أثمرها تطور الحياة القانونية .

إن ما حدث فى لغة القانون فى مصر من ارتقاء وهبوط ليس غريبا فى حياة الأمم وليس مرضا لاشفاء منه . وشأن اللغة شأن مختلف وجوه الحضارة التى قد يشع نورها ويشمل وطن ميلادها ويمتد إلى غيره من الأوطان ، ثم قد نجبو هذا النور ، ثم يقوى وينتشر من جديد . إن العيب هو فى الإستمرار فى الهبوط أو التوقف عن الإصلاح ، ومصر نجير ، وستكون لغة القانون نجير ما دام يوجد بين الجيل الحاضر من رجال القانون نابهون متطلعون إلى الحرص على الارتقاء بالقانون ، علما ولغة .

الدكتور احمد عز الدين عبد الله

عضو المجمع

المخطوآت الأولى نفساً لفكر علمي في تراثنا للكتور ناصر الدين الأسي

ل كانت كثرة الكتابة أو الكلام في أمر ما نعة من معاودة الكتابة أو الكلام فيه لامتنع الناس عن الخوض في هذا الموضوع أو ما يتصل به من موضوعات ، لكثرة ما تناوله الكتاب والخطباء والمحاضرون والمتحدثون ، وأسرفوا في محاولة شرحه وتوضيح جوانبه . ولكنت اليوم في غنى عن أن أبذل جهداً بعد جهودهم ، لا أدري أضيف معرفة جديدة أو يكرر ما كرروه ، ثم لا يعدو أن يكون مقالا على مقالات سابقة يزيدا في العدد دون أن يزيد عليها في القيمة .

وليست كثرة الكتابة أو الكلام في موضوع بمانعة من إعادة الكتابة أو الكلام فيه ، ولا بنافعة أحداً من الناس ، إذا كانت مليئة بأحكام عامة لا تعتمد على مقدمات متسلسلة ، أو أحكام قاطعة لا تحتل المناقشة ، أو مبهمة تكاد تشمل كل شيء ولا تشمل شيئاً محدداً بعينه ، أو إذا كانت بغير مقدمات ، أو بمقدمات تخلو من التمحيص والتدقيق ، يقفز الكاتب أو المتحدث قفزاً إلى أحكامه النهائية ، فلا يخاطب العقل فيقنعه ، وإنما يستهوى المشاعر فيهيجهها ، ثم لا تلبث هذه المشاعر أن تعجبو فورتها حين تستدير الأمر مثلما اشتد عرامها وثارَت حين استقبلته . واقتناع العقل مستمر ، وقد يتفاعل ، مع مرور الزمن ، فيرسخ وينمو بما يضاف إليه كلما ازداد المرء تفكيراً في الأمر الذي اقتنع به ، وحينئذ قد يتلوه ويخرج منه عمل متزن مفيد ، وذلك ينطبق على الخاصة والعامة معاً ، فللعامة عقول يفكرون بها ، فيقتنعون ثم يعملون ، أو ينكرون ثم يرفضون .

وليس المجال - في مثل هذه الموضوعات- مجال وعظ كالذي يتروّد بيننا من أكثر الأحياء . ولا مجال عراك في غير معترك ، أو توهم دفاع بأسلحة ترتد إلى نحر المدافع ، فتكون أشد نكالا عليه ، لضعفها وتهافتها ، من أسلحة الأعداء . وكم من صاحب حقّ أضاعه لضعف سلاحه ، أو تهافت حجته ، أو لاتباعه سبيلا غير السبيل الموصلة إلى ما كان يريد . ولكنّ المجال مجال بحث علميّ يلتزم الأصول الصحيحة ، والمنهج القويم ، لتجلية الحقيقة وبيان جوانب الصواب ، بترتيب النتائج ترتيباً طبيعياً على مقدّمات متسلسلة ممحصّة ، ومخاطبة العقل بمخاطبة هادئة ، عن بصيرة ومعرفة ، دون استثارة أو تهجّم أو اتهام ، لا تدعو إليها طبيعة البحث ولا تقود إلى تحقيق شيء من نتائجه ، بل قد تكون عقبات أمام الوصول إلى الهدف بما فيها من تنفير للنفوس واستهانة بالعقول .

ولم يكن كل هذا الذي أوردناه من قبيل المقدّمة أو التمهيد أو المدخل وليس هو ببعيد عن صلب الموضوع وعنوانه ، بل هو منهما في الصميم . فذلك هو منهج علمائنا في الحوار ، وفي المواجهة الثقافية ، وفي التواصل بين الشعوب والأديان ، استمدّوه من دينهم ومن كتابهم ، وهو أمر يلتقي مع ما نحن بسبيله من وجوه ويختلف معه من وجوه ، ومهما يكن فإن هذا الضرب من الحوار إنما هو إطار وأسلوب : إطار يتضمن نتائج الفكر ، وأسلوب لنقل هذا الفكر وتوصيله ، ويبقى - بعد ذلك - السؤال قائماً عن أصول المنهج في التفكير العلمي عند أسلافنا ، يحتاج إلى روية في البحث ، ودقّة في استخراج النتائج ، وتحديد واضح للملامح والقسمات .

وحتى نتجنّب ما عددناه عيباً في كثير من الكتابات والأحاديث ، ونتبع ، ما ذهبنا إلى أنه النهج السليم الذي يبتعد عن التعميم الفضفاض ويلتزم بالتحديد الدقيق ، فإننا سنضع كل فكرة من أفكار هذا الموضوع في فقرة منفصلة ، لها رقمها المستقلّ ، حتى يتقرّرها عقل القارئ فيقف عندها ممحصّاً ناقداً .

١ - لم ينشأ الفكر العلمي العربي الإسلامي من فراغ ، ولم يحدث فجأة بمعجزة ، ولم يتطور ويزدهر في ميادين العلوم المختلفة - الأساسية والتطبيقية - بمعزل عن النواميس

البشرية والطبيعية التي تحمل معاً، وفق سنة الله في خلقه وتكون سبباً في ارتقاء الأمم أو سقوطها . ولكنه نشأ ثم تطوّر وازدهر بفضل عاملين أساسيين ، أولهما : نصوص تربوية تعليمية ، نشئت عليها الأجيال تتمثل في آيات كريمة وأحاديث شريفة تكرم العقل وترفع من منزلته ، وتدعو إلى التفكير وتحض عليه ، وتشيد بالعلماء وتجعلهم ورثة الأنبياء ، وهي آيات وأحاديث أورد أكثرها كل من تناول هذا الموضوع ، ويعرفها الناس ، أو جُلُّهم وإن قلَّ بينهم من يقف عندها متدبراً مستنبطاً منهجها المتكامل . وثانيهما : جهد بشري موصول وتطبيق عملي مستمر ، نهض بهما المسلمون بدافع من السبب الأول ، وفهم صحيح له ، استطاعوا بهما أن يرسوا الأسس الثابتة لهذا الفكر العلمي ، ويرفعوا قواعده ، ويقىموا صرحه الضخم الذي أصبح - قروناً متواصلة - كعبة للأمم الأخرى يحجّون إليها ، ونوراً يقبسون منه .

٢ - وكان من شأن تلك النصوص التربوية التعليمية ، في كتاب الله وفي حديث رسوله ، أنها أشارت إشارات واضحة مستوفاة إلى أنه تعالى فتح جميع ميادين الحياة ، وجميع ما فوق الأرض وما في باطنها ، وما فوق البحار وما في جوفها ، وما في الفضاء والسماء وجعلها كلها ميداناً للتدبير والتسخير ، في خدمة الإنسان ، يصل إليها بعقله ، ويفتح مغاليقها بعلمه ، بفضيل الله ، لم يحظر منها ميداناً واحداً ، ولم يغلق فيها باباً دون باب ، بل أشرعها كلها على مصاريعها جميعاً دون قيد : (وسخر لكم الفلك لتجرى في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار * وسخر لكم الشمس والقمر دائبين وسخر لكم الليل والنهار)^(١) (وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً . .)^(٢) و (ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض . .)^(٣) و (وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه ، إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون)^(٤) فانطلق علماء المسلمين « يتفكرون » و « يتدبرون » دون ما حرج ولا تزمت ، لا يحول بينهم وبين ميدان من ميادين العلم حائل .

(٢) النحل : ١٤ .

(٤) الجاثية : ١٣ .

(١) إبراهيم : ٣٢ ، ٣٣ .

(٣) الحج : ٦٥ .

٣ - ولم يحاسبهم تعالى على أخطائهم في التفكير والاجتهاد والبحث ، مادامت نياتهم سليمة وما دام الحق رائدهم وهدفهم ، فهـ « إنما الأعمال بالنيات »^(١) فمُنِح العلماء بذلك حقاً من أهم حقوق الإنسان هو حق الخطأ. غير المتعمد (وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ، ولكن ما تعمدت قلوبكم ، وكان الله غفوراً رحيماً)^(٢) و (لا يكلفُ اللهُ نفساً إلاَّ وسعها ، لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ، ربَّنَا لاتؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا)^(٣) ، وآكد هذا الدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في صيغة تقريرية بقوله « إن الله وضع عن أمتي الخطأ والنسيان »^(٤) .

ثم زاد الإسلام على كل ذلك فضلاً آخر ، فأرْبَى على كل ما يخطر على بال العلماء وفي أمانيتهم ، فلم يقتصر على التجاوز عن خطأ المخطئ وعلى الصّح عنه - فذلك إنما يكون في أمور العقائد والعبادات حين لا يتعمد المؤمن الخطأ - فيراه يبحث العلماء على البحث والاجتهاد حثاً ، إذ أخبرهم أنه يكتب لهم الحسنه والثواب حين يخطئون وهم سائرون في طريق العلم فجعل للمخطئ أجرًا واحدًا وللمصيب أجرين^(٥) .

فكيف إذن لا يطمئن العالم على نفسه وضميره ، وكيف لا يزداد انطلاقاً في ميادين البحث المختلفة دون ما خوف ولا تردد .

٤ - وأطلق الإسلام العقل من أغلال الخرافات ، وحرّره من الأوهام والأساطير والأباطيل ، فجعل الظواهر الإنسانية والطبيعية سنّة من سنن الله تعالى ، تسيّر بنواميس ثابتة ، وتجرى بحساب دقيق ، وعلى المسلمين أن يتدبّروها ، فيغوصوا في أعماقها ، وينقبّوا ، ويبحثوا ، ويكشفوا أسرارها وأسبابها ونتائجها . ف (الشمسُ

(١) رواه مسلم وأبو داود والترمذي وأحمد .

(٢) الأحزاب : ٥ .

(٣) البقرة : ٢٨٦ .

(٤) رواه ابن ماجه والطبراني والحاكم .

(٥) روى الحديث البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي وابن ماجه وأحمد ، قال الخطابي : « إنما يؤجر المخطئ على اجتهاده في طلب الحق لأن اجتهاده عبادة ، ولا يؤجر على الخطأ بل يوضع عنه الإثم فقط » (السيد سابق ، فقه السنة ٣ : ١٠٤ - دار الكتاب العربي ، بيروت) .

وَالْقَمَرَ بِحُسْبَانٍ) ^(١) (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) ^(٢) (وَالْقَمَرَ قَدَرْنَا مِنْ نَازِلٍ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ * لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ) ^(٣) وكسفت الشمس يوم موت إبراهيم بن محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال الناس : كسفت الشمس لموت إبراهيم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَا يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلَا لِحَيَاتِهِ ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ فَصَلُّوا وَادْعُوا اللَّهَ » ^(٤) (وَلَئِنْ تَجَدَّ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) ^(٥) (وَلَئِنْ تَجَدَّ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَعْوِيلًا) ^(٦) .

٥ - كل هذا ، وغيره كثير ، وكان الأساس في تنشئة أجيال العلماء ، وتربية عقولهم ، وتوجيه نفوسهم ، فشرعوا في بناء قاعدة العلم الإسلامي بناءً عملياً . ربطوا - كما أمرهم الله - العلم بالعمل ، وجمعوا بين العلم النافع والعمل الصالح . فهم المسلمون ماجاء في كتاب الله وما وصلهم عن رسوله صلى الله عليه وسلم ، فأنشأوا لهم من داخل دينهم علومهم الخاصة بهم . لم يأخذوها من غيرهم ، ولم يترجموها عن سبقتهم : فكانت علوم الفقه ، وعلم الأصول ، والتفسير ، والقراءات ، والحديث وعلومه ، وأصول الدين ، والسير والمغازي . وتفرعت عن كل علم علوم ، وانشقت منه فروع . وقطعوا فيها أشواطاً بعيدة ، وارتفعوا بها إلى مستوى عال من المنهج العقلي من تحقيق وتدقيق ، ونقد للمتن وللسند ، وحرص على جمع المصادر والإحاطة بها والتثبت مما ورد فيها : كتابة أو شفاهاً ، ولم يقبلوا بالتسليم برأى دون مناقشة فلا بد من أخذ العلم مع دليله ، لا بد من إقامة البرهان النقلى والبرهان العقلي . ونشأت

(١) الرحمن : ٥ .

(٢) الأنبياء : ٣٣ .

(٣) يس : ٣٩ - ٤٠ .

(٤) رواه البخارى والسنن .

(٥) الأحزاب : ٦٢ .

(٦) فاطر : ٤٣ .

كتب الرجال ، والتفسير والحديث، والجرح والتعديل والأنساب والأخبار .
وتأصلت فيهم- من علومهم- روح العلم ومفاهيمه وتقاليده وأخلاقه ، وأقبلوا على
طلبه إقبالا لا نجد له نظيراً عند الأمم الأخرى ، فيما روت لنا الأخبار. ولم يكن
لهم كهنوت أو « اكليروس » يحتكر فيه الأخبار والرهبان والكهان العلم الديني
والدنيوي ويحظرونه على غيرهم ، فكان العلم بكل أنواعه مبدولا للمسلمين عامة
وللعلماء خاصة ، من مصادره الأولى وينابيعه الصافية .

٦ - وكما شرعوا في بناء قاعدة العلم الإسلامي بناءً عملياً من داخل دينهم وحياتهم ،
بإنشاء علوم أصلية خاصة بدينهم وبهم ، فقد دعموا هذه القاعدة بركن ثان أصيل
من علوم لغتهم وآدابهم . فنشأ عندهم : النحو والصرف والمعاني والبديع والبيان
وعلوم اللغة والعروض والقوافي ورواية الشعر والأنساب والأخبار .

وكانت هذه العلوم مع العلوم السابقة وحدة متكاملة ، مترابطة ، يحرص على
تلقّيها ، أو تلقّي أكثرها ، طالب العلم حتى تُبنى قاعدته الفكرية وأصوله الثقافية .
ولا نكاد نجد عالماً في العلوم التطبيقية إلا وقد أخذ بهذه العلوم الإسلامية واللغوية
والأدبية « النظرية » ، قبل أن ينتقل إلى العلم التطبيقي الذي أصبح به بعد ذلك
معروفاً مشهوراً ، لأن تلك العلوم الأصيلة هي التي تربي ملكته العقلية ، وتزوده
بالمعارف الأساسية ، وتصقل موهبته في النظر والتفكير .

ولم ينتقل العلم عندهم إلى الانتشار في مرحلة تالية ، إلا بعد أن رسخت أصول
هذين الركنين من قاعدة العلم الإسلامي العربي. وبذلك لم يقفزوا إلى الترجمة إلا على
أساس من كيان فكري أصيل ، ووجود ثقافي متميز ، وعلوم مستقلة نهضوا بعبثها
فأهلتهم للانتقال إلى مرحلة جديدة. ولولا هذه الأصالة العلمية لغزاهم العلم المترجم ،
وطغى عليهم ، وطمس شخصيتهم . فما استطاعوا أن يطوروه ويحققوا فيه جديداً ،
ولقضى عليهم بأن يكونوا نقلة مترجمين..

لقد أنشأوا علومهم الخاصة بهم ، فتدربوا عليها وبرعوا فيها ، وتكوّن لهم منهج علمي أصيل ، فأصبحوا مستعدين عقلياً للحضارة : لتلقيها ، وللمشاركة فيها ، ولإنشائها ، ولحملها ونقلها وتوصيلها .

٧ - وكما كان الإسلام ديناً عالمياً للناس كافة ، استوعب الأديان كلها في رحابه ، كذلك كان هذا العلم الإسلامي العربي : اشتركت فيه الأمم من الأجناس والأعراق والألوان المختلفة ، واشتركت فيه الأديان والمذاهب كلها ، في إطار من روح الإسلام ، وفي أجواء عقلية متقاربة ، ومناخ علمي يكاد يكون واحداً . صهرتهم نظرة الإسلام ووسعتهم روحه ، وأصبح علم العالم المسيحي واليهودي والصابئي رافداً يصب في هذا النهر العظيم ، ويؤلف مع الأصل : العلم الإسلامي . وأصبح غير العربي : أصيلاً في علوم الإسلام وعلوم العربية وشعرها ونسب العرب وأخبارهم . حتى لقد أصبح كثير منهم أئمة هذه المعارف والعلوم .

٨ - ومن تمام هذا المنهج الإسلامي الأصيل وقاعدته الفكرية والثقافية ذلك الأسلوب الذي أتبعه رسول الله صلى الله عليه وسلم في تعليم صحابته الأبرار وفهم آيات القرآن الكريم ودراستها ، وتطبيق ما ورد فيها على حياتهم اليومية ، بحيث لا ينتقلون إلى آية أو سورة أخرى إلا بعد الفراغ من فهم الآية أو السورة السابقة ، وهو أسلوب استفاضت عنه الآثار والأخبار ، فقد قال ابن مسعود : « كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن والعمل بهن »^(١) .

وقال أبو عبد الرحمن السلمي : « حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النبي صلى الله عليه وسلم ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل ، فتعلمنا القرآن والعمل جميعاً »^(٢) . وعن ميمون

(١) من مقدمة ابن كثير في تفسيره ، انظر عمدة التفسير ، دار المعارف بمصر ١٩٥٦ م ، اختصار وتحقيق أحمد محمد شاكر ، وانظر مسند أحمد ٥ : ١٠ ، المكتبة الإسلامية ببيروت .

(٢) المصدر السابق .

أن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما - « تعلم سورة البقرة في أربع سنين »^(١) . وعن ابن عمر قال : « لقد عشت برهة من دهرى وإنَّ أحدنا يوتى الإيمان قبل القرآن ، وتنزل السورة على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيتعلم حلالها وحرامها ، وما ينبغى أن يقف عنده منها كما تعلمون أنتم القرآن ، ثم لقد رأيت رجالاً يوتى أحدهم القرآن قبل الإيمان فيقرأ ما بين فاتحة الكتاب إلى خاتمته ما يدرى ما أمره ، ولا زجره ، وما ينبغى أن يقف عنده منه ، وينشره نشر الدقل »^(٢)

٩ - وبعد أن انتهى المسلمون من بناء هذه القاعدة الفكرية الثقافية بأصولها ومناهجها من داخل أنفسهم ودينهم وعلومهم ، شرعوا في الاتصال بعلوم الأمم الأخرى ، « فالحكمة ضالة المؤمن يَلْتَمِسُهَا أَنَّى وَجَدَهَا » . واستشعروا القوة والقدرة عليها . فأخذوا يطلبون من يترجمها لهم ، أو يترجمونها بأنفسهم ، إلى لغتهم ، عن تمكّن من هذه اللغة واعتزاز بها ، واقتدار عليها ، وتصرف فيها . فأطاعتهم اللغة ولازبت لهم ، وامتدّت أمامهم تجرى معهم وتسابقهم ، فازدادت قوّة وغنى وقدرة مع الاستعمال ، وتآصلت المعارف والعلوم الأخرى فيهم ، وجرت في عقولهم ونفوسهم وحياتهم مجرى علومهم الأصيلة ، يرفد كل منهما الآخر ويغذّيه ، فاستبحر الفكر العلمى . عندهم واستفاض . وقد كان ذلك العلم قائماً عند تلك الأمم الأخرى منذ زمن طويل ، وكان بين العرب في جاهليتهم من يعرف بعض لغاتهم ، وكان فريق منهم يتصل بهم ويطلع على ما عندهم من هذه العلوم والمعارف ، وكان المترجمون حينئذ لا يفتأون يترجمون العلم اليونانى إلى السريانية ، وكانت له مراكزه المزدهرة في بلاد يسكنها العرب أو يحيطون بها . ومع ذلك كله ظل هذا العلم بعيداً عنهم ، وظلوا بعيدين عنه ، على معرفة أفراد منهم به ، لم يستبحر فيهم ولم يشتدّ عوده بينهم ، لأنه لم يتأصل عندهم بلغتهم .

(١) ابن سعد ، الطبقات ٤ : ١٦٤ تحقيق الدكتور إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٩٥٧ م

(٢) الطيئشى ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ١ : ١٦٥ ، دار الكتاب بيروت ١٩٥٧ م

أردأ أنواعه .

ولا يكاد القرن الثالث الهجري يشرف على الانتهاء حتى نجد عددا كبيرا من الكتب في ميادين متعددة قد ترجمت إلى العربية^(١). . . ويتوالى التأليف وتتوالى معه الترجمة ، وتزخر المكتبة العربية بالكتب المؤلفة والمترجمة حتى أن فضل الله بن أبي الفخر الصقاعي ذكر^(٢) أن الشريف شرف الدين الناسخ ذكر له في شهور سنة ست وستين وستمئة بدمشق قال : « وقفت في المدرسة النظامية ببغداد . . على فهرست بما صنف في الدولة الإسلامية في سائر الفنون إلى آخر أيام الإمام المستنصر في سنة تسع وثلاثين وستمئة ، والفهرست ستة وخمسون مجلداً » .

وهذه الكتب العلمية المؤلفة والمترجمة ، مع شروحها والتعليق أو الرد عليها ، من بين هذا التراث الضخم ، هي التي أخذ الأوروبيون يترجمونها إلى اللاتينية من القرن الخامس الهجري (خلال القرون التالية للقرن العاشر الميلادي) وهي التي قامت عليها النهضة الأوروبية الحديثة بماأخذه الأوروبيون عن المسلمين من مناهج البحث التي سنذكر طرفاً يسيراً من ملامحها في الفقرات التالية ، وإن المرء ليدعش من كثرة هذه الكتب المترجمة إلى اللاتينية في تلك القرون ، وحسبه أن يتتبع ماورد منها في الكتب التي تناولت هذا الموضوع وأقربها كتاب المستشرق الألماني زيغريد هونكه^(٣)

١٠- وإذا كان المجال هنا لا يتسع لتناول تفصيلات موضوع الترجمة ، والمكتبات وكثرة المؤلفات العلمية ، وجهود العلماء المسلمين في إضافة الجديد المبتكر إلى ما نقلوه عن اليونان والهنود وغيرهم ، فضلاً عن تصحيح كثير من الأخطاء التي وقع فيها أصحاب تلك العلوم وخاصة اليونانيين ، فإن المجال لا شك متسع للإشارة إلى هذا الطرف اليسير الذي ذكرناه قبل قليل من ملامح مناهج البحث التي طوّرها المسلمون وأبدعوا فيها ، فاستفاد منهم الأوروبيون ، واقتبسوها منهم ، ونسبوا إلى بعضهم ،

(١) تراث الإسلام ١ : ٢٥٠ - ٢٥٢ م .

(٢) في كتابه : تآني كتاب وفيات الأعيان ، تحقيق جاكين سوبلة ، دمشق ١٩٧٤ م .

(٣) شميس العرب تلمح على الغرب ، ترجمة فاروق بيضون وكمال مصوق ، المكتب التجاري ، بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٩ م .

حتى لقد جهلنا حقيقة نسبتها إلى المسلمين، وأصبحنا لا نعرف إلا أنها من إبداع هؤلاء الأوربيين دون أن نعرف جهد العرب في التنبه لها، ووضع قواعدها الأولى وإرساء أصولها، بحيث استطاع الأوربيون بعد ذلك إقامة البناء.

فمن هذه الملامح: عدم الاقتصار على قراءة كتب الأقدمين والتسليم بصحة ما فيها، وتكراره. بل لابد من النظر فيها بعين الفحص والتمحيص، والتثبت من الآراء الواردة فيها حتى يستبين صوابها أو بطلانها بالحجة والبرهان. ومن أوضح من فصل هذا الملمح الحسن بن الهيثم بقوله^(١): «الحق مطلوب لذاته، وكل مطلوب لذاته فليس يعنى طالبه غير وجوده، ووجود الحق صعب، والطريق إليه وعمر، والحقائق منغمسة في الشبهات، وحسن الظن بالعلماء في طباع جميع الناس. وما عصم الله العلماء من الزلل، ولا حمى علمهم من التقصير والخلل. ولو كان ذلك كذلك لما اختلف العلماء في شيء من العلوم، ولا تفرقت آراؤهم في شيء من حقائق الأمور، والوجود بخلاف ذلك. فطالب الحق ليس هو الناظر في كتب المتقدمين، المسترسل مع طبعه في حسن الظن بهم، بل طالب الحق هو المتهم لظنه فيهم، المتوقف فيما يفهمه عنهم، المتبع للحجة والبرهان، لا قول القائل الذي هو إنسان، المخصوص في جبلته بضروب الخلل والنقصان. والواجب على الناظر في كتب العلوم، إذا كان غرضه معرفة الحقائق، أن يجعل نفسه خصماً لكل ما ينظر فيه، ويجعل فكره في متنه وفي جميع حواشيه، ويخصمه من جميع جهاته ونواحيه، ويتهم أيضاً نفسه عند خصامه فلا يتحامل عليه ولا يتسمح فيه. فإنه إذا سلك هذه الطريقة انكشفت له الحقائق، وظهر ما عساه وقع في كلام من تقدمه من التقصير والشبه.»

وما قاله الحسن بن الهيثم طبقه في كتبه وطبقه غيره من العلماء، والأطباء خاصة، حين لم يكتفوا بقتزاة كتب الأقدمين والتسليم بصحة ما فيها وتكرارها،

(١) الشكوك على بطليموس، تحقيق الدكتور عبد الحميد صبره والدكتور نبيل الشهابي، مطبعة دار الكتب

وإنما نظروا فيها بعين الفحص والتمحيص ، ونقدوها ، وردوا على ما يحتاج منها إلى رد ، وقبلوا منها ما رجحت أو ثبتت عندهم صحتها .

١١ - أما الملمح الثاني فيتمثل في : الاعتماد على العقل ، وعدم الانخداع بالحواس بالاعتماد عليها وحدها ، والشك في الأمور إلى أن يقوم عليها الدليل . وهو منهج منتشر بين المسلمين ، وضحه الجاحظ في قوله^(١) : « . . . فلا تذهب إلى ما تُريك العين ، واذهب إلى ما يُريك العقل . وللأمر حُكْمَان : حُكْمٌ ظاهرٌ للحواس ، وحكم باطن للعقول : والعقل هو الحجة » .

ومن أعجب ما نص عليه الجاحظ ونبّهنا إليه قوله^(٢) - بعد أن أورد خبراً من أخباره الغريبة - : « ولم أكتب هذا لتقرب به ، ولكنها رواية أحببت أن تسمعها . ولا يعجبني الإقرار بهذا الخبر ، وكذلك لا يعجبني الإنكار له . ولكن ليكن قلبك إلى إنكاره أميل ، وبعد هذا فاعرف مواضع الشك ، وحالاتها الموجبة له ، لتعرف بها مواضع اليقين والحالات الموجبة له . وتعلم الشك في المشكوك فيه تعلماً ، فلو لم يكن في ذلك إلا تعرف التوقف ثم التثبت ، لقد كان ذلك مما يحتاج إليه . . . » .

وإني لأكاد أرى أن هذا الملمح الثاني : الاعتماد على العقل ، وعدم الانخداع بالحواس والشك ، إنما هو متصل أوثق اتصالاً باللمح الأول ، بل أراه متداخلاً فيه يكاد أن يكونا ملمحاً واحداً لشدة اتصالهما وتداخلهما .

١٢ - أما الملمح الأخير الذي نرى أن نتوقف بعده لأن مجال هذه المقالة لا يتسع لأكثر مما اتسع له حتى الآن ، فهو : التجربة والتحليل والاختبار . وفيه كلام طويل يحتاج إلى أن تُعرض فيه الحجج المختلفة والردود عليها . فقد ذهب بعضهم إلى أن « الطب اليوناني والعربي يمثلان عصرًا واحدًا يتميز بتفكير متشابه جداً »^(٣) وأن هذا

(١) أحيوان ١ : ٢٠٧ تحقيق زيد السلام هارون ، مصيغاتي الباب الخلفي بمصر ، الطبعة الأولى .

(٢) المصدر السابق ٦ : ٣٤ - ٣٥ .

(٣) الدكتور محمد كامل حسين ، مقدمته لكتاب « الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب » ،

ص : ١٥ ، ٩٨ . نشر إدارة الثقافة بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

العصر هو « عصر الخبرة المنظمة عقلياً (وليس عصر التجربة العلمية) وهو عصر دام عشرين قرناً ، وضع أبقراط كلياته ومنهجه ، ثم فصله وفرّج عليه جالينوس ، ومارسه الرازي ، ونسّقه وأوضحه ابن سينا أيضاً ليس بعده مزيد ، إلى أن عرف الناس العلم التجريبي وعلم الكيمياء » . وذهب آخرون إلى نقيض ذلك فقررُوا أن مرحلة العلم العربي تمتاز عن مرحلة العلم اليوناني - الذي تأثر به العلماء العرب أعمق التأثير - بأنها كانت مرحلة إرساء الأصول الأولى العلمية للاستقراء والتجربة ، وذلك بتدوين المشاهدات وتقريرها واستخلاص القواعد الكلية منها ، في حين كانت مرحلة العلم اليوناني قائمة على وضع الكليات أولاً ثم محاولة تطبيق الواقع عليها وهي الطريقة الاستنتاجية أو الاستنباطية . وليس من عايننا منا مناشئة هذه الآراء بتفاصيلها المتشعبة ، وحسبنا أن نشير إلى أن علماء العرب قد عرفوا التحليل والاستقراء والتجربة العلمية في الحدود التي أعانتهم عليها الوسائل المتاحة حينئذ والمعارف والعلوم المستنبطة في زمانهم ، والأدلة على ذلك كثيرة مبثوثة في ثنايا تراثنا ، وحسبنا أن نشير إلى ما ذكره الطبيب أبو بكر الرازي (ت نحو ٣١١ هـ) من قوله : « إنَّ المارَّأينا لهذه الجواهر أفاعيل كثيرة نافعة لاتبلغ عقولنا معرفة سببها الفاعل ولا تحيط به ، لم نر أن نطرح كل شيء لا تدركه وتبلغه عقولنا ، لأن في ذلك سقوط جلّ المنافع عنا . بل نضيف إلى ذلك ما أدركناه بالتجارب وشهدنا الناس به . ولا نحلّ شيئاً من ذلك عندنا محلّ الثقة ، إلا بعد الامتحان والتجربة له » ^(١) وهو القائل أيضاً لتلاميذه : « فعليك بالأشهر مما أجمع عليه ، ودع الشاذ ، واقتصر على ما جربت » ^(٢) والنصوص على ذلك من الرازي ومن غيره أكثر من أن نتصدي لحصرها هنا .

وإنَّ لنرى أن هذا الملمح الثالث ، وهو التجربة والتحليل والاختبار ، مرتبط أوثق ارتباطاً بالملمحين السابقين ، يقود بعضها إلى بعض ، ويدل أحدها على الآخر ،

(١) طب الرازي : ١٩ - ٢٠ .

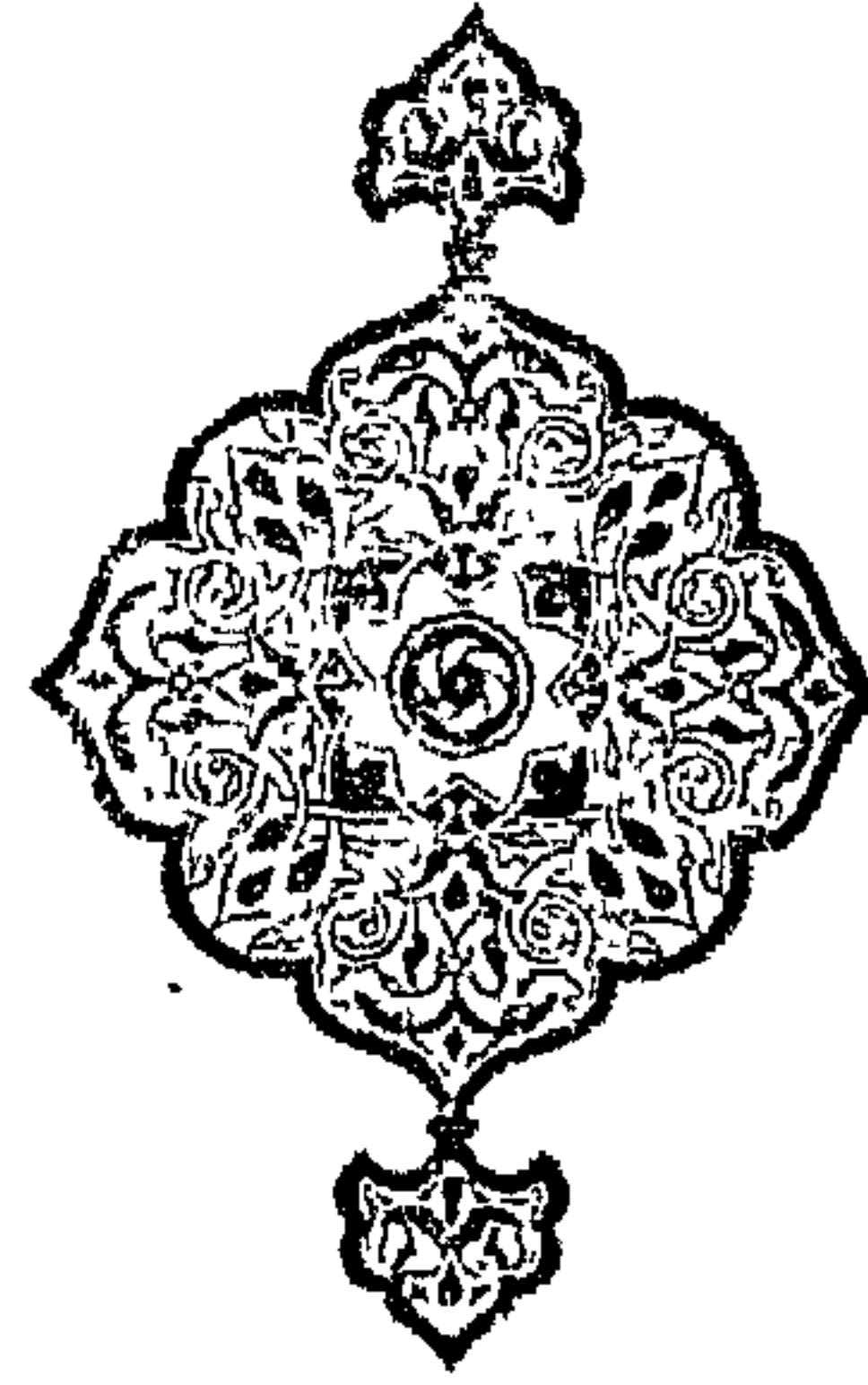
(٢) طب الرازي : ٢٤ .

في سلسلة محكمة الحلقات . ومع ذلك فإننا أوردنا ما أوردناه لنقول إن أسلافنا من هؤلاء العلماء الكبار وضعوا بذور هذه الملامح ، وأرسوا أسسها الأولى ، واتبعوها في علمهم واعتمدوا عليها. ولا يجوز أن نقول إنها اكتملت عندهم في صورتها النهائية ، ولا أن الاستقراء والتجارب العلمية تحدت قواعدهما واتخذتا صورتيهما على النحو الذي نعرفه اليوم ، وإلا لکننا قد حکمنا على العلم بالتوقف عند العرب ، ولحجرنا على نموه ومنعنا تطوره في الأزمان التي تلت زمن ازدهار العلوم العربية والإسلامية . وهو ما لا يجوز أن يقول به أحد ، لا عن العرب والمسلمين ولا عن غيرهم ، فالعلم والتقدم الإنساني سلسلة تظل متصلة الحلقات ما دام الناس وما دامت الحياة. وإنكار ما قدمه العرب والمسلمون للعلم وللحضارة أو التهوين منه ، مخالف للحقيقة وللتاريخ كـمخالفة التزييد فيما قدمه غيرهم والتهويل فيه .

الدكتور ناصر الدين الأسد

عضو المجمع

(الأردن)



مجمع الخالدين للأسناد عبد الله بن خميس

تحية الشعر

حيه بالمنى ونفح العبيسر
حيه حافسلاً بـخمسين عاماً
مجمع الخالدين فضلاً وعلماً
من أمير في قِمة الضماد حبر
زامل الطرس والمحابر حتى
خطبته العلافياً فعادات
مجمع الخالدين هل أنت إلا
عشت في موكب الحياة سنياً
علم شامخ فما زعزعته
أنت للضماد والعروبة ركن
لكما نقر العدى واستهانوا
وجسدوا فيك قلعة لا تدانى

مجمع الفضل والعسلاً والنور
مفعمات بكل معنى جهير
وجلالاً يحوى صدور الصدور
يتسامى عن قائد وأمير
أنشد العلم من وراء السطور
بجليل المنى وأسنى المشهور
فذلك دائر بأبى البذور
وأبياً رغم اختلاف العصور
عائيات من عاصفات الدبور
لهما فيك كل طرف قرير
وأتونا بمعضلات الأممور
أين منها ثم الذرى من ثبير

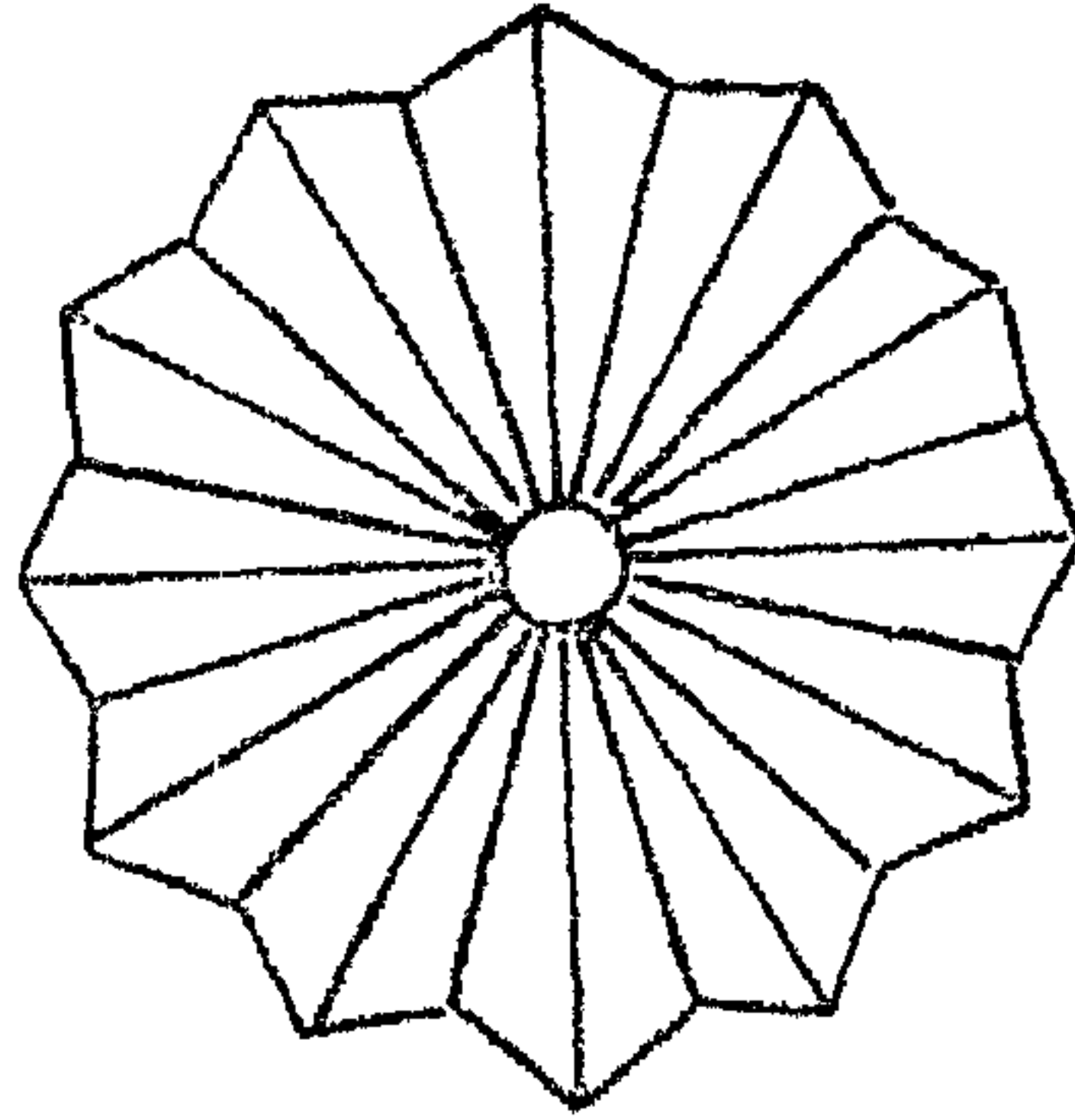
* * *

مجمع الخالدين من لى يقوم
أولعوا بالدخيل من ألسن القوم
عطلوا الوزن والقوافى وشدوا
ليس فيه علالة تملأ النفس
غير غث من الغشاء سراب
أولعوا بالمعطل المهجور
وجاءوا بالتأفة المحذور
كل حبل نحو البيان قصير
عطاء وما به من أثير
ماله في البيان شروى نقيير

ما لها ويلهم أرميت بعقم
 أم تراعى لهم يباب فظنوا
 من عدبري وناصرى من عقوق
 شربوا آبنا ولاكوا عثاء
 لغة اللسن والبيان إذا ما
 وسعت كل شارد وأليف
 خصها الله بالكتاب وأروى
 لم يضق ذرعها بشوس المعانى
 ألهمت منطق البلاغة حيا
 بالثنانى والمرقصات تعالت
 بالقوافى بالشاردات ضروبا
 سبقت غيرها جلالا وفضلا
 أفعد الشعرة عن حثيث المسير
 أنه ظل شامخات القصور
 جر أربابه لسوء المصير
 واستعاضوا من البرا بالبدير
 عى بالنطق ما يخاف الصدور
 وحوث ریحق الرضاب النمير
 بهداها من كل سفر منير
 من كبير مبسط أو حقير
 وتأت بملهمات الشعور
 بالغوالى بسلسبيل الغدير
 بالمجان بالشعر نضير
 واستجابت لكل معنى شهير

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

الاستاذ عبد الله خميس
 عضو المجمع من السعودية



رأى فى تيسير تعليم النحو لدكتور احمد عبدالستار الجراي

كان تيسير النحو - وهو قواعد اللغة العربية - موضع عناية ومحل اهتمام منذ زمن بعيد . ولعل رد ابن مضاء القرطبي على النحاة فى كتابة المعروف ، كان مبتدأ لجهود تلتها ، أخذت منه وأضافت إليه ، بل قومت من منهجه وأوسعت من سبيله . وكان أهم تلك الجهود وأكثرها نفعاً فى عصر الناس هذا : إحياء النحو للأستاذ إبراهيم مصطفى رحمه الله .

ولقد ألفت فى وزارة المعارف المصرية أواخر الثلاثينيات لجنة لتيسير قواعد اللغة العربية ، رسمت للتيسير منهجاً لم يكدهم يكون موضع الرضا من أهل العربية يومئذ ، وجلهم شيوخ أجلاء بلغوا فى حرصهم على قواعد اللغة العربية والاستمسك بها حداً يقارب حد المبالغة والغلو ، فلم يكونوا يرتضون مساساً بها لثلاث تتغير أو تبدل مخافة أن يؤدى ذلك إلى عبث بقواعد اللغة ، يسلم إلى تفريط فى تراثها الغالى وفى قيمته القرآن المحيد والحديث الشريف .

ولقد وجدت الدولة المصرية يومئذ أن المجمع هر أولى الناس بدرس هذا الأمر ، واقترح ما يقرب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث دون مساس بأصول اللغة وجوهرها . فصدر قرار من وزير المعارف فى ٦/٢/١٩٤١ هذا نصه :

« رغبة فى ضبط الكتابة العربية بحيث يمكن أن تقرأ فى غير تعرض للخطأ واللحن ، وفى تقريب قواعد اللغة العربية إلى فهم الجيل الحديث دون أن يكون فى ذلك مساس بجوهر اللغة وأصولها قررنا أن يعهد إلى مجمع اللغة العربية بدرس ما من شأنه تيسير الكتابة العربية وقواعد النحو والصرف » .

ولقد اتصلت جهود المجمع فى هذا الميدان منذ البداية . وكان من أحدثها عهداً ندوته التى عقدها فى نطاق اتحاد الجامعات العربية لدراسة موضوع تيسير النحو فى مدينة الجزائر العاصمة منذ بضعة أعوام .

(*) ألقى البحث فى الجلسة الثالثة من العيد الخمسينى .

ثم مشاركته الفاعلة في ندوة عقدها مجمع اللغة العربية الأردني لتقويم تدريس اللغة العربية .

إن جهود المجمع في التيسير تمتاز بالأناة وتلتزم بأصول اللغة التزاماً يحمي تلك الجهود من احتمال الشطط .

لماذا التيسير ؟

أحسب أنه يدعونا إلى تيسير النحو وتيسير تعليمه داعيان : الأول تيسيره على أبناء العربية حتى يتقوم لسانهم وتستقيم أفكارهم وحتى يتم التواصل الفكري بينهم في دقة وفي إحكام . ومعلوم أن التقدم الفكري ، في شتى مناحيه وفروعه ، لا يمكن أن يكون إلا بتقدم أداة التفكير ووسيلة التعبير عن الأفكار والمشاعر وهي اللغة . ففيها البيان وفيها الإفصاح (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) .

الثاني : تيسير العربية على الذين يهمهم أن يتعلموها ويفهموا بها ويفهموا عنها ، ويتذوقوا أساليبها في التعبير ويدركوا حقيقة ما يراد بها من المعاني . أولئك هم أبناء الشعوب الإسلامية الذين يقدسون العربية ويفخرون بمعرفتها ويعتزون بها لأنها لغة القرآن والحديث ثم إن العربية بحكم طبيعتها في الوضوح والسلاسة واستقامة العبارة وكرامة التعقيد ، لغة إنسانية عالمية تملك كل مقومات الذبوع والانتشار ، بين أمم وشعوب تجد فيها ما تفتقده في غيرها من التصرف في المعاني والاتساع للأفكار والمشاعر ، وتجدي أنفوسها الحاجة إلى استعمال لسان قريب جد قريب من الطبيعة الإنسانية والفطرة البشرية ، قابل لأن يكون وسيلة التفاهم والتواصل في أوسع رقعة من هذه الأرض .

ومن المعلوم أن أغلب الشعوب الإسلامية تدخل دراسة اللغة العربية في مناهج التدريس في مراحل مبكرة من الدراسة ، بله المراحل المتقدمة في الجامعات ومعاهد البحث . ذلك بأنها جزء من تراث تلك الشعوب ، بل إن لها في حياتها الفكرية والشعورية مكانة لا تنكر وكثير من أهل العلم في تلك الشعوب يستمدون مصطلحات العلوم من العربية ، لأنها أدنى إلى أذواقهم وأكثر ألفة لديهم .

ونعود إلى التأمل في حاجتنا نحن إلى التيسير ، فنجد أن الذين ثقفوا من العلوم الحديثة وبرزوا فيها قل فيهم من كتب أبحاثه بلسانه العربي ، بل قل فيهم من يستطيع أن يعبر عما لديه من العلم بلغته العربية ، وهذا قد حرم جمهور الذين يتكلمونها ويقرأون بها ولا يحسنون غيرها من الانتفاع بهذه الثقافة العلمية .

ما سبب ذلك ؟

لعل أهم الأسباب أن أولئك العلماء لا يحسنون التعبير ولا التفكير بلغتهم العربية بل إنهم يفكرون ويبحثون . ويبتكرون - إذا ابتكروا - باللغات الغربية ويجدون ذلك أيسر عليهم أو ألصق بأفكارهم وتفكيرهم من استخدام لغة الأم التي تمس شغاف قلوبهم وتخالط مهجهم ومكونات أجسامهم وعقولهم .

ومثل هذا بل أشد من هذا يقال في تدريس العلوم الحديثة كالطب والكيمياء والفيزياء والرياضيات وعلوم الأحياء ، وما يلي الدارس والمدرس من عنت ورهق في تلك الثنائية التي تفرض على كل منهما أن يفكر بلغة غير لغته فينفق من الجهد أضعافاً مضاعفة لو ادخر جانباً منها لا نفع به في الإلتقان والإبداع والابتكار .

ثم إن هذه الفجوة بين اللسان والفكر تنعكس آثارها على الحياة الاجتماعية بمعناها الواسع فتؤدي ، في كثير من الأحيان إلى ما ندعوه سوء التفاهم بين الأفراد وبين الجماعات .

ذلك أنا لو نظرنا إلى مناهج المؤسسات الاجتماعية والسياسية نجدها في الغالب متفقة الغايات متشابهة الوسائل في ما يسطر على الورق وما تنطق به الألسنة . ولكن الذي يكون عند الممارسة كثيراً ما يسلم إلى الخلاف والشقاق ، بل إلى التناقض والاحتراب ، لأن كلا من أولئك لا يعنى ما يقول ، أولاً يحسن أن يعبر عما يعنيه وما يرمى إليه . وهذا ناشئ من الخلل في أداة التفكير ووسيلة التعبير وهي اللغة . ومرد هذا الخلل إلى اختلال قواعدها وعقم أساليب التعليم بها .

تيسير التعليم وتيسير عرض القواعد :

وقد كنت ألقب في محاضر جلسات المجمع فوقفت على عبارة للدكتور طه حسين عقب فيها على مناقشة مستفيضة في موضوع أبواب الثلاثي قال فيها (رحمه الله) : نحن لا نستطيع إطلاقاً أن نبسط اللغة مهما كانت شاقة عسيرة ، ولكننا نملك تبسيط تعليمها فحسب . وهذا حق لامراء فيه ، فإن اللغة صورة محكمة لفكر الأمة . وأصول اللغة وقواعدها قوام أسلوب التفكير وعماد بنيانها الفكري والشعوري . ولغتنا العربية ، بما رعت من تراث في الأدب وفي فنونه المختلفة ، بناء راسخ القواعد متين الأركان ، قامت على تشييده وصقل حواشيه جهود أجيال ، حتى أكرمها الله بنزول الكتاب العزيز ، وأطلقها في أرجاء هذه الأرض لغة الدين الحنيف والحضارة التي قامت بقيام الرسالة الإسلامية .

ولقد نهضت لخدمة هذا اللسان العربي المبين أناس وقفوا عليها حياتهم وأنفقوا في سبيلها جهدهم حتى أنشأوا علوم العربية على الصبغة التي نعرفها اليوم ، ثم كان منهم ما يكون من الإنسان حين يغلو في أمر من أمور الحياة ، يدفعه الحب الزائد والتعلق الشديد ، فلا يعود يتبين الوسيلة من الغاية ؛ وحين يعمق في التدبر والتعمق فيتحول إلى ما يشبه التيه عن الغاية المطلوبة من البحث والدرس .

كان ذلك في نحو العربية ، وهو في أصله وفي حقيقته انتحاء كلام العرب واتباع سبيلهم في التعبير وفي صوغ الكلام وتركيبه .

وكان ديدن تلك العصور التي دونت فيها علوم العربية يقضى بالتوسع في التفريع والتقسيم ، والإفراط في الاعتماد على المنطق الصوري والمبالغة في التعليل وتعليل التعليل ، وتداخلت أنماط العلوم وأصناف المعرفة فتداخلت وسائل البحث وطرائقه حتى اختلطت تلك الطرائق بين تعليل نظري مجرد لا يقسوم على تجربة أو يستند إلى واقع وبين بحث لا بد أن تكون أدلته وأسانيده ملموسة محسوسة مدركة .

ولعل أكثر علوم العربية حظاً من هذا التداخل والاتساع والاختلاط كان النحو ، ذلك العلم الذي قال فيه قائلهم إنه « نضيج واحترق » . وأصبح من شدة العناية به والمبالغة في خدمته يكاد يضيع هدفه ويجهل غايته ويتبدل قوامه ويتغير شكله وينحرف عن موضوعه .

ولقد ورثناه على هذه الصبورة ، ونحن ألا نستطيع نفرغ له كما كان يفرغ له أسلافنا ، بل إنه ليس من شأن الدرس واكتساب المعرفة ، التي اتسعت آفاقها في زمننا هذا ، أن نفرغ بجانب منها كان قد بدأنا بل كثير من معاصرنا يدعون به علم الآلة ؛ أي الأداة التي يفهم بها الكلام ويقدر بها على إنشائه والتعبير به صحيحاً فصيحاً سهل الوصول إلى الآخرين .

ثم إن بُعد العهد بالكلام الفصيح وتغير السلائق قد زاد في الحاجة إلى « نحو » قريب المنال ، بل أن يكون أقرب منالاً مما ورثنا من آثار أسلافنا فيه ، وهو في الوقت نفسه أدنى إلى أفكار العصر وطرائق البحث والدرس فيه . حتى يجد الدارس له في عقله صبورة تخالط تفكيره ونماذج مداركه ، فلا يعود يتجرعه تجرع الدواء المر لا يسيغه الذوق ولا يرضاه .

وإن مما هو تجدير أن يلتفت إليه ابتداءً أن التيسير ليس في حذف مسائل من النحو أو اختصارها أو تمهيد الوعر من مسالكه حسب ، ذلك جانب من جوانب التيسير وجزء من وظيفته ، ولعله ليس أهم تلك الجوانب ولا أولاها بالتقديم . وإنما الجانب الأهم والمقدم والأساس هو فقه النحو وفهم وظيفته على حقيقتها ، وتكوين المعلم الذي يستطيع أن يدرك ذلك ويتمثل في ذهنه ، ثم يكون قادراً على إبلاغ هذا الطراز من المعرفة إلى الذين يقوم على تدريسهم .

أمثلة من مصاعب النحو :

من ذلك ما يعرف بعطل النحو ، وهي عال يتداخل بعضها في بعض بل يأخذ بعضها بخناق بعض كما يقال .

والتعليل في كل قضايا العلم وظواهره ومسائله أمر لا مناص منه ولا مفر . ولكن بقدر لا يخرج عن حدود العلم ووسائله في البحث وهي الملاحظة والتجربة واستخدام العقل في استنباط القاعدة وإجرائها والقياس عليها . ولكن علة التعليل في النحو آتية من تسلسل العمل وإمعانها في القياس المنطقي المجرد الذي يسلم أحياناً إلى البعد عن الواقع المحسوس ، بل ينتهي أحياناً إلى ما لا يقبله العقل . مثال ذلك الكلام على رفع الفاعل يقال : لم رفع ؟ فيجاب لأنه في موضع الإسناد فيقال ولماذا يرفع ما يكون في موضع الإسناد فيقال لأنه ثقيل والرفع ثقيل فاختير له .

أما العامل فقد بالغ الذين دعوا إلى إلغائه ، إذ العامل في النحو إنما هو المعنى . فمعنى الإسناد ، وهو الوقوع موقع المسند أو المسند إليه أو العمدة في الكلام ، هو الذي يقتضى الرفع وهو إذن عامل الرفع . ولكن الذي ينبغي أن يستبعد وي طرح هو التماس العامل التماساً متكافئاً ، ولا سيما العامل اللفظي . ففي مثل قوله تعالى : (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) يكون الاسم مرفوعاً لأنه في موضع الإسناد إلى الفعل المذكور بعده . ولا قيمة لاحتجاج من يحتج بأن الفاعل لا يتقدم على الفعل . ولماذا لا يتقدم الفاعل ؟ يقولون لأنه سيكون مبتدأ . ولماذا يكون مبتدأ ؟ والمبتدأ هو المسند إليه في الجملة الاسمية ، وهي في الحقيقة ليست كل ما ابتدأ بالاسم بل إنما التي يخلو فيها المسند من معنى الزمن .

وقد يكون من أهم وسائل التيسير في تعليم النحو العناية بالتفريق بين أنواع الحمل ولا سيما التفريق بين الجملة الاسمية والجملة الفعلية ، ولا بد أن يقوم التفريق بينهما على

أساس صحيح مقبول ؛ كالاعتداد بمعنى الزمن ، وجوده في ما يقع مسنداً في الجملة الفعلية ، وعدم وجوده في مسند الجملة الاسمية . ولا عبرة بالفارق الشكلي الذي يعدونه هو المائز بين الجملتين وهو تقدم المسند إليه في الجملة الاسمية فيسمونه حينئذ المبتدأ .

دراسة التراكيب والأساليب :

ومما ينبغي أن يتجه إليه اهتمام دراسة الأساليب وأدواتها التي تسمى حروف المعاني دراسة متدرجة ، يقف بها الدارس - مثلماً يقف في اللغات الحديثة - على التفريق بين الإثبات والنفي والاستفهام والتأكيد والنداء ، ويميز بين الخبر والإنشاء ونحو ذلك مما يعصمه من التخبط في تأويلات النحاة وتعليقاتهم التي لا يقبلها العقل من مثل تفسيرهم لأسلوب النداء ونصب المنادى ، ودعواهم أن ذلك إنما يكون بتقدير فعل ، وأن حرف النداء يقوم مقام فعل تقديره أدعو أو أنادى .

وبذلك أيضاً يعلم مراتب النفي ومعانيه مع كل أداة من أدواته ، ويعرف ضروب الخبر وضروب الإنشاء ويميز بين معانيها .

إن انصراف العناية بالإعراب جعل دراسة حروف من حروف النفي والنهي والطلب وتعلق الكلام ببعضه ببعض ، تكون كلها في باب الجزم . فـ « لم ولما » حرفا نفي ولام الأمر للطلب و « لا » للنهي وهما لمعنى الإنشاء وأدوات الشرط تعلق الكلام ببعضه ببعض .

وقد يقال إن دراسة معاني هذه الحروف بما تؤثر في التراكيب من اختصاص علم آخر من علوم العربية هو علم المعاني وأقول : إنه علم معاني النحو فلا يجوز ولا يصح أن مجرد النحو من معانيه .

الإعراب ومعانيه :

ثم إن الإعراب ، وهو أصل من أصول النحو ، قد أصبح هو الأصل الأول ، بل لقد انفرد بالنحو على وجه التقريب . وصار ما سواه من أصول النحو تابعاً له لا يكاد يستقل بوظيفة من وظائفه . مثال ذلك تركيب الكلام وترتيب أجزائه تقديماً أو تأخيراً ، حذفاً أو إثباتاً . . .

فقد أحاطها النحاة - غفر الله لهم - على علم المعاني ، فاستقل بها من دون نظر إلى علاقتها بالبحث النحوي ابتداء .

ولقد تحول البحث في أحوال الإعراب عن جوهر الأمر وحقيقته فأصبح معنياً بالمظهر وبالشكل ، وأهمل فيه جانب المعنى .

بل أكرهت فيه أبواب على أن تلحق بما ليس من طبيعتها ولا من معناها . مثال ذلك ما يلاحظ في باب الأسماء المحرورة . فقد ذهب النحاة إلى أن الجر علم الإضافة . وذلك يصح حقاً في ما يعرف بالمضاف إليه ، وهم اسم ينسب إليه اسم آخر بقصد تخصيصه إن كان نكرة أو تعريفه إن كان معرفة . فلما وجدوا أن الأسماء التي تقع بعد حروف تصل بينها وبين الفعل أو شبهه صلة مفعولية ، لما وجدوها محرورة ، قالوا في الحروف إنها حروف الإضافة ، زاعمين أنها تضيف معاني الأفعال إلى الأسماء ، وهي إضافة أشبه بخرافة . إذ إنها حتى لو ارتضيت تسميتها حروف إضافة فهي إضافة لاتشابه إضافة اسمين أحدهما إلى الآخر ، فان تلك نسبة لها معناها المألوف ، وهذه إضافة مفعول إلى فعله على هيئة خاصة يعينها معنى الحرف .

ومثل ذلك بل أكثر منه يمكن أن يقال في باب الأسماء المنصوبة التي زعموا أن النصب فيها هو علم المفعولية . وليت شعري أي مفعولية في الحال والتمييز ؟ بل أي مفعولية في خبر « كان » وهو خبر مسند ، أو في اسم « إن » وهو مسند إليه كان في أصله مبتدأ ؟

الإعراب بالتقدير :

وإن من أشد المشاق في تعليم النحو ما يلقاه الدارس والمدرس معاً في تقدير ما يقدرونه . محذوفاً . وهو باب واسع لا يكاد يعرف مبدؤه من منتهاه . فالفاعل يقدر والفعل يقدر ، ومتعلق الخبر والمحرور يقدر وغير ذلك كثير مما يحذف في الكلام ، فلا بد لإجراء الإعراب أن يقدر . ومنه ما هو واجب الحذف وهو أيضاً واجب التقدير - حتى إن هذا التقدير صار معياراً لقدرة المعرب النحوي وبراعته .

ولقد حاول بعض الأفاضل ممن تصدى لتيسير مسائل النحو أن يستغنوا عن الإعراب التقديري بإسقاطه من المناهج الدراسية . وفي ذلك حقاً تيسير على الدارسين ولكن أولى بمن يتصدى لذلك أن يفقه أمر التقدير ويعرف حقيقته ، فهو في حقيقته مما احترق فيه النحو - كما جاء في مقالة مؤرخيه - حتى صار مما ينكر مظهره ويستنكر جوهره ، ولو أزيح هذا الذي تراكم من فوقه لبدا الأمر على غير هذه الصورة . ذلك أن التقدير عندهم قائم في الأساس على وجود أجزاء في الكلام بالضرورة ، كالفعل والفاعل والمبتدأ

والخبر ونحو ذلك من أركان الجملة ، فإذا حذف واحدٌ منها اكتفاءً أو استغناءً بذكره سابقاً قالوا بتقديره وتكلفوا لذلك وتعسفوا .

ولو أنهم أخذوا في درس الكلام جملة لا ألفاظاً مفردة ، لوجدوا ما يغني عن التقدير أو يجعله على كل حال مقبولاً بعيداً عن التعسف . مثال ذلك استتار الفاعل حين يتقدم لفظه نحو : يحضر زيد ويدرس ويتعلم . . . إلخ فالفاعل المذكور مع الفعل الأول وهو نفسه فاعل الفعلين بعد .

والفاعل إن كان ضمير متكلم أو مخاطب لا يصح ولا يجوز أن يذكر وإنما تشير علامة التكلم والحطاب في الفعل إليه فلا يقول قائل : أحضر أحمد ، أو تقوم على ، بذية اعتداد الاسم الظاهر فاعلاً . فلو أن منهج الدراسة النحوية أخذ بدراسة المواضع التي لا حاجة فيها لذكر الفاعل لا ستغنى المدارس والمدرّس كلاًهما عن تجشم تلك الوعورة في التقدير .

ومن أمثلة ذلك قضية تعلق الجار والجرور بمحذوف . ذلك أن تعلقهما بمذكور والاهتداء إلى ذلك المتعلق هو في حد ذاته من أوعر المسالك . لأن فهم وظيفة الاسم الجرور بالحرف قد انقلب في النحو وانحرف فصار جزءاً من الإضافة اطراداً لمقولاتهم « الجرح علم الإضافة » . وهو في حقيقته مفعول لفعل أو شبه فعل لم يباشره وإنما وصل إليه بحرف الجر .

ولقد أصبح من الحديث المعاد القول : إن النحو قد ضاقت به السبل فأصبح يكاد يقتصر على مسائل الإعراب وأحواله ، أصولها وفروعها وأن الإعراب صار هو محور الدراسة النحوية .

أما انحاء كلام العرب في التراكيب والأساليب فتقتضي خلف قضايا الرفع والنصب والحذف والحزم وعواملها في الأسماء والأفعال . وقبلما تلم كتب النحو بأمور الحذف والذكر والتقديم والتأخير والفصل والوصل والخبر والإنشاء وغير ذلك من أحوال التركيب إلا حيث يؤثر ذلك في الإعراب ، وهذا بلا ريب خطأ منهجي هو الذي أسلم إلى ما أصبح موضع الشكوى من غلبة الإعراب على منهج النحو وموضوعه .

وليس المراد بهذا الكلام إهمال الإعراب أو الدعوة التي ربما دعا بها بعضهم إلى إلغاء الإعراب تسيلاً على المدارس وناطقين بالعربية في زعمهم . ولكن المراد بهذا أن يدرس الإعراب من حيث معناه ، ويعرف لكل حال من أحواله ما تدل عليه وما تعنيه

في التركيب : وحين يعرف الدارس أن الرفع لما لا غنى عنه في التركيب وأن الخفض لأدنى الأسماء مرتبة فيه ، مما يأتي لمجرد تعريف غيره به ونسبته إليه ، أو لما هو في موقع المفعول ولكن الفعل لا يباشر أثره فيه أو يصل إليه بنفسه ، إذا عرف الدارس هذه المعاني وأمثالها رسخ في فكره معنى الرفع وما أراده به الذين وضعوه من رفع مكانة الاسم أو الفعل الواقعين موقع الإسناد مادام قد استقلا بهذا الموقع فلم يعتمدا على أداة كـ « إن » وأخواتها مع المسند إليه في الجملة الاسمية ، وكحروف النصب والحزم في الفعل المضارع .

إن من المهم حقاً أن تعود إلى هذه الأسماء معانيها التي وضعها لها أهل العربية ابتداء . ذلك أن قولهم رفع ونصب وخفض وحزم مقصود به معنى من الأصل اللغوي لهذه الألفاظ :

فالرفوع موضعه من الكلام المرتبة الرفيعة التي لا يكون الكلام إلا بوجوده فيه ، والخفض للمرتبة المنخفضة التي لا يرقى فيها اللفظ إلى مرتبة الضرورة في الكلام . والنصب مرتبة وسطى تتسع لمعان متعددة والحزم قطع للحركة من آخر الفعل المعرب لأنه إما قد خرج إلى معنى الإنشاء أو أنه تحول إلى معنى غير معناه (انقلب إلى معنى المضى) أو لأنه فقد شطراً من دلالاته الفعلية (الشرط) . ولولا خشية الإملال للحيء بالأمثلة التي توضح ذلك .

وقد يقال في مثل هذا الكلام إنه ليس من التيسير بل هو تعقيد وزيادة في مسائل النحو وقضاياها .

وقد يكون بعض هذا القول صحيحاً ، ولكن هذه الزيادة ليس مراداً بها أن تضاف إلى مناهج النحو للشداة والمبتدئين ، ولكن المراد أن يتفقه بها المدرسون والمتخصصون الذين إذا فقهوا مسائل النحو وأسسها وأصولها استطاعوا أن يعرضوها للدارسين واضحة سهلة ميسرة ، لأنها في أذهانهم وأفكارهم كذلك واضحة بيّنة ، وليست مجرد عبارات استظهروها فليس لها في واقع تفكيرهم من أثر إلا الإعانت والغموض والإبهام .

وإذا أريد تيسير تعليم النحو فلا بد أن يصار إلى البحث عما اصطنع فيه من مسائل وأبواب قاد إلى اصطنائها القياس المحرد بتسلسله البعيد عن واقع اللغة ، فاصطنع لها أمثلة وعبارات لم ترد في كلام العرب ولم ترو في المأثور .

مثال ذلك أجزاء من بحث التنازع والاشتغال وباب التدريب النحوى ، وما اشتمل عليه كالأخبار بالذى فروع من أوضح الأمثلة .

إن دراسة النحو وتدرسه ينبغى أن تقوم على دراسة التركيب جملة فى البداية ، حتى إذا وقف الدارس على ما ينبغى أن يقف عليه ، يصار إلى تبين أحوال الألفاظ المفردة وعلاقتها بعضها ببعض وأثر ذلك فى حركات وأخرها .

وعندما يحيط الدارس علماً بألوان التركيب وضروره وكيف يعبر المتكلم عن نفسه ، مخبراً أو منشئاً ، لا بد أن يعرض للأدوات من حروف وأشباه حروف وكيف تؤدى بها المعانى المختلفة .

حروف المعانى :

إن حروف المعانى من أهم أجزاء الكلام ، وعليها يتوقف جانب الدقة فى أداء معنى الكلام وفى فهمه وإدراك مراميه ، وهى خليقة أن تدرس على غير الصورة التى جرت عليها العادة ، إذ يكاد يقتصر على دراسة آثارها فى ما بعدها من ألفاظ وبخاصة أثرها الإعرابى ، ولا يكاد يلتفت إلى معانيها المختلفة والفروق التى تكون بين تلك المعانى كالفرق بين « ما » و « لا » فى النفى وبين هل والهمزة فى الاستفهام ونحو ذلك .

ولا بد أن يزاح ماران على بعض عبارات النحاة فى بيان معانى تلك الحروف من مثل قولهم فى « إذا » إنها ظرف لما يستقبل من الزمان ، خافض لشرطه منصوب بجوابه . هذا القول الذى يحفظه الدارسون ويرددونه من دون فهم لحقيقة معناه . ولو كشف لهم عنها لاهتدوا بها إلى مواضع استعمال إذا والفرق بينها وبين نظيراتها من أدوات الشرط والتعليق و « إن ولو » ونحوهما .

ومثل ذلك يقال فى « لم » بأنها حرف نفي وجزم وقلب . إن فهم معنى هذه العبارة يجعل الدارس مدركاً لموضع استعمال « لم » والفرق بينها وبين قريناتها من حروف نفي الفعل كـ « لا ولن ولما » .

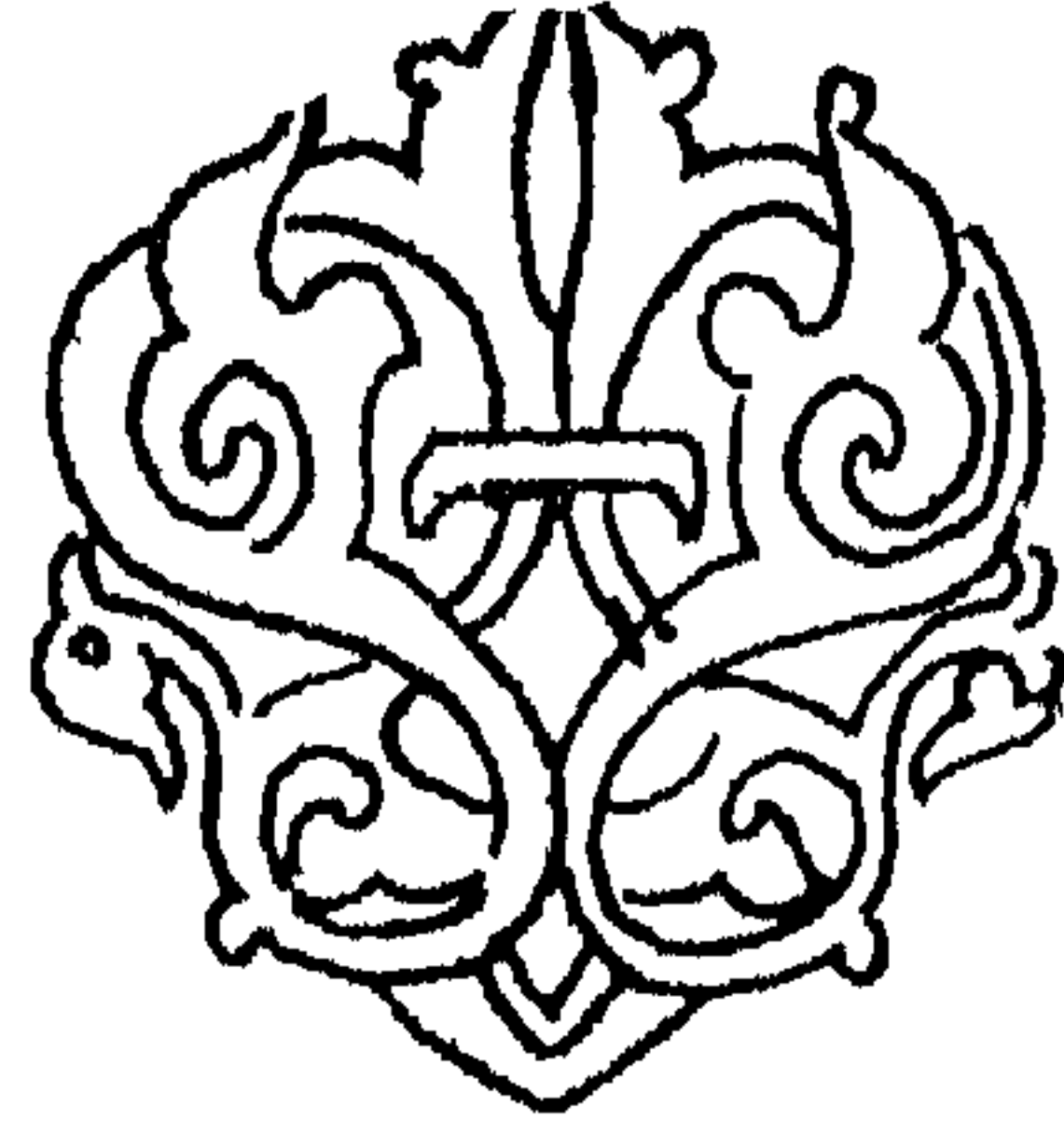
ولا ريب أن العناية بمعانى حروف العطف ، ومواطن استعمال كل منها ، والمعانى التى تتردد فيها الواو مثلاً مما يطلق دراسة العطف وحروفه من أسر انفراد الإعراب وتبعيته الظاهرة بها ومن صرف العناية إلى اشتراك حروف العطف فى ما يكون من إتباع ما بعدها لما قبلها فى الإعراب وحركاته فحسب

وفي الحق إن تيسير تعليم النحو وعلوم العربية عموماً ليس أمراً قائماً بذاته منقطعاً عما سواه من أنماط التعليم وموضوعاته ، بل إنه يتصل بها أوثق الاتصال ويتفاعل معها كما يقال ، ويستعين بها في تمهيد سبله وتيسير وسائله ، مثلما تستفيد هي من تيسير تعليم النحو وإتقان مادته وتسديد طريقته .

وإن مما يعين على ذلك أن تكون العربية الفصيحة هي لسان المعلم والمتعلم في حجرات الدرس ، وأن تهجر العامية في مجال إلقاء الدروس وفي ما يجري من مناقشات ومحاورات في المحيط المدرسي . إن ذلك ينتج ألفة للعربية الفصيحة وانجذاباً إلى ما تمتاز به وما تشتمل عليه من آثار فيها ما فيها من فن التعبير الجميل الدقيق المتقن ، فيقبل المعلم والمتعلم على الاستزادة من ثقافتها ، ويعينه ذلك على إتقان اللغة فهماً لما يقرأ ، وقدرة على الأداء والإبانة والإفصاح ، ويسرّ في التواصل الفكري والشعوري .

وبعد فهذه خواطر شتى في تيسير تعليم النحو ، لعل فيها شيئاً من التذكير . (إن الذكرى تنفع المؤمنين)

الدكتور أحمد عبد الستار الجوارى
عضو المجمع (العراق)



مجمع سقند والفاظ الحضارة للكاتب عبد الكريم خليفة

أيها العلماء الأفاضل ، شيوخ العربية وحماتها .

سيداتي . . . سادتي .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، وبعد :

فإنه لشرف كبير أعتز به ، أن أقف في مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، في حرم مجمع اللغة الخالدة ، لكي أقدم أسمى تحية ونخالص الاحترام ، لشيوخ العربية وفرسانها ، الماثلين عن حياضها ، والمدافعين عن كرامتها ، والباذلين في سبيلها أكرم ما يبذلها الإنسان من عقاه وجسمه . فتحية عطارة أزجها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة الحبيبة ، حصن العربية والإسلام ، هكذا وجدت ، منذ بنائها وهكذا ستبقى إلى الأبد أن شاء الله . تحية أزجها باسمي واسم مجمعكم في بلادكم الأردن الصامد أمام أشرس هجمة استعمارية صهيونية تستهدف الوطن والأهل وأولى القبلتين .

إنها أيها الأخوة زملاء تحية الحب والاحترام والعرفان بالفضل والعلم ، أقدمها باسم مجمعكم الأردني الفتي إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة العزيزة ، إلى مجمع اللغة الخالدة هذه اللغة التي شرفها الله سبحانه وتعالى وأعزدا بأن جعلها لغة القرآن الكريم فأصبحت خالدة بخلود هذا التنزيل العزيز . إنها أيها العلماء الأجلاء تحية التلميد لشيخه . . . وهل هناك أسمى من هذه العلاقة الروحية . . . ألسنا في ذلك في صميم قيم خلقية وإنسانية سامية يعتز بها تراث أمتنا العظيمة عبر تاريخها الزاهر . . . وإنه مما يميز تراثنا هذه العلاقة الإنسانية الرفيعة التي تصل بين التلميد وشيخه . . . فالتلميد يعتز بشيخه ، والشيخ يفخر بتلاميدوه ويحوظهم بعناية ورعاية .

أيها السادة العلماء إننا نجتمع اليوم في حرم اللغة الخالدة كي نحتفل بمناسبة كريمة

(*) ألقى البحث في الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسين للمجمع .

عزيزة على قلوبنا جميعاً لأنها مناسبة مجعنا القاهري في عيدہ الخمسيني الزاهر ، وإن كنا نعلم يقيناً أن عمره المعطاء ، من حيث هو فكرة وجهه ، تمتد إلى أبعد من ذلك بخمسين سنة أخرى . . . وأستغفر الله من زلل اللسان ، فإنني أتحدث عن عمره الزمني في نهضتنا الحديثة . . . إذ أن عمره الحقيقي قد بدأ منذ بدأت أرض الكنانة الغالية ، بشعبها المعطاء وعلمائها الأفاضل ، في رفع راية القرآن وصنع تاريخنا وحضارتنا العربية الإسلامية ، وذلك منذ قرون عماءة . وليس هذا العيد الخمسيني الزاهر ، سوى رمز لما يمثله هذا الانعطاف الحضاري في تاريخنا الحديث وإن المؤرخ الحق ، الذي يكتب تاريخ أمتنا العربية في العصر الحديث - ولما يكتب بعد هذا التاريخ - لا بد أن يخصص اللغة العربية ومسيرتها في العصر الحديث ، بمكانة متميزة . فهي في مسيرتها التاريخية تمثل مسيرة أمتنا في مختلف أقطارها .

فالعربية الفصحى ، لغة الفكر والعلم ، لغة المعرفة الإنسانية والحضارة العالمية ، احتلت المكانة الأولى لعدة قرون من تاريخنا الزاهر . وهي من حيث الواقع تجسد جوهر وجود أمتنا في كونها لغة العروبة والإسلام . هذه الأداة المتميزة بلغتها وحضارتها التي شرفها الله سبحانه وتعالى برسالة الإسلام ، تحمل لواءه إلى أهم الأرض قاطبة . فكانت مصدر إشعاع لقيم إنسانية سامية . تساوى بين جميع بني البشر على مختلف ألسنتهم وأجناسهم وألوانهم ، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً . وها هي أمتنا تخوض نضالاً مريراً من أجل بقائها سحرة عزيزة موحدة .

وإن إذا استعرضنا صفحات هذا التاريخ ، ولا سيما الحديث منه ، الفينا أن كل حملة من حملات الاستعمار ، منذ القرن التاسع عشر ، وكل اعتداء على هذه الأمة في مختلف أقطارها ، كان وما زال يستهدف ، أول ما يستهدف ، اللغة العربية الفصحى وتراث أمتنا وعقيدتها ، سواء أكان ذلك في المغرب العربي أم في الشرق .

فإذا رجعنا إلى الوثائق والكتابات التي بين أيدينا ، ولا سيما فيما كان يدور بين دعاة العامية ، ممن حاقدين ومغرضين ، والمنافحين عن العربية الفصحى وكرامتها ، وجدنا توافقاً كلياً بين المهجوم على الأمة ومحاولته اغتصاب أوطانها واستباحة أمواتها وكرامتها ، وبين المهجوم على اللغة العربية الفصحى وعقيدة الأمة وتراثها . وإن النظرة الشاملة قادرة على تتبع ذلك في تاريخنا المعاصر ، منذ احتلال الفرنسيين

الشمال الأفريقي والاحتلال الإنجليزي لمصر ، مارين بتصفية الدولة العثمانية وتقاسم الدول الاستعمارية من إنجليز وفرنسيين وإيطاليين للبلاد العربية حتى المهجمة الاستعمارية الأمريكية الصهيونية الأوروبية الشرسة ، التي مازال أئونها يستعر ، وتهب سموومها على وطننا العربي وخاصة ، وعلى أمتنا الإسلامية بعامة ، وتكتفى في هذا الموضع بأن نشير فقط إلى ما كتبه علماءنا من جهابذة العربية في منافحتهم عن تراث الأمة ولغتها والتصدى لأعدائها ، وكذلك إلى مادونه الباحثون من تاريخ الصراع بين العامية والفصحى ، ولا سيما في أرض الكنانة الغالية ، فقد نافح شيوخ العربية وحماها عن جوهر وجود أمتنا بلذهم عن حياض اللغة العربية الفصحى الخالدة ، جزاهم الله عن العربية والإسلام خيرا . لقد ظهرت مؤلفات استطاعت أن تتبّع جذور الدعوة إلى العامية ، وأن تعرض بصورة شاملة ، طبيعة هذا الصراع الخبيث ، بأبعاده السياسية والعقائدية ، وعلى اختلاف مظاهره ، وأزيائه التي يختفي تحتها .^(١)

وكان الصراع بين العربية الفصحى وأعدائها من الداعين إلى العامية وغيرهم ، يشتد أحيانا ويخبو أحيانا أخرى . وقد بلغت هذه المعركة الحاقدة ، للنيل من اللغة العربية الفصيحة ، إلى الحد الذي يقول فيه العالم الحليل عضو مجمع اللغة العربية بالقاهرة الأستاذ على النجدي ناصف . ، في كتابه « من قضايا اللغة والنحو » : وأعجب ما عجبنا له من شؤون العامية ، أنها استطاعت في وقت ما أن تقتحم مجمع اللغة العربية ، وتجد بين المجمعين من يحنو عليها ، ويدعو إلى اصطناعها في إنتاج لون من الأدب للشعب ، لأنه يعيش ، بسبب اللغة الفصيحة واستئثار الخاصة بها ، في عزلة ووحشة في دنيا الأدب . فالمفهوم أن مجمع اللغة العربية آخر مكان يظن أن يكون للعامية فيه اعتبار ، وأن المجمعين آخر من يظن أن يحسبوا للعامية حسابا في الإنتاج الأدبي على وجه من الوجوه .

« والمشكلة في صميمها مشكلة الجهل والفقر ، فإذا أردنا أن نحلها حلا حاسما ، فعلينا أن نواصل العمل في جد ودأب ، على رفع مستوى الشعب العقلي والاقتصادي معا . . . » إلى أن يقول : « على أن المجمع ، حفاظا على سمته ، وجهادا في رسالته ،

انظر :

(١) محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسفار ، القاهرة .

(٢) أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، سنة ١٩٦٥ م .

(٣) نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر ، القاهرة ، ١٩٦٤ م .

لم يقر صاحب الرأي على رأيه ، ولا شاركه فيه ، ففضى مع الأيام ، كما يمضى كل رأى غير صالح للبقاء» (١) .

ومضى مجمع اللغة الخالدة بالقاهرة يعالج قضايا اللغة العربية ، بدراسات علمية مبدعة ، حريصا على سلامة اللغة من ناحية وعلى جعلها مطواعة قادرة على استيعاب جميع المعارف الإنسانية من ناحية أخرى ، تعالج تيسير قضايا النحو واللغة والإملاء ، وتميز إلى جانب ذلك كله بما بذله من جهود خيرة خصبة في مجال المصطلحات العلمية والفنية والحضارية ، فكانت له آراء قويمة واجتهادات صائبة . مثال ذلك : اجتهاده في فتح باب الوضع بوسائله المعروفة من اشتقاق ونحت ومجاز وارتجال وذلك لاستيعاب هذا السيل الضخم من المعارف الجديدة . وقد نص قراره المعروف : بأن تدرس كل كلمة من الكلمات الشائعة على ألسنة الناس ، على أن يراعى في هذه الدراسة أن تكون الكلمة مستساغة ، ولم يعرف لها مرادف عربي سابق صالح للاستعمال . وكذلك الشأن في قبوله السماع من المحدثين ، بشرط أن تدرس كل كلمة قبل إقرارها

كانت أغراض المجمع واضحة محددة منذ صدور مرسوم إنشائه في الرابع عشر من شهر شعبان - ١٣٥١ هـ الموافق ١٣ ديسمبر - ١٩٣٢ م . فقد ورد في الفقرة (أ) من المادة الثانية حول أغراض المجمع ما نصه :

(أ) المحافظة على سلامة اللغة العربية ، وأن يجعلها وافية بمطالب العلوم والفنون في تقدمها ، ملائمة على العموم لحاجات الحياة في العصر الحاضر ، وذلك بأن يحدد في معاجم أو تفاسير خاصة ، أو بغير ذلك من الطرق ، ما ينبغي استعماله أو تجنبيه من الألفاظ والتراكيب .

أيها السادة العلماء ، ليس من غرضي في هذه الكلمة القصيرة ، أن أستعرض جهود مجمعنا العتيد بالقاهرة ، ولا أن أعدد منجزاته الضخمة الأصيلة ، على الرغم من الصعاب التي اكتنفت مسيرته المظفرة ، ولكنني أود أن أقول : إن تأسيس مجمع اللغة العربية بالقاهرة قبل نيف وخمسين عاما ، كان إيذانا بانتصار العربية الفصحى وتبوئها مكانتها الرسمية في مؤسسات الدولة ، وكان قبل ذلك بحوالي عقد من الزمن قد رفع رايتها مجمع اللغة الخالدة في دمشق الفيحاء .

(١) على النجدي ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، ص ٤٨ - ٤٩ ، القاهرة .

جاء تأسيس المجمع بالقاهرة إيدانا بانتصار مظفر للغة العربية الفصحى في معركة دامت أيضا خمسين سنة قبل إنشائه . وقبيل تأسيس المجمع يقول الشيخ محمد الخضر حسين : « والوسيلة التي تنهض بالغة ، وترفعها إلى مستوى اللغات الراقية ، هي الوسيلة التي نهضت بتلك اللغات الحية ، وجعلتها تسير مع العلم والحضارة كتفا لكتف ، أعنى تأليف مجمع لغوى ينظر فيما تجدد أو يتجدد من المعاني ، ويضع لكل معنى لفظا يناسبه . إلى أن يقول : « وإنما يشفي غلة العلوم المتكاثرة ، ويملاء عين المدنية الزاخرة ، تأليف مجمع لغوى يسير مع العلوم والمدنية ، ولا يتأخر عنها طرفة عين » (١) .

وفي مسيرة نصف قرن ، حقق المجمع منجزات علمية ضخمة ، وكانت له جهود متميزة في تيسير المصطلح العلمى ، وذلك من خلال منهجية علمية تحرص على أصالة اللغة وسلامتها ، من ناحية ، وعلى الانطلاق بها لاستيعاب هذا السيل الهائل من المصطلحات والرموز التي تتزايد بتسارع كبير ، ولا سيما في النصف الثاني من القرن العشرين من ناحية أخرى . ومن سمات هذه المنهجية استفتاؤه للتراث جهد الطاقة ، واستخراجه منه ماله صاغة بما يطرح على بساط البحث ، متلمسا مستنسا وحجة في باب الاجتهاد والتجديد .

ولكن من الأسف لم تجد هذه الجهود العلمية الضخمة طريقها للتنفيذ والحياة العملية في أكثر الأحوال ، واستمرت سياسة إقصاء العربية عن لغة التدريس الجامعى في الكليات العلمية وفي الدراسات العليا وفي البحث العلمى ، متذرعة ، بتبريرات زائفة وحجج واهية لاتعدم لها أنصارا . وإذا كانت مجامعنا اللغوية ، وقد مضى على إنشائها أكثر من نصف قرن ، لما « تشفى غلة العلوم المتكاثرة » ولما « تملأ » بعد « عين المدنية الزاخرة » فإن السبب في ذلك ، بعيد كل البعد عن أن تكون له علاقة باللغة العربية نفسها ، من حيث هي لغة ، ولا بالمجامع اللغوية التي تضم جهابذة من علمائنا الأذناد ، وإنما الأمر يتعلق بالسياسة التعليمية التي فرضت على الوطن العربى ، في مشرقه وفي مغربه . وإن سياسة إقصاء اللغة العربية عن مجالاتها العلمية والتقنية ، التي مازالت مع الأسف مستمرة في كثير من أقطار الوطن العربى ، مادمى إلا أصداء للمعركة التي تخوضها العربية الفصحى منذ نهاية القرن التاسع عشر حتى الوقت الحاضر . وإن هذا الصراع اللغوى هو في حقيقته صراع أمتنا بين البقاء في انتبعية الفكرية والحضارية والسياسية من ناحية ، والتحرر

(١) محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ص ٢٠ القاهرة ١٣٥٣ هـ

والإبداع والمشاركة الأصلية في بناء الحضارة العلمية من ناحية أخرى . وإن وضع آلاف المصطلحات العلمية وتكديسها على رفوف المكتبات لا يعني شيئاً ، إذا لم تصبح اللغة العربية الفصحى لغة التدريس في جميع مستوياته ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة . فاللغة شخياً بالاستعمال ، ونمو اللغة يعنى حياتها في جميع الشؤون والأغراض الإنسانية .

أيها السادة العلماء فعلى الرغم من التجزئة السياسية التي فرضها الاستعمار على أقطار أمتنا وبذله الجهد في تعميق الحواجز ، وتغذيته أسباب القطيعة ، من خلال عملائه وحلفائه من الحاقدين على تراث هذه الأمة والمنتفعين بهذه التجزئة والقطيعة ، أقول فعلى الرغم من هذا كله ، فإن اللغة العربية الفصحى ، لغة القرآن الخالد ، تقف طوداً شامخاً تجمع حولها أبناء أمتنا وترص صفوفهم وتوحد اتجاهاتهم ومشاعرهم . وإن أهم ما تتميز به لغتنا العربية عن جميع اللغات ، عى حد ما نعلم ، أنها فضلاً عن كونها فكراً وتعبيراً عن الفكر ، فهي في ذاتها لغة التراث عبر القرون ، ولغة الإسلام في هذا الكون .

وقد أدركت مجامعنا اللغوية هذه الحقائق منذ البداية ، وأن اللغة العربية الفصحى هي الدعامة الأساسية في بناء وحدة الأمة ، فعملت هذه المجامع على توثيق الروابط بينها من خلال علماءها المجتمعيين . . . وإن حاجات العصر وطبيعة الظروف التي تمر بها أمتنا ، وهذه الثورة العلمية التي تزداد بتسارع هائل ، لتفرض على مجامعنا ومؤسساتنا العلمية والجامعية والمهنية واجبات ضخمة ، تهدف إلى جعل اللغة العربية لغة العلوم والفنون والحياة في الوطن العربي . وإذا كان النص القرآني يتكفل دوماً بتوحيد اللغة الأدبية ، فإن جهوداً كبيرة يجب أن تبذل من أجل توحيد اللغة العلمية والتقنية ولغة أصحاب المهن ومتطلبات الحياة الحضارية .

وإنه لمن بدهيات الأمور ، أن يكون هنالك مجمع واحد للغة واحدة ، يعنى بها لغة عربية فصحى موحدة في العلوم والفنون والحياة الحضارية ، وفي جميع أقطار الوطن العربي . ولاشك أن فكرة اتحاد المجامع اللغوية العربية ، قد ظهرت تعبيراً طبيعياً عن هذا الواقع اللغوي ، الذي تخوض فيه العربية الفصحى صراعاتاً مريراً مع أعداء الأمس واليوم . وإننا ننظر ، بعين الأمل ، إلى اتحاد مجامعنا لكي يصبح في المستقبل القريب ، إن شاء الله ، مجعماً واحداً للغة العربية .

ونحن نعتقد أنه قد حان الوقت لكي ينهض اتحاد الجامعات اللغوية بواجباته التاريخية ، من خلال الجامعات اللغوية العربية ، ومن خلال الجامعات العربية والمؤسسات العلمية في الوطن العربي ، لتحقيق مشروعين أساسيين هما : المعجم التاريخي للغة العربية ، والمعجم الموحد لألفاظ الحضارة . أما أولا هما فهو ما نصت عليه الفقرة (ب) من المادة الثانية من مرسوم إنشاء مجمع اللغة العربية بالقاهرة سنة ١٩٣٢ م حيث يقول : « أن يقوم (أى المجمع) بوضع معجم تاريخي للغة العربية ، وأن ينشر أبحاثا دقيقة في تاريخ بعض الكلمات وتغير مدلولاتها » وعلى الرغم من أن مجمعنا العتيد بالقاهرة قد حقق منجزات مهمة في مجال المعاجم ، بما في ذلك مشروعه الضخم ، « المعجم الكبير » ، فإن لغتنا تنقصها موسوعة تضم كل عناصر اللغة ، وتدون تطورها على مر العصور ، وكل أنواع الأساليب فيها ، وتأتي بشواهد لكل منها تبين النادر أو الكثير الورود ، وتبين العام منها والخاص في النثر أو في الشعر .

وقد بات من الضروري أن تتضافر الجهود في الأقطار العربية من أجل وضع هذا المعجم التاريخي ، بأن تبحث كل كلمة على حدة . عن أصلها واشتقاقها ، وعن درجة قدمها ، وعن وجودها في اللغة العربية وحدها أو اشتراكها فيها مع أخواتها من اللغات السامية وعن مصدرها : إذا كانت دخيلة أو مبتكرة أو مولدة ، ومن أية لغة دخلت إذا كانت دخيلة ، وعن زمن ابتكارها أو زمن استعارتها ، وعن تغير شكلها أو معناها ، وإذا كانت اللفظة قد زالت من الاستعمال جرى تتبع زمن زوالها ، وبهذا يكون لكل كلمة في اللغة تاريخ وترجمة لحياتها ،^(١) وذلك على غرار المعاجم التاريخية لكثير من لغات الأمم المتقدمة .

ونحن نعتقد أن إنجاز مثل هذا المشروع الحيوي ، ركن أساسي من أركان نهضة أمتنا من خلال لغتها ، فضلا عن أن مثل هذه الدراسة لتاريخ اللغة العربية وتطور دلالة الألفاظ فيها ، ستقدم صورة دقيقة لتاريخ الحضارة العربية .

وأما المشروع الآخر ، فيتمثل بوضع معجم موحد لألفاظ الحضارة . وإن الاحتفال بالعيد الخمسيني الزاهر لمجمعنا الشيخ بالقاهرة ، لمناسبة مهمة ، تؤذن بانتقالة تاريخية في حياة اللغة العربية ، بأن تصبح لغة التدريس الجامعي في جميع مجالات العلوم والفنون ، ولغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لدينا لغة

(١) انظر : مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، ص ٣٣ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

غربية واحدة تشمل جميع مناحى الحياة : العلمية والاجتماعية والاقتصادية . فاللغة : كما هو معروف ، أقوى دعائم التوثيق بين الأفراد والشعوب ، وأن العربية الفصحى تمثل حضارة أمتنا . ومن هنا تحتل المسألة اللغوية مكانة متميزة في تاريخ نهضتنا الحديثة .

لقد بات من الضروري وجود معجم حديث ، ليس فقط لكي يستجيب لحاجات العصر الحديث ، ولكن لكي يوحد أسماء الأشياء والأدوات والآلات ، وجميع ما يستعمله الإنسان العربي من مأكّل وملبس وأثاث ، وجميع ما يخص حياته في عالم الحيوان والنبات ، وفي شتى أنواع المهن ، من فلاحة وتجارة وصناعة . . . الخ .

إن هذا الاتجاه في التوحيد اللغوي ، الذي تسلكه العربية الفصحى في صراعها مع العاميات واللهجات والشعوبيين لا يصدر فقط عن كونها لغة التراث العربي عبر القرون ، في مجالاته الأدبية والعلمية والحضارية ، ولا يصدر عن كونها لغة القرآن الكريم ، وبالتالي فهي ليست لغة قوم من الناس فقط ، ولكنها تخص المسلمين جميعا ، فهذا الاتجاه في التوحيد اللغوي لا يصدر عن هذا كله فقط ، ولكنه يصدر أيضا عن اتجاه أصيل نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وهو أحد اتجاهين أصليين متعارضين تخضع لهما حياة كل لغة من اللغات ، إذ يرى اللغويون أن في حياة اللغة ميلين متعارضين : أحدهما نحو التقسيم إلى لغات ولهجات ، والثاني نحو الوحدة المتزايدة الاتساع . وهذا التقسيم والتوحيد كلاهما فعل أحداث تؤثر في الجماعات^(١) .

وقد بنى خصوم العربية الفصحى ، من استعماريين وشعوبيين وحاقلين ، نظريتهم في محاربة اللغة العربية الفصحى على المقولة التي مؤداها أن الاتجاه في حياة اللغة نحو التقسيم أقوى من الاتجاه نحو التوحيد ، وأن الاتجاه الأول هو عملية التطور الطبيعية للغة . وحجتهم في ذلك مارصده علماء اللغة ، بصورة عامة ، من ظواهر في حياة اللغة ، حيث وجدوا أنه لم تظهر لغة عامة إلا تقسمت في لغات كثيرة . وعلى هذا الأساس وضعوا فرضيتهم القائلة ، ولماذا تكون اللغة العربية الفصحى بمنأى عما يصدق من قوانين على اللغات الأخرى !!

وقد فاتهم ، وأعماهم الحقد والهوى ، عن النظر إلى الجانب الآخر من هذه النظرية اللغوية نفسها ، التي مؤداها أن هنالك قوى لا يجوز التغافل عنها ، تعمل

(١) انظر : محمود السمران ، اللغة والمجتمع - رأى ومهيج ، ص ١٧٠ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

في الاتجاه المضاد ، وأن هذه القوى الموحدة ، كانت في العصور التاريخية أقوى في حقيقة الأمر من القوى المقسمة ، وإنها كذلك في الوقت الحاضر على وجه الخصوص ، وستكون كذلك أيضا في المستقبل . (١) ومما يستشهد به العالم اللغوي جيسبرسن على صحة رأيه هو ، أنه على الرغم من أن عدد اللغات الآن أكثر منه في بعض العصور الماضية ، إلا أن عدد المتكلمين بلغة من اللغات المنبثقة عن لغة عامة - في عصرنا المزدحم بالسكان ازدحاما لم يعرف من قبل - هو في معظم الحالات أكثر أضعافا مضاعفة من مجموع الذين كانوا يتكلمون تلك اللغة العامة . . . ولا أدل على ذلك من عدد المتكلمين بالإنجليزية والفرنسية والإسبانية والروسية والصينية وغيرها .

أيها السادة العلماء : ليس من هدي في هذه الكلمة دراسة العوامل التي تساعد على ظهور لغة عامة وعلى نشرها ، ولكنني أود أن أسجل ، في هذه المناسبة الزاهرة من أمجاد لغتنا العربية الفصحى ، على الرغم مما يثار في طريقها من عقبات ومعوقات ، أنها تمثل في مسيرتها التاريخية ، وفي حياتها الخالدة ، الاتجاه نحو الوحدة المتزايدة الاتساع ، وأن مسيرتها هذه ، تجري وفق قوانين الطبيعة ونواميس الحياة .

لقد أشرنا ، سابقا ، إلى مدى الترابط بين مسيرة اللغة العربية الفصحى ، في نموها وازدهارها ونضالها من أجل استعادة سيادتها في وطنها ، ومسيرة أمتنا في تحررها وتقدمها ووحدها . ونحن إذا نظرنا إلى العالم من حولنا وجدناه عالم الكتل الكبير ولاشأن فيه للصغار ولا للضعاف ، وقد أدركت الأمم الأوروبية هذه الحقيقة ، بعد الحرب العالمية الثانية ، فبدأت بمحاولاتها للوحدة الأوروبية ، الاقتصادية والسياسية أيضا ، على الرغم من اختلاف لغاتها وشعوبها ، وعلى الرغم من العداء التاريخي المستحكم بينها عبر القرون .

وإذا وجهنا نظرنا إلى أمتنا العربية وروابطها التاريخية واللغوية والروحية المتينة ، نجد الأمر مختلفا كل الاختلاف ، فعوامل الوحدة كثيرة وأصيلة تعيش في ضمير الأمة ، مرتبطة بعقيدتها ولغتها ، وأن عوامل الفرقة ، عوامل مصطنعة مفروضة على أمتنا بمختلف وسائل القهر والسلطان .

وتحتل اللغة العربية الفصحى المكانة الأولى في توثيق دعائم الوحدة بين أبناء أمتنا العربية ، ولا بد من أن تتكامل وحدة هذه اللغة في جميع مجالات العلوم والفنون

(١) انظر : رأى العالم اللغوي جيسبرسن ، عن المصدر نفسه .

والآداب ومقتضيات الحياة الحضارية . فكما أن الضرورة تقضى بأن تكون العربية لغة التعليم والبحث العلمى فى جميع مستوياته ، وفى العلوم كافة ، فإن الضرورة نفسها تقضى بأن تكون هنالك لغة علمية موحدة ، وأن تكون هنالك لغة مهنية موحدة ، ولغة حضارية موحدة . بل إن العصر الذى نعيش فيه ، والذى يتميز بتفجر المعرفة الإنسانية ، ولاسيما فى عالم التقنيات الحديثة ، ليفرض على مؤسساتنا اللغوية ، ليس فقط وحدة اللغة المكتوبة ووحدة الألفاظ الحضارية التى نستعملها فى حياتنا اليومية ، بل وتفرض عليها واجب العمل على التقريب بين اللهجات ، أى بين نواحي النطق فى اللغة المسموعة والمحكية فى جميع أقطار البلاد العربية . وإننى أستطيع أن أقول : لقد دخلنا الآن فى عصر بدأت فيه الدراسة السمعية للغة تحتل مكانة متميزة إلى جانب الدراسة البصرية . وعلى حد تعبير الأستاذ إبراهيم أنيس : « فيجب أن لاتنفر آذاننا من نطق بعضنا البعض ، لأن فى مثل هذا تفرقة بين أبناء الأمة العربية التى تعمل على توحيدها أو التقريب بينها »^(١) .

ألانرى أن ثورة لغوية عارمة قد بدأت منذ عشرينيات هذا القرن ، وازدادت خطورة فى العقدين الأخيرين ، حيث أحدث التقدم الهائل فى تقنيات وسائل الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة وبين أمم الأرض جميعها وشعوبها المختلفة ، وما صاحبه من اتصال لغوى واسع ، تغيرات كبيرة فى الحياة الثقافية والاجتماعية ، فالهاتف واللاسلكى والطيران والإذاعة بنوعها : المسموعة والمرئية ، والسينما والصحافة بتقنياتها المتسارعة فى تطورها تمدنا أيضا بقوة هائلة لم يعرفها تاريخ البشرية ، من أجل نشر اللغة العربية الفصحى وتوطيد دعائم وحدتها ، سواء أكان ذلك فى مجال الكلمة المكتوبة أم المسموعة والمحكية^(٢) .

ألا ترى فى الوقت الحاضر ، عشرات الألوف ، إن لم نقل مئات الألوف من أبناء أمتنا ، عمالا ومهنيين ومثقفين ، دون أن نذكر المعلمين والأساتذة والعلماء يعملون فى مختلف أقطار العروبة جنبا إلى جنب مع إخوانهم فى تلك الأقطار أليس من الضرورات الملحة أن يتحدث هؤلاء جميعاً لغة مهنية واحدة ، ولغة حضارية واحدة ، فالاتصال والاختلاط والاشتراك فى الحياة ، وانتشار المدارس والمعاهد والجامعات ، والخدمة العسكرية والأحوال السياسية والاقتصادية جميعها عوامل مهمة فى دعم اللغة العربية الفصحى وانتشارها وإذاعتها لغة منطوقة ومكتوبة من خلال وسائل نشر اللغة

(١) انظر : إبراهيم أنيس ، فى اللهجات العربية ، ص ٢٨ ، القاهرة ، ١٩٦٥ م .

(٢) انظر : محمود السمران ، اللغة والمجتمع - رأى ومنهج ، ص ٣-٤ ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .

في العصر الحديث. أليست ظروف الحياة ومقتضياتها وقوانين الطبيعة ونواميس الاجتماع، تحتم وجود معجم موحد لألفاظ الحضارة، يشتمل على جميع الألفاظ التي يستعملها المواطن العربي في حياته اليومية ومعاشه، كما تحتم كذلك وجود لغة علمية وتقنية موحدة، كما هو الشأن في لغتنا الأدبية الواحدة.

وإن قضية الحاجة إلى مثل هذا المعجم الموحد، قد طرحت أيضا منذ سنين طويلة كما هو الشأن في موضوع «المعجم التاريخي للغة العربية» فقد طرحها على بساط البحث كتاب ولغويون، وأشاروا إليها في كثير من الندوات العلمية ومؤتمرات التعريب في الوطن العربي. وكان من قرارات مؤتمر التعريب الأول الذي انعقد بالرباط من ٣ إلى ٧ نيسان - ١٩٦١ التوصية التالية: «يوصى المؤتمر بوضع معجم معان ليستعين به أبناء العربية في العثور على الألفاظ الدقيقة لما يجول في أذهانهم من المعاني والصور»، ولا شك أن هذه التوصية وغيرها من التوصيات والآراء التي طرحها كثير من اللغويين في دراساتهم وبحوثهم ومناقشاتهم، تدور جميعها حول هذا الموضوع الكبير، الذي يتمثل بوجوب جعل لغتنا العربية الواحدة لغة العلم والتدريس والثقافة والبحث العلمي، ولغة الحياة في جميع جوانبها.

ولا شك أن الإنجازات اللغوية المتميزة التي كانت ثمار جهود مجامعنا اللغوية، وأخص بالذكر منها مجمع اللغة العربية، وحصنها الحصين بالقاهرة، قد غنت العربية الفصحى وزادتها ثروة وخصوبة، وأن هذه البحوث اللغوية القيمة والاجتهادات الأصلية، وعشرات الآلاف من المصطلحات العلمية التي وضعت في مختلف مجالات المعرفة الإنسانية، كانت من وراء هذه النقلة التاريخية للغتنا، وجعلت في حدود الإمكان التحول التاريخي في مسيرة اللغة العربية الفصحى لكي تحتل مكانتها الطبيعية سيدة في وطنها ولكي تصبح اللغة الواحدة للعلوم والفنون والتقنيات والبحوث العلمية، كما هي في واقع الأمر اللغة الواحدة للتراث والآداب.

لم يكن من أهداف هذه الكلمة المتواضعة أن تقدم خطة علمية مفصلة من أجل وضع «معجم موحد لألفاظ الحضارة»، ولكنها تحاول الكشف عن أن مثل هذا المشروع قد بات ضرورة ملحة، وأن إنجازها قد أصبح في حدود الإمكان وأن اتحاد المجامع اللغوية العربية مدعو بحكم موقعه التاريخي أن يتصدى لمعالجة قضايا اللغة العربية الفصحى من خلال المجامع اللغوية، والجامعات وجميع المؤسسات العلمية والثقافية في الوطن العربي، التي تعنى بقضايا التراث واللغة وبقضايا الفكر والإبداع، وذلك وفق منهجية علمية سليمة ودون بطء أو تماهل. فالتقدم العلمي

يزداد بتسارع كبير ، وانفجوة التي تفصل بيننا وبين اللحاق بالأمم المتحضرة تزداد اتساعاً . ونحن نشارك الأستاذ حسن ظاظا الرأى فى قوله :

« إن صناعة المعاجم عندنا فى أزمة ، وهى بعيدة كل البعد عن مسانيرة التقدم الفكرى والحضارى فى العالم العربى الحديث ، وفى العالم الكبير الذى يعيش المدنية المذهلة التى انبثق عنها هذا النصف الأخير من القرن العشرين » (١) .

ولا شك أن وضع معجم يوحد جميع المفردات الحضارية التى يستعملها أبناء الأمة العربية فى مختلف أقطارها ، لا بد من أن يستند إلى خطة محكمة وأن تتضافر الجهود فى الأقطار العربية على القيام بجمع الألفاظ المستعملة فى شتى مناحى الحياة ، الفلاحية والصناعية والمهنية والاجتماعية والتجارية . . . الخ ، وأن تضبط ضبطاً كاملاً فى نطقها وأن تحدد دقيقاً فى دلالتها ، مستخدمين الوسائل التقنية الحديثة ، لكى تصبح موضوعاً للدراسة والتصنيف والبحث إلى جانب ما تقوم به لجان علمية فى جمع أقصى ما يمكن جمعه من مادة لغوية مأخوذة من معاجم المعانى ومن النصوص فى مختلف كتب التراث .

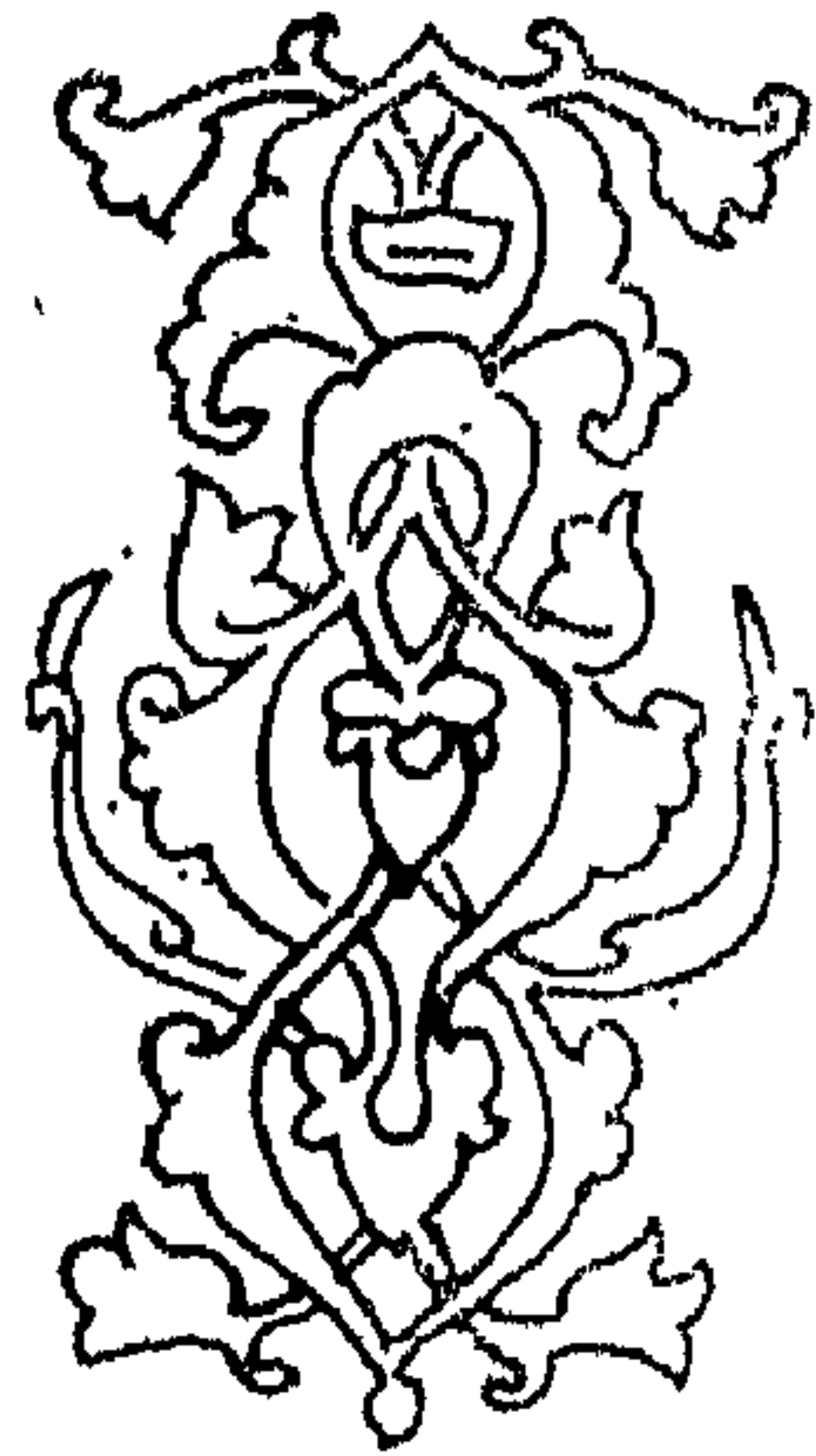
ونحن نعتقد أن استخدام الحسابات والأجهزة الإلكترونية والتقنيات الحديثة ، فى دراساتنا اللغوية ، بات أمراً ميسوراً وواجباً ، إذا ما أردنا أن نلحق بركب الأمم المتحضرة . . . وأن مثل هذه الأبحاث اللغوية ستنجز بدقة متناهية وبسرعة مذهلة وسنجد أنفسنا أمام نتائج باهرة من حيث قدرة اللغة العربية الفصحى على استيعاب كل ما يجد فى عالم الفكر والمعرفة ، وذلك بسبب ما جمعت هذه اللغة من مفردات مدونة فى معاجمها ، ومما هو مثبت فى كتب التراث ، ومما هو لم يدون وتدور به ألسنة عامتها ، وهو فى أكثريته الكاثرة من اللغة الفصحى ؛ هذا من ناحية ومن ناحية أخرى بسبب خصائص العربية نفسها ، وطرائق نموها ، من قياس واشتقاق وقلب وإبدال ونحت وارتجال ومجاز واقتراض . . . الخ مما يكسبها فى ذاتها المرونة والقدرة على استيعاب كل ما يجد فى عالم المعرفة .

وأخيراً أيها السادة العلماء ، فإن أجمل تحية يمكن أن تقدمها إلى مجمعنا الشيخ بالقاهرة، وإلى علمائنا الأفاضل ، شيوخ العربية وفرسانها الدائدين دوماً عن حياضها أن نرسى بديان مجمع واحد للغة العربية، بديان مجمع اللغة الخالدة لخلود القرآن الكريم، وأن يمثل العيد الخمسينى الزاهر انعطافاً تاريخياً فى مسيرة لغتنا فى العصر الحديث ، بأن تنتهى مشاريع

(١) حسن ظاظا ، كلام العرب بين قضايا اللغة العربية ، ص ١٥٢ ، القاهرة ، ١٩٧١ م .

محددة على مستوى الوطن العربي ، بإمكانياته العلمية والمادية ،
ونشره ، ووضع المعجم التاريخي ، والمعجم الموحد لألفاظ -
للمصطلحات العلمية في جميع مجالاتها ومستوياتها ، إلى -
عربية تعنى بنقل العلوم من حيث هي علوم والتقنيات الحديثة إلى اللغة
يصاحب هذا كله قرار سياسي ، بفرض اللغة العربية ، كى تصبح ، وبصور
لغة التعليم في جميع مستوياته ، وفي جميع الكليات والجامعات والمعاهد العالية .
وأن تكون لغة البحث العلمي والتقنيات الحديثة ، وأن تكون لغة الحياة في جميع مناحيها
وبذلك وحده تستطيع أمتنا أن تشارك بأصالة في بناء الحضارة الإنسانية .

الدكتور عبد الكريم خليفة
عضو المجمع (الأردن)



المراجع

- ١ - إبراهيم أنيس ، في اللهجات العربية القاهرة ، ١٩٦٥
- ٢ - إبراهيم أنيس ، من أسرار اللغة ، القاهرة ، ١٩٦٦ م
- ٣ - إبراهيم السامرائي ، اللغة العربية في العصر الحديث ، القاهرة ، ١٩٧٣ م
- ٤ - إبراهيم السامرائي ، اللغة والحضارة بيروت ، ١٩٧٧ م
- ٥ - أحمد الأخضر غزال ، المنهجية الجديدة لوضع المصطلحات العربية ، الرباط .
- ٦ - أحمد تيمور ، معجم تيمور الكبير في الألفاظ العامية ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٣٩١ هـ - ١٩٧١ م
- ٧ - أحمد رضا العاملي ، رد العامي إلى الفصحى ، صيدا ، ١٩٥٢ م
- ٨ - أحمد عبد الغفور عطار ، الزحف على لغة القرآن ، بيروت ، ١٩٦٥ م
- ٩ - تمام حسان ، اللغة العربية - معناها ومبناها ، القاهرة ، ١٩٧٣ م
- ١٠ - حسن ظاظا ، اللسان والإنسان مدخل إلى معرفة اللغة ، القاهرة ، ١٩٧١ م
- ١١ - حسن ظاظا ، كلام العرب - من قضايا اللغة العربية ، القاهرة ، ١٩٧١ م
- ١٢ - عباس حسن ، اللغة والنحو - بين القديم والحديث ، القاهرة .
- ١٣ - عبد الصبور شاهين ، في علم اللغة العام ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م
- ١٤ - عبد العزيز بن عبد الله ، التعريب ومستقبل اللغة العربية ، الرباط ، ١٩٧٥ م
- ١٥ - علي عبد الواحد وافي ، فقه اللغة ، القاهرة .
- ١٦ - علي النجدي ناصف ، من قضايا اللغة والنحو ، القاهرة .
- ١٧ - محمد الخضر حسين ، القياس في اللغة العربية ، القاهرة ، ١٣٥٣ هـ
- ١٨ - محمد عيد ، المظاهر الطارئة على الفصحى ، القاهرة ، ١٩٨٠ م
- ١٩ - محمود السعران ، اللغة والمجتمع - رأى ومنهج ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ٢٠ - محمود محمد شاكر ، أباطيل وأسما ، القاهرة .
- ٢١ - مجمع اللغة العربية ، محاضر الجلسات .
- ٢٢ - مراد كامل ، دلالة الألفاظ العربية وتطورها ، القاهرة ، ١٩٦٣ م .
- ٢٣ - نفوسة زكريا ، تاريخ الدعوة إلى اللغة العامية وآثارها في مصر ، القاهرة ١٩٦٤ م .

الكتابة العربية بواسطة أرقام الحساب

للكاتب عبد الهادي التازي

في

أعقاب شيوع استعمال جهاز التلغراف أواسط القرن الماضي⁽¹⁾ ظهرت في الأرشيف الدبلوماسي للمغرب وثيقة تتعلق أصلاً بموضوع التعليمات التي كانت الحكومة المغربية ترسلها - بواسطة التلغراف -

والحديث عن تلك الوثيقة يستدعي منا أن نتناول عدداً من العناصر لإلقاء الضوء عليها ؛ مضمونها كمصدر من مصادر تاريخ المغرب وربما من مصادر تاريخ الدول التي كانت لها صلة بالمغرب ، كذلك مركزها ومكانها من الطرق المستعملة من مدن البلاد العربية الأخرى لنقل الرسائل العربية عبر التلغراف .

لكن الذي يهمنا - بهذه المناسبة - هو الحديث عن الدوافع التي كانت تكمن وراء اختراع هذه الطريقة أو الأخرى الدوافع التي حدثت بالدولة آنذاك للاستعانة على أداء الكلمات العربية أو الحرف العربي بالأرقام الغبارية التي تحمل في الموسوعات العالمية اسم الأرقام العربية (Les Chiffres Arabes) (Arabic Numbrs)

تعتبر الوثيقة التي بين أيدينا محاولة جريئة في سبيل تنظيم المواصلات بين المدن المغربية فيما بينها ، وفيما بين المغرب ، وغيره من الدول كذلك حيث أخذ نظام الرقاص في الإختفاء بالمغرب الأقصى .

وأقصد بالرقاص⁽¹⁾ في الاصطلاح المغربي موزع البريد ، واللفظ - كما نعلم - من المفردات الحضارية التي استعملها المغرب منذ العصر الوسيط ، معتمداً على الاستعمال اللغوي في رقص الناقه القلوص بزجاجة رقصت بها في قعرها ، رقص القلوص براكب مستعجل .

(1) توجد منذ 16 ربيع الأول 543 = 4 غشت 1148 قوانين تحدد مهام الرقاص ، ابن صاحب الصلاة : المر بالامامة و تحقيق : د. عبد الهادي التازي ، بيروت 1964 ، ص 122 - ابن القتيبي : نظم الجليل المحقق : د. مكّي تطوان ، ص 162 .

لقد كان من أبرز مضامين هذه الوثيقة أنها كانت سبقا تقنيا في ميدان ضبط الأسماء الجغرافية عن طريق الأرقام .

فلقد سبق هذا الابتكار العربي - أكثر من نصف قرن - الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية ، إلى التعامل بالأرقام والتوسل بها لاستعمال ما يسمى اليوم بالمصطلح البريدي لضبط المواقع الجغرافية المقصودة ، هذا المصطلح الذي يعرف في الولايات المتحدة الأمريكية تحت اسم (Zip Coda) كما يعرف في فرنسا باسم (EDEX) .

بل إنه أى ذلك الاختراع سبق الدول الاسكندنافية إلى اختراع ما يسمى « الرقم الشخصى » الذى يعطى للبطاقات الشخصية والذى يحمل هناك اسم (Magnétique) فلقد أخذوا يعطون الأشخاص أرقاما خاصة باعتبار أن الأرقام يمكن أن تساعد العقل الايكترونى فى الوقت المناسب .

لقد أعطت الوثيقة التى بين أيدينا منذ ذلك التاريخ لبعض الشخصيات أرقاما خاصة :

- فرئيس الدولة يحمل رقم 55

- ووزير الخارجية يحمل رقم 67

- ووزير المالية يحمل رقم 150

- والقاضى يحمل رقم 72

- والمحاسب يحمل رقم 74

وقد قدمت لنا هذه الوثيقة شبه قاموس رتبت كلماته وجملة على الترتيب الهجائى المعهود لدى أهل الأندلس والمغرب .

أما عن الدوافع التى حفزت بالمشرفين على الإدارة المغربية إلى اعتماد الكتابة العربية بواسطة الأرقام الحسابية فيمكن أن نلخصها فى الكلمات التالية :

لقد كان المغرب حريصا على مواكبة الركب العالمى فى أواسط القرن الماضى ونخاصية بعبء احتلال الجزائر من قبل فرنسا عام 1930 حيث أصبح المغرب مهجدا فى كيانه أكثر من أى وقت ، وكان المغرب فى نفس الوقت عموما على التعلق والتمسك باللغة العربية ، ومن هنا كان التفكير فى طريقة تجعلنا نواكب ونحافظ معا .

لقد ظهر التلغراف ، والمغرب على حال من صراع مرير كان يمارسه على عدد من الجهات ، وكان عليهم أى المغاربة أن يختاروا بين الاستفادة من ذلك الجهاز الحديث على ما هو ، وحينئذ فإن عليهم أن يقبلوا على تعلم اللغة الأجنبية ويهجروا لغتهم جانبا ، وبين أن يفكروا فى وسيلة عاجلة تجعل المدلول العربى قادرا على أن ينفذ عبر القوالب التى تستوعبها تقنية الجهاز التلغرافى .

وهكذا وجدناهم يفكرون فى ابتكار طريقة تحتفظ لهم بلغتهم العربية من جهة وتحترم إمكانيات الآلة من جهة ثانية . وجدناهم يستعينون بشكل ما من الأشكال كان مقبولا فى ملامس جهاز التلغراف وداخلا ضمن حروفه المسبوكة .

ومن هنا وردت فكرة الاستعانة بما نسميه الرقم الغبارى أى الرقم العربى .

وحينئذ وجدت الحكومة المغربية آنذاك أن من السهل عليها الاتصال بجميع الأطراف داخل المغرب وخارجه ، عن طريق الترميز بالرقم :

ونظرا للغموض أو اللبس الذى لاحظ المبتكر لهذا الدليل ، أنه قد يتعرض له الشخص الذى يشغل آلة التلغراف عندما يركب الرسالة بواسطة أرقام متوالية ، نظرا لذلك وجدناه ، يضع شرطة صغيرة تجعل بين الكلمات تمييزا لها فيها بينها على نحو ما يقوم عليه اليوم نظام التفريق بين الكلمات ببعض الفراغ :

ولما شعر صاحب هذا الاختراع بأن قاموسه قد لا يستوعب سائر أغراض الرسالة ، وجدناه يقدم طريقتين اثنتين أخريين للاستعانة بهما على تقنية التلغراف .

ويتعلق الأمر بالنسبة للطريقة الأولى بعملية تعويض الحروف الهجائية على تواليها بأرقام تتبدىء من (20 إلى 49) أى أن حرف الألف يقابله حرف 20 وحرف الباء رقم واحد وعشرين والتاء كذلك . . الخ .

وهكذا فعوض أن يعطى التعليمات بواسطة حروف المعجم ، تعطى بواسطة الأرقام العربية ، وزيادة فى رفع اللبس فإنه سيكون علينا أن نجعل بين الحروف فواصل . كنا فيما سبق عندما كان الأمر يتعلق بأداء الكلمات والحمل ، نستعمل الشرطة القصيرة بين الكلمات ، ونحن بالنسبة للحروف نكتبى بوضع نقطة حيث يظهر لنا الفرق جليا بين الحالىين عند رؤية التلغراف ، وهل أننا بصدد قراءة كلمات أو حروف مركبة .

وفما إذا حدث أن تعلق غرض الرسالة أو البرقية بذكر رقم من الأرقام في صلب النص من شأنه أن يربكنا ونحن نعتمد على الأرقام أساساً لأداء الكلمات أو الحروف في هذه الحالة وجدنا مخترع هسانا الدليل يجرؤ على المطالبة بتحويل الرقم الموجود في صلب النص بحرف (A) اللاتيني ، فمثلاً عندما نجد (A) 297 (A) فإن القصد يكون إلى سبعة وتسعين ومائتين وليس القصد إلى الرقم الخاص الذي يدل على كلمة (مصر) التي استأثرت بهذا الرقم في « الوثيقة » المذكورة على ما أسلفنا أما بالنسبة للطريقة الثانية التي يمكن أن نساكها أيضاً لأداء الكلمة العربية أو الحرف العربي فهي لا تعتمد فقط على الأداء بالرقم العربي . ولكنها تذهب إلى أبعد من ذلك ، أي أنها تستعين بالحرف اللاتيني ،

وليس معنى هذا أن الحرف العربي في التلغراف يقابل بحرف لاتيني من نوع صوت الحرف العربي كما نستعمله اليوم في التلغرافات العربية المكتوبة بحروف لاتينية ، ولكن بحرف لاتيني ما يصطاح عليه . . .

ومعنى كل هذا أنه كان هناك شعور بالحاجة الملحة إلى أن نجد وسيلة ما لتبليغ الرسالة العربية لتبليغ النبا العربي عبر جهاز التلغراف ، الذي كنا نجد أنفسنا مضطرين إلى الاستفادة منه حتى نظل كما قلت مواكبين لمستجدات العصر . . .

أيها السادة الزملاء الأعزاء .

لقد كان قصدي من تقديم هذا الجانب من تلك الوثيقة (التي أتشرف بتقديمها لكم اليوم) هو وضع السؤال التالي :

هل إننا بعد التجارب التي مررنا بها طيلة السنوات الخالية ، بحاجة إلى التفكير الجدي ، فيما يؤمن اقتحام الحرف العربي للآلات الإلكترونية ؟ وهل أننا بحاجة إلى تصور دقيق لما نحن مقبأون عليه في عالم الألفين .

أرجو بهذه المناسبة أيها السادة الزملاء ، ونحن نحتفل بهذا العيد السعيد وبحضور السادة رؤساء الجامع والأكاديميات العربية .

أرجو أن أذكر هنا بأننا منذ عشرات السنين ما نزال لم نتفق على طريقة لأداء الحرف العربي ، بالحرف اللاتيني أداء سليماً ترضى عنه بإجماع ونقدمه إلى المنتظم الدولي باتفاقنا جميعاً .

فقبل ست سنوات عرضت في أثينا على أنظار المؤتمر العالمي الثالث لتنميط الأسماء
الجغرافية التابع للأمم المتحدة
(ECOSOC)

مسألة أداء الحرف العربى بالحرف اللاتينى :
ربما تتساءلون : لماذا عرض هذا الموضوع على أنظار هذا المؤتمر الذى يهتم أصلا
بالأعلام الجغرافية ؟

والجواب أن ذلك كان نتيجة لانتصار المجموعة العربية التى أتشرف بترؤسها فى
المؤتمر المذكور ، انتصارها فى فرض كتابة الأعلام الجغرافية العربية بشكلها الصحيح
على سائر الخرائط الجغرافية الأجنبية المنشورة على المستوى الدولى .

أى أننا سوف لا نقرأ من الآن فى الخرائط الأجنبية كلمة لاميك (La Méque)
عوض مكة ، ولا (داماس) عوض دمشق و (لوكير) عوض القاهرة و (ربا) عوض
الرباط .

إن الذى حصل أيها السادة المحييون هو أننا بعد أن استمزجنا الرأى مع سائر
الدول العربية ، وبعد أن أدلت كل جهة برأيها . . . اجتمعنا فى جنيف فى المؤتمر
الرابع فى السنة الماضية لنجد أن الذين اتفقنا معهم فى (أثينا) هم غيرهم الذين أعطوا
الرأى فى جنيف . أتم تعلمون أن هناك الطريقة التى سلكها علماء الموسوعة الإسلامية ، وهناك
الطريقة التى أصبحت فى المؤتمر المذكور رسم (نظام بيروت Brout Système)
والطريقة التى تحمل كذلك نظام لندن المعدل وهناك نظام (ISO) الخ .

إن بعض العرب الذين كانوا متأثرين بالوجود البريطانى فى بلادهم لا يتنازلون
للطريقة التى تأثر بها العرب الآخرون الذين كانوا متأثرين بالوجود الفرنسى مثلا : ومن
هنا فنحن ما نزال نتخبط فى الوصول إلى الطريقة الواحدة التى توصلنا إلى التمتع بذلك
المكسب : مكسب اقتحام العلم الجغرافى الحقيقى للمجتمعات الدولية .

أعترف أمامكم أيها الزملاء المحترمون أننى كنت أشعر بالحجل يلفنى وأنا أمثل فى
تلك المؤتمرات وجهات نظر مختلفة مشتتة حول كيفية أداء الحرف . . بينما أرى أن
المجموعات الأخرى اتفقت على طريقة موحدة لأداء الحرف الصينى والروسى . الخ .

لذا فإننى أغتم هذه الفرصة لأتقدم بتوصية تدعو إلى لقاء عاجل قبل عام 1986
الذى سيشهد فى مونتريال المؤتمر السادس الذى ينتظر منا القول الفصل فى هذه القضية :

فما غيركم - أيها الزملاء - جدير بأخذ المبادرة للوصول إلى هذا الاتفاق . . .
وتحت يدي الملف الكامل الشامل لهذه القضية التي تعتبر من القضايا الأولى للدؤتمر
الدولي ، سواء على مستوى خبرائه الذين يجتمعون على رأس السنتين أو على مستوى
أعضائه الذين يجتمعون على رأس الأربع سنوات .

إن المغرب ليقوم الآن بخطوات رائدة من أجل العمل على اقتحام الحرف العربي
للأجهزة المعيارية بجميع أنواعها وتسخير هذه الأجهزة لفائدة ازدهار اللغة العربية
وانتشارها وتعميمها ورفع مستواها ، تحت إشراف معهد الدراسات والأبحاث للتعريب
الذي يديره الأستاذ أحمد الأخضر غزال :

ويطيب لي أن أعرب عن أملى الكبير في أن نحظى بهذا الاجتماع على أرض المغرب
بحول الله :

فإلى أن نلتقي جميعاً حول هذا الموضوع ، أتمنى للسادة الزملاء موفور الصحة والعافية
والسلام .

الدكتور عبد الهادي التازي
عضو المجمع من المغرب



مزايا العربية في لغتنا للأستاذ سعيد الأنتحاني

لاشك

في أن الأجنبي كان يعاني صعوبة حين يتعلم العربية ليسهل عمله في البلاد العربية المحتلة يومئذ من العراق إلى المغرب ، وبين البحر المتوسط والصحراء الكبرى فالحروف غير حروفهم التي بها يكتبون ويقرؤون والألفاظ لا تكاد تجرى بها ألسنتهم إلا بعد ممارسة وعناء وبدل أن يصبروا على ترويض ألسنتهم بها ، زين لبعضهم الهوى والغطرسة أن نخدمهم نحن فنستبدل حروفهم بحروفنا ولا بأس في أن ننسف قواعد لغتنا لنضع شيئا على نمط قواعدهم ، ولنهجر الفصحى لأنها لا تفيدهم في حكم مستعمراتهم ، وليصطنع كل بلد مذهب لهجته الدارجة السوقية مشوبة بشيء من لغة السادة ، فلا أرب للمحتل وراء ذلك ، ولم لا يكون ذلك ويبيدهم السلطة والحكم ، وآلات البشر في كل بلد صاغوها على هيئته المقاصد . . فإذا نجمت خططهم عادت عليهم بعد عقود من السنين ، ينفع في ميدانين تسهيل المهمة على موظفيهم ، وقضاء على مقوماتنا من ثقافة ركنها اللغة والدين .

لم يفهم درس نفسية الجماعات ، فقد عرفوا أن البدء ينبغي أن يكون بين غوغاء المتعلمين لا خاصتهم ، وأن للتكرار بينهم أثرا مهما يكن خافتا في البدء فالزمن كفيلا بتقويته وتتابع الحملات بفواصل مقادرة ، سبروا في كل فاصلة ردود الفعل ، فانتفعوا بدراستها لحملة قادمة ، ولم يلتزموا أسلوبا واحدا في دعاياتهم ، وكل دعاية ضعفت أو صدمت استأنفوا بعدها غيرها في ثوب جديد وأبواق كانوا قد بثوها في كل بيئة ، علمية كانت أم أدبية أم سياسية أم طائفية ، لقد تجمعت مزاياهم في مشكلات اللغة العربية في ثلاث :

١ - الحرف العربي .

٢ - الازدواج بين العامية والفصحى ، أو بين لغة الكتاب والقراءة ولغة الحوار السوقية .

٣ - صعوبة القواعد العربية .

(*) ألقى البحث في الجلسة الثالثة للميد الحسيني .

أما ما زعموا من مشكل في الحرف العربي والازدواج اللغوي فلا أعرض له ، لأنه أصبح معلوما من كثرة ما نشر فيه تأييدا وردا ، بل ذهب بعض خاصة المستشرقين إلى تفضيل الحرف العربي صحة وجها لا واختصارا^(١) ، والازدواج اللغوي موجود في كل اللغات ، ففي كل منها لغة كتابة ولغة سوق على تفاوت في الفروق ، بل إن عاميتنا نحن من يوم بدؤوا بدعائهم لها ، قد تقربت جدا من الفصحى نتيجة لانتشار التعليم لذا لم يلق الناس بالا لهذين الأمرين ، إلا في الشاذ النادر ، وكنت قد عرضت لهذين الأمرين من سنين طويلة في غير مقام . (٢)

بقي الأمر الثالث الذي زعموا في صعوبة قواعد العربية ، وكان مصيره خليقا أن يكون كمصير الزعمين السابقين ، لولا أن كثرة ترديدهم له على الأسماع من حين إلى حين في سنين متباعدة جعلت بعضنا يتوهم أن هناك مشكلة ، وجعلتهم يفكرون ويطلبون لها دون دراسة ولا تمحيص ولندكر أن النحو كان يدرس أول القرن الماضي في الآجرومية وشروحاتها ثم شروح الألفية وحواشيها وما إلى ذلك مما ألف في عصور سلفت يبدأ الطلب باستظهار متن غامض مغلق مكثف العبارة (نثراً أو نظاماً) ثم يترقى إلى شرح المفروض فيه جلاء وإيضاح ، ثم تأتي الحاشية والتقرير يناقشان في الغالب عبارة الشارح مناقشة لفظية عقيمة ، وتنقضي سنوات حتى يحيط الطالب بعبارات المؤلفين المتأخرين لكنه لم يزاول في الواقع نحواً يعصم بيانه من الخطأ ، ولا قرأ كلاماً عربياً يقوى من سليقته أو ملكته . هذا كان فيما سبق ، ولعل الأجانب الذين حاولوا تعلم اللغة العربية في بلادنا أول القرن الماضي فما بعد ظنوا أن هذا هو النحو العربي ، فنعته بما شاؤوا من صعوبة وإغلاق وتعقيد ، وورث هذا النعت خالف عن سالف وكثر انتشاره بينهم ، حتى حكينا نحن عنهم مزاعمهم التي بليت ، تقليداً أعمى مدة من الزمن ، ثم تكفلت النهضة باتباعنا الأساليب الحديثة في التأليف والتدريس حتى الثلاثينيات من قرننا هذا تكفلت بما يجب من إصلاح وإيضاح وتشذيب واختصار ونحو ما أذكر من النماذج الصالحة لسلسلة (الدروس النحوية) للمدارس الابتدائية التي اشترك في إخراجها حفني ناصف ورفاقه عليهم جميعاً رحمة الله ، فكانت حميدة الأثر في أجيال متعاقبة في أقطار شتى ثم عمل حفني ناصف (قواعد اللغة العربية للمدارس الثانوية) فكان عمله مسك الختام ، ضاماً كل ما لا يجوز لمثقف جهله من

(١) يوحنا أهنتين كرسكو الفنلندي ، ترجمة الأرشمنديريت توما دييو المملوف - مجلة المجمع العلمي العربي

بدمشق ٤ / ٤٨٦ سنة ١٩٢٤ م

(٢) كتابي (من حاضر اللغة العربية) ص ١٥٦

قواعد اللغة نحواً وصرفاً وبلاغة ، في حجم لطيف يقل عن مئة وخمسين صفحة من القطع الصغير ، بهذه السلسلة تخرجت والحمد لله في دراستي الابتدائية والثانوية أنا وجيلي الذي تميز من جاؤوا بعد بتفوق كبير .

مهما يكن فقد أوقع تردد تلك المزاعم على مدى سنين بعد ذلك ، أوقع في نفوس بعض المسؤولين أن الضعف والعلّة في طبيعة القواعد العربية فكان بدء النكسة ، وتمكنت هذه الخرافة بل الدسيسة في أوهام عدد من الفضلاء ، فكانت محاولات فيما أسموه بالتيسير والتبسيط ، محاولات رسمية وغير رسمية ، وعمدت وزارة المعارف في مصر إلى تأليف لجان تطب لهذا الضعف المزعوم ، فكانت (لجنة تيسير القواعد العربية) ، عملت زمانا ثم انتهت إلى مشروع في الثلاثينيات لم يقبله أولو الشأن ، وتمضى سنوات ثم يعقد مؤتمر الجامع اللغوية العلمية العربية في دمشق بين (٢٩ / ٩ / ١٩٥٦ - ٤ / ١٠ / ١٩٥٦) ، ويعرض عليه المشروع ذاته ، ويناقش كما نوقشت دعوى ازدواج اللغة العربية (الفصحى والعاميات) وما يزعم من صعوبة وتنجح الشام في عقد الإجماع من المؤتمرين على إبعاد العاميات وتمكين الفصحى . أمّا مشروع تيسير النحو وكان في توصيات المؤتمر أنه في حاجة إلى زيادة في التمهين وتأجيل النظر فيه إلى مؤتمر آخر (١) .

لكن أصحاب المشروع حملوا وزارة المعارف على إقراره وعلى تأليف كتب المدارس على أساسه وفرض المشروع على التعليم في مصر ، ثم دعيت لجنة من وزارة التربية والتعليم السورية ، أيام وحدة الشام ومصر إلى القاهرة ، لتشارك في لجنة عامة تخطط لتطبيق المشروع مع الكتب المدرسية التي ألقت على أساسه ، على المدارس السورية وبعد درسه اعتذرت اللجنة السورية من عدم تطبيقه لأضرار وأسباب أبحاثها ، وانتهى نقاش المجتمعين سنة ١٩٦٠ على أن يعقد مؤتمر عام يشترك فيه كل المعنيين بالأمر في وزارتي التعليم والجامعات من القطرين معا .

وفي العام التالي عقد هذا المؤتمر باسم (حلقة تيسير النحو) في كلية دارالعلوم في القاهرة بين (٤ / ٢ / ١٩٦١ - ٩ / ٢ / ١٩٦١) وبعد الاستماع إلى كلمات المؤيدين والمخالفين أصدر المؤتمر قراره برفض المشروع (٢) .

(١) المصدر السابق ص ١٩٩

(٢) المصدر نفسه ص ٢٠٠

يدعى كثير أن التلاميذ الذين أنهوا تحصيلهم الثانوى فى المدارس الرسمية ضعفاء فى العربية أكثر من ضعفهم فى اللغة الأجنبية ويضيفون أن هؤلاء التلاميذ يعبرون عن مرادهم فى الإنجليزية أو الفرنسية بكلام واضح سليم فى الجملة ، على حين يعجزون عن التعبير فى العربية ببيان نخال من التعثر واللعن . أقول : ربما كان هذا واقعا ، لكن ما السبب ؟

كنت مصطافا سنة ١٩٢٨ فى إحدى قرى دمشق ، فكنت أسمع فى كل يوم خميس مناديا يعلن فى الأزقة والحارات بصوت جهر : أن الطبيب قادم غدا ويعالج المرضى فى دار فلان ، وكان على يمين الطريق إلى تلك الدار منخفض فيه مستنقع ضحل تحوم فوقه أصناف من البعوض وتنتشر منه رائحة الماء الآسن ويستقبل الطبيب مرضاه طول النهار رجالا ونساء ، أطفالا ومسنين ، مصابين جميعا بالمalaria ، فكان يوصيهم بعد فحصهم بالحمية ويعالجهم بأقراص الكينا والاسبرين ، وعلمت فيما بعد أن هذا شأنه من أعوام ، ومصيبة malaria هى التى تعاودهم كل عام ، إلى أن يسر الله من نصح لأهل القرية بردم المستنقع فخف المرض الجماعى ثم زال .

إن الدعوى أن المسؤول عن الضعف فى اللغة العربية هو قواعدها باطلة كل البطلان ومقدمتهم التى أرادوا البناء عليها فى تعليل الضعف مقدمة غير صحيحة ، والصحيح أن هؤلاء التلاميذ الضحايا درسوا الإنجليزية وما درسوا العربية ، درسوا الإنجليزية بالإنجليزية على أحسن أسلوب وأقومه ، ولم يدرسوا العربية بالعربية ، بل بالعاميات الدارجات فى قراهم وأريافهم وبلدانهم ، لقد اختلفت المقدمتان فكيف لا تختلف النتائج ؟

يلقى الأحداث فى أول دراستهم اللغة الإنجليزية مثلا حوارا وحديثا سهلا حول كلمات يسيرة مما يستعمل يوميا بلغة سليمة ثم يتدرجون فى الصعود ، وقد حدد الزاد اليومى من الإنجليزية بدقة ورسم المنهج بإحكام بحيث يزيد محصول الطفل من المفردات والتراكيب كل يوم ، ويدرب على استعمالها فى محادثة هينة ، هذا شأنه حتى ينهى دراسته الثانوية . أما فى اللغة العربية فالأمر مختلف ، فخطوات التدريس غير متدرجة والازاد من المفردات والتراكيب غير محدد بعناية ، الطفل لا يتكلم العربية الصحيحة ، ولا يسمعها من معلمه أو مدرسه ، أما الخطأ فعلى ما خيلت إن كانت هناك خطة ، بل أجهر بالقول - وأنا فى غاية الألم - أن الدراسة الثانوية لغتها هى العامية الدارجة حتى فى درس القواعد العربية ، والجامعات حتى أقسام اللغة العربية منها تلتقى فيها أكثر المحاضرات بالعامية الدارجة وهى لغة الدرس فى الواقع وإن كان الدستور وقوانين الجامعات تنص

على أن لغتها الرسمية هي العربية ، وهذا ما سمعته كثيرا ولم أكن لأصدق له لولا أني أنا نفسي حضرت في زيارتي لأحد الأقطار العربية - وذلك في الأربعينيات - محاضرة في قاعة الدراسات العليا من قسم اللغة العربية في إحدى جامعاته ، عنوانها (الأصوليون واللغة) وهو كما يعلم المختصون من أعلى الموضوعات وأدقها ، التي ارتجالا دون نظام بلغة أكثرها عامى سوقى :

وفي سنة ١٩٦٣ كنت أزور جامعة طهران فسألت أحد مدرسيها الفضلاء في قسم اللغة العربية فيها عن مستوى العناية العربية عندهم فأفاد أن لهم بها عناية فائقة ، فلها ست ساعات أسبوعية في المدارس الثانوية ، لكن النجاح فيها لصعوبتها لا يوازي النجاح بالإنجليزية التي ساعاتها أقل ، فسألته عن الكتب التي يتعلم بها الطلاب فسمى لي كتبا قديمة ، بطريقة المتون المعقدة المكثفة ، وعليها شرح باللغة الفارسية ، وبطبيعة الحال يكون الحوار بالفارسية ، فعدت أسأله عن الكتب الإنجليزية أهى مشروحة متونها بالفارسية ويتعلمونها على الطريقة التي يتعلمون بها العربية؟ قال : لا ، هي نوع آخر ، فقلت إنكم لا تدرسون العربية ، بل تشرحون بالفارسية معنى المفردات العربية في المتن تريدون أن يتعلم طلابكم العربية؟ علموها كما تعلمون الإنجليزية تماما في تسلسل حلقاتها وفي الحوار بها في الدرس واحفظوا الشرح والحوار بغيرها ، فأم يجب لكن ملامح الاستنكار بدت على وجهه كأنى حين نصحت بتغيير الكتب وطريقة التدريس جعلت مع الله شريكا .

إذا أردنا العافية بصدق وإخلاص ، فعلينا الإقرار بمرضنا لا نخفى من أعراضه شيئا إن ما يذكر من إخفاق التعليم العربى في أقطارنا سببه أننا ندرس بغير اللسان العربى القويم مخالفنا طبيعة الأشياء في تعليم اللغات ، ونطق الأشياء (غير) طباعها متطلب في الماء جذوة نار ، سببه أننا نمارس عملنا في غيبة من (ضمائرنا) ومن مراقبة الله في عملنا ، سببه أننا نعالج بالكينا والإسبرين ومولدات المرض ملأت من حولنا الأجواء ، فالذنب ذنبنا لا ذنب النحو والقواعد ولا ذنب الطلاب ، علينا أولا أن نردم المستنقع ، عاينا ألا تشهد مدارسنا ومعاهدنا شيئا من العاميات السوقيات علينا أن نأخذ أنفسنا وأبناءنا بالفصحى السليمة السهلة الواضحة حتى في درس الرياضة وأن يكون تعميمنا للغة العربية على أقوم الأساليب في التربية وأصول التدريس ، ولن نحتاج بعد ههنا إلى النحو أو القواعد النظرية لأننا نكون قد ملكنا اللغة عمليا .

أما نقل مسائل من باب إلى باب ، واستبدال المصطلح المعقد بالمصطلح الواضح المفهوم ، وأن يجرب كل متعرض لما لا يحسن ما يظنه براعة في نقل مصطلحات من المنطق إلى النحو ، أو من نحو لغة أجنبية يترجمها إلى العربية^(١) ، أو تفريق مجتمع في باب نحو أو تجميع متفرق ثم تقديمه في مشروع أو محاولة إصلاح في باب آخر فهذا كله اشتغال في غير موضع العلة .

لقد آن لنا أن نوقن يقينا لاشك فيه بالبديهة التي سلم بها كل أصحاب الألسنة ، وهي أن اللغات تكتسب بالممارسة سماعاً ونطقاً لا بحفظ القواعد أما علة انخداع أفاضل منا فمن المسلمات في بحوث علم النفس وفي باب أساليب الدعاية خاصة ، ما للترديد والتكرار الملح من أثر حتى على أشد الناس مناعة ، وأعترف أن مكر أولئك الدعاة من أعدائنا في بث السموم مزينة متنوعة ، أحدث زيفاً حتى في نفوس من لا شك في سلامة نياتهم ، وشلل الوعي في غير واحد منا من رجال العلم والأدب فاستسلمنا للتنويم فرددنا ما قال أولئك الماكرون في صعوبة القواعد العربية ، حتى أذكرونا مثلاً كان ضربه ابن المقفع في كتابه (كليلة ودمنة) أن ناسكا اشترى عريضا ضخما ليجمعه قربانا ، فأتمر به قوم ليخدعوه عنه فعرض له أحدهم فقال له أيها الناسك ما هذا الكلب معك) ثم عرض له آخر فقال « إني لأظن هذا الذي عليه ثياب الناسك ليس بناسك ، فإن الناسك لا يقود الكلاب » ثم عرض له آخر فقال له : « أنت تريد الصيد بهذا الكلب ؟ » فلما قالوا له ذلك لم يشك أن الذي معه كلب وقال في نفسه (لعل الذي باعني سحرني وخدعني) فخلى عنه ، فأخذته النفر فذبحوه واقتسموه .

أفتحتم علينا إذا بقي الماكرون يماكرون أن نبقى نحن إلى اليوم - ذلك الناسك المغفل ؟

أما بعد فهل علي من حرج - ونحن نحتفل بالعام الخمسين لإنشاء هذا المجمع الخير - أن أعود بالذاكرة إلى عهد سلف ، عهد الصبا وكننت قريب الدار من مكتبة الملك الظاهر في شمال الجامع الأموي الكبير بدمشق ، وقبائلته المدرسة العادلية الكبرى حيث أقيم المجمع العلمي أيام الملك فيصل بن الحسين رحمه الله ، وكنافتية أجالس المكتبة ، نشغل أوقاتنا بالمطالعة ، ونحضر في أمسيات المجمع محاضرات عامة كانت لإقامتها من سنة المجمع منذ إنشائه حتى إلغائه سنة ١٩٣٤ ، وظللت أطالع مجلة المجمع

(١) انظر مثلاً : أنيس فريجة من الجامعة الأمريكية في بيروت ، تبسيط قواعد العربية وتبويبها على أساس منطق جديد - مطابع المرسلين اللبنانيين - جونية . وله نشرة (هذا الصرف وهذا النحو أما لهذا الليل من آخر) والذوان يشهر بتعصب ذم هذه الطائفة على العربية .

بانتظام ، حتى إذا أنشئ بالقاهرة مجمع اللغة العربية (وكان اسمه مجمع فؤاد الأول للغة العربية) ابتهجنا بالخبر أيما ابتهاج ، فلما ورد العدد الأول من مجلته تخاطفناه بيننا ، وتمت لنا بشريان : بشرى تأسيس مجمع القاهرة وبشرى صدور مجلته ، ثم صار وصول كل عدد جديد منها خبرا سارا نتناقله ، وظلت أسماء الرعيل الأول من أعضائه ملهج ألسنتنا ومدار أحاديثنا ، نتذكر بحوشهم وآراءهم ، وقد استأثرت رحمة الله بهم جميعا ، فلا أقل من وقفة خاشعة نذكرهم فيها بالخير ، ونضرع إلى الله أن يجزل لهم الثواب والكرامة .

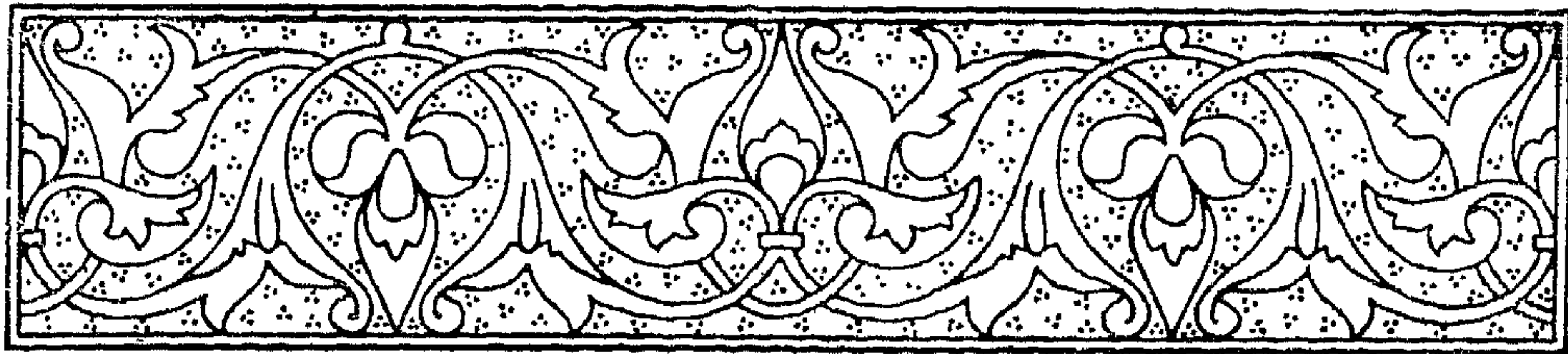
لقد صارت مجامعنا الثلاثة في دمشق وبغداد والقاهرة قلاعا للعربية ، ومن حسن حظنا أنا كنا نتابع نشاطها بغبطة وسرور ، فإذا شغل الجلاس والسمار بأخبار الحكام والسياسة وأقوال الصحف ودعاة الأحزاب عمرت مجالسنا بما كتب محمد كرد علي وشكيب أرسلان ومحمد سليم الجندى وأسعد الحكيم وعز الدين التنوخي وعبد القادر المبارك المغربي والفكرى والشهابى بدمشق والشببى وطه الراوى ونعمان القاضى بالعراق وأحمد الإسكندرى ومحمد الخضر حسين وحمروش ومحمد حسين والى والعوامرى والحارم فى القاهرة ، وتذكرنا ما أجدوا من بحوث ومقالات وأوضاع ، جمال ذى الأرض كانوا فى حياتهم لما قضوا أصبحوا للكتب والسير

أثاب الله أولئك الأعلام المناضلين عن مقوماتنا وتراثنا أفضل ما أثاب مجتهدا مصابحا عن أمته ، وأخذ بناصر من سلك طريقهم فلم يضل ولم يضل ، وأيد حاملى لواء العربية فى هذه الأيام ، أخلاف أولئك النصحة المخلصين ممن لا تأخذهم فى الحق لومة لأثم ، ووفق هذه المؤسسات حتى تحقق قول الشاعر القديم :

رأيتك أمس خير بنى لوى وأنت اليوم خير منك أمس
وأنت غدا تزيد الخير ضعفا كذلك تزيد سادة عبد شمس

الاستاذ سعيد الأفغانى

عضو المجمع من دمشق



في تجميع مصر للكتور إبراهيم السارحي

غلب الحنين إليك يا مصرُ فالعلم زادى منك والذكرُ
أسليلةً الأمجاد معذرةً أن قد تخلف عني الشعرُ
ووريثةً للفن في صورٍ أغفى على جنباتها السحرُ
صنوان شبا توأمين معاً وقد استظالا : أنت والدهرُ

* * *

نزلت برحبك فاقشعر سناً سود الخُطوب جوائحٍ غبرُ
وتغولتُك فما ابتأست بها وعلوتها - وكذلك النسرُ
وبدلت الأيام كالحةً فزكا الخصبُ وأسلس الدرُ

* * *

أكنانة الله اسلمى ، وجمي جلي ، فكل مواطنٍ عمرو
ولقد شقيت بكربة نزلت بالعرب ؛ كل بليدة مصرُ
وثارت إما جلجلت ومثت دهياً حشو نسيجها الشرُ

* * *

يا مصرُ جئتُ إليك من بلدٍ قد جال في أحشائه الضرُ
ما إن رعى الجيران حرمةً وعراه مما ساء ما يعرفُ
أبت الشريعة أن نسير بها غياً وميلٌ كياننا غمرُ
دعوى السلام أسىء محملها فكانها في شرعة كفرُ

* * *

(*) ألقى القصيدة في الجلسة الثالثة العيد الحسيني .

يا مِصْرُ قد حمى الوطيسُ بنا
هنا وهنا استو قد الجمرُ
في كل أرضٍ للعروبة ما
نشقى به ، وتفأقم الأمرُ
ولقد جنحنا للسلام فما
أجدى علينا مسلكُ وعمرُ
كم قد شقينا في حواضرنا
في غمرة وسلاحنا الصبرُ

* * *

يا مِصْرُ لا أخفيك أن يدي
من نغمة مأنوسة صفرُ
لكن عذيري من جهابذة
أنى امرو أزرى بي الدهرُ
وازور عنه سحرُ أغنية
ولقد جفاه الشعرُ والنثرُ

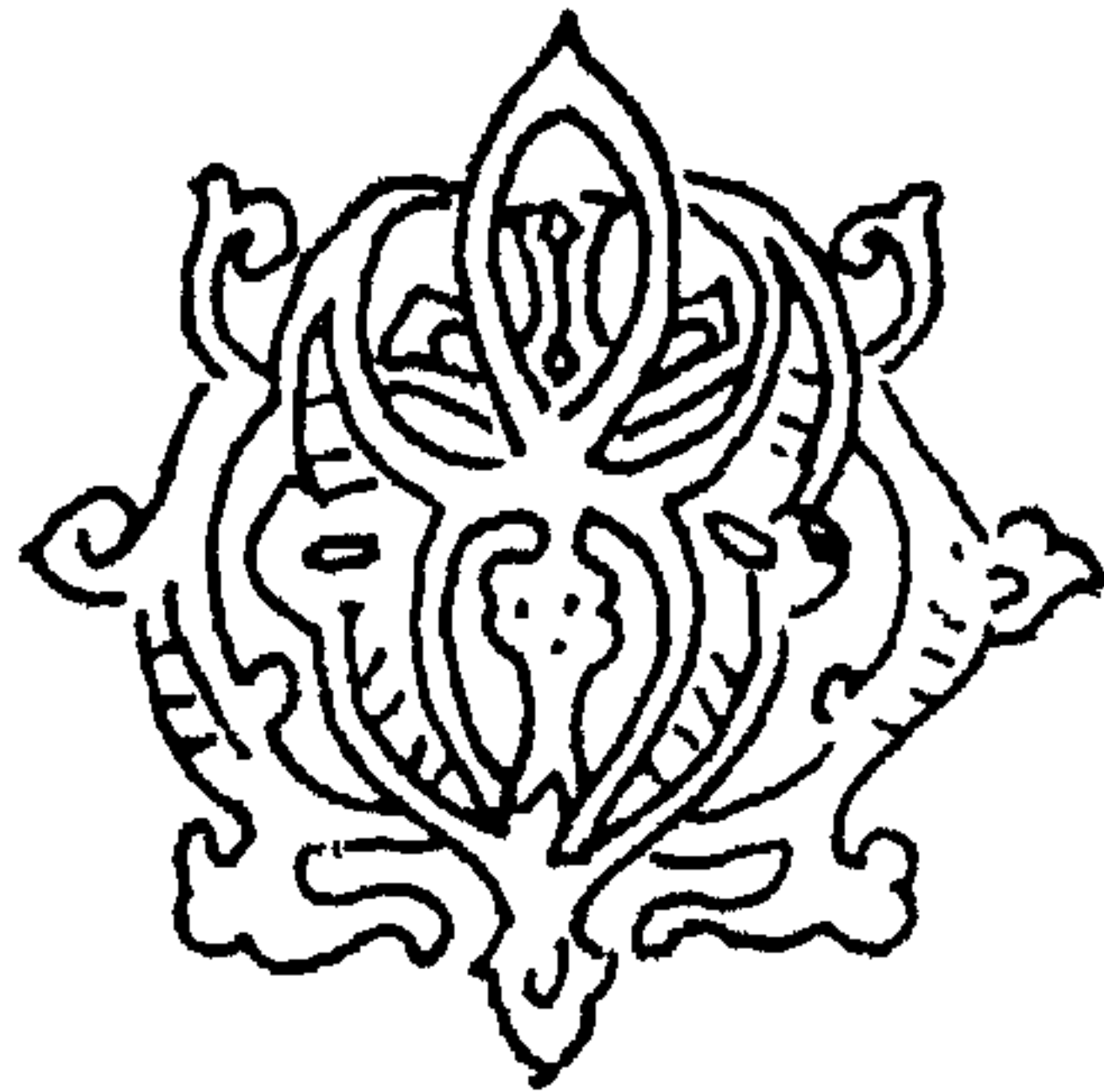
* * *

يا مِصْرُ جئت إليك معتذراً
بتحية لو أمكن العذرُ
بهنيك من جمع غطارفة
للخلد من آثارهم سفرُ
وبهم جلالة الريب في دخن
موب كذاك الأنجم الزهر

* * *

يا مِصْرُ والكلم النبيلُ زكا
في « مجمع » جلي به الفكرُ
قد هب للفصحى فجدها
لفظ حكيم موق بكركُ
وتلأ الألب الرفيعُ به
نوراً كما يتنفس الفجرُ
أفليس لي إلا أشيدُ به
زهواً ويملاً ماضغى الفخرُ

الدكتور ابراهيم السامرائي
عضو المجمع (العراق)



تأملات في الترجمة

للدكتور محمد عزيز الحجابي

اختلاف لجنة تنظيم هذا الاحتفال الخمسيني مباحث ، منها « الترجمة من العربية وإليها » وهو مبحث مهم جداً ، سيكتفى هذا العرض بتقديم تأملات عن الترجمة ، في المعنى التقني وفي معان أشمل .

* * *

ينكب شعب على الترجمة عندما يشعر بالحاجة إلى توسيع آفاقه المعرفية . فحركة الترجمة ، عند العرب ، لم تبدأ إلا عندما اختلطوا بثقافات جديدة لم يكن لهم عهد بها أي بعد أن اعتنقت شعوب غير عربية الإسلام وأخذت تتعلم العربية ، لغة القرآن ، وتدخل فيها مباحث ومفاهيم جديدة إذالك انطلقت تيارات كانت خميرة لما سيمسى بـ « الحضارة العربية الإسلامية » إن الدوافع إلى الترجمة كانت ملحة وقصدية : إنها حركة فرضتها ظروف تاريخية أبدعها الإسلام ودخلت المجتمع الحديد ، عنوة فرمت إلى نقل ما عند الآخرين إلى العرب . لقد كان نقلا غائيا استلزم اختياراً لما يجب ترجمته ولما يجب تجنبه . ترجمت ، عن اليونان ، كتب في المنطق والفلسفة (الحكمة) وأعرض عن الأدب (شعر ومسرح) .

انها ترجمة انتقائية :

وحتى ما ترجم لم ينقل كما هو ، بل دخلت عليه ، أحيانا ، تأويلات ونلخص بعضه وشرح بعضه ، رغبة في الوضوح والتبسيط ، أو رغبة في التكييف حسب ما يلائم المبادئ الإسلامية . إن مثل تلك الرغبتين ، رغم ما فيهما من منافع تسيئان أحيانا إلى النصوص المترجمة .

* * *

ومما يلاحظ اليوم ، على الترجمة إلى العربية ، أنه كثيرا ما يفضل المترجم أناقة الأسلوب على الدقة ، فينحرف شيئا ما عن النص الأصلي ، حفاظاً على « فصاحة العربية » وبيانها . فمثلا ، افتن مصطفى لطفي المنفلوطي في أسلوب ترجمة « غادة الكاميليا » إلى درجة أن صيغتها العربية « ألد » منها في الصيغة الأصلية ، وهذا ما يطلق عليه ، عند المترجمين « الحميلات الخائبات في الزواج » :

ومن جهة أخرى ، إن الحرص على الدقة وهو فضيلة يدفع أحيانا إلى ترجمة حرفية
تضيق عبقرية إحدى اللغتين ، المنقول إليها أو المنقول منها وقد تضمحل عبقرية كليهما .

* * *

للفظ « ترجمة » معان أخرى أعم من النقل من لغة إلى لغة ، يترجم الفرد إحساساته وحسياته
شعراً أو تشكيلاً أو أنغاماً ، كما يترجم الفرد عما يشاهده ، إما لغويا وإما بأرقام ... بيد
أنه ، حتى في هذه الأحوال تقع عملية نقل من حال إلى حال مغايرة .

ولماذا « النقل » ؟

إن المعطيات تبرز أول ما تبرز في حال خام ، وتكتسب وضوحاً ودقة بفضل الانتقال
من . . . إلى . . . إنه تحول يكيفها فتصبح قابلة للتطور .

تنقوى النظريات العلمية وتزدهر عندما « تترجم » إلى أرقام أو معادلات أو رموز ،
كما تتبلور عواطفنا عندما تتحول شعراً أو قطعة موسيقية . إذ ذاك ترتفع الألفاظ من تسمية
الخاص إلى العام ، ومن المحسوس إلى التجريد لتسمى مفاهيم وتصورات قابلة للتنظير .

تلك بداية التفلسف أو التأمل العلمي .

تتطرق الترجمة في معناها العام لنص مكتوب ، أو ظاهرة حسية ، أو شعور . .
فيحول ذلك إلى شيء آخر أو حال أخرى ، دون أن يعزله عن هويته : إنه هو هو ،
وفي نفس الآن ، إن هويته السابقة لم تبقى هي هي بأتم الكمال ، لقد دخلت إلى حد
ما طوراً جديداً ، من حيث الشكل أو المضمون إنه طور جديد ، بيد أنه ليس الطور
الوحيد فكل ما يفتح على التجدد أو التجديد مرة فيظهر قابلية على أن يتغير مرات .

لقد ترجمت بعض نصوص ويليام شيكسبير إلى العربية ، وأعاد مترجمون
آخرون الترجمة ، فبدت اختلافات ملحوظة بين الترجمات إذ لكل مترجم انفعال خاص
مع النص ، كما أن قوة الإدراك ، والمعرفة باللسان الإنجليزي أو بالعربية ليستا من نفس
المستوى وكذلك الخبرة والمرونة تتفاوت من مترجم لآخر ، فالذاتية تتدخل أردنا
أولم نرد ، في كل ما نمارسه فنقلص أو نضيف إليه شيئاً منا ، وبما أننا نتطور
بمقتضى الصيرورة التاريخية المألوفة للحياة ، يتطور معنا مجموع أفعالنا ،
فانفعالات الطفولة والقدرة على العقلنة ليست هي انفعالات الكهولة وقدراتها وتجاربها ،
وللمهينة تأثير على أسلوب الترجمة ومن جهة أخرى ، غالباً ما يتحري الجامعيون
الباحثون الدقة ولوينات الألفاظ والعبارات ، في حين أن المترجم العادي يكتفى بإيصال

المعنى العام ، وقد يتغلب على صعوبة بعض العبارات أو الجمل بحذفها « كم من حاجة قضيناها بتركها » .

لذلك ينزع المترجمون نحو الأمانة ، ولكن الأمانة التامة صعبة المراد . لقد قيل بأن كل ترجمة ضرب من الخيانة .

* * *

صلاحية الترجمة :

إن الترجمة تمرين جد مجد في تكوين الحاسة اللسانية لدى الفرد تزداد بالعربي إتقاناً للسان الأجنبي الذي يترجم منه أو إليه ، وبالتالي ينمي معرفته بالعربية نفسها . ومن جملة مزايا الترجمة ، تكييف الأفراد على التواصل مع الآخرين . ثم إنها عنصر تخاطب الثقافات كما هي عنصر انسجام داخل نفس الثقافة بين الفنون ومختلف أصناف المعرفة .

وبالنسبة لجمهرة من العرب والمعربين والمستعربين الذين تعودوا على الإكثار من الحشو و رغبة في السجع أو التفتيح بالمتزادات وعلى استعمال الغريب ، حيننا إلى الماضي وإظهاراً للاطلاع ، تعلم الترجمة الإدراك والدقة في التعبير . فالترجم إلى العربية مضطر ألا يخرج عن النص لكونه محاصراً داخل اللسان المترجم عنه فلا ينقل إلا ما هو موجود وكل إضافة تحسب عليه . إما أن يبقى حذراً وإما أن يخون النص ومن واجباته أيضاً ألا يترك النص يحرقه خارج الواقع المعطى في تجريدات حتى يغدو هو نفسه يتخبط في التجريد :

* * *

على هذا تبقى الترجمة في المعنى العام جسراً بين الثقافات ، وأداة تواصل بين الأفراد وبين الشعوب ، وتكييف للأذهان إنها محرك دينامي للتطور وللصيرورة .

وبالإضافة إلى كل ذلك للترجمة دور هام آخر : إنها تسهم في صنع تاريخ الشعوب والأمم كما تنمي تاريخية الأفراد والجماعات .

* * *

دخل الأوروبيون عصر النهضة الأولى (القرن الثاني عشر الميلاد) بعد أن مروا بمراحل خلقتها ونمتها الترجمة فتغيرت أو ضاعهم وانطلقوا في تطور حضارى من حسن إلى أحسن . وقبل الأوروبيين ، عرف العالم العربي - الإسلامى إقبالا على الترجمة ، ومالبث أن أصبح مبدعاً في شتى الميادين الحضارية .

نفس الوضع في عهد النهضة الأوروبية الثانية (القرن ١٥ والقرن ١٦) : اكتشاف جديد للآثار الفكرية الأدبية اليونانية واللاتينية عن طريق الترجمة ، نتجت عنه إنسية ورمت في تطورها ، إلى الشمول . وهذا التطور حقق الغرب حضارة التصنيع التي هيمنت على الإنسانية قرونا ، وها هي تستعد لطفرة جديدة نحو حضارة ما بعدالتصنيع ، ودأما بمشاركة الترجمة الفعالة .

والملاحظة القارة التي تستخلص استنتاجا واستقراء ، هي أن كل نهضة تمر بمراحل ، ولكل مرحلة أسلوب في الترجمة بحيث إن المراحل المزدهرة يوازيها ازدهار المترجمين إنه تطور متصاعد ومتنام .

* * *

ما التطور :

كل منظومة حية تمر بمراحل انتقائية ، وأحيانا بمجرد تحركات انتقالية عشوائية بيد أن الانتقال وإن خضع لنظام ، طبقاً لقوانين ، ليس دائماً تطورا ، فقد تكون حياة ولا يحصل تطور فالتطور انتقالات حسب أنظمة موجهة أي إنها تخضع لتصميمات مسبقة ، وكل تصميم يجسد مشروعا ويرمى إلى تحقيق غاية .

العالم كله يتحرك إلا أن من بين الشعوب ما ينتقل طبقا لخطاطات تقطر السير إلى الأمام ، ومنها ما يتحرك في مكانه لا يبارحه ، أو يرجع إلى الوراء وفي كلتا الحالتين ، لا ينشأ عن ذلك إلا خلل في المسيرة . ويسمى هذا الخلل « تخلفا » أي سيرا إلى الخلف أو الدوران دون محور إنه نوع من حركات تتعب ولا تنتج « جمعجة ولا أرى طحنا » ومهما تضخمت الضوضاء لن « تغنى من جوع » .

* * *

يطلق « التخلف » على منظومة لا تتناسق عناصرها ، فتتحرك حول نفسها لا يقابل « التخلف » بالضرورة « التقدم » ، لأن التقدم لا يحصل إلا إذا أحكمت استراتيجية التطور قد يسجل نمو ومع ذلك لا يتبعه تقدم على أن التقدم والتخلف كلاهما حركة تاريخية أي تطور إلى الأمام أو إلى الخلف ، فالعالم المصنع ينمو ، والعالم الثالث يتخلف وإن النمو عنصر من عناصر التطور ، وعندما تكون أمة نسقاً واعيا لا استراتيجية التطور تبدأ

المراحل تتدرج والخطوات تتابع من سريعة إلى أسرع حتى تتكامل ، إذك تستثمر الأمة أكثر ما يمكن من إمكانياتها ، حسب ما تسمح به الوسائل المتوفرة .

مستقبل ما :

بفضل ذلك النسق ، وبفضل تلك الاستراتيجية ، تتبلور لدى الأمة آفاق المستقبل وتخطط لها تصميمات ، وتبنى المشى الآنى والبعيد ، حسب قيم شمولية وبتلك القيم ، تحدد معايير السلوك الفردى وللمعاملات ذلك نوع من التقدم .

أما النوع الثانى فعبارة عن نزوع نحو نماذج حياتية لم يتم بعد تحقيقها ، فتعمل الأمة على الاقتراب منها ، تدريجيا .

* * *

الترجمة والازمات :

من الملاحظ أن حضارة التصنيع ، منذ أن بدأت تهمل التفتح على ثقافات البلدان غير المصنعة ، لا تترجم منها لتتعرف عليها بل أخذت تحتقر كل ما هو ثالثى ، باستثناء ما بالعالم الثالث من مواد خام تستغل اقتصاديا منذ ذلك ودخل الغرب عصر تنامى الأزمات المختلفة والصراعات الداخلية والخارجية .

نعم يعيش اليوم الغرب فى تقدم رائع علميا وتقنيا ، بيد أنه افتقد التقدم الخلقى والاطمئنان النفسى ، والمتعة الوجدانية (راحة البال وراحة الضمير) إنه تقدم ما دام هناك تطور به يسير الغربيون إلى الأمام إلا أنه تقدم مهزوز ، مسيرة بدون مقاصد . وسبلها بلا معالم لقد باغت الحياة عتبة التيه فى متاهات اللا - معنى والاستهتار. رمى التصنيع أول مارمى ، إلى ترقية الإنسان ثم بات معاديا للإنسانية ، لا يترجم آمالها ولا يخفف من آلامها لقد فتحت كل الأبواب أمام « مارس » إله الحرب ، وسخرت له رؤوس الأموال ومخاخ الرؤوس المفكرة ، فحازت أسلحة الدمار على قصب السبق فى الرواج ، بالنسبة لبقية البضائع ، واستحوذت على اهتمام رؤساء الدول ، كبيرها وصغيرها . إنه تخلف جهنمى شامل وشمولى ، أن تقضى عليه لإقوات متجددة تتجه بعزم ، لترجم الحاجات الإنسانية وآلامها بالتساوى . إذك تقرب وتلين القلوب وتسخى وتتعاون الحيوب .

أمام هذا المشروع الأمل يقف عائق عنيد : إن الدول القوية وأذيالها من « برامكة » الدول الضعيفة ، يترجمون على ذواتهم من مرآة السلطة ومركب الكمال ، فيكون أفكار

مسبقة ونظريات قبلية ، إنهم يحتقرون غيرهم ويزرعون بذور مركب النقص ، ويرعون نمو الاستلاب والشعور بالدونية عند الضعفاء .

هل من مخرج ؟

تلك استراتيجية استغلال واستعمار ترمى إلى اصطدام بين أنماط الزمان ليتعكر سير التاريخ ولتعرض الذاكرة الجماعية إلى ثقب تصيب الشخصية بخلل ، فلا تبقى وسيلة للتمييز بين ماض وحاضر ومستقبل :

إن الماضى زمن الذاكرة والتذكر حيث تدخر المشاهدات والإحساسات لتبرز عند الحاجة ، مترجمة فى ذكريات ، وترسم على شاشة الحاضر وما الحاضر ؟ إنه زمان تداعى المعانى ، والنش عما علق بالذاكرة مع التوق إلى ما سيكون . أما المستقبل فزمن المغامرات والتخوفات التى تترجم فى تصميمات تحيى فى توثر الحال إلى ما سيأتى ، وقد لا يأتى .

وبتعاون الأنماط الزمانية الثلاثة يُترجم نمط رابع ، هو زمان الآمال الذى ينشط الحاضر ويحرّضه على الحركة والمغامرات .

يدخل مركب النقص عطبا على ذلك التعاون فمن الأفراد من ينكر وجود ذلك النمط الرابع باسم الواقعية والموضوعية ، ومنهم من يرفضونه لأنهم لا يقدرّون على تصوّره وترجمته موضعيا ، فى الواقع .

لكن أسأل أولئك القوم : هل الماضى واقع ؟ لقد « مضى » ودخل عالم التخيل إنه موضوع ما أصبح فى « خبر كان » وعندما يساند التذكر التخيل ، يأتى خليط من الذكريات ، كما كانت وكما اصطنعها الحاضر .

والحاضر ، كيف يحكم على واقعه وموضوعيته وهو ما زال لم يستقر له قرار ، لم ينته

لتعرف كل أبعاده؟ إن الحاضر نمط بين نمطين ، فلا هو ماضى تم وانتهى ، ولا هو مستقبل بدأ

والمستقبل ليس أكثر كثافة من الحاضر . فكيف التحدث عن واقع ما لم يحل بعد ؟

وبالنسبة للنمط الرابع إن واقعه مغلق ، لأن الآمال هى كذلك فى وضع بين بين : قد

تتحقق ، وقد لا تتحقق إنه زمن يترجم عن رغبات وقاما تتوفر لأية رغبة كل الإمكانيات الضرورية لتحقيقها :

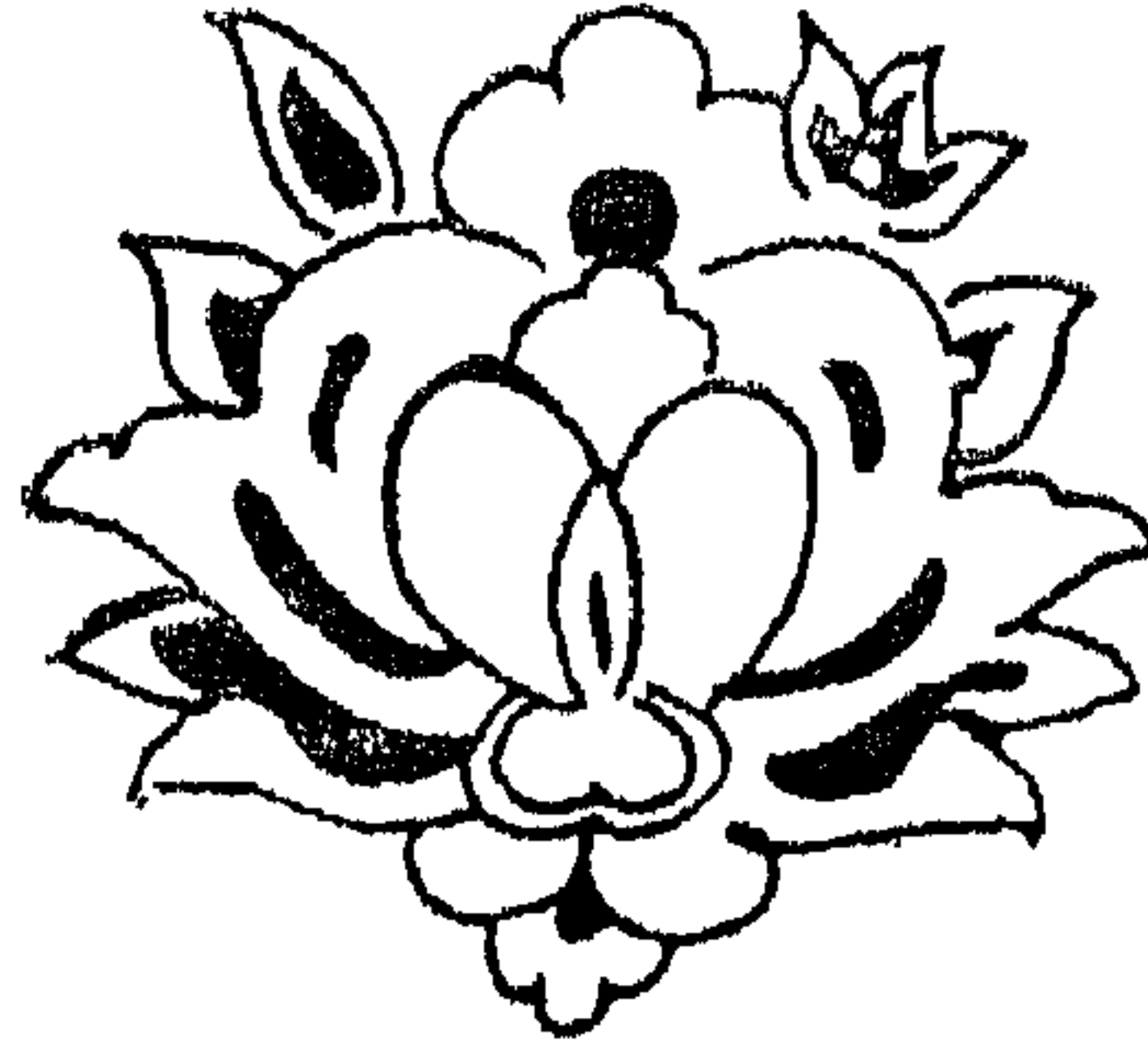
أفما آن للثالثين أن يترجموا عن أنفسهم بأنفسهم فيتطورون وبتطورهم يطورون رؤية الآخرين عنهم ؟

أفما آن أن يتجرؤوا فيقوموا بقطيعة جنارية مع حضارة التصنيع التي همشتهم وجمدتهم في مواقف التخلف واليأس ؟

إن قطيعة من هذا الحرم لكفيلة بأن تنقذهم من الهوان ، وتعيدهم إلى صف البشر فيلجوا عهد المغامرات من أجل وعى الذات والصراع المصيري لا استعادة الكرامة الفردية والتاريخية .

ذاك هو الشرط الأساسي لترجمة الواقع ترجمة واعية والتصرف فيه بموضوعية فبدون تلك القطيعة ، لا نرى سبيلا جديا للخروج من الرؤى الخرافية التي أعمت وصممت الثالثين عن ترجمة الواقع وعن الالتزام بضرورة التغيير :

الدكتور محمد عزيز الحبابي
عضو المجمع من المغرب



بعض خصائص لغة المخاطبة بين اللغة الفصحى واللهجات في العالم العربي للكوثر جرجوري شربانوف (*)

الدراسات العلمية للهجات العربية من أهم اتجاهات مجمع اللغة العربية باعتبارها مصدراً قيماً لدراسة تاريخ اللغة والفولكلور والوضع اللغوي الحاضر. وقد أشار السيد وزير التعليم والبحث العلمي في كلمته إلى ضرورة دراسة اللهجات . يشير علماء اللغة عادةً في دراساتهم العربية إلى النموذج الشنائي أو الطراز الشنائي للغة العربية أي يشيرون إلى الشكليين لكيانها وهما اللغة العربية الفصحى واللهجات العربية .

وفي سير التطور التاريخي والاجتماعي للبلدان العربية منذ مطلع القرن العشرين تجلت نزعة ملموسة إلى التقارب والتعامل والتأثر بين اللغة الفصحى واللهجات ، وشاهدنا أنه في النصف الثاني من هذا القرن تنشطت أكثر فأكثر عمليات نشأة وتكون لغة المخاطبة أو لغات المخاطبة. والفضل الكبير في هذه العمليات يعود إلى السينما والمسرح ، ووسائل الإعلام العصرية كالراديو والتليفزيون والصحافة والأدب الفني نشرًا وشعرًا ، كما يعود هذا الفضل إلى توسيع شبكة المدارس وحركة محو الأمية إن تطور الخصائص التكوينية والوظائفية والأسلوبية للغة العربية في المرحلة الحاضرة يبرهن نشأة الطراز الثلاثي للغة : الفصحى واللهجة ولغة المخاطبة ، وفي هذا التصنيف اللغوي الوظائفى يبرز موقعان مقتطبان تحتل أحدهما اللغة الفصحى وتحتل ثانيهما لهجة عربية بأصيق معنى لغوى وأدقها (نقصد لهجة قرية أو قبيلة) .

(*) ألقى البحث في الجلسة الرابعة للعيد الخمسين للمجمع .

وتقع بينهما، أى بين الفصحى ولهجة محلية، تقع لغة المخاطبة الإقليمية أو لغات
المخاطبة الإقليمية للأقطار العربية.

وتتملك اللغة العربية الفصحى بكثرة الأساليب الكتابية وتستعمل في أغلب
أحيان في لغة الكتابة ومع ذلك التطبيق الشفاهى للغة الفصحى مقصور ومحدد
بمجالات الحياة الرسمية.

أما لغة المخاطبة لكل بلد عربى- هى وسيلة أساسية لاتصال السكان الشفاهى
في حياتهم اليومية (في البيت، في السوق، في الشارع) - يسمى هذا الشكل
اللغوى في بعض الدراسات العربية لغة ثالثة أو وسطية، أو وسطى تارة ولغة
عامية لهجوية- أو لغة نصف الأدبية، لغة المخاطبة الشعبية، لغة محكية تارة أخرى.

ولغة المخاطبة، في رأينا لها عدة مستويات:

أولاً: لغة المخاطبة لمدينة وهى تتكون في سير تطور ثقافة المدن العربية نتيجة
التعامل النشط بين مختلف التيارات اللهجوية، التى لاتستوعبها لغة المخاطبة وترتفع
فوقها، مثلما نرى في لغة المخاطبة لأهلى الموصل والبصرة في العراق، أو في حلب
وحمص واللاذقية في سورية.

ثانياً: لغة المخاطبة لمحافظة أو إقليم وهى منتشرة في أرض واسعة متلاحقة لعدة
أماكن (من مدن وقرى) مثل لغة سكان الصعيد، الوجه القبلى كافة جنوب مصر.

ثالثاً: لغة المخاطبة للعاصمة التى تكونت على أساس اللهجة القديمة للعاصمة مع
اجتذاب عناصر لهجات ضواحي العاصمة مثل لغة المخاطبة لأهالى القاهرة وبغداد
ودمشق والخرطوم، أو تشكلت من جراء السيلان العاصف للجماهير الغفيرة والبدو
إلى العاصمة مثل لغة المخاطبة في نواكشوط بموريتانيا وطرابلس بليبيا.

رابعاً : لغة المخاطبة العامة لكافة شعب بلد ما : وهي تستند على لغة العاصمة مع التفاعل الوثيق مع لغات المخاطبة الإقليمية واللهجات الريفية والبدوية .
هذا ما يتعلق بمكانة لغة المخاطبة .

أما فيما يختص بالتكوين اللغوي فيمكننا أن نرى بجلاء ووضوح أن لغة المخاطبة من حيث التكوين مبدئياً شبيهة لهجة المحلية لأن لغة المخاطبة - شأنها شأن اللهجة - اكتسبت النظام التحليلي analytical system فقدت الإعراب ووفقاً لهذه العلامة اللغوية النموذجية (tipological) هي (أى لغة المخاطبة) تخالف اللغة الفصحى التي تتميز بثبات بنظامها التركيبي . (Synthetic System)

وماذا نقصد بالنظام التحليلي والنظام التركيبي في اللغة العربية ؟

مثلاً : في مسرحية الهاوية لمحمد تيمور : يقول أحد أبطال المسرحية عن مروحة زوجته بهذا الشكل : المروحة بتاعة الست بتاعتي .

وهنا استعملت الكلمات الإضافية لتوضيح علاقات الكلمات في الجملة .
نأخذ مثلاً آخر نقول باللغة الفصحى : خرجتُ من البيت ورأيتُ رجلاً يغني قرب الباب (رأيتُ رجلاً) فيقولون في مصر في هذه المناسبة : سُفِّتُ واحدٌ راجلٌ ، في العراق وبعض بلاد الخليج : مَشْفِيتُ فِدُ رجال ، في الجزائر : حالرجال (من واحد الرجال) .

أما مفردات لغة المخاطبة فلها طابع عام جامع باستثناء ألفاظ ضيقة الاستعمال خاصة للهجة محلية فقط . وتُصبح مفردات لغة المخاطبة للمدينة أكثر ثراءً وتنوعاً من مفردات لهجة محلية لأنها (أى لغة المخاطبة) ضمت إليها عدداً لا يستهان من الألفاظ والتعابير الفصيحة (بما فيها المصطلحات الاجتماعية السياسية والفنية العلمية) كما استوعبت بالكثرة ممتبساتٍ حديثة من اللغات الأوروبية المعاصرة .
إننا نلاحظ كذلك بين لغات المخاطبة في المدن من جهة ، واللهجات الريفية

من جهة أخرى - فروقاً تكوينية ملموسة في الأصوات والنحو والصرف ، والجدير بالذكر أن مفردات لغة المخاطبة في المدن العربية الكبيرة عبارة عن مجموعة متقاربة متلاحمة بمزاياها العامة عن لهجات الريف والبدو. فقام بعض المستشرقين في السنوات الأخيرة بالدراسات المقارنة لمفردات لغة المخاطبة بالمدن السورية واللبنانية وبعض المدن العربية الكبيرة (القاهرة ، وبغداد ، وجدة ، والدار البيضاء) . واتضح من هذه الدراسات مثلاً أن درجة قرابة المفردات السورية اللبنانية للمفردات الفصيحة عالية وتبلغ ٩١٪ ، كما تبلغ نسبتها المشتركة مع مفردات المدن المشرقية بصورة عامة ٨٤٪ ، وتتدنى هذه النسبة المشتركة مع ألفاظ المدن المغربية إلى ٧٨٪ .

ونلاحظ اختلافات محسوسة في لغة المخاطبة حتى بين مفردات المدن في بلد واحد ، ونرى مثلاً كيف تختلف الألفاظ في بور سعيد من المترادفات المستعملة في القاهرة :

بور سعيد : (١) بازار (٢) تنوره (٣) بلحان (٤) ألس

القاهرة : (١) سوء (٢) كومبيليزون (٣) لوكس (٤) إترياً
كُونبِينِيْزُون

ونجد في مختلف المدن الجزائرية مثلاً المترادفات التالية بمعنى (أرجوحة)
جَعْلَوَاه ، جوجلياه ، تَعْلَايلَه ، دُوَيْغَه ، مَحْلَحْلَه ، حَلِيْزَه ، جُلَيْسَه ، مَتِيْنَسَه ، تَتِيْسَه

ونود فيما يلي أن نقدم نتائج بعض بحوثنا الميدانية في البلدان العربية وذلك مايشير إلى الفرق الكبير في المفردات بين لغة المخاطبة في القاهرة ولهجات الفلاحين في قرى الدلتا والوجه البحري عامة ، وكذلك بين المفردات في لغة أهالي بيروت ولهجة قرية صوانه الواقعة في جنوب لبنان على بعد ١١٠ كيلومتراً من بيروت .

<u>القاهرة</u>	-	<u>الدلتا</u>
سُلْطَانِيَّة		تُبْسِيَّة
فَتَّة		تَسْتِيَّة
طَبَقْ		صَحْن
بَطَّة		بَحَّة
بَيْت (مدام في لغة المثقفين)		جماعة
بَيْتْ		دار

* * *

<u>بيروت</u>	-	<u>قرية صوآنيه</u>
هَلَّا (الآن)		إِسْه إِسِي
بِنَطْلُونْ		شِنْتِنِي
كَالْبِتْ (جوزب)		الْبِسِين
شَمْحَاطَه (علبة)		كَبْرِيْتِي

ثم هناك عامل اجتماعي من نوع آخر يجب أخذه بعين الاعتبار ، نقصد درجة ثقافة المتكلم وعمق معرفته للغة الفصحى وهذا ما يلعب دوراً لا بأس به في اختيار المفردات والتراكيب المرادفة في الحوار بلغة المخاطبة اليومية ، وبالتالي يؤدي إلى تأثير لغة المثقفين (الغنية بالألفاظ الفصيحة) في لغة المخاطبة العامة عند أهالي المدن ورفع مستواها وتقريبها إلى الفصحى. قد يستعمل العربي المثقف. المتعلم في حديثه اليومي مفردات خاصة أكثر تقارباً للفصحى تتميز بخصائصها الصوتية وصيغتها النحوية ومعانيها اللفظية. ونسرد فيما يلي بعض المفردات للغة المخاطبة العامة في القاهرة ودمشق وما يرادها من المفردات المترادفات في لغة المثقفين مع الإشارة إلى الفروق بينها على مختلف المستويات اللغوية .

أولاً : الفروق في الأصوات

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
مَسَلًا	مَتَلًا	تَوْرَه	سَوْرَه
ضَابِط.	ضَابِط.	تليفزيون	تليفزيون
كِرْبُ	كِدْبُ	كِدْبُ ، كِرْبُ	كِدْبُ ، كِرْبُ
مُمْكِنُ	مِمكِنُ	استقبال	استتقبال

ثانياً : الفروق في الصيغ الصرفية

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
حَرْفِيَا	حَرْفِ حَرْفِ	حَرْفِيَا	بِالْحَرْفِ
بِيسْتَعْمَلُ	بِيسْتَعْمَلُو	بِيسْتَعْمَلُ	بِيسْتَعْمَلُوهُ
تَمْرِنُ	تَمْرِينُ	أَزَلْ ، أَذَلْ	زَلْ

ثالثاً : الفروق في التراكيب النحوية

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
كِبَارِ الضُّبَّاطِ	ضِبَّاطِ كِبَارِ	كِبَارِ الضُّبَّاطِ	ضِبَّاطِ كُبَّارِ
لِبْنَانِي الْأَصْلُ	أَصْلُهُ لِبْنَانِي	ضَبِيقِ الْأَفُقِ	عَالِهِ ضَبِيقِ
بَدِيتِ الْحَرْبِ	بَدَى الْحَرْبِ	بَدُونِ شَكِّ	مَفْيِشِ شَكِّ

رابعاً : الفروق في الألفاظ المترادفة

دمشق		القاهرة	
لغة المثقفين	لغة المدينة عامة	لغة المثقفين	لغة المدينة عامة
تَوْفِيع	إِمضَا	تَوْفِيع	إِمضَا
مُبَاشِرَةٌ	دِغْرِي	مُبَاشِرَةٌ	على طُول
دَائِمًا	عَلَى طُول	بِسِيَان	زَيُّ بَعْضِهِ
دَخَلَ	فَات	صَلِيق	صَاحِب
حَوْل	جَرَّب	القَاهِرَة	مَضْر
يَوْمًا مَا	شَيُّ يَوْم	رُوج	أَحْمَر شَفَايِف

ومن حيث الخصائص الوظيفية والأسلوبية تختلف لغة المخاطبة عن الفصحى ببعض العلامات الجوهرية :

أولاً : لكونها لغة للحوار اليومي الشفاهي ، هي تستخدم بعض مجالات الحياة الرسمية وكذلك في الكتابة وإن كان النطاق محدوداً في المسرحيات . والشعر الشعبي ، السينما ، في بعض برامج الإذاعة ، في الأغاني . . . إلخ .

ثانياً : لغة المخاطبة اليومية - خلافاً للهجات - غير محددة ومقصورة في مساحة استعمالها لأنها تفهم وتقال في أراضي البلد كلها .

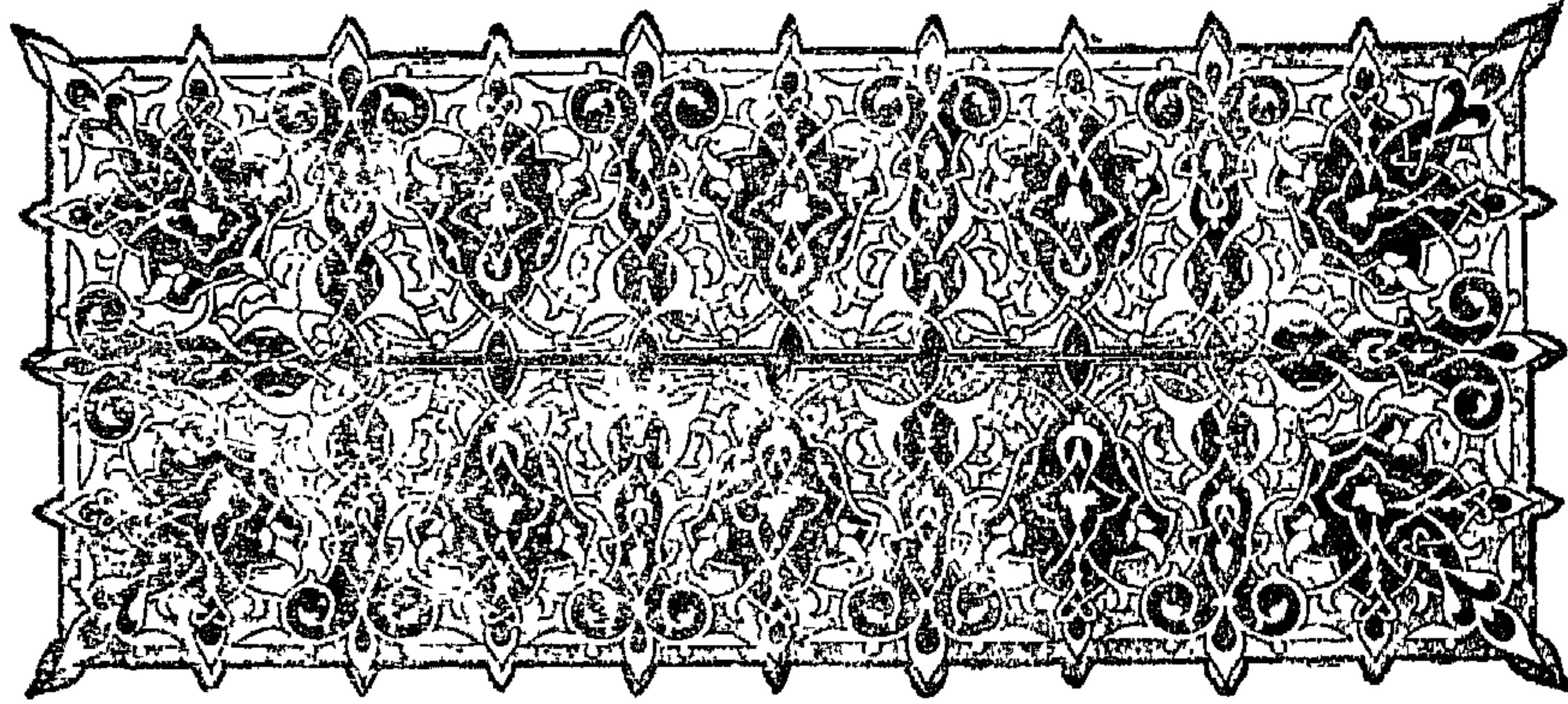
ثالثاً : يلجأ إلى لغة المخاطبة في الحوار اليومي في المدن كل من يعرف الفصحى ومن لا يعرفها .

أيها الزملاء الأجلاء: باهتمامنا بدراسات اللهجات العربية ولغة المخاطبة اليومية لسنا من دعاة اللهجات ، إنما نحن أنصار اللغة العربية الفصحى. ولهذا السبب لا يجب إهمال الواقع اللغوي الاجتماعي لكي تحتل اللغة العربية الفصحى مكانتها في كل عائلة عربية وكل مدرسة وجامعة عربية .

تستحق هذه اللغة - اللغة العربية الساحرة الخالدة - كل العناية والرعاية ، نسمعها كل يوم ونتمتع بها ، وهي الحسناء الجميلة ، وتقول للقمر : قم وأنا أقعد مطرحك ، وقد شغلت محل القمر والنجوم وأصبحت نجمة كبرى في سماء العروبة بارق الأمل ، وتتألاً لأولوة الرجاء وتنير طريقنا كشمس ساطعة ترسل إلينا أشعة الانبعاث والازدهار للعلم والحياه .

الدكتور جريجورى شرباتوف

عضو المجمع من روسيا



تهنئة مجمع اللغة العربية في عيد الخمسين للاستاذ حسن عبدالقريشي

كُلُّ يَوْمٍ آيَةٌ لِلنَّاطِرِينَ لَكَ تَجَلَّى يَا عَرِينَا الْخَالِدِينَ !
 قِفْ هُنَا فَالْخَيْرُ ثَرٌّ كَالْحَيَا حِينَ يَسْقَى الرَّوْضَ بِالمَاءِ المَعِينُ
 قِفْ هُنَا تَخْتَلِجُ الرُّوحَ هَوَى فَرِحَةٌ يَبْعَثُهَا النَّصْرُ المُبِينُ
 مَجْمَعُ المُصْحَى أَفْدِيكَ فَكَمْ لَكَ فِي الخَافِقِ مِنْ مَأْوَى مَكِينُ
 هِيَ خَمْسُونَ ، وَلَكِنْ رِيْعُهَا بِالسَّنَاءِ السَّاطِعِ قَدْ أَعَشَى القُرُونُ
 هِيَ خَمْسُونَ ، وَلَكِنْ فَيَضُهَا أَخْصَبُ المُصْحَى بِمَا أَثْرَى المِثِينَ !
 لُغَةُ القُرْآنِ مَا أَعْظَمَهَا خَيْرٌ مَذْخُورٌ لِدُنْيَا وَلِدِينُ
 صَدَّتْهَا عَنْ عَيْثِ فَارْتَفَعَتْ فِي الدُّنْيَا عَنِ كَيْدِ كُلِّ الكَائِدِينَ
 وَتَبَدَّتْ كَعُرُوسٍ تَأْجُهَا خَيْرٌ تَاجِ ضَاءٍ فِي أَسْنَى جَبِينُ
 أَوْزَقَتْ بَعْدَ ذُبُولِ وَزَهَتْ كَمَرَايَا عَكَسَتْ مَجْدَ السُّنِينِ !

* * *

إِيَّاهُ حِصْنَ الضَّادِ ، كَمْ أَثْرِيَتْهَا ب (اصْطِلَاحٌ وَ اشْتِقَاقٌ) كُلِّ حِينُ
 تَحْصِدُ الدُّوْلُوَّ مِنْ مَكْمَلِيهِ وَتَنْقِي جَوْهَرَ الكَنْزِ الدَّفِينُ
 فَإِذَا الدُّرُّ نَسِيْقٌ رَائِعٌ كَرَحِيْقٌ سَائِعٌ لِلشَّارِبِينَ

* * *

قُرْنَاءَ الْفَضْلِ مَرَحَى فِي الْعُلَى يَقْتَدِي خَيْرَ قَرِينٍ بِالْقَرِينِ
شَهْدَ التَّارِيخِ وَالذُّنْيَا لَكُمْ مَوْفِقًا أَحْيَا ثَرَاتَ النَّاهِبِينَ
مَعْجَزَاتٍ بَهَرَتْ كُلَّ النَّهْيِ صِنْعَةُ الْمَسْتَبْسِلِينَ الطَّامِحِينَ
رَبُّ سَامِي الْفِكْرِ مِنْكُمْ كَمْ شَرَى لَفْظَةً مُثَلًى بِتَقْرِيحِ الْجُفُونِ
(سَيَّبُوِيهِ) الْفَدُّ كَمْ حَلَّ هُنَا وَ (ابْنِ سَيْنَا) عِبْقَرَى الْبَاحِثِينَ
وَ (كِسَائِي) كَسَا الْعِلْمَ جَدَى وَ (خَلِيلٍ) هُوَ فَخْرُ النَّابِغِينَ
مَا بَنَى هَيْثُمُ بِفَضْلٍ بَادِخِ لَا يُبَاهِي فِي الدُّنْيَا غَيْرَ ضَنِينِ
فَقُصَارَاكُمْ رَضَا اللَّهُ الَّذِي حُبُّهُ يَعْمُرُ قَلْبَ الْمُؤْمِنِينَ !

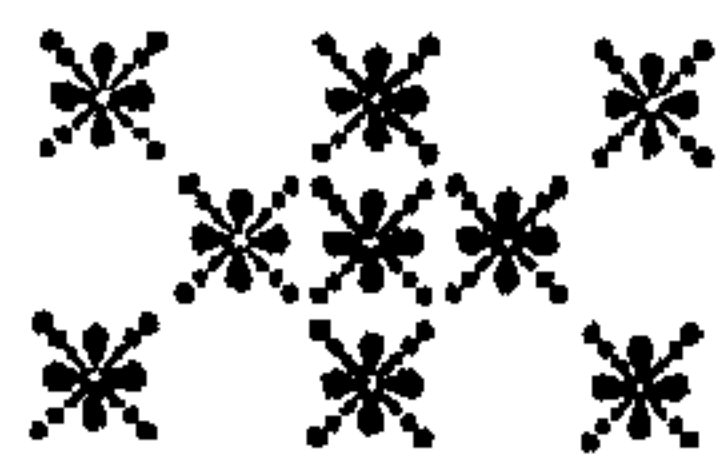
* * *

وَبِنَاءٍ قَدْ غَدَا أُعْجُوبَةً أَخْضَعَ الْمَالُ لَهُ كُلَّ قَدَمِينَ
سُخَّرَتْهُ الْفَنُّ لَهُ وَاحْتَشَدَتْ آيَةُ الْعِمَارَةِ الْجُهْدَ الصَّانِعِينَ
حَضَنَ الْفِكْرَ مِثَالِيًّا وَمَا أَرْوَعَ الْبِذْلَ لِفِكْرِهِ النَّابِغِينَ
فَهُوَ مَثْوَى أَنْسَرٍ أَوْ شُهْبٍ وَعَرِينٌ لِلنَّهْيِ خَيْرُ عَرِينٍ !

* * *

قَادَةَ الْفُصْحَى سَلَامًا فِيكُمْ عَبَقَ الطَّيِّبُ ، وَنِبْرَاسُ الْيَقِينِ
سَوْفَ تُجْزَوْنَ مِنَ الْمَوْلَى عَلَيَّ مَا بَدَلْتُمْ رُوحَ جَنَاتٍ وَعَيْنَ !

حسن عبد الله القرشي
عضو المجمع من السعودية



العامية وفصحى في القاهرة والرباط (*)

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

في هذا الجمع الحافل نحى بكل اعتزاز وإكبار اليوبيل الذهبي لظهور مجمعنا الموقر مجمع اللغة العربية بالقاهرة كمجمع رائد أخذ على نفسه منذ اللحظة الأولى إمداد العروبة بالرصيد الأصيل للغة الضاد لغة العلم والحضارة والتكنولوجيا ولوجية وقد وفى في شمولية نادرة وعمق وبعد كبيرين، بهذا الوعد الخطير مما جعل منه المنتدى العروبي الوالد الذى برهن بمنجزاته الرائعة عبر خمسة عقود من السنين على أن لغة القرآن كانت ولا تزال منبع الكلمة الرصينة الخزلة الطبيعة ذات المحتوى العلمى والحضارى الدقيق .

وقد كان لإبداعات مجمعنا - الذى يضم فى رحابه العامرة أقطاب الفكر وجهابذة العلم من أبناء الوطن العربى - القول الفصل فى سيولة الكلمة وشيوعها فهنيئنا لمجمعنا بعيدة الذهبي وهنيئنا للعروبة بهذا الكيان الذى تنصوى تحت رايته معترزة فخوراً .

أما البحث الذى اخترناه لهذه المناسبة الفذة فهو موضوع نال من رعاية مجمعنا الحظ الأوفر وسيكون إسهامنا فيه متواضعا يستمد أصالته وبعده من المنهج البناء الذى ركز أسيسته مجمع اللغة العربية فى مئات الدراسات والبحوث التى أبدعها أعضاؤه الموقرون من مختلف أنحاء العروبة .

العامية هى ما يسميه الجاحظ بلغة المولدين والبلديين (البيان والتبيين ج 1 ص 111) وقد لاحظ أن فى كل مدينة ألسنة ذلقة غير أن اللحن كان فاشيا فى العوام (ص 111) .

وقد تحدث أحمد أمين عن العامية فى القرن الرابع ، فقال : « إن اللغة العامية أصبح معترفا بها يبحث فى ألفاظها وأساليبها وينتقى منها خيرها إلا بعض علماء كآبى العلاء المعرى (ظهر الإسلام ج 2 ص 100) :

(*) القاهرة أسست فى القرن الرابع الهجرى والرباط فى القرن السادس .

وأغلب الأصول والقواعد الأساسية مشتركة بين النحوي والعامية حتى ما يتصل بالقلب والإبدال والتسهيل والترخيم والنحت وغير ذلك . وتمتاز العامية بمظاهر بسيطة تجعلها في بعض الأحيان أكثر إيغالا في القلب والتسهيل .

ولهذه الوحدة الأصلية أمثلة لا تنفرد بها العامية في قطر عربي دون آخر بل تفس اللهجات الدارجة في معظم أجزاء العالم العربي ، فمن مجالى التخفيف في اللسان الفصيح والتي أثرت في السنة العامة وجود مترادفات تختلف بعضها عن بعض بإضافة حرف واحد وقد اختار الدهماء لتخاطبهم اليومى أخفها نطقا وإن كان أكثرها أحرفا مما يؤكد أن عقلية العامة لا تنحرف عادة عن الأصيل إلا إذا لم تجد في صيغته ما يتفق وطبيعتها الميالة إلى التسهيل .

وتوجد في مجمع اللغة العربية بالقاهرة لجنة للهجاء من أهدافها استقرار الألفاظ والتراكيب الجارية على السنة أهل الأقطار العربية من الناحية الصوتية ومن ناحية المعنى وتدوين هذا في معاجم وأطالس لغوية وقد اتخذت اللجنة لهجة القاهرة مقبسا وترتكز اللجنة في هذا البحث على تنقل القبائل لما له من أثر كبير في لهجات الأقاليم وتطورها واختلافها (مجلة المجمع جزء 7) .

وهناك مترادفات يختلف ترتيب حروفها مثل جبذ وجذب (جبذ) وخرش وخرشب العمل أى لم يتقنه :

أما النحت فأمثله كثيرة : ويلمه وهى منحوتة من أصلها (ويل لأمه)

صبَّحه أى قال له صباح الخير .

مساءه : قال له مساء الخير :

تويِّل : قال يا ويلى :

فَسَقَمَه : قال له يافاسق .

ما شا الله (ما شاء الله) - ما طيبو (ما أطيبه) - مَحَلَّاه (ما أحلاه) الخ .

ومن أمثلة الإتياع أو الإبدال بنفس المعنى :

العُجْرَ والبُجْرَ - حَيَّيْصَ بَيَّيْصَ - هين لين (سهل) - هش بشش (مسرور) -

الكوع والبوع (كهو وبعو) - الجوع والنوع - شيطان لَيْطَان - حَسَنَ بَسَنَ الخ .

وهناك مئات الكلمات تحكى الأصوات أو الحركات وتتحد فيها اللهجتان .

أما الصيغ فكثيرا ما تتخذ نفس الوزن في العامية والفصحى للتدليل على نفس المدركات كالمبالغة والتفضيل والبقية والسقطة والتظاهر والتشبيه أو التشبه والوصف مثل كثر (مكنوز) وعلاج (دواء) ووقف (موقوف) وغصب (مغصوب) وتفاقر (أظهر الفقر) وتباكى وتحامق وتجاهل وتماوت وتناعس وتشيطان وتفحل وتفرعن وتفرنج وتمدن وتوحش وبخل وجهل وسفه وضعف وفسق وغلط وكفر وأحمق (أى موصوف بالحمق) وأبله وأعمى .

ويجمع المذكر في اللسانين بإضافة تاء مربوطة إلى المفرد مثل : حمارة (أصحاب الحمير) وخيالة ورحالة وعسالة (أصحاب العسل) وتشترك الفصحى والعامية في الاشتقاق المنطقي من ألفاظ ذات معنى حسي مجرد كالحمام (من حم الماء) أى سخنه ومخدة من الحد والسماء من سما أى ارتفع !! .

وقد تعددت اللهجات في الجاهلية بتعدد القبائل الكبرى ونحفت أوجه الاختلاف بما استوثق إذ ذاك من صلوات في الأسواق الإقليمية والمبادلات التجارية والمصاهرات وقد لعبت قريش دورا هاما في انتقاء أجود اللغات ، فنسقت واجتبت أفضل لغات العرب حتى صارت لغتها أفضل لغاتهم (لسان العرب) فنزل القرآن بها وازدادت مظاهر الوحدة تحت راية الإسلام بالرغم عن الفوارق القبلية البسيطة التي ساندتها أحرف القرآن السبعة وقد احتفظت السنة جهوية بميزات خاصة « من حيث التصريف والهيئة والإبدال وأوجه الإعراب والبناء » (متن اللغة ج 1 ص 47) فقريش مثلا تفتح نون المضارعة وأسد تكسرهما والحجازيون يثبتون ما النافية وتميم تهملها أما الاختلاف في الأسماء فلا يكاد يظهر إلا في لغة حمير التي ظلت محتفظة بكثير من مفرداتها (المدينة الحميرية بدل السكينة مثلا) .

ويتجلى الاختلاف بين لهجات العرب في مظاهر مختلفة كالإظهار والإدغام والإشمام والتفخيم والترقيق والمد والقصر والإمالة والفتح والتسهيل والإبدال وهو اختلاف في الصور الظاهرة لمخارج الحروف مع وحدة اللفظ ، وقد عرف العرب منها قديما العنعنة عند تميم وقيس (إبدال همزة عينا) والكشكشة والكسكسة عند ربيعة (إبدال كاف الخطاب شيئا) والغمغمة عند قضاة (وهي إخفاء بعض الحروف) والنفخفة عند هذيل (إبدال الحاء عينا مثل حتى وعتي) واللخلخانية في عمان واليمن (وهي حذف همزة ما شاء الله) (مشا الله) والتثنية في بهراء وهي كسرتاء المضارعة (تلعب) والوتم عند أهل اليمن (قلب السين المتطرفة تاء كالتاء في الناس) .

وقد لاحظ الأستاذ فريد أبو حديد (مجلة مجمع اللغة العربية ج 7 ص 205) أن حركة الكسر تكاد تكون شائعة في كثير من الدول العربية مثال ذلك كسر آخر الاسم المضاف إلى ضمير المؤنثة المخاطبة فيقولون في الشرق أنت مالك (يقول المغاربة مالك بفتح اللام) وهي لهجة لحم التي تكسر ما قبل كاف المخاطبة .

والوكم والوهم عند ربيعة وكتب (كسر كاف الخطاب وهاء الضمير) (عليكم عنهم) والاستنطاء في لغة سعد بن بكر وهذيل والأزد وقيس والأنصار (وهي قلب العين الساكنة قبل الطاء نونا) (أنطى - أعطى) وما زالت مظاهر ذلك إلى الآن عند الأعراب .

والمشترك نفسه يرجع لتعدد الألفاظ للمدلول الواحد بين القبائل كما أن في اللغة الموحدة نفسها اختلافًا في الأبنية من لغتين إلى ثلاث عشرة لغة (عباءة - عباية الخ) .

وقد أرجعت أصول الكلمات الواردة في القرآن إلى خمسين لهجة من لهجات القبائل علاوة على وجود كلمات معربة .

وظهر الانحراف في الحركات الإعرابية منذ صدر الإسلام فسار العوام في منهجهم المنحرف واستفحل هذا الزيغ اللغوي باختلاط العرب بالأعاجم بعد الفتوح فهب علماء اللغة لتقويم العامية وإرجاعها إلى أصلاتها الفصحى وتجلي هذا الجهد في «أدب الكاتب» لابن قتيبة «ودرة الغواص» للحريري فخفف البون بين الفصحى والعامية إذا روعيت شفاعته في اللغات الراقية اليوم وبقيت العامية في جميع مظاهرها لغة عربية محرفة الشكل غير مضبوطة القواعد .

وتجلي هذا الانحراف كما سنرى في عامية الشماليين الشرقي والغربي للقارة الإفريقية أي مصر والمغرب .

وقد أشار الثعالبي في فقه اللغة (طبعة 1378 - 1959 - القاهرة ص 450) إلى أسماء فارسيتها منسية وعربيتها محكية أوصلها إلى مائة وواحد وأربعين منها البياع والدلال والبقال والجمال والطراز والحياط والند والبخور والغالية والحناء والمضربة والقمرى والربعة والخرج والدواة والمرفع والفتيلة والحجرة والمزارق والطبل والشكال والقلمة والهريسة والعصيصة . وقد دخلت كلها في عامية البلدين .

ثم ذكر (ص 453) أسماء تفردت بها الفرس فعرّبها العرب أو تركوها ، منها :

الإبريق والكوز والطبق والقصعة والسندس والياقوت والبلور واليسميند والكعك

والسكتجيين والجلنجيين والفلفل والكروياء والقرفة والزنجيل والسوسن والياسمين والمسك
والعنبر والكافور والقرنفل .

وقد تأثرت العامية المغربية بالفارسية عن طريق الدخيل في المعجم العربي لا بكيفية
مباشرة كما هو الحال في مصر لأن المغرب ظل في منحنى عن التأثيرات الفارسية .

ويختلف هذا التأثير في الأقطار العربية الأخرى ولعل الدخيل من الفارسية في لغة
العراقيين يوازي الدخيل فيها من التركية خلافا لما عليه الحال في مصر فإن معظم الدخيل فيها
في لغتها الشائعة من التركية ثم من اللغات الإفرنجية (محمد رضا الشيبى مجلة مجمع
فواد الأول للغة العربية ج 8 ص 131) .

و ديوان العراق لم ينقل من الفارسية إلى العربية إلا في عهد الحجاج الذي أمر بذلك كاتبه
صالح بن عبد الرحمن الذي كان يتقن اللغتين (تاريخ ابن خلدون - المجلد الأول القسم
الثاني ص 437) ،

وكذلك الأمر بالنسبة للغة التركية مثل باشا وبكرج (إناء معدنى) ونخازوق وتخوزق
(التخوزيق) وسنجدق وطابور وطز (للاستهزاء والاستياء) وطوبجى (مدفعى)
وصابونجى وجبدولى (صدرية) وجامكية (مرتب عسكري في عهد الموحدين) ونخواجى
(تاجر) وبابوشة (بابوج) وبازار وباشادور وبرنامج الخ .

ومن الكلمات العربية المقتبسة من اليونانية على ما يقال :

ياقوت ، وملوخية ، ومصطكى ، ولوبياء ، ولحنة ، وكروياء ، وكرنب ،
وكافور ، وقيطون ، وقيراط ، وقيثارة ، وقنطرة ، وقنب ، وقمقم ، وقلم ،
وقصدير ، وقرنفل ، وقرميد ، وقانون ، وقالب ، وقارب ، وقادوس ، وفندق ،
وفنار ، وفلس ، وفص ، وفخ ، وطاجن ، ورطل ، ودلفين ، ودرهم ، وتؤلول ،
وبلغم ، وبجاط ، وبطاقة ، وبارود ، وأوقية ، وإقليم ، والألماس ، والرز .

أما اللاتينية فقد استمدت منها اللهجتان الفصحى والعامية ألفاظا يقال بأن منها إسطبل ،
وبوق ، ودينار ، وسجل ، وصراط ، وصاقور ، وطرطور ، وقرصان ، وفرن ،
وقفة ، وقلنسوة ، وقميص ، وقنديل ، وقنصار ، وكوفية ، ومد (مكيال) ،
ومنديل ، وميل الخ .

وبينما كان التأثير الإسباني في اللهجة المصرية منعزلاً إذا به يتخذ طابعاً عميقاً بالنسبة للعامية المغربية نظراً للتبادل الموصول بين الأندلس والمغرب خلال الحكم الإسلامي أي طوال ثمانية قرون ثم ثلاثمائة عام، بعد ذلك احتل البرتغاليون وإسبان في غضونهما مراكز هامة في شواطئ البحر الأبيض المتوسط والمحيط الاطلنطيقي من المغرب .

وقد ذكر برونو Brunot (هسبريس 1949 - العددان الثالث والرابع) أن اللغة الرومانية اللاتينية أمدت العامية عن طريق الفصحى بألفاظ مثل مد وقصر ، أو مباشرة بكلمات مثل الطابية وكرزية وكركور وذكر أن لفظ قنديل (candi) مقتبس من اللفظ العربي quindid وأن الكفتمة مأخوذة من التركية .

ولاحظ في مقدمة مذكراته حول المفردات البحرية بالرباط وسلا أن وفرة الألفاظ الإسبانية الدخيلة في هذه المفردات تدعو إلى نسبة بعض الكلمات إلى أصل يوناني لاتيني وهذا الغلط هو الذي وقع فيه سيموني Simonet في معجمه glosaris حيث ذكر مثلاً أن الشابل alose مستمد من اللفظ اللاتيني sapidus وقد أعطى (برونو) صورة عن مروح التأثيرات الأجنبية في العامية البحرية بالرباط وسلا فذكر أنه بالإضافة إلى 456 لفظاً عربياً يوجد 217 كلمة إسبانية و 30 لاتينية يونانية و 6 فرنسية وإيطالية و 6 إنجليزية وكلمة واحدة برتغالية وعشر كلمات بربرية وعشر تركية وإحدى عشرة كلمة مشكوك في مصدرها وذلك من مجموع يبلغ 753 لفظة ويلاحظ هنا قوة تأثير العربية الفصحى بالنسبة إلى موانئ أخرى في المغرب مثل مستغانم بالجزائر ففي الرباط مثلاً تسمى chaloupe بالعشارية وفي مستغانم ببوطة من البوتا الإسبانية :

على أن البرتغالية قد تأثرت باللهجة المغربية حيث كان البرتغاليون يرسلون بالعجمية التي كانت عبارة عن برتغالية مملوغة بالألفاظ المغربية وكانوا يكتبونها بالحروف العربية (تاريخ المغرب كواساك Coissac de Chaurelrère ص 273)

ولعل أول نواة حضارية عربية يلقاها المغرب بعد الفتح الإسلامي قد جاءت عن طريق القيروان التي بدأت تنصهر فيها الحضارة الأموية بعد مرور ثلاثة أرباع قرن على الهجرة فأقيمت المساجد والدواوين والمصالح والدور الصناعية على غرار ما عرفته مصر والشام .

فأول مسجد على النسق المعماري الإسلامي في المغرب هو ذلك الذي بناه سعيد بن صالح الحميري في نكور في نهاية القرن الأول استمد في تصميمه من جامع الإسكندرية

التي ظلت مهبط الرواد المغاربة وعلى رأسهم الصوفي أحمد البدوي دفين طنطا وكانت البساطة آنذاك هي طابع الفن المعماري الذي لم يعرف بعد المقرنصات ولا التعاريج العربية . والواقع أن انعدام الاقتباس من الطبيعة والإمعان في دراسة الرياضيات ونزعة الإبداع حدثت مسلمى الأندلس والقيروان ومصر ثم المغرب إلى التسطيرات الهندسية الساذجة ...

مما يبرز تأثير الأندلس لإحداث الموالى الصقلية لقرية تحمل اسمهم فوق مدينة نكور (المسالك والممالك للبكري طبعة الجزائر 1911 ص 97)

أو منح اسم القاهرة تيمنا وإجلالا لمركز في قلب الأطلس بقبيلة بني دويران . ولعل الوحدة السياسية التي حققها الدولة البربرية في المغرب الكبير قد تجتجت خاصة في تجديد الاتصال بين الفن المغربي الأندلسي والفن المصري والعراقي السائدين في بجاية ومهدية وتونس الخضراء وبذلك تعززت الوصلة بين جناحي العروبة واندرجت في المجتمع المغربي مصطلحات كانت عصارة الاحتكاك الموصول :

وقد كان للأندلس أثر على بعض مظاهر الحضارة المصرية نظرا لهجرة طائفة من الغرناطين إلى بلاد الكنانة ففي عام 1019 هـ هاجرت ألوف الأندلسيين إلى فاس وألوف إلى تامسان وجمهورهم من تونس فتسلط عليهم الأعراب ونهبوا أموالهم في تامسان وفاس وسلم أكثرهم في تونس وتطوان وسلا وفسحة الجزائر ووصل جماعة إلى قسطنطينية العظمى ومصر والشام (نشر المثاني عن النفح ص 101) .

في الحقل العمراني يلاحظ أن « قصر البديع » الذي استغرق بناؤه زهاء العشرين سنة (986 هـ - 1002 هـ) يبرز لنا مدى التطور الحاصل في الفكر الحضاري ولغته فقد ظهرت معه فنون طريفة ومصطلحات فريدة كالرخام المجزع والزليج الملون والقباب الخمسينية كتبت في أبيها الأشعار بمرمر أسود في أبيض تذكرنا بروائع الأندلس : فمن شعر أبي فارس عبد العزيز القشتالي يصف فن هذه الروائع :

فإنها والتبر سال خلالها	وشي وفضة ترهبها كافور
وكان أرض قراره ديباجة	قد زان حسن طرازها تشجير
وكان موج البركتين أمامه	حركات سحب صافحته دبور
صفت بصفها تماثل فضة	ملك النفوس بحسنها تصوير

وقد كتب بجدران (المصرية) المطلية على الرياض :

باكر لدى من السرور كووسا وارض النديم أهلة وشموسا

(المصرية أى الغرفة الواقعة فى طبقة عليا (العليا بالفصحى) ولعل لوجود طبقات فى الأبنية منذ القديم بمصر أثرا فى هذه التسمية)

ولا يخفى ما لتوازى الأصلين القبطى والبربرى من أثر فى تكييف كثير من أوجه الشبه بين العاميتين بالإضافة إلى تأثير مظاهر الأصالة العربية فى فصيحى المغرب وعاميتها عن طريق القوافل التجارية ومراكب الحجيج ورسل الفكر من كبار الرحالين منذ القرن الهجرى الثانى لعظيم ما اكتسبوه على طول منازلهم بأرض الكنانة .

لقد كان لكثير من القبائل العربية التى دخلت المغرب لهجات محرفة عن لهجة قریش التى نزل بها القرآن ولكن تطورها اللغوى لم يخرج عن النطاق العادى فى تبادل التأثير بين الفصيح والعامى ، لأن المغرب ظل بعيدا عن التأثيرات الفارسية والرومية والتركية ، وعاش فى إطار مقفل طوال قرون تمكن خلالها من الحفاظ على كثير من معطياته اللغوية ، فكان الخلاف أقل بين الفصيح والعامى ، ويتجلى ذلك فى المصطلحات المستعملة فى كثير من مرافق الحياة ، ولعل أبرز مظهر لعراقة المحدث العربى فى قبيلة أو إقليم يتجلى فى صفاء لسانها ، وقد ارتكز ابن خلدون لتحقيق الأرومة على عنصرين هما : الموطن والعجمة (التاريخ ج . 6 ص 96 . وإن كان الموقع الجغرافى لا يمثل فى نظرنا عاملا جوهريا لإمكانية الهجرة فى فترات سائلة .

ومن الصعب أن نميز بعد التفاعل اللغوى الناتج عن ارتباط الأقاليم بين ما جد وما تلد فى هذه اللهجة ، غير أننا إذا قارنا بين المصطلحات المستعملة فى هذه القبيلة والتى تتبع المستعرب الفرنسى لوبينيك عام 1916 الكثير منها فى كتابه « نصوص عربية فى زعير » (طبعة باريس 1952) لمسنا مدى الصفاء الملحوظ فى الكثير من الكلمات التى درجت على ألسنة العامة من أهل زعير مما لا نجد له مثيلا إلا عند القبائل التى لا يتطرق الشك إلى عروبته كالشاوية ، وقد أشار كثير ممن درس أنساب الفصائل السلالية المغربية إلى أن القبائل الرحالة فى سهول المغرب الغربية وأقاليم عبدة ودكالة والشاوية وشرقا بالحدود الجزائرية ما زالت تحتفظ بعروبته الأصلية التى طبعها منذ الفتوح الأولى ، وقد أثر ذلك حتى فى العنصر البربرى حيث لوحظ أن عامية القبائلية بالجزائر تشتمل على نحو ثلث الألفاظ العربية (حضارة العرب - دوستاف لوبون - الطبعة الفرنسية ص 250) ، ولا يخفى ما تنسم به لهجات الأندلس وإفريقيا الشمالية من صفاء رغم عدم تقيدها بالهندام الشكلى

للفظ ، ورغم الألفاظ البربرية التي تسربت إلى الأقاليم العربية نفسها على أن الكثير من الكلمات التي يزعم بعض اللغويين رطانتها يتضح أصلها العربي بعد التحليل فقد نشرت ¹مثلا مجلة مجمع اللغة العربية (ج. 8 ص 326 عام 1955) بحثا للأستاذ شارل كونتز خبير لجنة اللهجات حول أثر اللغة العربية في عربية المغرب أورد فيه نماذج من الصيغ والكلمات الدخيلة التي ترجع إلى أصل بربري ، وقد وفق الأستاذ في طائفة من الكلمات ولكنه لم يتحرر في مقارنة الأصل العربي المحتمل لطائفة أخرى مثل :

١- أملوس (الوخل) الذي تمكن مقارنته باللفظ العربي (الملس) وخاصة الملص بمعنى الزلق إذ أعظم خاصية في الوخل أنه مدعاة للزلق .

٢- داليس (الحيزران) bambou تقارن بالدلس وهو نبت يورق آخر الصيف ، ومعروف أن الحيزران لا يتعرع إلا في الحرارة وفيه عشرات الأنواع .

٣- المازوزي (الأخير من النتائج) ويظهر أنه مشتق من مزز الفصحى حيث يقال فعلته على مزز أي على مهل فالمازوزي يأتي متأخرا كأنه يتهمل في انبثاقه .

٤- قطوس (قط) : من مميزات العامية سواء في المغرب أو بعض الأقطار العربية كسوريا ولبنان نقل بعض الصيغ من فعل أو فعلل أو أفعل إلى فعلول مثل أحمق وحمقوق أو حموق ، وبط (كالبطة في السمن) وبطبوط وخنفر أو مخنفر وخنقور فيمكن القول إذن بأن قط العربية أعطت قطوس العامية .

٥- أقراب وهو الخرج أو الجراب من القراب (لأن أداة التعريف بالبربرية هي الهمزة للمذكر والتاء المتصدرة أي في أول الكلمة والمتسكعة أي في آخرها) .

٦- ساط بمعنى نفخ ولعلها من ساط الفحم أي خط بعضه ببعض ليتقد كله إذا كانت النار لم تمس سوى جانب دون آخر والبادية تستعمل الكثير من ذلك كالمسوط للتحريك والنفخ وقد ورد في (المعجم الوسيط) أن المسجر هو الخشبة التي تسوط بها الوقود في التنور .

٧- كفس بمعنى لطح بسواد أو فضح، أصلها كفس أي اعوج ، والتكفاس بالعامية الاعوجاج إلخ . . . وتحدث كرد على عن « عجائب اللهجات » (مجلة مجمع اللغة العربية ج. 7 ص 128 سنة 1953) فقال :

« لعل الدخيل كان نادرا في أرض الأندلس لأن الأمويين توخوا الوحدة في

كل شيء» ، إلى أن قال: «وكانت اللهجة الأندلسية من أجمل اللهجات نقلها أهلها بعد الحلاء إلى البلاد التي نزلوها : مراکش والجزائر وتونس ومصر والشام ، ولعلها كانت لقرىها من الفصحى أشبه باللهجات اليمن والحجاز ، والأندلس استعملت ألفاظا فصيحة ما استعملها العراق ومصر والشام» .

— لاحظ فليش Fleisch في «المدخل لدراسة اللغات السامية» (ص . 101) أن لهجة المثقفين العامية تقتبس من الفصحى المفردات اللغوية بكيفية خاصة ويعنى بذلك أنها لا تتقيد كثيرا بالأوزان والصيغ .

وإذا أردنا أن نبلور مدى تأثير لهجة مصر في المغرب وجب أن ننظر بين عاميتي القاهرة والرباط إذ التوافق ملحوظ في اللهجة العامية بين القاهرة والرباط عدا خلاف بسيط في الشكل مثل بات وباح يبات ويروح بكسر فاء المضارع في القاهرة وبتسكينه في الرباط وقد نشرت مجلة (مجمع اللغة العربية ج 7 ص 319) تسعا وخمسين كلمة بصدد دراستها للهجة القاهرية ولاحظنا من بينها خمسا وثلاثين لفظة مشتركة في المادة عدا الخلاف الشكلى المذكور) ومن أمثلة ذلك نحس يبخص بكسر الخاء في القاهرة وفتحها بالرباط ، وبدا يبدى (ق) ويبدأ (ر) وبدر يبدر وبرق يبرق وبرم يبرم وبشر يبشر بضم عين الكلمة (ق) بدل فتحها (ر) وبطأ يبطن بكسر الطاء (ق) وفتحها (ر) وبل (ق) عوض بلل (ر) يضاف إلى ذلك تباين خفيف في النطق (ترقيقا وتفخما وإمالة إلخ) مع المؤثرات اللغوية الخاصة بالتركية على نسق التأثير السرياني والنبطي في الشام وهناك نورد مفردات تفاعلت خلال التاريخ في نطاق مؤثرات واحدة أو مختلفة :

أبو جعران : كنية الجعل بوجعران .

أبو على : الرجل اللطيف الكريم (مصر) وأبا علال في المغرب كناية عن الفقر المدقع .

انسرق أى انسل خلسة من انسرق (المغرب) ويقال انسراقى (مصر) .

أعشارى أى عشرى نسبة إلى عشرة (مصر والمغرب) .

إمتا أى متى (ويقال أيضا يمتى في المغرب وميته بالإمالة في الصعيد المصرى) .

انفضح بمعنى افتضح في مصر ويحتفظ المغرب باللفظ الفصيح وهو افتضح لأن

المغرب لا يستعمل صيغة انفضح إلا للمعنى المطاوعة .

انقرع (مصر) أى لزم حده من قرع فهو قرع إذا ارتدع ويقال فى المغرب
 اتقرع (بالقاف المعقوف) .

أورعينيه (مصر) قلعهما أو عورهما ويقال نخور عينيه بالمغرب ولعل الكلمتين
 من قاريقور قورا بمعنى العور .

أيس لغة فى يثس وهى مستعملة فى البلدين .

أيش بمعنى أى شىء خفف منه نص عليه ابن السيّد فى (شرح أدب الكاتب)
 وصرحوا بأنه سمح من العرب (شفاء الغليل ص 15) ، (أيش)
 باب الفتوح : أحد أبواب القاهرة وفاس .

بابوج : بابوش (كلمة فارسية) حذاء .

باس : قبل والبوس التقبيل (يقال بأنه فارسى معرب) (شفاء الغليل) .

باسل : فلان باسل أو كلامه باسل أى ثقيل لا معنى له .

الباع : مقياس يمتد من طرف أصابع اليد إلى طرف أصابع الأخرى . وتقول
 العامة فى مصر والمغرب « فلان باعه طويل » أى له قدرة ونفوذ .

بتاع : هذا الشىء بتاع فلان أى متاعه أو فى ملكه (متاع بالمغرب) .

بخلق بعينيه أى حدق النظر وحملق .

برّا أى فى الخارج ، ومنه برانى أى غريب وأجنبي .

البربر : لفظ يطلقه المصريون على سكان النوبة لبربرتهم أى كثرة كلامهم وجلبة
 لسانهم ويطلقه العرب فى المغرب على سكانه الأصليين لنفس السبب .

برطم : تكلم بكلام غير مفهوم (بركم فى المغرب) .

برمكى : معناه فى مصر فاقد الغيرة ذو أعمال جنسية شائنة أما فى المغرب
 فمعناها الكرم نظراً لكون البرامكة كانوا فى عهد الرشيد موصوفين بذلك .

بريمة : مثقب (لعلها مشتقة من الإيطالية barrena)

البزبوز : القصبة أو القضيب المحجوف ويطلقه المغاربة على أنبوب الصنبور .

بسبس : دعوة أهر إلى الطعام، يقال له بس بس (بفتح الباء فى المغرب وكسرهما بمصر)
 البشماط : المرادف العربى للبشماط هو الكبنة أى الخبز اليابس (الخصص)
 البقسماط فى (مصر) .

- بشويش : (بفتح الباء في المغرب) أى بتؤدة وهدوء ، يقال (تكلم بشويش) .
البصارة : تصنع من الفول المطبوخ بماء وتوابل وبصل وسمن .
بصبص الكلب بذنبه حركه .
بطلال : عاطل من العمل ، تعطل الأجير فهو بطلال .
بطنطة : ضربية التجارة .
البيع : ما يخوف به الصبيان (بعو بالمغرب) .
البعضوص : أى العظم الصغير الذى بين إيتى الإنسان ويستعمل عامة المغرب
الكلمة الفصحى .
بعيد : يقال هو البعيد أى الأجنبي .
بغل : فلان بغل أى غبي ، ومن العادات المشتركة بين مصر والمغرب أن
البغلة إذا حملت وولدت فهذا دليل على انتهاء عمر الدنيا .
البقال : حسب القاموس ، بمعنى بيع الأطعمة عامية والصحيح البقال وقد ورد
في فقه اللغة أن البقال بمعنى بائع البقول معربة عن الفارسية (المغرب ومصر) .
بكرج : وعاء القهوة ويسمى في المغرب بقرج ومقرج وهى كلمة تركية معناها
غلاية .
البلغة : حذاء من جلد أصفر « ويظهر أن أصله من فاس في المغرب لأنهم ينادون
عليها البلغة الفاسية » (قاموس العادات الخ أحمد أمين ص 95) .
بندير . آلة للطرب كالدف ولعل أصلها إسباني (bandera)
بنديرة : العلم وهى إيطالية bandiera .
بهاده : أى احتقره واستخف به (لطائف المنن للشعراني ج 1 ص 175)
البورى : سمك ينسب إلى قرية بساحل مصر قرب دمياط وذلك حسب ياقوت
(شفاء الغليل ص 46) .
بوغاز : أى مضيق كلمة تركية عربيا الزقاق كغراب وهو مجاز البحر مثل
ما بين طنجة والجزيرة الخضراء (المغرب ومصر) .
بونية : عربيا جمع الكف (القاموس) وهى فرنسية الأصل (المغرب ومصر) .

بياع : أى بائع مثل بياح الرؤوس (عربياً الرأس) وبياع الزجاج (عربياً الزجاجى)
(مصر والمغرب) .

تأفف : أى قلق وغضب فكأنه يقول لمن يخاطبه أف بك .

تبر : أى عجب من أهر أى جاء بالعجب وأصل انبر تأثر بأشعة الشمس
ووهجها وقد اقتبس العامة فى مصر نفس المعنى من كلمة عربية أخرى، وهى وهر
فيقولون انوهر أى انبر وعجب إذ الوهر توهج الشمس ، ويستعمل المغاربة
أيضاً تفهر بالفاء .

التريعة : مكان بالقاهرة تباع فيه البضاعات المغربية من بلنغ وبطاطين (أحمد أمين -
قاموس العادات ص 96) وكذلك العنبر المحلول وعطر الورد والزهر (ص 115)
والتريعه (بالتصغير) بتقديم الياء تفيد فى المغرب نفس المعنى .

ترزى الخياط، وهو من الدرز أى الثوب بالفارسية وبنودرز الخياطون ويقال الدرار
بالمغرب وهى من الطراز أى صاحب الطراز .

تعبان : أى متعب ولم يعرف عند العرب على ما يظهر (مصر والمغرب) .

تعنظ فلان : تكبر وتجنب الناس ، ويسمى المغاربة العبيد وأولاد الإماء العناطيز
لأنهم يعيشون عادة معزولين عن الناس .

تفرج على لعبة : تفكه بالنظر إليها .

تفرشخ : جلس وفرج ما بين رجليه ويقال فى المغرب تفرشخ بالخاء بدل الخاء المهملة
بمعنى جلس ماذا رجليه (ولها فى المغرب معنى آخر حيث يقال تفرشخ البطيخ بمعنى
تكسر) ، وتستعمل لفظاً فسخ وفسخ فى مصر بهذا المعنى .

تفنظ : كلمة يونانية معناها تريض phantasic وتوجد فى العامية المغربية ولعلها
اقتبست من الكلمة الفرنسية fantasic لألعاب الفروسية التى كانت تسمى قبل
بالتبوريدة (أى اللعبة بالبارود) .

تكابوا على الشيء : بمعنى ازدحموا عليه واشتهرت فى مصر خاصة اتكبيوا (بكسر
الباء الأولى وتشديدها) .

تكرع تجشا ويقال تبعج فى الشام ولعلها من تجرع الماء إذا بلعه فالحشاء من لوازم
تجرع الماء .

تمسخر ومسخرة : فلان يتمسخر بك (بيتمسخر في مصر أى يهزأ بك)
تندة : مقتبسة من Tente الفرنسية بمعنى ظلة أو خباء وعربها الزفل وهو حسب
القاموس ظلة تتخذ فوق السطوح تقي من حر البحر ونداه .
تمهد أى تنفس الصعداء وعربها تنفس وزفر :
جاب الشيء : جاء به .

جاحم أى دفع نفسه وسط آخرين وقد لاحظ الدكتور أحمد عيسى في محكمه أنها من
الجحيم ويظهر أنها من زاحم مزاحمة وزحاماً بمعنى مدافعة الناس .

جرجر : يجر و جذب ويقال بأنها سريانية الأصل وقد اقتبسها المغاربة من
العربية الفصحى لا من السريانية التي لم تؤثر في العامية المغربية نظراً لانعدام كل
صلة بين المغاربة والسريانيين تاريخياً .

الجعيدى : الجعد من الرجال المجتمع المتداخل المدمج ويطلق في مصر على من قل
ذوقه وكياسته ، وفي المغرب على الضعيف البنية كأن أجزاء جسمه تندمج في بعضها .
جلبية : جلاباب أو قميص (جلابية بالمغرب) .

جليطة : بتسكين اللام في مصر وتشديدها في المغرب معناها الخلط وعدم الإتيان
تقول فلان جليط عمله إذا لم يتقنه (جلط في المغرب ومنها الإتيان المغربي : خلط جلط) .
جوانى : برانى .

الجوخ : نوع من النسيج والجوخة كلمة فارسية معناها الكساء من الصوف .

الجوق : فرقة تقوم بعمل واحد كالجوق الموسيقي ويقال بأنها تركية الأصل .

حاف : خبز حاف أى من غير إدام .

حب الرشاد : عربها الحرف (المخصص) ويستعمل عامة المغرب الكلمتين وخاصة
الحرف .

الحجاب : الحرز اشتهر باستعماله المصريون ويعمله المغاربة للتحصن ويطلق عليه في
كل من المغرب ومصر لفظ الحرز .

الحرقة ما يجده الإنسان عندما يطعم شيئاً محرقاً أى حاراً أو دسماً يثير نوعاً من التخمة
في معدته .

الحريرة : دقيق يطبخ بلبن أو دسم (القاموس) (مصر والمغرب) .
الحريف : الزبون وحريفك معاملةك في حرفتك والزبون مولد (القاموس) ، وتستعمل
عامية مصر لفظة زبون المولدة وعامية المغرب كلمة حريف . .
الحشيش : الكيف القديم ، ولعل منه اسم الحشاشين أى القرامطة شرابي الحشيش .
حط بمعنى وضع اشتهرت في عامية مصر والمغرب وتستعمل في الفصحى في مثل العبارة
التالية : حط الله عنه الوزر أى وضعه عنه .

الحفا : عدم لبس شئ في الرجل .
حمص القهوة : قلاها على النار وهى عربية حسب الأزهرى (حب حمص أى
مقلو) .

حوائج : ما يلزم الإنسان من ملابس وغيرها . .
الحازوق : الخشبة كانت تستعمل قديماً لإعدام المجرمين وهى من الخزق أى الطعن
بالرمح ، وقد دخلت إلى مصر عن طريق التركية ولا ندرى كيف تسربت إلى المغرب؟
فهل تم ذلك في عهد السعديين بسبب تسرب العناصر التركية إلى المغرب أم عن
طريق التجار المغاربة الذين استقر منهم عدة آلاف بمصر ولا سيما في عهد العلويين ؟
خربشه : خدشه وخمشه .

خربق عمله : أفسده (تستبدل العامة في مصر بالقاف الألف فتقول خرباً) .
خرخش : أى صوت وتستعمل بالمغرب لصوت الآلة وفى مصر لأزيز الصدر .
خردة : قطع الحديد المستعمل وهى كلمة فارسية مقتبسة من الخرثى الفصحى على
ما يظهر .

الحس : بقل عريض الورق يوكل نيثا (مصر والمغرب) .
خلاه : خلاه في المحل أى تركه يقال : خلاه في المحل أى اتركه حتى تعود إليه .
خمسة وخيسة : عبارة عن كف فيها خمسة أصابع يزعمون أنها تدفع العين (أحمد
أمين - قاموس 195) وقد عرفت في افريقيا الشمالية منذ عهد القرطاجيين وتوجد
صورة لها في (متحف باردو) بتونس ويقال في المغرب خمسة لخماس بدل خمسة
وخيسة في مصر ويسميا الفرنسيون يد فاطمة .

الخنفسة : أى غير الحميلة وفى المثل المصرى «الخنفسة عند أمها عروسة» ويقابله المثل
المغربى : (كل خنفوش عند مو غزال) (كل خنفسة لدى أمها غزالة)

الخوا : بكسر الخاء (وتسكينها بالمغرب أى الفراغ . يقال : شربت على الخوا أى على الريق والخواء فراغ المعدة من الطعام .

خواجه : كانت تطلق فى الأصل على الأعيان والتجار ثم أطلقت على الأجنبي بمصر ولكن المغرب احتفظ بمعناها الأصلى وهى لفظة فارسية معناها سيد (مصر والمغرب والشام) :

خوخ الفاكهة : فهى مخوخة أى فارغة القلب لا لب فيها .

الخوخة : تطلق غالباً على الباب الصغير فى قلب الباب الكبير وعربتها حسب القاموس هو الخادعة .

الدادة : المربية ، ودادا كلمة فارسية معناها خادم ومربية .

دحدح فلان : مشى على مهل أو تقارب خطوه مع سرعة ، والدحداح فى المغرب القصير وتلك هى صفة سير كل من قصر جسمه .

درازين : الحاجز الحامى فى السطح أو الدرج (دربوز بالمغرب) .

دربكة : الطبل الصغير وهى فارسية عربياً الكوبة التى أشار إليها صاحب القاموس .

الدرقة : درقة الباب أى مصراعها وهو من الدقة بمعنى الخنب ويستعمل العامة فى المغرب لفظة بدل دقة درقة فى مصر .

درويش : فقير كلمة فارسية (البرهان الجامع) (مصر والمغرب) .

الدشيش : دشيش الفول طحينه وهى من جش الحب إذا دقه ويقال الدشيشة فى المغرب (الطحين المدقوق) .

دغرى : مشى الرجل دغرى أى قدماً لا يلوى على شئ ويقال بأنها من طغرو الفارسية بمعنى مستقيم أو طوغرى التركية .

الدمغة : الطابع والتمبر ويقال أيضاً التمغة بالمغرب وهى فارسية (من التمغ أو الطمغ) .

دندن : غنى بصوت أو آلة موسيقية .

دهست السيارة الرجل : أى داسته ودعسته وتستعمل العامة بالمغرب معس بهذا المعنى مستبدلة الدال ميا :

الدوار : معروف فى ريف مصر بمعنى مكان يضم عناصر اجتماعية كالأمر والمدير والمعلم وغيرهم فهى نواة حضرية وأصلها فارسى (دوار) وهى بمعنى القرية بالمغرب .

رأس مشعن : أى منتفش الشعر أشعت .

الرزمة من الشياب ما شد في ثوب واحد .
 رغرغت عينه بالدمع : أى اغرورقت (غرغرت بالمغرب) .
 الرقاق : الخبز الرقيق واحدها رقاقة (رقاقة بالمغرب) .
 الرقعة : عربية معناها البطاقة استعيرت لرقعة الشطرنج وهى دخيلة حسب (شفاء الغليل) ومن أدواتها المعروفة كذلك فى عامية مصر والمغرب البيدق والرخ والقرز والفرس والشاه .
 الزريبة : المكان الذى تنام فيه البهائم وهى فصحي .
 زعا : صاح من الزعق (زعق بالمغرب) .
 زعلوك : أى صعلوك وقد ورد زعلوك بضم الزاى بمعنى القصير المجتمع العضل ويطلق بالمغرب خاصة على شديد المراس وصعب الطبع ، (مصر والمغرب) .
 زغرنت النساء فى الأفراح : من الزغردة وهى هدير الفحل يخرج من حلقه فاستعير منه صوت النساء يتردد بين ألسنتهن وأصابعهن .
 زفر : ريحة زفرة أى منتنة وهى رائحة بعض الأطعمة كاللحم والخبز وهو من الذفر أى شدة رائحة الطيب أو النتن .
 زلا : أى زلق (زلق بالمغرب) .
 الزلط : يقول المصريون فلان رأسه زلط لا شعر فيه، وفى الجزائر : « فلان أزلط من فار الجامع » وهو المدلول المغربى للزلط بمعنى الفقر .
 الزمت : شدة الحر ووقوف الريح وهى من زمته إذا خنقه .
 زنبيل : وعاء من خوص وهو المعنى العربى الأصيل ويطلق فى المغرب خاصة على وعاء من نحاس .
 الزواق : النقش بالألوان وهو من الزاوق أى الزئبق ويسمى الزئبق بالمغرب الزواق .
 السبوع : اليوم السابع من ولادة الطفل والسبوع لغة فى الأسبوع .
 السبيل : صهريج يخزن فيه الماء لشرب الناس فى قارعة الطريق ولعله من السبل بحركتين أى المطر الهاطل والسبيل أى الطريق .
 ستف : رتب وهى من صففه أو صفصفه فاصطف وهو مصطف (مستف) .

سطل : بمعنى بقرج ولكن له عروة خاصة وهو ستل بالفارسية (situla)
باللاتينية السقاء والسقا : موزع الماء على البيوت (مصر) وهو المسمى القراب بالمغرب
لحملة القربة على ظهره ، والقربة هي السقاء (بكسر السين) .
سك الباب : سدها ويقال في المغرب أيضاً سكرها وهي سريانية وفي مصر سنكر
بزيادة النون .

السميد : لون من ألوان الدقيق وهو معرب عن الفارسية (^{٣٧}فقه اللغة) واستعمله
الحريري في مقاماته ، ويقال السميد بالمغرب والسميط بمصر .
السوة : (بكسر السين في مصر وفتحها في المغرب) أسفل البطن وهي من السواة بمعنى
الفرج ولكنها أطلقت خاصة على الدبر .

سيا الأرض : غسلها (سيق بالمغرب) وهي من صيا رأسه إذا غسله فلم ينقه (متن
اللغة) :

السيفون : مجرى خاص للماء أصله siphon (مصر والمغرب) .

شاف : أى تطاول ونظر .

شألب : أى سقلاب بمعنى صرع وأصلها قلب ، وهي شائعة أيضاً في الشام (شقلاب
بالمغرب) :

الشايط : الطعام الذى يحترق على النار فيسوء طعمه وتفسد رائحته فرمى ، والشايط
في المغرب هو كل ما يرمى .

الشربات : الماء يذاب فيه السكر مع ماء الورد للمناسبات المفرحة .

الشربة : الحساء الذى يقدم قبل الطعام ومقابلها التركي جوربا .

شرشر الماء : أى خر بمعنى اشتد سيله .

شرمط : مزق (اشرمط في مصر) وذكر الدكتور أحمد عيسى في « المحكم
في أصول الكلمات العامية » أنه من أثر نمط السقاء إذا انفتح والإثر نمط اطمحرار
السقاء إذا راب ورغا في ذلك معنى التمزق « ويظهر لى أن أصل شرمط شرم فهو أشرم
إذا انشق وتمزق وتشرم أى تمزق وأصل تشرمط تشرمت (تاء التأنيث) . وقد
تكون من الشرط بمعنى الشق فتكون الميم زائدة .

شقافة : أى شظية الخزف والشقف الخزف المكسر (شقفة بتسكين القاف فى المغرب) .

الشكال أى رباط العفال للفرس ولعالمها فارسية دخيلة فى الفصحى .

شك الدابة : شد فمها بالشكيمة .

الشنطة : الوعاء من الجلد تحفظ فيه الملابس (ويطلق فى المغرب على الحقيبة) وأصلها تركى على ما يظهر (جنته) .

شوشة : شعر قمة الرأس ومعناها بالسريانية كبة القطن وتطلق فى المغرب على أزرار الحرير السوداء المتدللية من الطربوش .

شوية : أعطى شوية أى شيئاً يسيراً .

الشياط : رائحة الاحتراق .

الشيت : نوع من القماش (أصلها هندی) .

الشين : علامة النقي فى اللهجتين مثلاً : فلان ماجاش أى لم يأت (أصلها لم يأت شىء) وما كملتش أى لم أكل شيئاً وأخذتس حاجة أى هل أخذت شيئاً (وأضيفت حاجة لزيادة البيان) .

صرصع : صاح بصوت عال وهى من فرفرف وتستبدل العين رجاءً بالمغرب فيقال صرصع .

صنارة : حديدة الصيد :

صناعى : نسبة إلى الجمع وهو صنائع (على خلاف القاعدة الغالبة) وجمعه صناعية بمصر والمغرب .

صينية : طبق يجهز فيه الطعام ويطلق فى المغرب على طبق من نحاس تصف فيه كووس الشراب وهو منسوب منذ العهد الجاهلى إلى الصين التى يستورد منها .

طابور : صف من العساكر (التابور تركية) .

طاجن : وعاء للطبخ (كلمة يونانية) .

الطار : محرف عن إطار الأعجمية وعربية الدف وقد دخل فى عامية مصر والمغرب وغيرهما (ويقول عامة المغرب طر) .

طاقة : كوة .

طاقية : ما يلبس على الرأس ولعلها مشتقة من تقيّة أى وقاية الرأس من الحر والقر .

طبّط على الولد : ربه .

طربوش : قبعة تركية (سربوش بمعنى غطاء الرأس كلمة فارسية) . أشار إليها ابن دحية في تفسير حديث « يلبسون الشعر » أى السرايش .

طز : كلمة يقولها الإنسان إذا شاهد شيئاً رديئاً أو قبيحاً، فتكون بمعنى السخرية (دز بالفارسية وطنز بالتركية وقد عربت) .

الطقس : حال الجو من حر أو برد .

طنجرة : وعاء للقلّى أو الطبخ (تنجرة أو طنجرة تركيتان) والطنجير بالمغرب معناه الطنجرة الكبرى .

عافر الرجل : بذل جهده ليقوم بعمل (تعافر بالمغرب) .

عبد اللاوى : نسبة إلى عبد الله ومنه البطيخ العبد لاوى .

عربية أو عربة : عاميتان مرادفهما العربى عجلة أو أطلق على مركب ذى عجل تجره الخيل . والعربية هى الشائعة عند عامة مصر والمغرب .

عرقان : فصيحة بمعنى عرق (المصباح) يقال عرقان فى مصر والمغرب .

العرقسوس : عرق نباتى حلو يمتص .

عيان : مريض ومدلوله الأصيل فى الفصحى من الإعياء فى الأمر والمشى لا فى المرض (القاموس) (مصر والمغرب) .

عيط : نادى ، والعيطّة فى المغرب نوع من السماع يضرب فيه على الدفوف .

العينة : النموذج من السلع (العينة بتسكين الياء فى المغرب) .

غماق : لون أسود غامض أى شديد السواد ومقابلته فاتح إذا خف لونه .

غرقان فى الدين : أى غريق فيه بحيث لا يستطيع أداءه .

الغريبة : نوع من الكعك يصنع من دقيق وسمن وسكرويكثر فيه السمن (أحمد أمين ص 299) .

فتافيت : ما تبقى من قطع الخبز على المائدة من فته إذا دقه (فتايت بالمغرب) .

الفدان : وحدة المقاييس المصرية أو الممرات وهو لفظ نبطى (شفاء الغليل)
ويطلق الفدان بالمغرب على الحقل الزراعى .

الفرث : (بكسر الفاء) الكرش وأصله الفرث (وهو بفتح الفاء فى المغرب) :
فرتك : قطع ومزق مثل الدر .

فرجية : ما يلبسه العلماء فوق ملابسهم ويقال بأن أصلها يونانى وأن الأتراك اقتبسوها
وتطلق فى المغرب على لباس يجعل فوق الثياب للرجال والنساء وهو منفرج من الأمام
لذلك لا يبعد أن يكون أصلها عربيا .

فرحان : فرح (القاموس) يقال فرحان بمصر والمغرب .

فرم : أى قطع وكسر وهى سريانية الأصل على ما يقال ولعلها دخلت إلى المغرب
عن طريق الفصحى نظرا لانعدام التأثيرات السريانية فى اللهجة المغربية ، وهى تطلق فى
المغرب على الكسر الجزئى كفرم الأسنان أو الكأس .

فش : أى فتح ويقال فى المغرب فش الوطب أى أفرغه من الهواء وفى المثل فشه
فش الوطب أى أزال نفخته وكبرياه .

الفشار : الكذاب المغالى فى كلامه .

فقس الطائر البيضة : فضخها .

اللقى : (بالهمزة وكسر الفاء) الفقيه .

الفلقة : الآلة تمسك بها الأقدام فى الكتاب لضرب الصبيان ويقال بأنها يونانية اقتبس
منها الفرنسيون palanque .

فلوكة : سفينة صغيرة وهى من الفلك أى المركب .

فلصو : أى زيف ، وزائف درهم فلصو أى زائف وأصلها إسباني (falso) أو إنجليزى
(false) (مصر وشمال المغرب) ويمكن مقارنتها بكلمة فلس وإفلاس العربية .

فميلية : أسرة وعاميتها عائلة بمصر والمغرب وهى من اللفظ الفرنسى famille

الفتنزية : نوع من اللعب بالبارود على صهوة الخيل وهى يونانية أخذ منها العربيون fantazia

قارب : سفينة صغيرة وهى يونانية على ما قيل عربت .

القراع : مرض جلد الرأس وأصله القرع بحركتين أى بشر يخرج بالرأس (القرعة
بتسكين الراء فى المغرب) .

قر نص من البرد : تبقض ، ويقال في المغرب حنية مقرنصة أو مقربصة بالباء أى متقبضة
النقش والترخيم .

القرينة : الحنية تكون مع الشخص .

القصرية : الوعاء يتبول فيه ولعلها من اللاتينية *gastrum* ومعناها إناء مجوف وتطلق
في المغرب على وعاء مجوف لعجن الخبز .

قطع اللبن أو ابن قاطع : بمعنى حامض (وانقطع الحليب في المغرب أو تقطع أى لم
يصلح لأن يغلى أو يروب نظرا لعدم طراوته ، ولعلها من قطع الحمرة بالماء مزجها (متن
اللغة) .

القفطان : من الملابس الخاصة بالرجال في مصر ويلبسها حتى النساء بالمغرب وأصلها
قفطان التركية المقتبسة هي أيضا من خفتان الفارسية .

قفقف من البرد : ارتعش وهي فصيحة تستعمل في مصر والمغرب .

قلع ملابسه : أى خلعها وهي بحركتين في مصر إلا أنها مشددة اللام بالمغرب
حيث تستعمل بمعنى الانتزاع كقلع الأسنان أو تقطيع الحجارة من الأرض وهو معنى فصيح .
القهاوى : المقاهى .

قورمة : مأخوذة من قاورمة التركية وهي لحم يطبخ بالبصل (المغرب ومصر) .

كاكى : تقول كاكت الدجاجة أى صوتت عند البيض وأصلها قاقت وتستعمل العامة
بالمغرب هذا اللفظ فتقول : الدجاجة تقاقي .

كاني ماني : يقال بأنها تركية ومعناها كيت وكيت بمعنى الإكثار من الكلام عن طريق
التلميح والكتابة ويقول العامة في المغرب كيني ميني .

وأكد الدكتور أحمد أمين بأنهما كلمتان قبظيتان فكاني معناها السمن والثانية العسل وهي
في الأصل خلط السمن بالعسل ثم استعمل في خلط صحيح الكلام بفساده ثم في الكلام غير
المفهوم (قاموس العادات الخ ص 333) .

كاوح أو أوح : في مصر من كافح أى قاتل وناضل وتستعمل في المغرب المكابرة وتروج
عند عامة المغرب كلمة كافح الفصحى في نفس المعنى .

الكباب : قطع صغيرة من اللحم تشوى في السفايد ، ويظن ياقوت أنه فارسي عربي
المولدون (شفاء الغليل ص 174) .

كح : سعل (كحكح بالمغرب) وهي ترديد للمحاكاة أو على نسق جرجر بدل جرجر .

كرنفال : مسخرة أصلها فرنسي Carnaval (مصر والمغرب) .

الكسكس : طعام معروف بالمغرب خاصة يكس أى يدق من القمح فهو مكسوس ومكسكس ويسمى الكسكس بالمغرب .

كش كش : بكسر الكاف زجر الكلب ونحوه وهو فى المغرب بضم الكاف .

الكفتة : (بضم الكاف فى مصر وفتحها بالمغرب) اللحم المهرم أى المقطع قطعاً صغيراً (ويقال فى عامية مصر والشام المفروم) ويقال بأن اللفظ فارسى دخل إلى التركى ومنها إلى بعض العاميات العربية كالمصرية والمغربية .

كفى القدر : أى قلبها (كفتحها بالمغرب) .

الكنجة : بمعنى الرباب معرب حسب «شفاء الغليل» .

الكوارع : الكراع مستندق الساق عند البقر والغنم وجمعه أكراع وأكارع وتجمعه العامة بمصر والمغرب على كوارع .

كورجة : باع كورجة أى بلا وزن ولا كيل ولا عد وهى تركية معناها العمى ووجه الشبه ظاهر بين هذه الآفة والبيع الأعمى بدون تبصر .

الكيب : فى مصر هو الحصير من ألياف البردى وهى من اللفظة التركى كيب ومعناها غطاء وتستعملها العامة فى المغرب (بالباء والميم) بمعنى غطاء من خشب يجعل فوق الدكاكين على نسق الإفريز والاستعمال المغربى أقرب إلى الأصل التركى .

الكوشة : موقد اللحم وعربها الأتون ، وتستعمل الكوشة عند عامة مصر والمغرب خاصة لأتون الآجر وهو بيت يطبخ فيه الآجر .

كومبانية : شركة (Campagnie) (مصر والمغرب) .

الكيف : بعض أنواع التبغ (يقال له فى مصر حسن كيف) .

لبارح=البارحة : أى الليلة الماضية ويقال فى مصر لإمبارح باستبدال أم من أل على لغة حمير لقوله عليه السلام ليس من امبر امصيام فى امسفر .

اللبخة : دواء كالمرهم يوضع حاراً أو بارداً فوق العضو الألم (اللبخة) .

الألثغ : من فى اسانه عسر فى نطق بعض الحروف كإبدال الراء غينا بوجه خاص (وهو كثير بفاس) وتقول العامة بمصر اللثغ بإبدال الراء ذالا .

لشط الرجل فى الأكل : أى ازدرد اللقم الكبرى بدون مضغ وتستعمل فى المغرب خاصة للتعبير عن إظهار التأنيف فى الطعام ولفظه لشف جارياً أيضاً بهذا المعنى فى البلادين .

ليلة الحنة : هى التى تسبق عادة الزواج وللحمام والحناء فيها أهمية وليلة الدخلة الزفاف والبناء .

مبلم (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) أى ساكت لا ينبس بينت شفة .

المتختخ : أى المسترخى من كثرة الماء (بكسر الميم فى مصر وبتسكينها فى المغرب) :

المترد : وعاء اللبن والثريد وأصله المترد .

المخروع : ضعيف لا يقدر على العمل .

مخطوف : لون مخطوف أى أصفر .

مخوَّخ : فارغ اللب .

مدغمس : عين مدغمسة أى ضعيفة البصر يستعمل عامة المغرب خاصة مدغمش (بالعين المهملة) .

مزنجر : أى يعلوه الصداً أو الزنجار .

مسوكر : جواب مسوكر أو مسوكر أى مؤمن عليه أو مضمون (assure)

المضربة النجاد : الخيطة بالقطن (المصباح) (يقال مضربة فى مصر) .

المعجون : خليط لتخدير الأعصاب .

الملابطة : المصارعة (الملاكمة بالمغرب) .

ملط فى مصر وأملط فى المغرب : أى أملط لا شعر على جسده .

الميت : يتقارب المثلان المصرى والمغربى « الضرب فى الميت حرام » (مصر) « البكاء على

الميت خسارة » (المغرب) .

المبيضة : المرحاضة

نخشوش (بالنون فى مصر) ونخشوش (بالتاء فى المغرب) إذا دخل الماء فى خيشومه

فأثار قلقه واضطرابه .

نش الذباب : أى طرده

نغز : أى حرض ونغزه بإبرة أى وخزه وفى الفصحى نخس :

نكر : (نكر فى المغرب) بالكاف المفخم أى أكثر من الكلام المؤلف . نكر عليه أى

لمزه بالكلام المؤلم

في للطفل لإغرائه بالنوم ويسمى غناء الأطفال بالتركية نيني والمهد بالفارسية

نانو :

نونو : الطنل الحديث الولادة (مصر) وهو من الكلمة الفارسية نو ويقال في المغرب نينو لكل جديد في لغة الأطفال .

نينة : معناها أم جدة وأصلها ننة الفارسية وقد اقتبسها الأتراك ثم العرب ويستعمل عامة المغرب نانة (التي ترخم نه) وكثيرا ما يصف المغاربة الحدة بـ : « حنينة » فيقولون جدتي الحنينة ولا يبعد أن تكون نينة مرخمة عنها بحذف الحرف الأول على غير قياس تسهيلا .

ههب الكلب نبح .

هتجالة : عزب ويقال عزباء (الأزهرى) وتستعمل في المغرب خاصة بمعنى الأرملة وهي من هتجالة الفصحى .

هطّل فلان (بتشديد الطاء في مصر وتخفيفها في المغرب) : استرخى :

الههيج : الطبقات الوضيعة من الناس ، وأصله البعوض في العربية ، ثم أطلق على كل رذيل من القوم .

هيه : ترد زجرا للطفل إذا استعملت ياؤها ممدودة ، هاه : هي كلمة وعيد حتى للكبار بمعنى حذار حذار .

الوحش (بفتح الواو في المغرب وكسرها في مصر) أي الرذيل من الناس .

ورديان : أي الحارس ، أصلها (gardiano) الإيطالية أو (garabien) الفرنسية و (warden) بالإنجليزية وقد اشتق منها المصريون والمغاربة الوردية واستعمل عامة المغرب كلمة وردن للتدليل على عمل حراس الحمامك .

يوغورت : اللبن الرائب في التركية ، وقد دخلت إلى المغرب أخيراً عن طريق الكلمة الفرنسية (yogourt) .

الاستاذ عبد العزيز بن عبد الله

عضو المجمع من المغرب



المعجمان العربية وتوحيد المصطلح العلمي للكاتب يوسف عز الدين

مقدمة :

ترددت كثيرا في الكتابة في هذا الموضوع لصعوبة الإحاطة التامة به فطبيعته المتحركة تحول دون الإحصاء التام . فعذرة إذا كانت خطوط البحث عامة . لأن الغاية هي إثارة الموضوع وإبراز هدفه الأول . ومن الاستقراء العام نجد أن حركة وضع المصطلحات الخادة في المؤسسات العلمية المستمرة ، يزحمها بالمناكب القوية العريضة ، العمل التجارى في إصدار المعجمات بشكل واسع ونشرها دون رقابة علمية حتى غطت على ما تخرجه الجامعات والمؤسسات العلمية وتفوقت عليها بالكثرة وجمال الإخراج وإتقان الأغلفة والإغراء النسبي في الزينة الحارجية .

ولم يقف العمل التجارى عند هذا الحد إنما تجرأ ناشر على تزوير جزء ألققه بلسان العرب جمع فيه المصطلحات العلمية التي وضعت في الجامعات لم يسمع بها ابن منظور ولا عصر ابن منظور ، ورغم فائدة هذا الجمع ، فينبغي مراقبة مثل هذه الحركة قبل أن تستفحل ويصبح الفيروزابادى والزخشرى والفراهيدى من مؤلفى القرن العشرين .

المصطلح :

يوضع المصطلح باتفاق جماعة على معنى محدد لعلم أو فن أو فكر أو تيار فلسفى أو ظاهرة في الأدب والعلم والفن والفلسفة ، أو جانب منه ، أو جزء لتسهيل الفهم وتحديد الدلالة . وقد ورد في (الوسيط) بأقرب معنى وأقصره بأنه (اتفاق طائفة على شيء مخصوص ، ولكل علم اصطلاحاته) .

(١) قدم في مؤتمر مجمع اللغة العربية في القاهرة في ٢١ جادى الأولى ١٤٠٤ هـ الموافق ٢٣ شباط ١٩٨٤ م .

الحضارة الأوربية :

غمرتنا الحضارة الحديثة التي جاءت من الغرب بأنواع شتى من المخترعات والفلسفات التي لا يمكن أن تتوقف ، وزخت العلوم الحديدية والتقنية المتطورة والآراء المتصارعة على عالمنا العربي بما لم نسمع به من قبل، ولم يسمع حتى أبناؤها بها من قبل هذا القرن . وغمر اللغة العربية طوفان من المصطلحات المتناقضة والأطر الفكرية الغربية في الكتب والمجلات ووسائل الإعلام المختلفة التي ترجمت إلى اللغة العربية .

دور الجامعات :

وقد حاولت مجامعنا - جاهدة - تقريب وجهات النظر المتباعدة عندما عقدت اجتماعين لها في بغداد والقاهرة ، وكانت تريد الاجتماعات دورية لإنجاز مهمتها العلمية ، غير أن الأمور الخارجة على إرادة العلم حالت دون الاستمرار فيها ، والاستفادة المرجوة من لقاء أصحاب الشأن والانتفاع بجهود الجامعات .

ومع ذلك فقد كنا في المجمع العلمي العراقي ، ندرس المصطلحات التي تم وضعها في مجمع اللغة العربية في القاهرة ودمشق ومنتفع بما وضع من المصطلحات الجديدة التي كانت تعرض على اللجان^(١) .

المنظمة العربية :

وقد حاولت المنظمة العربية للثقافة والعلوم عدة محاولات جادة في هذا السبيل ، كما عقد المجلس الأعلى لرعاية الآداب والعلوم والفنون اجتماعات في تونس ودمشق والقاهرة لكن حالت دون استكمال هذه الاجتماعات الظروف والعوائق المعروفة، ووقفت أمام فكرة توحيد المصطلح وحدث خطواته التي يرجوها المخلصون^(٢) .

(١) يمكن ملاحظة ذلك في المصطلحات التي وضعها المجمعيون في بغداد في الفيزياء وعلم الأحياء والهندسة المدنية والري والبزل وعلم الغابات وعلم النفس والأمراض العقلية ، ومن أعضاء هذه اللجان كما وردت في (مصطلحات علمية) المطبوعة في مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٩٨٢ الأساتذة السادة أعضاء المجمع العاملون أحمد عبدالستار

الحواري وعبد العزيز البسام ومحمود الحلبي وعبد اللطيف البدرى ونجيب خروفة واللواء محمود شيت خطاب وحسن الكتاني ويوسف عز الدين ومحمد تقي الحكيم وجميل الملايكة وأحمد ناجي القيسى وجوامير مجيد سايم وفخرى الدباغ وعلى عطية وجلال محمد صالح وأحمد سوسة رحمه الله ، إضافة إلى خبراء يختارهم المجمع من ذوي الاختصاص في العلوم التي يضع مصطلحاتها . وضع المقدمة الدكتور صالح أحمد العلي .

(٢) هناك مشاريع أخرى للمعاجم تلك التي نشرت في تونس في الرياضيات والكيمياء والفيزياء ونذكر مؤتمر الجزائر الذي عقد في ١٩٦٤م بإشراف اليونسكو والمؤتمر الذي عقد في طرابلس الغرب سنة ١٩٧٧ لتوحيد المصطلحات ومؤتمر =

إن كثرة الجامعات - بما فيها من خير - وزيادة عدد المتعلمين الذين يعرفون اللغات الأجنبية وانتشار المجامع زاد في تفرق الكلمة وتناقض المصطلح فمن الضروري القيام بعملية تنسيق جادة وتنظيم مستمر بين المؤسسات العلمية في الوطن العربي .

التعريب في القديم :

عندما بدأ التعريب في العصر العباسي في بغداد ، كانت المصطلحات موحدة لأن مصدرها واحد هو بيت الحكمة وقد اعتمدت البلاد الإسلامية عليها وبالرغم من أن البداية لم تكن تلائم الذوق العربي الأصيل بدخول كلمات أجنبية في الترجمة مثل (ارثماتبي) للحساب (وجو مطريا) للهندسة و (وبويطيقا) للشعر وغيرها مما هو معروف ، وقد تبدلت هذه الألفاظ وصقلت لما أشرف الأدباء وأصحاب الذوق العربي الأصيل على الترجمة فقد احتوى المترجم الأديب المعنى وفهمه وصبه في الذوق العربي ومن الأمثلة ما صنعه ثابت بن قرة في كتابي (اقليدس) و (المجسطي) .

التعريب في الحديث :

وأستطيع سادتي عندرا إن ذكرت بداية وضع المصطلح الحديث التي ما تزال آثارها واضحة في لغة العلوم والفنون والآداب في مصر عندما أرسل محمد علي باشا بعوثه إلى الغرب . فقد كانت هذه البعثات رائدة في عملها برياسة رفاعة رافع الطهطاوي . . فقد فرض على جميع الأعضاء بعد عودتهم الاهتمام بالتعريب والترجمة .

فقد درست مجلة (يعسوب الطب)^(١) الصادرة ما بين عامي ١٢٨٥هـ و ١٢٨٦هـ - (روضة المدارس) التي أملك نسخة مصورة منها^(٢) وقلبت كتبا ترجمت إلى اللغة العربية في مختلف العلوم والفنون ، فوجدت جهدا كبيرا ودقة واضحة في الترجمة ووضع المصطلح تشابه حركة الترجمة الأولى التي قامت في بغداد . ومن هذه الكتب^(٣) .

== تعريب التعليم العالي في الوطن العربي الذي عقد في بغداد سنة ١٩٧٨ . وبعد المؤتمر ألزمت الجامعات والمؤسسات التربوية بالبدء في التعريب في الصفوف الأولى ، وبدأ التعريب في كلبتي الطب وطب الأسنان سنة ١٩٨٠ - ١٩٨١ الجامية إضافة إلى تدريس مادة علمية باللغة الأجنبية في كل سنة دراسية . وأسس لهذا الغرض مركز للتدريب لتنظيم عملية التعريب وتنسيق المصطلحات وشارك في المؤتمر أعضاء من الجمع العلمي العراقي العاملين هم جميل الملايكة ومحمود الجليل ومحمود شيت خطاب وعبد الرازق محي الدين ويوسف عز الدين وفخرى الدباغ وأسهموا في بحوث المؤتمر ودراساته وتوصياته .

(١) لا تملك دار الكتب أعدادا كاملة للمجلة .

(٢) كتب الزميل الشاعر الكبير محمد عبد الغني حسن دراسة ممتازة عن (روضة المدارس) ونشرت بالهيئة العامة

للكتاب في القاهرة .

(٣) تركت العناوين والتعليقات بأسلوبها وكرتها .

- ١ - حقائق الأخبار في أوصاف البحار . تأليف علي باشا مبارك .
 - ٢ - الصحة التامة والمنحة العامة . تأليف طبيب مصره ولقمان عصره ، عالم الأمراض الباطنية بالمدرسة الطبية محمد بدر أفندي .
 - ٣ - آثار الأفكار ونبور الأزهار . تأليف عبد الله بك فكرى .
 - ٤ - المباحث البيئات فيما يتعلق بالنبات . تأليف الخاذق الماهر ذى الفضل الباهر - أحمد أفندي ندا - مدرس المواليث الثلاثة بالمدرسة الطبية .
 - ٥ - الأزهار البديعة في علم الطبيعة . تأليف مسيو بيرون معلم الكيمياء بمدرسة الطب . جمعه من كتب الفن الفرنسية وترجمه يوحنا عنجورى المدعو بحنين مع مساعدة المؤلف المذكور لمعرفته بالعربية وصححه الشيخ يونس الواعظ المصحح .
 - ٦ - أحسن الأغراض في التشخيص ومعالجة الأمراض . تأليف محمد التونسى محرر كتب الطب ، قابله مع جامعه محمد شافعى الحكيم الماهر .
 - ٧ - حسن الصنعة في علم الطبيعة . لمدرسه على أفندي عزة أحد خواتم العلوم الرياضية بمدرسة المهندسخانة الخديوية .
 - ٨ - التشریح العام . تأليف كلار ترجمة عيسوى أفندى النحراوى استملاه الشيخ عوض القنائى وهو المصحح الأول ، المقدمة استملاها الشيخ على العدوى وهو المصحح الثانى ، قابله مع بيرون الكيماوى الطبيب العارف لكثير من اللغات .
- ومن قراءة التعليقات التى كتبت على الصفحات الأولى يجد الباحث مقدار الجهد وشكل العناية والشعور بالمسئولية التى بذلت فى سبيل خدمة اللغة العربية ولم يكتف المترجمون بالترجمة والتدقيق والمراجعة والتأكد من وضع المصطلح المناسب إنما كانوا يضعون الملاحق لتسهيل فهم المصطلح وضبط الكلمات وقد شرح الفكرة أحد هذه الكتب بقوله :
- « فيه كثير من الأسماء الأعجمية سواء كانت فرنسوية أو يونانية كأسماء مهرة المشرحين ، وبعض حيوانات قد ذكرت للتبيين ، وأسماء بعض أمراض ومفاصل ولعجمتها كان التحريف فيها حال التلفظ بها أقرب حاصل ، ولا يمكن النطق بها على حقيقتها بالضبط التام ، الذى به يستقيم الكلام ، ولا سبيل إلى ذلك إلا بضبطها

بالعبارة ، لأن الضبط بالشكل غير مأمون الخسارة ، أمرني حضرة ناظر مدرسة الطب
الإنسانى الآن الشهير بيرون أن أضببطها بالعبارة ليسهل انتلفظ بها ويهون وأن أرتبها
على نسق حروف المعجم لتكون مراجعتها أسهل وأقوم وأحكم . . . (١)

دقة الترجمة والتطبيق :

وأعود فأقول إن دقة الترجمة ووضع المصطلح - رغم الضعف والركة - أحيانا
مما يلفت نظر الدارس فقد كان كل طالب من طلاب البعثات الذين عادوا
إلى القاهرة حريصا على نقل علوم الغرب وفكره وطراز حياته إلى البيئة التي كان يعيش
فيها وتطبيق ما كان يراه صالحا من العلوم الحديثة إلى الطلاب والاستفادة منها في حياة
مصر العامة وما قام به الطهطاوى وما طبع نموذج حتى لذلك .

كما أجريت دراسات علمية جديدة على مياه حلوان المالحية الكبريتية من (حضرة
موسيو جاستنيل خوجة الكيمياء والطبيعة وترجم الدراسة ذو المعارف الحمة فتوتلو
أحمد أفندى ندا - لأجل معرفته الفرق بين الأوصاف الكيماوية للماء حلوان المحتوى
على الأصل الكبريتى والأوصاف الكيماوية للماء المحرد عنه . . .) (٢)

وقد ذكر ما حصل للماء من التفاعل الكيماوى . . . وعنيت (يعسوب الطب)
بمظاهر الأمراض ووصفتها بدقة . . .

توحيد المصطلح :

سبق لى أن أقيمت أكثر من محاضرة فى مؤتمر (تعريب التعليم العالى فى الوطن العربى)
الذى عقد فى بغداد ما بين الرابع إلى السابع من شهر آذار سنة ١٩٧٨ (٣) . دعوت إلى ضرورة
توحيد المصطلح العلمى فى الوطن العربى وهو إحساس كل من عالج أمور المصطلحات
ومن يقرأها فى الكتب والمعاجم التى تصدر فى الأقطار العربية . ومؤتمركم خير شاهد
على عمق الإحساس . وصدق الشعور بالمسئولية القومية والوطنية والعلمية فى ضرورة التوحيد
سواء أكان فى إطار المحاضرات والكتب أم بين دفتى المعجمات المتنوعة فقد دعت الضرورة

(١) الذمريج العام ، تأليف كلار ، طبع فى بولاق ١٢٦١ .

(٢) يعسوب الطب ، العددان ٢٥ و ٢٦ صفر ١٢٨٥ هـ .

(٣) أسهم عدد من أعضاءالمجمع العاملين وقد نشرت بحوثهم فى مجلة المجمع العلمى العراقى الصادر سنة ١٩٧٩

إلى جمع المصطلحات وضمها بعد التنسيق في معجم موحد يعتمد عليه الباحث والدارس والمترجم كل حسب اختصاصه .

وقد أحسن أعضاء المجامع في القاهرة ودمشق وبغداد والأردن بضرورة توحيد المصطلح وقد دارت الفكرة في بيت الحكمة في تونس - الجلسات الأولى - لوضع حد لهذه الفوضى في اختيار المصطلح وضرورة توحيدده .

ولتأكيد هذا الاتجاه صدرت عدة معجمات في العراق موحدة منها المعجم الطبي الموحد - ومن الصدف الحسنة أن توزع آخر طبعاته علينا في هذه الجلسة - والمعجم العسكري وغيرها من المعاجم في الطب والفيزياء والكيمياء وعلم طبقات الأرض (الجيولوجي) وللوصول إلى توحيد المصطلح في العلوم المختلفة مثل علم النفس وعلم الأحياء والهندسة المدنية والري والبزل والغابات والأمراض وكنا نراجع ما أقرته المجامع العربية وما أصدره مكتب تنسيق التعريب في الرباط ولم تكن تغفل دراسة الكتب المترجمة باختلاف المترجمين وتعدد الباحثين وكانت محاولات مجمع اللغة العربية المبكرة في القاهرة جادة في الدعوة إلى توحيد المصطلح وما قام به مصطفي الشهابي من جمع لأشهر الألفاظ اللاتينية لأنواع النبات وترتيبها على حروف المعجم وذكر ما يقابلها باللغة العربية مجال دراسة اللجان المختصة (١) .

ولا يمكن نسيان جهود اتحاد المجامع العربية في إصدار المعجمات الموحدة في الطب والنفط والقانون والمعجم الموحد للمصطلحات العلمية في الرياضيات والفيزياء والكيمياء وعلم الحيوان وعلم طبقات الأرض ، كما سعت المنظمة العربية للتربية والعلوم في هذا الصدد لشعورها العميق بهذا التمزق اللفظي .

وخارج المجامع قامت مؤسسة الكويت للتقدم العلمي بإصدار ثلاثة قواميس في الكيمياء ومشروع المؤسسة يشتمل على خمسة معاجم باللغة العربية والفرنسية والإنكليزية لشرح المصطلحات وقد وعدت المؤسسة بالالتزام بقواعد وضع المصطلحات التي أقرتها المجامع العربية .

(١) يلاحظ أعداد مجلة مجمع اللغة العربية في دمشق في أعدادها المتنوعة ومنها العدد الأول سنة ١٩٦١ ومعجم المصطلحات الحراجية الإنكليزية والفرنسية والعربية للأمير مصطفي الشهابي ومعجم الشهابي في مصطلحات العلوم الزراعية طبع مكتبة لبنان .

مشكلة المصطلح :

إن اختلاف المصطلح العلمي في الوطن العربي مشكلة آنية لا بد من حلها فقد كثرت الشكاوى من هذا الاختلاف والتفرق في وضعها واستعمالها وما تزال تدخل للحياة العامة ولغة الصحافة والكتاب ونحس بهذا الاختلاف في أبسط أشكالها في اللغة اليومية والاستعمال الرسمي :

فنحن في العراق نقول وزارة النفط وفي المملكة العربية وزارة البترول والمعادن وهناك من يسمى النفط بالزيت ووجدنا اختلافا في كثير من المصطلحات الحيوية منها على سبيل المثال :

علم الطبيعة - الفيزياء - وتسمونها الفيزيقيا .

الملحق في الامتحان - الدور الثاني ويسمى الإكمال :

المدارس الأميرية والأعمال الأميرية تسمى الرسمية :

المدارس الحرة - الخاصة - الأهلية :

ناظر - مدير :

المرتب - الماهية - الراتب - الرزق :

محال على التقاعد - محال على الاستيداع :

العوائد - الرسوم :

وظيفة خالية - شاغرة :

كادر - ملاك :

وكيل نيابة - حاكم تحقيق - مستنطق :

محكمة النقض - محكمة الاستئناف :

المحافظ - المتصرف - المدير .

مدير الأمن - مدير الشرطة - الحكمدار :

سنترال - بدالة - مقسم :

ولو تتبعنا مثل هذه الكلمات لاحتاج الأمر إلى صفحات كبيرة إضافة إلى شيوخ كلمات أجنبية مثل الطابور وسره وكوبرى ونمرة باش وتلغراف وجرنال . والحبل على الجرار وجرائدنا العربية والإذاعة المسموعة والمرئية شاهد يومي على ما أقول. فلا بد من تدارك الأمر

والتكاتف مع الجرائد اليومية ووسائل الإعلام بالابتعاد عن مثل هذه الألفاظ وتوحيدها في معجم واحد أو معجمات حسب حاجة الحياة المعاصرة . وحياتنا الحاضرة المتطورة تخدم عملنا بما فيها من سرعة المواصلات ووسائل النشر الحديثة وأدوات الطبع المتطورة وقد أصبحت الوثائق والرسائل والصكوك ترسل صورها من بلد إلى آخر بالهاتف المصور .

وقد توحدت الأمم المختلفة رغم اختلاف جذورها فحري بالعرب القضاة على الفرقة الفكرية والتمزق اللفظي في وضع المصطلح العلمي . إذ أخشى أن يأتي اليوم الذي لا تفهم شعوب العرب المصطلحات التي توضع في أقطارها المختلفة وأقاليمها المتباعدة .

هذه المشكلة قد حلها السلف الصالح بوضع كتب للمصطلحات مثل مفاتيح العلوم للخوارزمي والمغرب للجواليقي والمتوكلي للسيوطي والتعريفات للجرجاني والمخصص لابن سيده وغيرها من مصطلحات اللغة والأدب والفلسفة . فالدارس العربي والمسلم قد وحد المصطلحات ورآها ضرورة لمسيرة حياته الحضارية والعلمية في العصر العباسي وحاولها أحفاده في زمن محمد علي باشا^(١) وكان من نتيجة وحدة المصطلح فهم العلوم وهضمها وانتشارها واستعمالها في الكتب العلمية المختلفة حتى أصبحت مألوفة ميسورة لكثرة تداولها .

ولا بد لي أن أسجل شكوى أستاذين في المغرب العربي ومعاناتهما من المصطلحات التي توضع في مشرق الوطن العربي ، فقد قال الأستاذ الدكتور محمد السويسي زميلي في المجلس العلمي لبيت الحكمة في تونس :

(واجهنا مشكل المصطلحات في العربية حين حدث بنا الظروف منذ ما يزيد على الثلاثين سنة إلى الإشراف على تحرير القسم العلمي في مجلة المباحث وإلى تدريس أصول الرياضيات والعلوم الفيزيائية) . فقد كانت المشكلة قديمة حاول الأستاذ وضع مصطلحات جديدة اعتماداً على التراث العربي وما وضع المشاركة من مصطلحات لكنه وجد تشتتاً وتفرقاً في وضع المصطلح فقال :

(قام الباحثون في المشرق منذ أمد بعيد بأعمال كثيرة كانت مفيدة ، وأكب العديد من الأخصائيين جاهدين على إنشاء ما يقابل في العربية ، المصطلحات العلمية الجارية بها العمل ، ولكن هذه المساعي ، كانت مشتتة وكان نتائجها متباينة مختلفة فصار المعجم العربي الحديث

(١) المؤسسات العلمية في زمن محمد علي باشا وضعت معها كتيبات في عدة مجلدات سمي قاموس القواديس الطيبة ولا يمكن اغفال ما في مخطوطات التراث العربي لابن الهيثم وابن سينا والكندي وابن بصال وابن وحشية من مصطلحات في مختلف العلوم والفنون .

ملفقا تليفقا مصطبغا بعديد من الألوان وهو مائج متحرك يعرض من المستحدثات أفواجا من الألفاظ المشتركة التي قد توازي المدلول المقصود موازاة تامة أو هي لا توازيه ، والتي تتميز بحسب البيئات وتختلف باختلاف الأشخاص ، فعرب كل أخصائي بعض مصطلحات اختصاصه ، متأثرا باللون الذي طغى على اللفظ المستعمل في لغة الأصل التي استند إليها وجعلها أساسا في بحثه فتراكت المفردات وتعددت لأداء المفهوم الواحد أو لوصف الظاهرة الواحدة . . .) (١).

وقال الدكتور أحمد الأخضر من الجزائر :

(ولو كان المعجمون العرب العصريون قد اهتموا بتأليف معاجم متخصصة على منوال أسلافهم (كابن سيده في مخصبه) لأدركوا اضطراب المصطلحات التي لا يقبل مجال من الأحوال ، وما كان علينا أن نقوم بهذا العمل الجبار لإعادة تنظيمها اليوم) (٢).

الخاتمة :

إن توحيد المصطلح في لغتنا المعاصرة ضرورة من ضرورات حياة العرب الفكرية المعاصرة لإثبات الذات في الوطن لأن التطور العلمي في هذه المرحلة الدقيقة من مراحل تطور الحضارة السريع لا بد له من إعداد متقن ومنسق بعد أن أصبحت البشرية عالما واحدا مشتركا في كل قضاياها العامة .

واللغة العربية هي الأداة القوية التي تربط الأقطار العربية وتسجل تطورها العلمي وتقدمها الحضاري فمن الضروري أن توجد مصطلحاتها بعد أن أصبحت جزءا من الفكر القومي والوطني لأن ترك الأمور على الغارب سوف يخلق لغات متنوعة لن تمكن الاستفادة منها في الأقطار العربية الأخرى. وليست القضية اعتزازا بالنفس واعتدادا بالإقليمية إنما هي قضية مصير موحد وقضية مستقبل الحضارة والعلوم في وطننا فمن الضروري أن تأخذ الأمور بالحد واحتواء الحضارة الغربية ومواجهتها بفهم علومها ومصطلحاتها .

إن فهم العلوم لا يتم بصورة مفيدة وفاعلة في تطور الفكر العلمي عند العرب إلا إذا فهم الباحث العلوم الجديدة في لغته المعاصرة فقد تقدمت اليابان وطورت علوم الغرب عندما درست العلوم الغربية بلغتها رغم الصعوبات الكبيرة في هذه اللغة وقد تطورت العلوم الحديثة في روسية عندما بدأ العلماء يدرسونها باللغة الروسية ، ولم تصل الصين ذات اللغة العجيبة

(١) مؤتمر تعريب التعليم العالي في الوطن العربي ، بغداد ١٩٨٠ ص ٥٥ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٥٨٩ .

المعقدة إلى اكتشاف أو اختراع القنبلة الذرية ومزاحمة الغرب في صواريخه إلا بعد دراسة العلوم المتطورة باللغة الصينية^(١).

كنا ندرس الكيمياء ولا نعرف ما يحتويه المصطلح من كميات المواد وكنا نحفظ غيبيا المصطلحات العلمية كي ننجح في الامتحان لأننا لا نعرف بصورة مضبوطة محتويات هذه المصطلحات العلمية، والطالب في الغرب يعرف ما معنى كبير توز وكبريتات وكبريتد وكبريتيك وما مقدار الأكسجين والكبريت في هذا المصطلح.

إن وضع المصطلحات باللغة العربية وتنسيق المعجمات وتوحيدها سوف يخلق جيلا عربيا يفكر بلغته ويعرف أسلوب البحث العلمي ودقائق المصطلح ومن فهم الأسلوب العامي تفقد تطور فكره في البحث ووصل إلى النتائج الجيدة وأصبح مبدعا. لأن اللغة خير وسيلة للتأصيل العلمي والفكري. وبعث الثقة العميقة بالتراث اللغوي التي عانى من الاتهامات المريرة.

إن الإيمان بقدره اللغة سبيل إلى بعث الثقة بالذات ووسيلة للتأصيل العلمي والفكري في الأمة واحتواء الحضارة الجديدة لأن العلم متى أصبح مشاعا يصبح سهلا ومتناولا من أصحاب الحرف والأعمال العامة وعلى هؤلاء المعول في إدارة كثير من أعمال المخترعات الحديثة. ولا بد في هذا المجال من مراجعة المعاجم التي وضعت لمختلف العلوم والفنون والاستفادة من أصحاب الخبرة في كل فن وعمل في وضع المصطلح العلمي. ويمكن اتخاذ الخطوات التالية:

- ١- عقد المؤتمرات الدورية المتقاربة التي بدأت في الجامعات - ولم تستمر - لتوحيد المصطلح الذي يضعه الجمعيون قبل أن يطبع في المعجم الموحد للعلم الواحد.
- ٢- أن يكون التنسيق مستمرا بين جميع المؤسسات العلمية والجامع بتبادل ما وضع من المصطلحات ودراستها وإبداء الرأي في كل مصطلح.
- ٣- إسهام عدد من اللغويين في المؤسسات العلمية الصرفة عند وضع المصطلح فقد لاحظت بعض المصطلحات يضعها العالم الفاضل بعلمه ولكنه بعيد عن الذوق اللغوي والأسلوب العربي فتدخل الألفاظ الأجنبية التي ألفها العالم ويفرضها لشدة حرصه وقرب معناها إلى نفسه.

(١) لكي تلم باللغة الصينية لا بد أن تعرف عشرة آلاف حرف وقد أحسست بصعوبة لغتها عند زيارتي للصين الشعبية ولا شك بأن اليابان تعانى مثل هذه الصعوبات ولكن لم تنحل الصين واليابان عن اللغة رغم الصعوبة البالغة ولم تكن بلغارية لها حروف هجائية حتى جاء (كيروستيودي) وأخذ من اليونانية الحروف وطورها.

٤ - من المهم وجود هيئة علمية للتنسيق قادرة على العمل المنظم والحركة السريعة وتملك القدرة المالية والمعنوية في التنسيق والطبع والنشر.

٥ - تحديد معنى المصطلح بوضع تعاريف مطولة واختيار الدقة في لغة العلم المعاصرة ، وإيضاح الدلالة العلمية والتفاعلات التي جاء منها المصطلح لأن الإيضاح ضرورة لفهم المصطلح في أول وضعه والاتفاق عليه .

٦ - جمع المصادر العلمية من مصادرها العلمية المعاصرة وحذف الاختلاف البين وتقريب وجهات النظر ما بين هذه المصطلحات والتأكيد على دراسة ما وضع في المشرق العربي والمغرب العربي لاختلاف القواعد الفكرية العلمية بتنوع الجذور الأجنبية التي أخذت منها هذه المصطلحات .

٧ - ولا بأس من الاستفادة من المصطلحات العلمية التي وضعت في زمن محمد علي باشا رغم ما فيها من سذاجة وبدائية وقد وجدت الكتب التي انتشرت في المدارس مطبوعة أو مخطوطة في دار الكتب وقد ذكرت جزءاً منها :

شكر وتقدير :

وأخيراً أقدم جزيل شكري وتقديري للمبادرة الكريمة التي قام بها مجمع اللغة العربية للدعوة لهذا المؤتمر فإن عمله التاريخي خطوة كبيرة في سبيل الوحدة الفكرية للقضاء على التمزق الفكري في وضع المصطلح لأن توحيد المصطلح أقوى قاعدة للنهوض بالعلم المعاصر وتقريب فهمه ونشره بين أكبر عدد من المتعلمين وأصحاب الحرف . . وبالتالي فهو عمل خالداً في توحيد الفكر المشتت في بلادنا العربية.

وأرجو أن تكون هذه الخطوة العلمية باعثاً لحفزهم المؤسسات العلمية في كل الأقطار العربية للسير في هذا السبيل .

وأختم قولي هذا بالتهاني القلبية لمجمع اللغة العربية ولرئيسه أستاذنا شيخ الفلاسفة المعاصرين الدكتور إبراهيم بيومي مدكور وأساتذتي وزملائي أعضائه وأتمنى لهم أعذب التهاني والعمر المديد والإنتاج المستمر . . بالعيد الذهبي راجياً أن يكون المجمع منارة يشع بعلمه ونيراسة يهتدى بفضلها وفكراً يستفاد منه وفضلاً يطور الحضارة المعاصرة ويقدمها حية لجميع الأمة العربية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته :

الدكتور يوسف عز الدين
عضو المجمع من العراق

معجم العربية الفصحى الذى يصدر فى ألمانيا الغربية للكئور رضان عبد التواب

من القضايا المهمة التى أحس بها وناقشها المشتغلون بالعربية فى العالم ، منذ أكثر من مائة عام ، قضية صنع معجم شامل ودقيق للعربية الفصحى ، يستقى مفرداته من نصوص هذه العربية . وقد بذلت فى هذه القضية محاولات مختلفة ، متعددة الطرائق والأهداف هنا وهناك ، غير أن محاولة من هذه المحاولات ، لم تصل إلى النتيجة المرجوة منها حتى الآن .

ومن المحاولات المهمة التى بدئ فيها فى ديسمبر سنة ١٩٥٧ م ، ما قامت به جمعية المستشرقين الألمانية ، على يد ثلاثة من كبار العلماء المستشرقين ، وهم : « يورج كرايمر » Jorg Kraemer من جامعة « إرلانجن » ، و « هيلموت جيتيه » Helmut Gätje من جامعة « توبنجن » ، و « أنطون شبيتالر » Anton Spitaler من جامعة « ميونخ » .

وقدر رأى هؤلاء العلماء أن يبدءوا معجمهم بحرف الكاف ، ليكملوا معجم : « مد القاموس » Arabic-English Lexicon الذى ألفه « إدوارد لين » E. Lane ووصل فيه إلى نهاية حرف القاف ، ونشره فى ليدن سنة ١٨٦٣ - ١٨٩٣ م ، ثم أعجله الموت عن إتمامه ؛ وذلك حتى يفيد منه الباحثون عن معانى كلمات الأدب العربى القديم ، التى لم يقدر لإدوارد لين أن يضمها معجمه : « مد القاموس » ، وإن اختلف منهج هذا المعجم عن منهج المعجم الألمانى الجديد ، الذى سماه مؤلفوه : « معجم العربية الفصحى » . (Wörterbuch der klassischen arabischen Sprache)

ومن المعروف لكل المشتغلين بالعربية ، أن المستشرق الألمانى : « أوجست فيشر » August Fischer كان قد بدأ مشروعه الضخم ، لعمل معجم تاريخى للغة العربية ،

(*) أتى هذا البحث فى الجلسة الثانية من العيد الحسينى .

يستقى مادته من النصوص العربية، ويستخلص منها دلالات الألفاظ والتراكيب . وقد قضى « فيشر » في هذا المشروع زمنا طويلا ، قبل أن يختار عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة ، منذ أول يوم أنشئ فيه هذا المجمع . وعندما عرض مشروعه على مجمع اللغة ، لقي ترحيبا بالغا من أعضائه ، وأنفق « فيشر » آنذاك أربع سنوات كاملة ، في جمع مادة معجمه ، واستكمالها ، وتبويبها ، وتنسيقها . ولكن الحرب العالمية الثانية فاجأته ، واضطرته للعودة إلى وطنه ، ثم أقعده المرض ، وعاجلته المنية ، دون أن يخرج من مشروعه الضخم إلا مقدمته ، ونموذج من حرف الهمزة إلى مادة (أبد) . وقد نشره مجمع اللغة العربية بالقاهرة بعد ذلك .

ولا يزال جزء كبير من جزايات هذا المشروع الكبير في حوزة مجمع اللغة . وقد تفضل المجمع فأذن للجمعية المستشرقين الألمانية ، بتصوير الجزايات الخاصة بحرفي الكاف واللام منها ، قبل ربع قرن مضى . كما كتب « يورج كريمر » في عام ١٩٥٥ م مقالا في مجلة جمعية المستشرقين الألمانية (ZDMG, Bd. 105, S. 81-105) عن هذه الجزايات ، بين فيه أنها في حاجة كبيرة إلى التصحيح والتنقيح والإكمال .

ثم وقعت تحت يد « كريمر » مجموعة أخرى من الجزايات ، صنعها : « تيودور نولدكه » Th. Nöldeke و « ركندورف » Reckendorf لألفاظ العربية الفصحى ، وجمعها من النصوص اللغوية ، إلى جانب حصيلة أخرى من الألفاظ ، التي دونها « فيشر » نفسه على هامش نسخته من : « مدّ القاموس » لإدوارد لين .

وعندئذ فكر « يورج كريمر » مع زميليه ، أن يقوم بإحياء مشروع « فيشر » مبتدئا بحرف الكاف ، كما ذكرنا من قبل . وخرجت الكراسة الأولى من هذا الحرف ، ونصف المادة العلمية الموجودة بها لفيلسوف ، أما النصف الآخر فهو من جهد « كريمر » وزميليه ، ومما استفادوه من مجموعة « نولدكه » و « ركندورف » .

وقد ذكر الثلاثة في مقدمة الكراسة الأولى ، أن عمالهم يسوده روح الفريق : فقد ذهب « كريمر » إلى القاهرة ، ودرس الجزايات التي صنعت تحت إشراف « فيشر » بمجمع اللغة ، وانتقى منها ما يخص حرفي الكاف واللام ، ورتبها ، وقام بتصويرها بمساعدة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية آنذاك ، ثم أعد مع زميله : « جيتيه » في « توبنجن » مسودة المعجم ، بعد الإكمال والتنقيح والمراجعة لجزايات « فيشر » ،

وما أضيف إليها من المادة الحديدية ، وأرسلت هذه المسودة إلى « أنطون شبيتالر » في « ميونخ » ، فراجعها على المصادر ، وزاد عليها ما جمعه من قبل من مادة صالحة لهذا العمل .

أما معاني الكلمات العربية ، فقد تُرجمت بالألمانية والإنجليزية ، وقام بالترجمة الإنجليزية لهذه الكلمات : « جون ديفز » John Davis و صححها بعناية المستشرق : « دنلوب » Dunlop في « كمبردج » ، كما عاون في تصحيح تجارب الكراسة الأولى المستشرق : « سنجر » Singer في « إرلانجن » .

وفي عام ١٩٦٠ م مات « جورج كريمير » منتحراً ، بعد أن أصيب بحالة اكتئاب نفسى ، وصدرت الكراسة الثالثة من حرف الكاف ، من عمل : « أنطون شبيتالر » مع : « مانفريد أولمان M. Ullmann وظل هذان المستشرقان الجاهلان يسهران بجهدهما في هذا المعجم ، حتى انتهى حرف الكاف كله في عشر كراسات : ورأى كل واحد منهما بعد ذلك ، أن يستقل بالعمل في حرف كامل ، فكان حرف اللام من نصيب « أولمان » ، وحرف النون من نصيب « شبيتالر » .

وقد انتهى الجزء الأول ، الذى يحتوى على حرف الكاف كله في عام ١٩٧٠ م ، ويقع في ٥٨٢ صفحة من القطع الكبير ، كما كمل القسم الأول من الجزء الثانى ، ويحتوى على أول حرف اللام إلى الخدر (ل ض م) في عام ١٩٨٣ م ، ويقع في ٦٧٣ صفحة من القطع الكبير كذلك . وهذا القسم يحتوى على ٢٣١٠٠ من الشواهد اللغوية :

ويسير الجزء الثانى المختص بحرف اللام ، على المنهج الذى وضعه « جورج كريمير » في مقدمة حرف الكاف . غير أن الاستمرار في العمل طوال هذه السنوات ، أدى إلى تغيير بعض الخطوط العامة للمعجم على النحو التالى :

١ - النصوص الكثيرة المحققة ، التى ظهرت في السنوات العشرين الماضية ، جعلت المادة اللغوية أمام المؤلفين غزيرة جدا .

٢ - النصوص التى كانت بالنسبة لهم مفقودة ، وكانوا يعتمدون في استخدامها على مصادر ثانوية ، ظهرت للوجود منشورة محققة :

٣ - استبدلت بالنصوص المحققة قديما ، ما حقق منها حديثا مرة أخرى : ومن ذلك دواوين : البحترى ، وجرير ، وكثير عزة ، والراعى النميرى ، وابن الرومى ، والشماخ .

٤ - بعض التحقيقات القديمة استبقيت إلى جانب الحديد منها . مثل دواوين : العجاج والأخطل ، وحسان بن ثابت ، ومزاحم ، والنابعة الدبباني .

٥ - ترتب على ظهور مطبوعات كثيرة جديدة ، أن تغيرت مختصرات كثيرة استخدمها « يورج كريمير » متبعا فيها « نولدكه » (في معجمه الذي ظهر منه كراستان في برلين ١٩٥٢ - ١٩٥٤ م) ، فكانوا يرمزون مثلا لكتاب : « الاشتقاق لابن دريد » بالرمز : (b. Dor) . أما في الوقت الحاضر ، فإننا نعرف لابن دريد ثمانية كتب ، كلها مستخدمة في « معجم العربية الفصحى » .

من أجل هذا كله ، وضعت في هذا الجزء الثاني قائمة جديدة للاختصارات ، التي تصلح للتعبير عن كل هذا التراث الجديد . واتبعت فيها النظم التالية :

١ - ضبطت أسماء الكتب ومؤلفيها بالضبط الموافق للنطق العربي ، وليس بالنطق المعروف لدى المستشرقين (مثلا : Bakri وليس : Bekri) .

٢ - لم تعد الرموز تكتب بالطريقة الإنجليزية ، التي ترمز للصوت الواحد أحيانا بحرفين من الحروف اللاتينية ؛ مثل : Kh للحاء ، وإنما اتبعت الطريقة الألمانية ، التي ترمز للصوت العربي برمز لاتيني واحد ، مع وضع بعض النقط أو الخطوط والأقواس فوقه أو تحته .

٣ - أشار المؤلفون إلى الدواوين بذكر أسماء الشعراء فقط ، كما أشاروا إلى المعاجم العربية بمختصر لعناوينها ؛ مثل : العين ، والبارع ، والجمهرة ، واللسان ، والنخوص .

٤ - أشاروا إلى غير ذلك من المراجع العربية ، بذكر مختصر لاسم المؤلف ، وبعده مختصر لاسم كتابه ؛ مثل : البلاذري أنساب ، والبلاذري فتوح ، والمرزباني معجم ، والمرزباني موشح ، والمرزباني مقتبس ، والمرزباني نساء ؛ وبذلك ظل الباب مفتوحا لمراجع جديدة تظهر لهؤلاء المؤلفين . ومع ذلك أبقى المعجم على المشهور من أسماء المراجع بلا ذكر لمؤلفيها ؛ مثل : الأغاني ، والخزانة ، والعقد .

٥ - أشار المؤلفون إلى الطبعة الثانية ، مما له طبعتان ، بذكر اسم محقق الطبعة الثانية مختصرا ، بعد ذكر أرقام الطبعة الأولى ، مفصولا عنها بشرطة مائلة ، وموضوعا بين قوسين ؛ مثل : حسان ١٧٧ / (عرفات) ١٧٥ / ٣

٦ - الكتب العربية المترجمة عن اليونانية ، كتبت أسماء مؤلفيها في صورتها العربية ؛ مثل : بقراط : فصول ، وديوسقوريدس : حشائش ، وجالينوس : تجربة . الخ .

وقد قام الناشر في عام ١٩٧٩ م بنشر قائمة الاختصارات الجديدة نشرة مستقلة ،
ممثلة لحالة «معجم العربية الفصحى» اعتباراً من يولية ١٩٧٨ م ، لتسهيل الأمر على مستخدم
هذا المعجم بصورته الجديدة .

وعندما ظهرت بعد ذلك نصوص جديدة ، روعيت كذلك فيما نشر بعد ظهورها
من صفحات المعجم ، كما تم الاتفاق مع الناشر على عمل قائمة جديدة مستوفاة ، ستنشر في
أول القسم الثاني من حرف اللام ، أو في نشرة مستقلة .

وعند بدء ظهور هذا المعجم بحرف الكاف في عام ١٩٥٧ م ، كانت جزازات « فيشر »
التي صورت من مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تمثل ٥٠ ٪ من الشواهد المستعملة في المعجم ،
كما ذكرنا من قبل ، وبدأت هذه النسبة تقل بالتدريج ، حتى وصلت مع نهاية حرف الكاف
في عام ١٩٦٦ م إلى ٥ ٪ فحسب . وابتداء من مادة (لحد) في الجزء الثاني (ص ٢٧٩
وما بعدها) لم يعد الرجوع إلى جزازات « فيشر » أمراً مرغوباً فيه ؛ لأن مراجعة الأفلام
التي صورت عن مجمع اللغة العربية ، كانت تضيع الوقت ، كما أن المادة التي تحتويها هذه
الجزازات ، كانت مأخوذة من طبعات قديمة عفي عليها الزمن ، فترك الرجوع إلى هذه
الجزازات ابتداء من مادة (لحد) نهائياً .

وقد عمل في هذا المعجم الكثير من المساعدين ، رجالاً ونساء ؛ مثل : الدكتورة
« كيلرمان » Kellermann التي قامت بين عامي ١٩٦٦ - ١٩٦٨ م باستخراج المادة
العلمية اللازمة لحرف اللام من مجموعة ضخمة من المصادر ، تصل إلى أكثر من ٣٥ مصدراً ؛
منها : ديوان العباس بن الأحنف ، وديوان علقمة ، وديوان عنبرة ، وديوان بشار ،
و ديوان جرير ، وديوان امرئ القيس ، وديوان طرفة ، وديوان زهير ، إلى جانب :
الأصمعيات ، وسمط اللآلي ، والعقد الفريد ، وشرح المقامات للشريشي ، والبخلاء
للجاحظ ، والمعاني الكبير لابن قتيبة .

وفي عامي ١٩٦٣ - ١٩٦٤ م ، استخرج بروفيسور « شبيتالر » المادة العلمية اللازمة
لحرفي اللام والميم في المعجم ، من بعض الدواوين كديوان عمرو بن قبيصة ، وأوس بن
حجر ، وجران العود ، ومزرد ، والنمر بن تولب ، وسراقة البارقي ، والشماخ ،
وغيرها .

ومن عمل في هذا المعجم كذلك : الدكتورة « فيلانت » Wielandt و « حبيب جاويش » والدكتور « عثمان بوغانمي » . والدكتور « أدولف دينتس » Adlof Denz والدكتور « فيرنر ديم » Werner Diem والسيدة « توللي » Tölle والدكتور « شتيفان فيلد » Stefan Wild وغيرهم .

وقد أدى كل هذا الجهد الكبير إلى اتساع المادة العلمية ، والشواهد اللغوية المستخدمة في المعجم اتساعا كبيرا ؛ فبعد أن كان مرجع الحديث : « وهل يسكبُّ الناس على مناخيرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم » الوارد في صفحة ١٤ من الجزء الأول (كيب) هو كتاب الأمثال لفرايتاج (رقم ٢٥٨٣) وحده ، أصبح مرجعه في مادة (لسن) من الجزء الثاني (صفحة ٦٠٣) : رسائل الخاخط ١ / ١٦٨ والبرهان لابن وهب ٦٥ وبهجة المجالس لابن عبد البر ١ / ٨٣ وثمار القلوب للثعالبى ٣٣٤ والتمثيل والمحاضرة للثعالبى ٢٥ وليس لابن خالويه ١١٩ .

واتساع المادة بهذه الصورة ، يؤدي إلى درجة عالية من الوثوق بصيغة الكامة ودلالاتها ، ومعرفة تاريخها وتطورها . وذلك أمر يجب مراعاته في البداية بكل دقة ، حتى وإن أدى إلى تضخم المعجم ، فإن هذا التضخم سيخف بالتدرج في المستقبل ، حين يمكن الإشارة المختصرة إلى المواضع التي عولجت من قبل . فمثلا في عبارة : « باللسان وباليد » بمعنى : بالقول والفعل ، ذكر لها عشرة مراجع في مادة (لسان) ، وعندما يصل المعجم إلى مادة (يد) ، سيكتفى بالإشارة إلى هذا الموضوع السابق في مادة (لسان) . ومثل ذلك في عبارة : « هو لحم على وضم » التي ذكر لها في مادة (لحم) أحد عشر موضعا ، ولا تحتاج العبارة عند ورودها في مادة (وضم) إلا إلى إشارة يسيرة إلى ماسبق الحديث عنه . ويستخدم المعجم في هذه الحالة سهمًا (←) يشير إلى موضع ورود العبارة في المعجم من قبل .

وفي بعض الأحيان يعالج مع اللفظ ما يتصل به من مرادفات ، وتشبيهات ، واستعارات ، وعبارات لغوية خاصة ؛ فقد عالج المعجم مثلا ارتباط كلمة (اللحد) في عبارات مع القبر والضريح والحفرة والرمس والقعر والهوة وغيرها . ومثل ذلك ارتباط كلمة (اللجين) في عبارات مع الذهب والنضارة والإبريز والعسجد والتبر وغيرها . ومع كلمة (اللدة) مثلا ، عالج المعجم ارتباطاتها بالشهوة واللهو والسرور والمسرة والفرح والراحة والرخاء والتمتع والأريحية والنعيم والغضار وقرّة العينين والطرب والضحك والحسن والعذوبة وغيرها . وكذلك كلمة (اللجام) مثلا عالج المعجم ارتباطاتها مع الشكيم والمقود والعليق والعنان والرسن واللبيب والسرّج ، وما يقابلها من الكلمات التي تستخدم مع الحمل ، كالزمام

والرحل وغيرهما ، بحيث تصبح المادة اللغوية شاملة لكل ما يدور فيه اللفظ من عبارات في العربية .

ويقوم في الوقت الحاضر الدكتور « زايدنشتيكر » Seidensticker بعمل فهرس تفصيلي لهذه الكلمات المذكورة في غير موادها ، في الجزأين اللذين صدرا من المعجم ، حتى يمكن لأي باحث الإفادة منها .

وكان المتبع في الجزء الذي صدر خاصا بحرف الكاف ، أن يذكر بعض شواهد الكلمة متضمنا السياق الذي تذكر فيه الكلمة كاملا ، وفي بعضها كان يكتفى بذكر المرجع بجزئه وصفحته دون ذكر السياق الذي وردت فيه الكلمة . ومنذ بداية الجزء الخاص باللام ، رثي تعميم الطريقة الأولى ، أي ذكر السياق الذي استخدمت فيه الكلمة دائما . وكان هذا أحد أسباب تضخم هذا الجزء ، وإن لم تخل هذه الطريقة من فائدة للباحثين في طرائق العربية ، وتغيرها من عصر إلى عصر .

ويسير « معجم العربية الفصحى » في ترتيب كلمات المادة الواحدة على تقديم الأفعال على الأسماء . وفي الأفعال يرتب ما يوجد منها في العربية على الصيغ التالية : فَعَل (إلى جانب فَعَلَ وِفَعِل) وِفَعَل وفاعل وأفعل وتفَعَل وتفاعِل وانفعل وافتعل وافعلّ واستفعل وافعالّ ، على هذا الترتيب . ويشار في الثلاثي إلى حركة عين الفعل في المضارع . وفي الأسماء تُقدّم الصيغ الثلاثية الساكنة الوسط على فَعَل ثم فَعَلَ ثم فَعِل ، ويأتي بعدها الثلاثي المتحرك الوسط ، ثم المزيدُ بحرف أو أكثر .

ويشير المعجم إلى أصول الكلمات المعرّبة في العربية ، وإلى اليسير من اللغات السامية الأخرى ، كما يهتم بالإشارة إلى الكلمات التي عالجها بعض المستشرقين في بحوثهم ومقالاتهم هنا وهناك . كما يشير كذلك إلى شيء من التحريف القديم ، الذي أصاب بعض الكلمات العربية على أيدي اللغويين العرب ؛ مثل كلمة : « اللجن » في بيت ابن مقبل (ديوانه ٢٣/٣٩) :

يعلون بالمردقوش الورد ضاحية على سعايب ماء الضالة اللجن

التي حرّفت في الإبدال لأبي الطيب ١ / ١٧٠ والصحاح للجوهري ١ / ٦٣ ولسان العرب ٧ / ٢٧١ والمزهر للسيوطي ٢ / ٣٩٠ إلى (اللجن) ، ووضعت في مادة مستقلة في المعجم العربية ، على أنها مقلوب : اللزج !

وسأضرب هنا بعض الأمثلة من هذا المعجم الجليل ، مع ملاحظة أنني اخترت من الكلمات ما لا يطول فيه الاستشهاد :

(١) مكتنز (حرف الكاف ٣٨٣) : معناها بالألمانية : fleischig أو Fést أو kompakt وبالإنجليزية fleshy أو solid أو compact أو strong أو stark

الشواهد : بمكتنز عبل ، لأبي ذؤيب في ديوانه ٦ / ٦ وديوان الهذليين (طبعة دارالكتب) ٣٦ / ١ : ٤ والمعاني الكبير لابن قتيبية ٧٢٣ : ٧ // صقراً مجتمع الخلق شديداً مكتنزا : المصايد لكشاجم ٨٨ : ٩ والبصرة ١٨٠ : ٨ // عضدان متلمان لحمياً مكتنزان شحماً : الوصايا لأبي حاتم ٦٧ : ٤ والعقد الفريد ٣ / ٢٨٧ : ٦ // كان صلباً مكتنزا : طبقات النحويين للزبيدي ١٦٠ : ١٢ مكتنزة ضخمة : أمالي ابن الشجري ١ / ١٢٣ : ٩ // هذا الكتاب مكتنز بالفوائد : أساس البلاغة ٣٩٩ : ٥ وانظر أيضاً معجم البلدان لياقوت ٢ / ٣٤٢ : ١٥ .

(٢) مكايذة (حرف الكاف ٤٨٧) : معناها بالألمانية : List أو Kriegslist أو Betrug وبالإنجليزية : Seduction أو stratagem of war أو trick

الشواهد : مكايذة الرقيب : المختار من شعر بشار ٦٤ : ٢ // على مكايذة امرأته : الفاخر للمفضل بن سلامة ١٢٥ : ٩ // من مكايذة الروم : فتوح مصر لابن عبد الحكم ٣٥ : ١٦ // في المؤاربة والدهاء والمكايذة والمخاتلة : تاريخ الطبري ١ / ٨٤٧ آخر سطر // على تقاعده بي ومكايذته إياي : الوزراء للصابي ٩٥ : ٦ مكايذة الغلظة : مختار الحكم لمبشر ٧٩ : ١٥ .

(٣) مُلابس (حرف اللام ١٤٩) : معناها بالألمانية : Umgang Pflegend أو berührend وبالإنجليزية : touching أو having dealings

الشواهد : بجرباء تعدى من أتاها ملابسا : ديوان مزرد ٨ / ٣ // ويحظى بنا الحار الغريب الملابس : حماسة ابن الشجري ٢٥ : ٧ // ففهم ملابس مكيث : الخيم (مخطوطة الاسكوريال) ٢٤٨ ب / ١٢

ومن معاني الكلمة كذلك بالألمانية : sich beimischen وبالإنجليزية mixing with الشواهد : فإن قلنا إن النفس قائمة من دون الجسم بذاتها ، فالمراد بذلك أنها غير ملابسة له : المقابسات لأبي حيان التوحيدي ٣٠٥ / ٨ // إذا طبخت الماء صرفاً سايباً على وجهه ، لم ينعقد وانحل بخاراً حتى يتفانى ، وإنما ينعقد الكامن من الملابس له : الحيوان للجاحظ ٥ / ٣١ : ١٤ // فلم يكن هناك ضياء كامن ملابس : الحيوان للجاحظ ٥ / ٣ : ٣

(٤) لاصق (حرف اللام ٦٥٩) : معناها بالألمانية : an etwas haften أو in Berührung stehen أو einer Sache unmittelbar benachbart وبالإنجليزية to be immediately next to أو to be in contact with a thing أو to stick to a thing

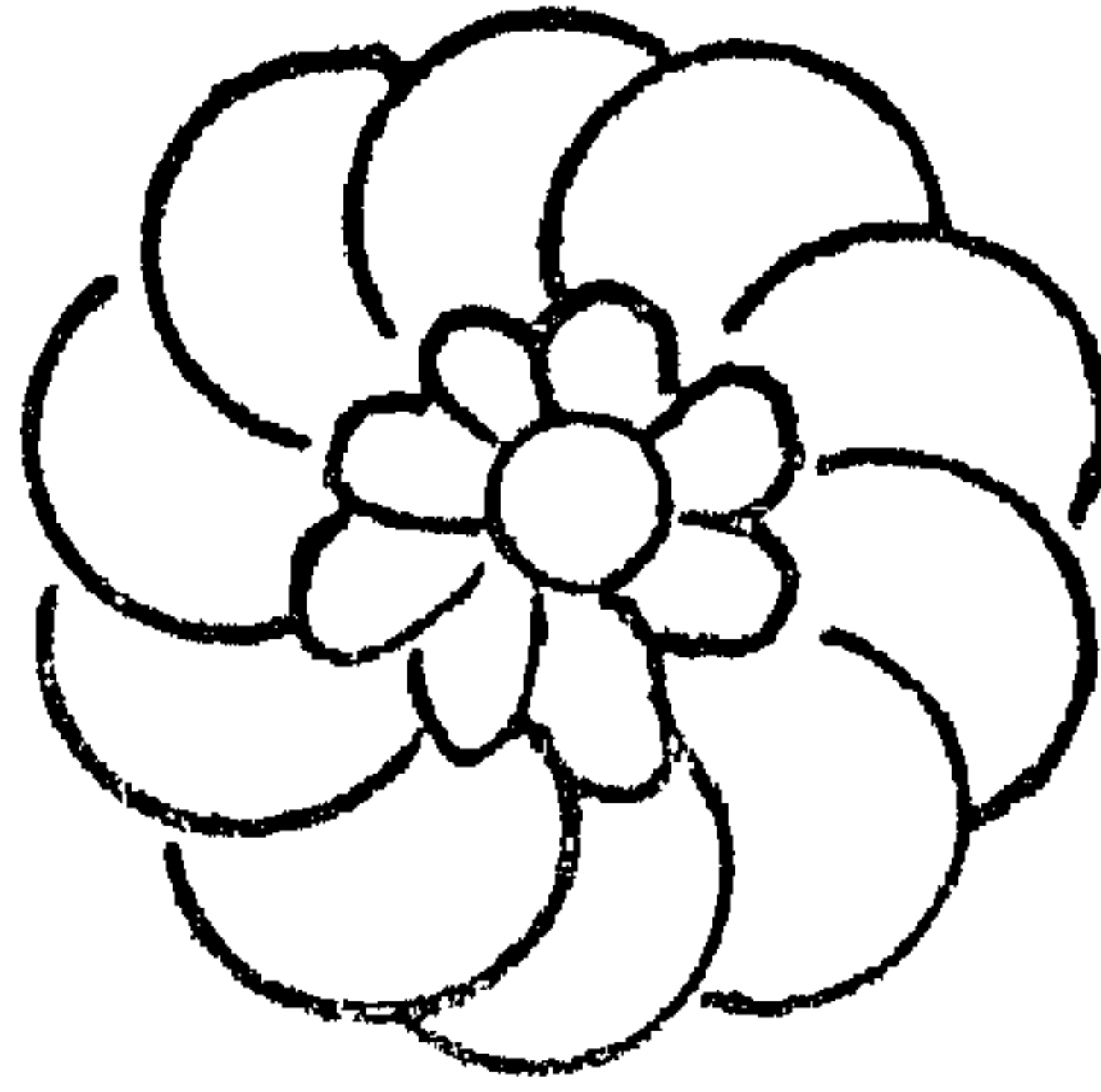
الشواهد : فبنى ذلك الرجل مسجدا يلاصق دار إسماعيل : الأغاني ١٠ / ١٣٩ : ٨
والوافي بالوفيات للصفدي ٩ / ١٧٩ : ١٣ // الدير الذي يلاصق قبر معروف الكرخي : معجم
البلدان ٢ / ٦٥٠ : ٦ // بتباع داره وجميع ما يجاورها ويلاصقها: المستجد من فعلات الأجواد
للتنوخى (طبعة كرد على) ٩٢ : ٤ // كان الوجع والورم عند الكبد؛ لأن الكلى تلاصق الكبد:
الحاوى للرازي ١٠ / ٣٣٠ : ١٥ // لا يلاصق الزبل أصول الكرم البتة : كتاب الفلاحة
لابن العوام ١ - ٥٤٠ : ١٠

* * *

هذا هو « معجم العربية الفصحى » الذى يصدر فى ألمانيا الغربية ، منذ أكثر من ربع
قرن مضى ، ولم يتجاوز العمل فيه حرفا ونصف الحرف . ولو سار تأليفه على هذا النحو
الدقيق البطيء ، الذى ينشد الكمال ، فاننا نقدر لإتمامه أكثر من أربعة قرون ، مع تعاقب
الأجيال ، وتغير المناهج والرجال ، ومع هذا الفيض العزيز من كتب التراث العربى الذى
تخرجه المطابع يوما بعد يوم .

وصدق الإمام الشافعى الذى يقول فى رسالته (ص ١٢) : « لسان العرب أوسع
الألسنة مذهبا وأكثرها ألفاظا ، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي » . والله سبحانه
وتعالى أعلم .

الدكتور رمضان عبد التواب
عميد كلية الآداب
جامعة عين شمس



المعجم العربي في القرن العشرين : مصطلحاته وسأله في الجمع والوضع للكاتب محمد رشاد الحزواي (*)

١ - مدخل ومنهج :

١ - ١ قال ابن منظور رحمه الله - صاحب لسان العرب في المعجم : «أما من أحسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه ، وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجد جمعه ، فلم يقدح حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع » فهذا يفيد أن اعتناءنا اليوم بهذه القضية وما إليها من مسائل ليس غريبا عن تقاليد معجمية عريقة في ثقافتنا وعن نظريات معجمية عربية سابقة وأصيلة لم تعرف مع الأسف تعريفا كافيا ، ولم تنزل منزلتها الحقيقية النقدية من التفكير الإنساني اللغوي (١) أو بالأحرى اللساني ، حسب تعبير المحدثين (٢) فهو مبادرة تهدف إلى تواصل جهود العرب في هذا الميدان الذي برزوا فيه في الماضي وكانوا فيه من الرواد .

والمعجم العربي في القرن العشرين لا ينحصر في قضية مفردة بل هو قضايا متعددة شائكة ، لا سيما إن أردنا أن نصف المعجم كما هو اليوم وكأنه تصور ونرضيه اعتمادا على اعتبارات عدة ، منها مقارنته على ضوء ما وفرته لنا العلوم اللغوية المعاصرة من معلومات تتعلق بمصطلحاته ، ومحتوياته ، وفنياته ، وأهدافه التربوية والاجتماعية والثقافية والحضارية . فيبدولنا عندئذ أن القضية المطروحة تدعو إلى معالجتها من زاويتين متداخلتين : الزاوية النظرية والزاوية التطبيقية ، انطلاقاً من تلك المعلومات المعاصرة ، شريطة تطبيقها على أمثلة عربية حاضرة ومستقبلا حتى ندرك منزلة المعجم العربي من الدراسات والبحوث المعاصرة التي غرتنا ، فأفدنا من النافع منها .

(*) ألقى البحث في الجلسة الرابعة من جلسات الاحتفال بالعيد الخمسيني للجمع .

(١) تجاهل المؤرخون للمعجمية من الأوروبيين مساهمة العرب في هذا الميدان واول ذلك عائد إلى جهاهم بتلك المساهمة انظر في هذا الشأن : G. Matorè; G. Mounin, histoire de la linguistique Paris 1967: 1970; G. Matorè; G. Mounin, histoire des Dictionnaires Francais - Paris 1968

(٢) محمد رشاد الحزواي : من قضايا المعجم العربي قديما وحديثا - تونس ١٩٨٣ ص ١٢٩ - ١٥٤ حيث سعينا إلى إنصاف جهود القدماء في ميدان المعجم .

١-٢ وعلى هذا الأساس لا بد أن نقر أن قضايا المعجم العربي في القرن العشرين مقرونة بعلم جديد في اللغة ، قد ازدهر ازدهاراً كبيراً في الخمسينيات الأولى من القرن العشرين^(١) وهو علم اللسانيات الذي ترجم إلى العربية بمصطلحات عدة ، منها « علم اللغة » و « علم اللغة العام » و « الألسنية » و « اللسانيات » و « اللسانيات^(٢) » وقد أقر مؤتمر اللسانيين العرب المنعقد بتونس سنة ١٩٧٨^(٣) مصطلح « اللسانيات » التي راجت بضاعتها أولاً في تونس ومصر وراجت على ما يعترضها من مصاعب ، في الأقطار العربية الأخرى وجامعاتها وكلياتها فلقد زودتنا اللسانيات بالطبع بمعلومات ومفاهيم أساسية نظرية وتطبيقية لا بد من الاعتناء بها ، لأنها توضح أمرنا وتيسر علينا مقارنة موضوعنا مقارنة مفيدة فيها منفعة وصلاح ، دون إفراط أو تفريط ودون قطيعة بين الماضي والحاضر ، فلقد أصبح تقريباً من المستحيل علينا اليوم أن نتقدم بقضايا المعجم العربي إن قصرنا جهودنا على الاجتهاد في المذهب ، وإن لم ندرجه علنا ومبدئياً في المحادلات اللسانية النظرية التي لا تسلم من المهاترات ، والتي تعتبر مبررة وضرورية اقتداءً بالخليل بن أحمد الذي أخرج المعجم العربي من الرسائل المفردة ، ووضع لنا نظرية لغوية معجمية شاملة أهملها العرب وحالوا عنها وهي صالحة لكل لغة ، كأنه كان يؤمن بالقول المشهور : العلم لا يستقيم إلا على ما عم ولقد تعرضنا إلى هذه القضية في مكان آخر^(٤) واعتماداً على ما سبق نرى من المفيد أن نقسم موضوعنا إلى الأقسام التالية :

المعجم تعريفاً

مداخل المعجم جمعاً ووضعاً

المعجم وقضية التعريف

المعجم : تعريفاً :

٢-١ يبدو من العسير أن نطرق موضوع المعجم في القرن العشرين في نطاق ما سبق لمجمعنا الموقر أن أسماه سنة ١٩٦٢^(٥) بالمعجميات ترجمة لمصطلحي (Lexicographie-Lexicography)

(١) B. Malmberg - Les Nouvelles tendances de la linguistique - Paris 1972

(٢) محمد رشاد الحمزاوي : المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية - حوليات الجامعة التونسية (عدد خاص)

ج. ١٤ / ١٩٧٧ . ولقد عرضنا فيه تلك المصطلحات - انظر كذلك لنفس المؤلف : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات - تونس ١٩٨٣ ص ٢١٨ .

(٣) أشغال ندوة اللسانيات واللغة العربية - تونس ١٣ - ١٩ ديسمبر ١٩٧٨ - ٤١٥ صفحة .

(٤) محمد رشاد الحمزاوي : من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً ص ١٥٥ - ١٦٦ .

(٥) مجموعة المصطلحات العلمية والفنية المجلد الرابع -

(Lexicologie - Lexicology) معرفة تلك المعجميات ؛ « من يقوم على جمع مفردات اللغة وتصنيفها من حيث دلالتها وبنيتها وأصولها^(١) وذلك العسر عائد إلى كون هذا التعريف يحتاج اليوم إلى نظر وإلى كون أهل الذكر قد ميزوا بين (Lexicography-Lexicographie) و (Lexicology-Lexicologie) اللذين أصبحا علمين مستقلين بذاتيهما تعريفيا وأهدافا وإن كانا مترابطين فضلا عما تميز به الثاني من شمول وسعة وحدائثه . ولقد رأينا من المستحسن أن نخصص للأول مصطلح « المعجميات » الذي وضعه المجمع ونخصص لثاني مصطلح « المعجمية » وهو مصدر صناعي يوذى مفهوم العلم النظرى المجرد .

٢-٢ واعتماد الترجمة مبرر فالمعجم ينسب إلى « المعجميات » وهي تفيد في نظر اللسانيات الحديثة وضع المعجم جمعاً وترتيباً فحسب فهي أساساً حرفة أصبحت في عصرنا صناعة تكاد تكون ثقيلة ، وليست بالضرورة عملية لغوية تستدعي اختصاصياً في اللغة - فمصطلح (Lexicographe - Lexicographer) يفيد اليوم جامع المعجم ومرتبته كما يفيد صانعه أو صناعه الذين ينتسبون إلى حرف وصناعات متعددة إن اعتبرنا ما يقتضيه وضع معجم لاروس الكونى الفرنسى (Larousse Universel) أو معجم اكسفورد (Oxford Dictionary) من خبرات ومهارات وتقنيات تتجاوز بكثير عمل اللغوى المعجمى - فوضع المعجم عملية جماعية إن لم نقل وطنية وسياسية وثقافية انقرضت معها صورة المعجمى الواحد الأحد واستبدت بها إدارات كاملة وشركات ووكالات .

٢-٣ أما « المعجمية » فهي أساساً علم مجرد ينتسب إلى اللغة وهي بالتالى مادة علمية غايتها دراسة جميع مظاهر اللغة وبالأخص محتوى المعجم - دراسة لسانية نظرية يعتبر تطبيقاً من تطبيقاتها والملاحظ أن قلة قليلة من اللسانيين العرب قد ميزت بين مفهوم المصطلحين^(٢) وذلك ليس غريباً لأن الغربيين ممن أجادوا في اللسانيات ونظرياتهما وتطبيقاتهما المختلفة لم يعتنوا بالمعجميات والمعجمية باعتبارهما جزءاً من أجزاء اللسانيات التى ظلت تتنكر لهما مدة طويلة لأنهما لا يخضعان لمفهوم النظام (Systeme - System) . فكلمات المعجم فى نظرها لا تكون نظاماً يشابه النظام الصوتى أو الصرفى أو النحوى الذى يمكن أن نعرفه بأنه « البنيان المرصوص الذى يشد بعضه بعضاً »^(٣) أو بأنه « كمثل الحسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء

(١) نفس المصدر المجلد ص ٩٤

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربى ... ص ١٥٦

(٣) ولقد جاء فى سورة الصف ٦١ - ٤ « صفا كأنهم بنيان مرصوص »

بالسهر والحمى»^(١) وبالطبع يمكن أن نعود إلى تعريف مفهوم النظام بإسهاب حسبها وضعه اللسانيون المعاصرون ولا سيما دوسوسير الذي اعتمد لعبة الشطرنج للتدليل على ذلك .

٢-٤ فالمدسة اللسانية التوزيعية الأمريكية التي تزعمها بلومفيلد قد استهانت بقضايا المعجم لأنه يضع على بساط البحث قضية « المعنى » العويصة . وهي حسب رأيها من خصائص علم النفس والسلوك أو العلوم الوضعية ولما كانت هذه المدسة تدعو إلى الوصفية فحسب فإنها كانت ترى أن مسألة المعاني والمقابلات السيمية أو الدلالية ليست من مشمولاتها ولا من مشمولات اللسانيات - أما المدسة اللسانية البنيوية التي تزعمها دي سوسير فإن اهتمامها الكبير بما عبر عنه مجمع القاهرة الموقر بالنظقيات^(٢) (Phonologie - Phonology) قد أدى بها إلى إغفال المعجم وإن كان صاحبها دي سوسير قد ركز نظريته على الكلام والكلمة لأن المنطوقات تكون وحدات معنوية سفلى هي دون الكلمة المندرجة بطبيعة الكلام الإنساني في نظام من العلاقات والمناسبات لا سيما مناسبات التعويض ومناسبات السياق^(٣) أى عندما يختار الإنسان في كلامه كلمة عوضا عن غيرها وعندما يضعها في موضع أو سياق يجعلها تختلف وظيفة ومعنى عما هي عليه في سياق آخر وجاءت المدسة التوليدية التي يتزعمها تشومسكى فاهتمت أولا بالنحو وقضاياها ثم خصصت عنايتها لقضية التعريف بالمعجم فركزته على ثلاثة عناصر : النظقيات والنحو والدلالة .

٢-٥ ولقد أفادت المعجمية والمعجم في نهاية الأمر من هذه النظريات واستخلصت منها مفاهيم ومصادر جديدة بالعناية من ذلك أنها ميزت بين المصطلحات الثلاثة التالية : (Lexique-Lexicon) (Vocabulaire-Vocabilary) (Dictionnaire-Dictionary) التي لا تقابلها في العربية عموما مصطلحات تؤدي معناها حسب المفاهيم اللسانية المعنية بالأمر فمعجم وقاموس ومنجد الخ هي أوصاف فيها اختلافات في أصلها^(٤) وليست مفاهيم لسانية فضلا عن أن أغلب الجمعيين القدامى قد تجنبوها عند تسمية معاجمهم التي قال بعضها بمفهوم « المدونة » الذي اعتمدها لتطبيقه على لسان العرب لا بن منظور^(٥) .

فالمصطلح الأول يفيد حسب رأينا ما عبر عنه الخليل بن أحمد الفراهيدي بـ « المهمل » أو الوجود بالقوة وشومسكى « بالقدرة اللغوية » (competence) وهو رصيد اللغة الكامل

(١) تضمين مأخوذ من الحديث الشريف المشهور .

(٢) مجمع اللغة العربية بالقاهرة : مجموعة المصطلحات العلمية والفنية مجاد ٤ / ٩٥ .

(٣) عبر عنها الفرنسية بـ Rappports Syntagmatiques Rappports Paradigmatiques

(٤) محمد رشاد الحمزاوى : مجمع اللغة العربية بالقاهرة : تاريخه وأعماله - تونس ١٩٧٥ (بالفرنسية) ص ٥٢٣

والمؤلف يترجم إلى العربية .

(٥) محمد رشاد الحمزاوى : المعجم العربي قديما وحديثا ص ١١٧ - ١٢٨ .

الذي تجرأ التحليل على إدراكه نظريا باعتماد عملية التقلاب الرياضية والذي تصور شومسكى باعتماد عملية التحويل ونحن نقترح أن نطلق عليه مصطلح « الرصيد اللغوي » باعتبار أنه المعجم المثالي الأكبر الذي يشمل معاجم كل المتكلمين بالعربية الفصحى في الماضي والحاضر والمستقبل والذي لا يحيط به حسب الشافعي إلا النبي .

أما المصطلح الثاني الذي أطلق عليه الخليل بن أحمد اسم « المستعمل » أو الموجود بالفعل وابن دريد « الجمهرة » « وشومسكى « المنجز أو المطبق » (Performance) فيستحسن أن نطلق عليه اسم المعجم « والمصطلح الثالث الذي يحتوي على القائمة الشاملة لكل الكلمات المثبتة في مدونة معينة أو ميدان معين فلقد أطلق عليه ابن سيده اسم « المخصص » فيجوز أن نسميه « مخصص الألفاظ » مثل مخصص ألفاظ السيارة أو الكهرباء أو البرول الخ . . .

٢-٦ فما هو عندئذ « المعجم » في نظر اللسانيات الحديثة ؟

إن تعريفه يتكون بالضرورة من أوصاف عدة وإن كان المنجد والمعجم الوسيط قد اقتصرنا على تعريفه بعبارات ملخصة للغاية فهو حسب الأول « كتاب اللغة وما يعرفونه بالقاموس من أعجم الكلام أو الكتاب أي أزال عجمته وإبهامه وفسره^(١) وهو حسب الثاني « ديوان لمفردات اللغة مرتب على حروف المعجم^(٢) وفي التعريفين اختلاف ونظر .

إن المعجم أصناف ووظيفة وثقافة وعتيدة فالمعجم معاجم إذ يشمل مثلا معجم الكلمات ومعجم الأشياء - فالأول مؤلف يهتم بوضع الكلمة صوتيا و صرفيا ودلاليا ونحويا وبلاغيا واستعمالا في سياق كثيرا ما يعتمد النصوص والشواهد أما الثاني فإنه يهتم بالشئ أو الموضوع المعبر عنه بكلمة من الكلمات معتمدا في ذلك جملا تصف ذلك الشئ أو الموضوع واستعماله وأصله ومكانته من ثقافة المجموعة ولا يحتوي بالضرورة على جميع كلمات اللغة المستعملة فيدعى الأول المعجم اللغوي والثاني الموسوعة اللغوية ويوجد صنف ثالث يجمع بينهما ويشمل الأسماء والأعلام والأماكن وهو المعجم اللغوي الموسوعي وعلى هذا الأساس يمكن أن نعتبر أن دائرة المعارف للبيستاني من صنف معجم الأشياء وأن المعجم الوسيط من صنف المعجم اللغوي وأن المعجم الكبير من صنف المعجم اللغوي الموسوعي مع ما في ذلك من نظر .

٢-٧ المعجم أداة تؤدي رسالة معرفية وتربوية وثقافية باعتبار وظيفته. فالمعجم معاجم إذ لا تقدر منزلته بحجمه فحسب. إن مبدأ الوظيفة يستدعي منا أولاً أن نفرق بين المعجم التاريخي، مثل معجم

(١) المنجد ص ٥١٠

(٢) المعجم الوسيط ج ٢ / ٥٩٢

فيشر الذي تبناه المجمع وعدل عنه ومعجم أصول الألفاظ الذي لا وجود له في العربية ومعجم الاستعمال المعاصر المعلوم عندنا ومعجم الطلاب ومعجم الأدباء والمثقفين والمعجم الحضاري الذي يربط الماضي بالحاضر والذي سعى المعجم الوسيط إلى الاقتراب منه فلقد جاء فيه « قصر همه على اللغة قديماً وحديثاً وتوسع في المصطلحات العلمية الحديثة ودعا إلى الأخذ بما استقر من ألفاظ الحياة العامة^(١) وللغة الصحافة في هذا الشأن دور ما في ضبط قواعد الفصاحة الحديثة وإدراجها في المعجم الحضارية المعاصرة^(٢) في اللغة العربية .

إن تلك الوظيفة مربوطة ربطاً بالمستعمل أو ما يعبر عنه بالمستهلك لأن المعجم أصبح اليوم أداة ضرورية فرضتها ديمقراطية التعليم وتزايد المعارف وتشعبها وضبطت محتوياتها وأهدافها حاجات المستهلكين المختلفة المتنوعة والملاحظ أن ذلك المستهلك أو « الإنسان المعجمي يحتاج إلى التعريف باعتبار حاجاته التي تجاهلتها معاجمنا فارضة عليه معارف لا تعود عليه بالضرورة بالفائدة - وكثيراً ما تصورناه حسب تصورنا الذاتي لمعايير اللغة والثقافة والمعرفة والاستعمال التي تبرز بين حاجات المستهلكين الأموات والأحياء في الماضي والحاضر - ولم يحظ هذا الموضوع بدراسة إلى يومنا هذا تضبط تلك الحاجات المختلفة وتبني على أساسها نماذج لمعجم معينة . إن معجم لاروس الصغير مثلاً يسقط كل عشر سنوات ما يقرب من الخمس من مداخله التي عدل عنها أو التي أهملت حسبها يقر ذلك الاستقراء اللغوي المعجمي ولعل الاستدراكات والحواشي والتكميلات والتدريجات المماثلة بمعاجمنا سواء القديمة منها أو الحديثة تدل دلالة واضحة على أن مراجعة المعجم لانهاية لها لأنه أداة تحتاج إلى التطور باستمرار حتى يكون شاهداً حسب المستطاع على أمور الناس وتطلعاتهم .

٢-٨ المعجم عقيدة ومذهب من حيث محتواه بالخصوص فهو يعتمد على اختيارات كثيرة منها اختيار ديني وسياسي وحضاري - فالمعجم يقول بالثقافة السائدة والعقيدة القائمة ويكفيها أن نذكر أن المنجد مثلاً لا يعتمد شواهد من القرآن ولا يصلي ولا يسلم على محمد رسول الله كما أنه لا يسلم على المسيح وأنه لا يذكر الشيوعية ولا يعرفها ويعرف تشيع : « ادعى دعوى الشيعة » أما المعجم الوسيط فإنه يعرف بالشيوعية تعريفاً قوياً ويقول في تشيع : « انتحل مذهب الشيعة واتخذ مذهب الشيوعية » فانتحل وادعى يدلان على حكم

(١) المعجم الوسيط - المقدمة ص ٧ .

(٢) محمد رشاد الحزاري : الحدث الصحافي وأثره الاجتماعي واللغوي في المجتمع العربي - مجلة شؤون عربية

عدد ٢١ نوفمبر ١٩٨٢ م / محرم ١٤٠٣ هـ - ص ١٢٧ - ١٤٤

لا على وصف : ولسنا بحاجة إلى أن نفصل في شأن معاجمنا القديمة التي نستسقى منها المعارف وكانت تعتمد « اللعن والتكفير » وكانت كذلك تنزع نزعة ثقافية استيعابية بإعادة كل شيء إلى العربية إذ تأثرت بمجادلات الفقهاء والمفسرين في شأن المعرب في القرآن مثلاً يرى بعضها أن يكون (شيطان - والنجاشي) مثلاً من لغات غير عربية الخ
فالعقيدة الثقافية أو اللغوية وما وراءها لا تنفي الموضوعية اللغوية ومستلزماتها وفي ذلك مجال للبحث والنظم :

مداخل المعجم : جمعاً ووضعاً (محتوى وترتيباً) :

٣-١ اللسانيون يفضلون مصطلح مدخل جمع مداخل على « كلمة » ومادة لأنهم يعتبرون أن مفهوم الكلمة^(١) قضية شائكة فهي ليست اللفظة الواحدة وليست القول المفرد كما أنها ليست سوادا يسبقه بياض ويتبعه ولأنهم يرون أن اللغة ليست مادة وجوهاً قاراً مستقلاً بذاته، بل أشكالاً مصطلح عليها ولذلك قالوا بالمدخل أو المعجمة^(٢) ج معجمات كما قالوا بالأساس والأصل^(٣) الأول للمدخل المعبرة عن الألفاظ المزامنة لنا والمدججة في المعجم التزامني أو السنكروني والثاني للمدخل المعبرة عن تطور الألفاظ والمدججة في المعجم التاريخي أو الدياكروني الذي يسجل تطور معاني الألفاظ .

وتفيد الدراسات والأبحاث أن مداخل معاجم العربية مثلها مثل مداخل المعاجم في اللغات الأخرى لا تنحصر في معجمات بسيطة فحسب وهي المسماة بالمفردات تقليدياً بل تتكون كذلك من معجمات مركبة ومن معجمات معقدة ومثلاً : فرس - فرس - بحر - غاق غاق - حيص بيص - شدر مندر - عدم قابلية التصرف - لأول وهله - آي تكون وحدات مهيكلية متلازمة لا يمكن تجزأتها دون المساس بمعناها الكلي الذي لا يستقيم إلا بجزأيه - فهي وحدات تتجاوز المعجمة البسيطة - ولقد أطلق عليها اللسانيون المعجميون مصطلح العبارة المقترنه أو المتلاحمة (synapsie) وهي تتطلب عناية خاصة وسنعود إليها عند الحديث عن ترتيب المداخل في المعجم .

٣-٢ المعجم جمع ووضع وبعبارة أخرى محتوى وترتيب وكثيراً ما تاه المعجميون في حل هذه القضية ولقد أحسن ابن منظور التعبير عن تيهيم بقوله في مقدمة لسان العرب :

(١) ما الفرق بين هذه الكلمات : م ؟ يد - الأولاد - اعطيناكه - هيدر وحديد وسيانيك ؟

(٢) وضعناها لتأدية Lexie (adresse — Entree)

(٣) وضعناها لتأدية Etymion base

« أما من حسن جمعه فإنه لم يحسن وضعه وأما من أجاد وضعه فإنه لم يجده جمعه ، فلم يقد حسن الجمع مع إساءة الوضع ولا نفعت إجادة الوضع مع رداءة الجمع » - فالجمع يعتمد الاختيار والاختيار مغامرة إن لم تعتمد منهجية تضبط أنواع الكلمات بحسب صنف المعجم المقصود لأداء أغراض معينة دون إسقاط أو إهمال أو تكرار فالواجب في المعجم مهما كان صنفه أن يكون شاهدا على لغة العصر أو العصور التي يريد أن يسجل لها فيأخذ بجميع أنواعها من عامة وفنية وتقنية وحرفية وعامية وعادية وسرية وبديهة وسوقية ومعربة ودخيلة الخ وهذا وارد في معاجمنا القديمة فهو مدعو بالضرورة إلى استنباط منهجية تضبط جمعه ووضعها إلى محتواه وترتيبه وبالتالي :

٣ - ٣ فإن الجمع يفترض اختيار مصادر ومراجع شعرية أو نثرية قديمة أو حديثة وافية بالغرض أي أنها تمثل تمثيلا صادقا كاملا العصر أو العصور التي نسعى إلى تسجيل لغتها واستعمالاتها وفصاحتها لأن الفصاحة حسب رأينا فصاحات^(١) فهو يستوجب منا اختيار « مدونة » معينة (Corpus) وما يعبر عنه بالحقول المعجمية (Champs Lexicaux - Lexical Fields) والمراد بالمدونة مجموعة معينة من النصوص المكتوبة أو المقولة أو مجموعة من المراجع المختارة تؤخذ سندا لوضع أسس لغة ما أو معجم حتى تضبط حدود المعجم زمانا ومكانا وميدانا ولقد سبق ابن منظور إلى ذلك بالاعتماد على خمسة معاجم كبرى لوضع لسان العرب^(٢) أما الحقول المعجمية فهي تكملة للمدونة وتعني مجموع الكلمات التي توفرها اللغة أو تنشئها للتعبير عن مختلف عناصر تقنية من التقنيات أو شيء من الأشياء مثل حقل السيارة المعجمي وحقل الطيران والخبر والأنبياء والأمة الخ لندرج منها ما يفيدنا في معجمنا المقصود وضعه .

٣ - ٤ أما الترتيب فإنه مرتبط بالمدخل أو المعجمات البسيطة ، والمعقدة والمركبة والعبارات المتلاحمة - فإن كان أمر المعجمات البسيطة بسيطاً ، وأمر المعجمات المركبة يسيرا (بطنيات الأقدام ورأسيات الأقدام ترتب تحت قدم) فأين توضع المعجمات المعقدة والعبارة الملتحمة . مثل : يتأثر بالحرارة وحلقة دائرة وعوضاً عن وإن لم يسعدني الحظ ، وحيص بيص ، وشذر مذر ، فهى موضوع جدال مازال قائماً فضلاً عن الجدال القائم في شأن المعجمات البسيطة أو المفردات التي ما زال يستبد بها الترتيب بالاشتراك ينازعه في ذلك الترتيب بالتجنيس . فهناك نظرة القائلين بالاشتراك^(٣) ويعنى باللفظ المشترك ، اللفظ الذي له شكل واحد ومعان مختلفة .

(١) محمد رشاد الحمزاوى : العربية والحداثة أو الفصاحة فصاحات - تونس ١٩٨٣ ص ١١ - ٢٩ .

(٢) محمد رشاد الحمزاوى : من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً ص ١١٧ - ١٢٨ .

(٣) إصطلاح عربي قديم - وهو يقابل Polysemie

و و مستمد من مبدأ الاقتصاد في اللغة التي تعبر عن معان لا تخصي بأشكال محدودة . وهناك نظرة القائلين بالتجنيس^(١) ويعني به أن يكون اللفظان مختلفين معني ومتشابهين شكلا . والخلاف بين أصحاب الاشتراك وأصحاب التجنيس في العصر الحديث . يكمن في أن الأولين يقولون بأن الكلمة وحدة لغوية لها أصل دلالي ثابت ، لا يتغير مع الزمن وله مدلولات ثانوية تستخرج من الاستعمال . ويعتبر أصحاب التجنيس الكلمة وحدة كلامية مستقلة بحسب سياقها وعلى هذين الأساسين يدعو الاشتراك إلى الإيجاز في عدد المداخل ويقر التجنيس تعددها بحسب سياقها ومعانيها المتولدة عنه : إن المعجم الوسيط والمنجد ، كثيرا ما يعتمدان مداخل مرتبة حسب طريقة الاشتراك : وهذا شأن أغلب المعاجم العربية . ويمكن لنا أن نقارن بين الطريقتين بالمثالين التاليين^(٢) يعبر فيهما الجدول الأول عن وضع المداخل بحسب الاشتراك ويعبر فيهما الجدول الثاني عن وضع المداخل بحسب التجنيس .

(١) اصطلاح عربي قديم - وهو مقابل Homonymie ولقد ذكر الثعالبي في فقه اللغة (ط الثانية ، القاهرة ١٩٥٤ ، ص ٣٦٠ - ٣٦١) والتجنيس هو أن يجانس اللفظ اللفظ في الكلام والمعنى مختلف كقوله تعالى : « فادلى دلوه » و « فاقم وجهك للدين القيم . »

(٢) المثال مأخوذ عن المعجم الوسيط ، ج ١ / ٧٩ .

طريقة الاشتراك بالوسيط	طريقة التجنيس (من ترتينا)
(بان) منه وعنه بينا وبيونا وبيونة : بعد وانفصل - ويقال : بانث المرأة عن زوجها - ومنه انفصلت بطلاق - فهى بائن . و- الفتاة : تزوجت و - فلان : رحل . و- النخلة ونحوها : طالت طولاً ظاهراً . والولد بان بائنة بيونا : ظهر واتضح . والشئ بياناً : ظهر واتضح و - الشئ أوضحه وأفصح عنه ، فهو بائن وبين . و - الشئ بينا . فصله وقطعه - ويقال : بان صاحبه : فارقه وهجره . فهو بائن :	(بان) : (فعل لازم يفيد الظهور والرحيل والزواج والطول) ١ بان الشئ بياناً ؛ ظهر واتضح . ٢ بان فلان : رحل ٣ بانث الفتاة : تزوجت ٤ بانث النخلة ونحوها : طالت طولاً ظاهراً (٢) بان (فعل متعد إلى مفعول يفيد الإفصاح والوضوح) ١ أبان الشئ : أوضحه (٣) بان (فعل متعد بحرف يفيد البعد والفصل) ١ بان فيه وعنه : . . . (بعد . ٢ بانث المرأة عن زوجها : انفصلت بطلاق . (٤) بان (فعل متعد إلى مفعولين يفيد الفراق والهجر)

وليك مثال آخر بكلمة « الكريك » (المأخوذة أيضاً من المعجم الوسيط (٢٧)

طريقة الاشتراك بالوسيط	طريقة التجنيس (من ترتينا)
الكريك : الخشبة التي يدفع بها الخباز الأرغفة ويجذبها (تركية) . وأداة ذات خشبة طويلة تنهى بسلاح من الحديد منبسط ، مفاطح ، عريض يحفرها حفراً خفيفاً، وينقل بها التراب (مع) ، وآلة حديدية ترفع عجلة السيارة (محدثة) .	(١) الكريك : الخشبة التي يدفع بها الخباز الأرغفة ويجذبها (تركية) (٢) الكريك (أداة ذات يد خشبية طويلة تنهى بسلاح من الحديد منبسط مفاطح عريض يحفر بها حفراً خفيفاً وينقل بها التراب (مع) . (٣) الكريك : آلة حديدية ترفع بها عجلة السيارة (محدثة) .

فما نستنتج من الطريقتين باعتبار المثالين اللذين أخذناهما كما هما من المعجم الوسيط (على ما فيهما من نظر) نلاحظ أن طريقة الاشتراك تعتمد في المثالين على ما يلي:

١ - اعتبار معنى (بان) موجودا في كل المعاني الثانوية الأخرى وليس ذلك واضحا. وتظهر نسبية هذه الطريقة في المثال الثاني الذي لا يوجد فيه ربط معنوي واحد بين معاني الآلات المختلفة التي لها وظائف ومعان متباينة لأنها مأخوذة من لغات مختلفة - ولقد خلطت الطريقة بينها كأن معناها الأساسي واحد.

(٢) الخلط بين سياقات لغوية مختلفة في المستوى الدلالي والنحوي مما لا يساعد المتعلم على إدراك مختلف التراكيب والسياقات لاستخراج مختلف المعاني - وهذا ضعف تربوي لا يليق بمعجم يدعى أنه أداة تربوية.

(٣) الخلط بين فترات مختلفة من اللغة، فلا نعلم متى استعملت هذه المعاني وكيف تطورت.

أما طريقة التجنيس فإنها تمتاز على سابقها بما يلي:

- ١ - التدرج من سياق بسيط عناصره قليلة إلى سياق معقد عناصره كثيرة.
- ٢ - استخراج مختلف المترادفات باعتبار المعاني العامة لها وباعتبار صلاتها بمحيطها الدلالي والنحوي.
- ٣ - التمييز بين معان لا صلة بينها كما يظهر ذلك في المثال الثاني.
- ٤ - الوضوح التعليمي والتربوي الذي ييسر على المتعلم إدراك نظام اللغة ومعاييرها المختلفة.

المعجم وقضية التعريف (الحد):

تعتبر قضية تعريف المداخل أعسر قضية يواجهها اللسانيون لأنها تهتم بقضية المعنى المقابل للمدخل. وكثيراً ما ظن المعجميون أن لكل مدخل مرادفاً أو دلالة كونية (Universal) قارة في شكل مفردة أو جملة تعبر عنه في كل زمان ومكان. إلا أنهم يخرجون عن ذلك باعتماد تعريفات عديدة متضاربة منها التعريف الاسمي وفروعه، والتعريف المنطقي والتعريف بالشواهد، والصور فضلا عن التعريف البنيوي والتعريف السيمي (١) اللذين حل ركبهما بنا اليوم.

(١) محمد رشاد الحمزاوي: من قضايا المعجم العربي قديماً وحديثاً ص ١٤٩ - ١٥٢. حيث تضرب أمثلة عدة لتلك التعاريف مأخوذة من المعجم الوسيط.

ولقد رأينا من المفيد أن ندعو إلى اعتبار التعريف البنيوي الذي يركز على أساسين :

١ - تنظيم الكلمات وترتيبها حسب طريقة التجنيس ولقد سبق ذكرها .

٢ - المعاوضة : وهي مرحلة تلي المداخل - فما هي ؟

مفادها أن نعوض الكلمة بمرادفها في سياقات مختلفة باعتبار أن المرادف أو المعادل هو ما يقوم مقام غيره في كل مقال : فإن أخذنا فعل جلس ومرادفه قعد كما جاء في المعجم الوسيط ، فإننا نرى من واجبنا أن نعوض الواحد بالآخر في نصوص مستعملة حتى ندرك ماها من صلة - مثال ذلك :

جلس الولد : قعد الولد

جلس قرب المنزل : قعد قرب المنزل

لكن لا يمكن أن يقال وجلس الأربعاء أو الأربعاءى وقعد الأربعاء . . أى تربيع

جلس القرفصاء قعد القرفصاء

قعد عن الأمر جلس عن الأمر .

وهكذا دواليك . فإن كان جلس يفيد قعد عامة في سياقات معينة ، فإنه لا يفيد ذلك في نصوص أخرى . فيظهر لنا أن المرادف المطلق الذي يتحدث عنه المعجم عموماً ليس دائماً محققاً . فهو ممكن في مقال ومعلوم في مقال آخر . إن ميزة طريقة المعاوضة لغوية بحيث إذ أنها لا تعتمد الا على الوسائل اللغوية . وهو دقيقة لأنها تجنبنا المترادفات الكثيرة للمدخل الواحد ، وتخلصنا من تعسف التعريف المنطقي والشواهد الأدبية أو التعليمية المتعسفة التي تنكر مبادئ التربية ، وتنتفي تصور معجم تربوي يساعد الطلاب على فهم نظام اللغة واستيعاب خصائصها .

الخاتمة :

إن العرض المتواضع الذي قدمناه في شأن المعجم وقضاياها يهدف بالضرورة إلى الاهتمام بتلك القضايا بالاعتماد على تراثنا اللغوي الذي ما زال يحتاج إلى تحايل ووصف واستقراء حتى ننزله منزلته من التفكير اللغوي الإنساني ماضياً وحاضراً ، وعلى ضوء الدراسات اللسانية الحديثة التي نرجو أن نستوعبها استيعاباً ذاتياً وأن نسهم فيها حتى تصبح أداة من أدوات تطوير المعجم العربي وتقديمه - ورجاؤنا أن يخصص مجعنا مدراساً^(١) خاصاً للسانيات العربية المعاصرة - وهي موجودة ومفيدة - لاستقراء مبادئها واعتماد طرقها ومناهجها لترقية العربية ومعالجتها .

(١) والكلمة من موضع الجمع في أيامه الأولى .

قائمة في المصطلحات اللسانية المعجمية الواردة
في الدراسات بحسب تسلسل الصفحات

المصطلح الاجنبي E: English; F: Francais	المصطلح العربي
1— E : Lexicography — F: Lexicographie	١ — المعجمات :
2— E : Lexicology —F : Lexicologie	٢ — المعجمية
3— E : System — F: Systeme	٣ — نظام
4— E : Phonology — F : Phonologie	٤ — النطقيات
5— E : Distributional linguistics — F: linguistique distributionnelle	٥ — اللسانيات التوزيعية
6— E : Structural linguistics — F : linguistique structurelle	٦ — اللسانيات البنيوية
7 — E : Generative linguistics — F : linguistique generative	٧ — اللسانيات التوليدية
8— F: Rapports paradigmatiques	٨ — مناسبات التعويض
9— F : Rapports syntagmatiques	٩ — مناسبات السياق
10— E : Lexicon — F : Lexique	١٠ — الرصيد اللغوي .
11 — E : Dictionary — F : Dictionnaire	١١ — المعجم
12 — E : Vocabulary — F: Vocabulaire	١٢ — مخصص الألفاظ
13 — E: Entry-dress — F : Entrée-adresse	١٣ — مدخل
14— E : Lexie — F : Lexie	١٤ — معيجمة
15— E : base — F : base	١٥ — الأساس
16— E : Etymion — F : Etymion	١٦ — الأصل
17— E : Synapsia — F : Synapsie	١٧ — العبارة المقترنة أو الملتحمة
18— Corpus	١٨ — المدونة
19— E : Lexical fields — F : Champs lexicaux	١٩ — الحقول المعجمية
20— E : Polysemia — F : Polysemie	٢٠ — الاشتراك
21— E : Homonymia — F : Homonymie	٢١ — التجنيس
22— E: Universals — F : Universaux .	٢٢ — مفردات كونية
23 — Substitution	٢٣ — المعاوضة

اللغة العربية والحاسب الآلى

للكتور على حسن فهمى

اشترك فى الإعداد :

د . سمير إبراهيم شاهين

د . أحمد محمود نظيف

مقدمة

نالت الصناعات الإلكترونية ، وعلى وجه الخصوص صناعات الحاسبات ، حظا وفيرا من الاهتمام فى السنوات الماضية مما أسفر عن تقدم هائل فى تكنولوجيا صناعة الحاسبات ونظريات تشغيلها . وقد صاحب هذا التقدم التكنولوجى انتشار سريع فى مجالات الاستخدام بحيث أصبحت الحاسبات الآلية فى متناول العديد من الفئات ذوات الخبرة المحدودة بأسس تصميم ووسائل برمجة وتشغيل هذه الحاسبات .

دعا هذا الانتشار فى مجالات الاستخدام المتخصصين فى تطوير البرمجة إلى تطويع اللغات المستخدمة لكتابة البرامج لتناسب احتياجات المستخدمين فنشأت لغات عديدة لكتابة البرامج العلمية والتجارية وطورت هذه اللغات على مراحل تاريخية مختلفة لتشمل تعبيرات أكثر قوة .

فى نفس الوقت ، جرت محاولات عديدة لتبسيط استخدام الحاسبات فنشأت مجموعة أخرى من اللغات المتخصصة للاستخدام فى الأغراض التعليمية مثل لغة « البيزك » التى أريد بها أن تكون لغة ميسورة التداول لكى يتمكن الطلاب ومن فى مستواهم من استخدام الحاسب .

وفى رأينا أن زيادة مستخدمى الحاسبات الآلية إلى الحد الذى يصبح فيه الحاسب جهازا أساسيا فى المتجر والمصنع والمدرسة بل والمنزل أمرا متوقعا حدوثه فى القريب العاجل خاصة وأن بواجر هذه الظاهرة قد وضحت فى الدول المتقدمة تكنولوجيا وباستعراض الوضع فى كثير من الدول النامية ودول العالم العربى خاصة فإننا نجد أن الحاسبات الآلية قد انتشرت فى بعض المجالات المحدودة مثل مكاتب الخبرة والبنوك والجامعات إلا أن انتشارها لباقى

المجالات والتطبيقات مقيد بالمشاكل الناجمة عن ضرورة استخدام لغات برمجة وتشغيل تعتمد في صياغتها على لغة أجنبية مما تسبب عنه فجوة متزايدة الاتساع بين الاحتياج لاستخدام الحاسبات والإمكانيات المتاحة . ومن المؤكد أن وجود هذه الفجوة وزيادتها سيكون له تأثير سلبي على انتشار هذه الصيغة من صيغ التكنولوجيا المعاصرة ، والتي يعتقد عليها كثير من الأمل في تحريك عملية التطور وزيادة الإنتاج وتجويده .

غنى عن الذكر أيضاً أن استخدام لغات برمجة وتشغيل أجنبية المصدر يمثل عائقاً أساسياً في سبيل استخدام الحاسبات في مراحل التعليم الأولى ، بل والثانوي ، في دول العالم العربي ، مما سيؤدي مستقبلاً إما إلى زيادة فجوة التخلف أو التحول إلى تعلم المواد الأساسية مثل الرياضة والفيزياء باللغة الإنجليزية إذا لم تتخذ بعض الخطوات الفعالة في هذا المجال .

من هذا المنطلق . وبمنظرة مستقبلية ، فإن الحاجة ملحة في الوقت الحالي لإرساء قواعد المعاملات المختلفة باللغة العربية مع الحاسبات على أساس قياسي موحد يشمل نظم تشفير الحروف والعلامات الكتابية والحسابية وقواعد إدخال وإخراج البيانات وتبادلها على شبكات نقل البيانات مع إيجاد لغة خاصة لبرمجة الحاسب ، مشتقة من اللغة العربية وتصلح لكافة الاستخدامات .

أولاً : شفرة الحروف العربية :

من أهم التطورات في نظم تشغيل الحاسبات هو ظهور واستقرار عدد محدود من الشفرات المعيارية القياسية مثل الشفرة المعيارية القياسية الأمريكية لتبادل المعلومات (ASCII) التي تستخدم حالياً على أغلب شبكات نقل البيانات والتي تمكن من استخدام حاسبات مختلفة التصنيع دون الحاجة إلى الامتعاة بأجهزة خاصة أو برامج معقدة .

أما بالنسبة للغة العربية فإننا نجد أن الشفرات المستخدمة متعددة ما بين الشركات المنتجة للحاسبات بل وفي نفس الشركة من طراز إلى آخر .

وقد انتشر استخدام بعض الشفرات مثل CODAR-UFD (الرباط ١٩٨٢) و SASO (السعودية ١٩٨٣) في بعض البلاد العربية إلا أن هذه الشفرات تعرضت لبعض النقد من مصنعي الحاسبات لاستخدامها بعض الرموز الخاصة في مواقع لا تتفق مع النظم العالمية للاتصالات .

وجدير بالذكر أن بعض الشفرات المقترحة (ARCII) - كندا ١٩٨٣ - على سبيل المثال) لم تبني على أسس لغوية سليمة . لهذا فإن المطلوب في هذا المجال هو توفير شفرة عربية موحدة تتسم بالواصفات التالية .

- ١ - تتفق مع النظم العالمية للاتصالات .
- ٢ - تتفق مع الاستخدامات الحالية والمستقبلية للحاسبات .
- ٣ - تسمح بالاستخدام المزدوج (عربي - لاتيني) .
- ٤ - تكون صحيحة لغويا من حيث الترتيب الهجائي للحروف والصلاحية للتطبيق في الدراسات اللغوية .

ثانيا : نظم ادخال واخراج البيانات :

تتعدد النظم المستخدمة في تداول اللغة العربية على الحاسب وفي تسجيل البيانات على وسائل الحفظ المختلفة مما يعوق تبادل البرامج ويحد من إمكانية استخدام كثير من الأنظمة الجاهزة مثل قواعد البيانات .

وفي بعض التطبيقات نجد أن النظام الموضوع يلزم المستخدم إما إلى التعامل مع اللغة العربية على أساس كتابتها من اليسار إلى اليمين أو كتابة الحروف بترتيب عكسي ؟

مما تقدم فإن المطلوب في هذا المجال هو تدارس النظم القائمة وانتخاب أصلحها ، أو وضع نظام جديد يتفق مع متطلبات اللغة وفي نفس الوقت يكون قابلا للتنفيذ على الأجهزة القائمة .

ثالثا : لغة عربية لكتابة البرامج :

في الآونة الأخيرة تعددت محاولات إيجاد لغة عربية لكتابة البرامج واتسمت جميع هذه المحاولات بالفردية وعدم التكامل . والمطلوب في هذا المجال هو لغة تسمح للطلاب في مدرسته وللتاجر في متجره وللعامل في مصنعه باستخدام الحاسب دون اللجوء إلى المتخصصين في كتابة البرامج . لذا يجب أن تتصف هذه اللغة المنشودة بالواصفات الآتية :

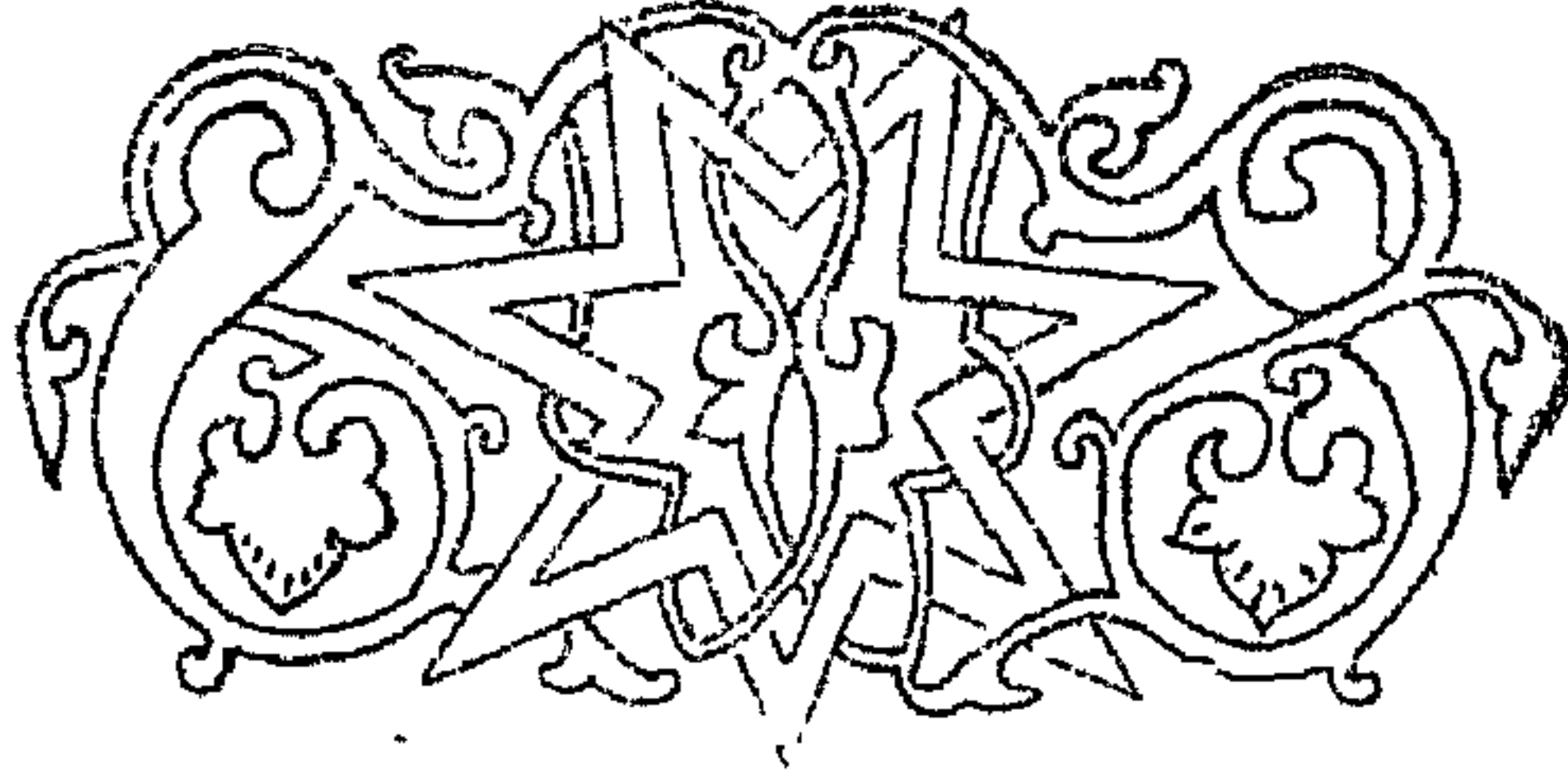
- ١ - سهولة التعبير ؛ لتعم وتنتشر .
- ٢ - التكامل ؛ لتفي بمتطلبات كافة الاستخدامات .
- ٣ - المرونة في التطبيق ، لتيسير تنفيذ المترجمات ؛

- ٤ - إمكانية التطوير ، لملاحقة التغييرات المستقبلية .
- ٥ - قابلية التداول : الاستخدام على الحاسبات المختلفة .
- ٦ - القابلية للترجمة والتحليل الآلى .

الختامة :

عرضنا فى هذا الحديث بعض المتطلبات والمشاكل التى يلزم تدارسها وإيجاد حلول مناسبة لها بهدف الحفاظ على اللغة العربية فى مستوى التعامل والاستخدام العلى المعاصر . وإننا نعتبر هذه المقالة « ورقة عمل مبدئية» نأمل أن يتم تناولها بالجدية والاهتمام المناسبين مع الأهمية القومية للهدف منها : وندعو الدوائر المسؤولة إلى الاشتراك فى المناقشة والإضافة لتبذليل العقبات التى تقف فى سبيل استخدام الحاسبات الآلية فى كثير من المجالات .

الدكتور على حسن فهمى



تواريخ تأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة بحساب الحمل سنوياً للدكتور حسين علي محفوظ

هذه مجموعة صغيرة متواضعة من التواريخ الشعرية والنثرية بحساب الحمل أرخت فيها عام تأسيس مجمع اللغة العربية في القاهرة (سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٢ م) وعيده الخمسيني (سنة ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م) وذلك بمناسبة الاحتفال ؛ احتفاء بهذه الذكرى .

وهذه التواريخ هي عبارة عن مقطوعة تشير إلى السنة الهجرية وتاريخين اثنين كل واحد في بيتين كذلك . وجمل يضم بعضها التاريخ الهجري ، وبعضها التاريخ الميلادي .

(١)

ومجمع طاوول هـ سام العلى	موثلق الوجسه أعر الحبين
خمسون مرت وهو سامى الدرى	فى أعلياه المجد ، يطوى السنين
أنخلص فى تخليد أم اللينى	سائرة فى ضوء وحى الأمين
ضم جناحيه على نجمة	تفتخر الدنيا بهم كل حين
كالشمس جلاها نهار الطلى	يمحو الدياتجى نورها المستين
تليج الفصحى بتاريخه (الضـ	ساد لسان عربياً مبين)
	١٣٥٢ هـ

(٢)

من أولى الفضل بذكرى مجمع	سام جلا عليها مر السنين
بالأحد الفرد استعن وارخ (الضـ	ساد لسان عربى مبين
	١٣٥٢

(١) إشارة إلى إضافة واحد إلى جملة التاريخ . ويسمى هذا النوع من التواريخ الشعرية بالتاريخ المذيل .

(٤)

(هي لغة عربية) أو (لى لغة عربية) أو (هي لغة عربية) = ١٣٥٢ هـ .

ذا مجمع بالضاد ومستمسك معتصم منه بحبل متين
فزد^(١) وبارك (عام) تأريخه (هذا لساني عربي مبين)

١٣٥٢ هـ

(بيد مجمع الخالدين يحى الضاد المبين)
(يحى الضاد المبين بيد مجمع الخالدين)
(الضاد المبين يحى بيد مجمع الخالدين)
(حمى الضاد المبين بيدى مجمع الخالدين)
(بيد الخالدين يحى مجمع الضاد المبين)
(مجمع الخالدين حمى بيدى الضاد المبين)
(حمى مجمع الخالدين بيدى الضاد المبين)
(مجمع الضاد المبين يحى بيد الخالدين)

١٩٣٢ م

(٦)

(دام قرن^(٢) مجمع اللغة العربية)
(ناد مقر مجمع اللغة العربية)

١٩٣٢ م

(٧)

تاريخ ذكرى المجمع الذهبية في عيده الخمسينى بالسنة الهجرية^(٣) (أحياناً اللغة العربية)
(هادى اللغة العربية) . وبالسنة الميلادية (قرنه^(٢) مربد لغة العربية) ١٤٠٤ هـ

١٩٨٤ م

١٤٠٤ هـ

(١) إشارة إلى إضافة كلمة عام وتساوى (١١١) إلى جملة التاريخ . وهو التاريخ المذيل كما تقدم .

(٢) القرن هنا بمعنى الزمان .

(٣) الضمير في لفظ قرنه يعود إلى مجمع اللغة العربية . والقرن - هنا - بمعنى الوقت من الزمان ومطلق من الزمان .
أى . أن زمان المجمع وذكره الذهبية بمناسبة عيده الخمسينى هي بمنزلة المربد يلتقى فيه العفاء والأدباء والكتّاب
والشعراء والنقاد .

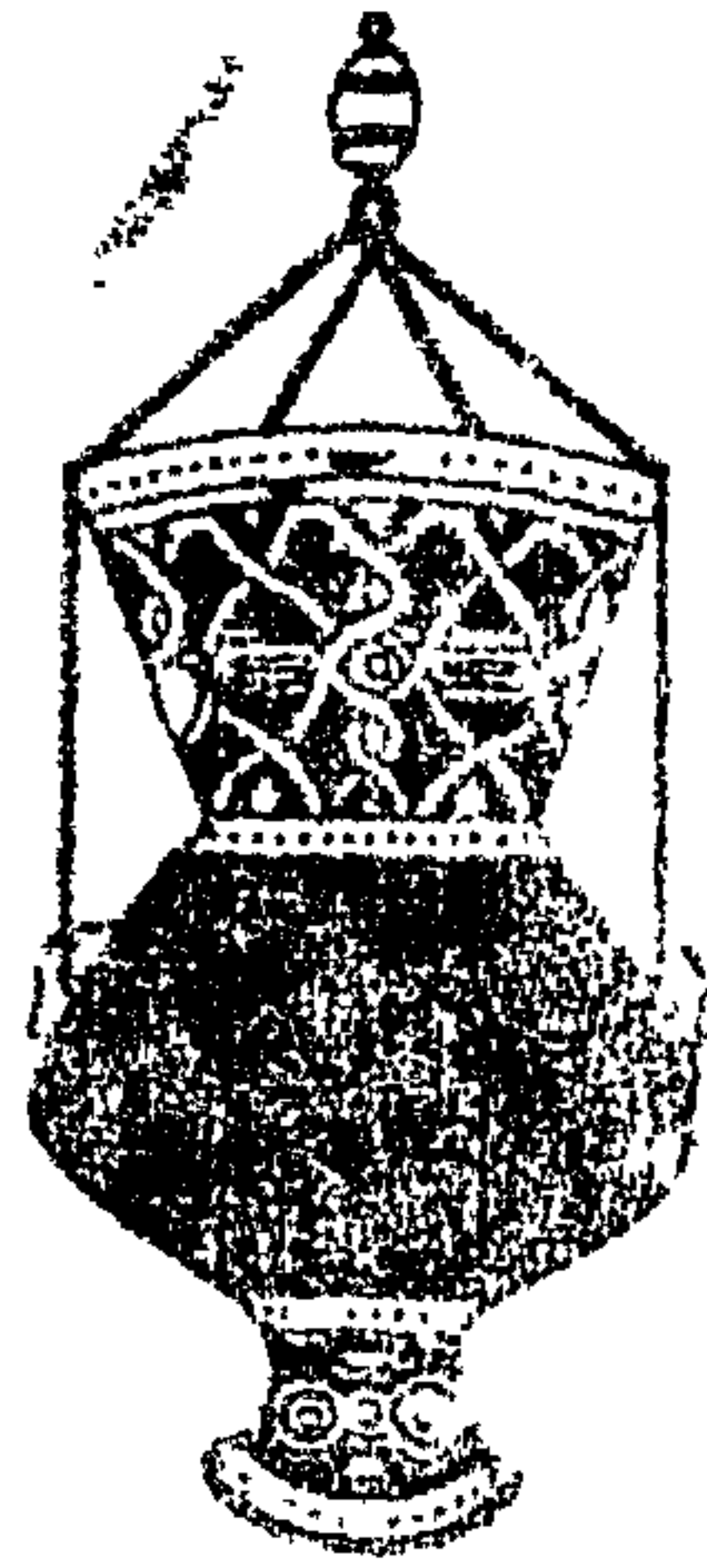
مختارة مجمع اللغة العربية في الذكرى الذهبية للدكتور حسين علي محفوظ

مجمع جواز مجسده الأقمارا وتعالى فطاول الدوارا
جمع الشمس والضحي في سناه فاستحال الليل البهيم نهارا
مفرق الشمس موطن الكعب منه وقفت عنده النجوم حيارى
غلبم الناس أننا أمة الضما د لسانا مجليا ألا يجارى
إن تراعى تشعشع السحر منه عبقرية يحير الأنظارا
لمسات تمحو الليالي دهما ينحدر شعاعها الأنوارا
لو أطلت على الدجى آض صبحا وغدت فحمة الدياتير نارا
غلواء الإعجاز يختال كبرا في بلاغاتها فصاحا غزارا
هي أم اللغات أكرم بها أم وبنت العرباء طابت نجارا
إن في الفجر من شمائلها البي ض خصلا تكسو الظلام نهارا
لو رآها الدجى تنفس صبحا أو رآها الظلام كان منارا
عرجت في العلاء معجزة الوح ي مبينا ، وأنزلت معطارا
رقم الفضل صفتحيتها ففا ضت بالمعاني تفاعل التيارا
بنت العقل شامخا يلهم الرؤ ي أصيلا مسددا مختارا

(*) شجرت اوائل ابیات القصيدة بحروف كلمات (مجمع اللغة العربية في القاهرة) تخليدا للمجمع في المناسبة .

يتناهى إليه حُسن الأعراب : ب بياناً يجلسو المعاني قصارا
 هؤلاء العظام أعضاوه الغرّ كرام يعنعنون الفخارا
 فاز بالسبق كل أروع منهم يتردى برد الجلال وقارا
 باحى الخالدين بُوركت في الع يد تُقاوى الأزمان والأعصارا
 أنت يا مجمع الفضائل قامو س لآل يُولى الدرارى كبارا
 لحت في منكب الفضائل طوداً يتحدّى القرون والأدهارا
 قم وحيّ الخمسين حافلة بُج را سجلاً فيأضة مدرارا
 إن هذا البيت المُعظم صرح أنجد القول في ثناه وغارا
 هذه دارة البيان نصيراً : هوذا مُربع الكلام نصارا
 ردد الثر نعته أريحياً : والقوافى تنافست أبسكارا
 هل ترانا نقولُ إلا معاداً ما أَرانا نقولُ إلا معاراً

الدكتور حسين على محفوظ
 عضو المجمع (من العراق)



معلقة الجمع

أنجوم همدى التى ترى
أم شمس تواضعت فى ثراه
عكس النيل فى صفاء سماها
واستحمت فى صفوه ساحات
هل أضاعت فى تربه حاجبها
أم هوت تأنشد الطالع فى مص
أم ترى راعها عسلاه فأحنت

* * *

هـاه مصر حتىّ مجمعها البيا
هذه مصر حتىّ فى ربعها الضا
والتمس هاهنا اللسان مبينا
يتثنى على الزمان اختيالا
ويلالى فى ذروة الكاهل الأء
هى ذى مصر ألبس الخبوع عطفية

- ١٠ -

* * *

مصر با مركز اللهميم غراً
مصر يا جنسة الزمان بهيجا
(جنسة تبعث الحياة وتجلو)
والأساطين سادة قوامها
يا ربيعا يزين الأيامها
صداً النفس رونقاً ونظامها)

* * *

يا عراقين مصر يا حلية الأد
(قد نزلنا جواركم فحمـدنا
(وحلنا فى أرضكم فأصبنا
(وغشينا دياركم حيث شئنا
نسل الفاضلون من كل فج
هر فياضة العباب عظاما
منكم الود والندى والدمامها
منزلا مخصباً وأهـلا كراما
فلقينا طلاقـة وابتسامها
يرفعسون التبجيل والإعظاما

- ٢٠ -

* * *

هام في النيل شاعر العرب الأك
قال في أهلها (نعم أهل مصر
ثم لفت عليه أضلع مشتبا
بر وجدأ واختار مصر مقاما
أنتم خير أمة) لن تضامنا
في حنوا وأضميرته احتراما

* * *

أنا يا مصر شاعر العرب الشا
إنني شاعر العراق سباني
وطحاني هواك يا لغة الذك
شغفتني حبا مناقبه الغر
في وكم في ليم في هواه ولاما
حسن مصر وزاد توقي ضراما
بر وحسبي اسان قومي عظاما
وعلقت صبوة وغراما

* * *

أنا ظل الرضى أنهناني الشع
أنا أروى مسلسل الضاد عن أه
علمتني أمي البيسان بديعا
روقت لي هي الفصاحة درا
بر صيبا وعلنييه غلاما
لي صحيجا معننا لا يسامى
وأبي زقني المعاني كواما
وسقاني هو البلاغة جساما

— ٣٠ —

* * *

جارك الغيث يا بلاد أمون
(بلد يرحل الأنام إليه)
في أساريه انطوى العالم الأك
أمطري يا كنانة الله عزوما
وأعيدي العرباء من صولة العا
فنجوم السماء تزدادوقدا
والسيوف الصقال تشتد لمعا
وسقاك الربيع دارإماما
جامع بين لايتيه الأناما
بر يهيم مداره سجاما
وانثلي يا ابنة العزيز سهاما
دي وعودي بالضاد بيتا حراما
كلما اشتدت الليالي ظلاما
كلما ازدادت الجواء قتاما

— ٤٠ —

* * *

هاهنا داوة البهاء زهير
شاعر النيل قام فيها هزارا
وأمير الأشعار أحمد شوقي
وهنا الجارم المفوه يمتعا
غرد علم الطيور التغني
وابن هاني يرققان النظاما
يتغني فيرقص الأنغاما
بقوافيه أطرب الأياما
ل بليغا ويعتلى نظاما
صاح علم الهديل الحماما

يات منه ويستجد عصاما
به وأهدى نثر الدرارى كلاما
لبيان المعنى البديع ذماما
ر) ضياء مشعشع مسجاما
قط أوراقه ولاقى الحماما
حا وأعلى بسفره الآطاما
مداد ينحو في السرد نحو القدامى
هر شيخ البيان ربعا قاما
ب ومن جيد النثر الفخامام
بالقوافي يعتامهن اعتياما
عذر فها وعانقها توامام

* * *

بفحول يدبجون الكلاما
وأبو زاهر أديباً همامام
عار رقراقة البيان وساما
يل أصداءه ، وحن هياما
رام يعلو بشعره الأهرامام
بن يضوعان كالشميم انسجاما
وعبيد أبي أقام المدعاما
ركبوا غارب القريض سناما
وتمشيت في فناءه غلاما

* * *

عر يحيى عكاظه الأياما
ر رواقاً أعظم به أن يسامى
ويزين القصيدة فيه الكلاما
ر أديبا مكرما علاما
سا محيطاً أوعى اللغات تمامام
فائقاً جاوز النهاية هامام

وأقام العقاد تستعذب الأب
رفل النظم في دمقس مبانى
وجرى سابقاً أباطة يقضى
يتهادى وراء (قافلة النـو
وحدها الخريف ظمآن تسا
والصعيدى دبح الشعر إفصام
هـذ دالية التحية في بغـ
والشبيبي حجة الأدب البسا
ينتقى من جماهر الشعر ما طا
حيث جرى أبو زهير زهيرا
واستطارت ملاءة الخضر لزا الـ

هـذه حلبة القصائد تزهى
جال فيها البصير وابن خميس
تتقيماً ظلال أيامه الأشـ
ردد الطيب المرئم عند النـ
وتبدى مهلهلا شاعر الأهم
وأعاد الحسين نهج الرضيي
شادلى عمى الكميت القوافى
ونمتنى إلى وشاح جـود
فترعرت ناشئا في خماه

— ٦٠ —

قام في المجمع المبجل سوق الش
وبدا المربد المجلجل في مصـ
تتبارى فوارس النظم فيه
وأشاد اللسان فيه ابن منظو
والزبيدى صاحب التساج قامو
ملاً العين بالصحاح أساسام

— ٧٠ —

وتجلى ضوء المقاييس مصبها
ها هنا معقل النفوس كبرارا
كلما الأعجمي رام يقاوى الض
وإذا طاول الفصيحة حوشه -
حا منيراً يمحو الدجى والظلاما
ها هنا ندوة العقول عظاما -
اد أوهى قرناً وعاد حطامها
ى عشا في شعاعها يترامى

* * *

عطرت أرض مصر بضعة طه
عبقة المصطفى ومسحة ياسيه
ها هنا نبعة النبوة كالرح
تتمشى أنفاسها كالربيع الط
خسد الطيب عرفها وفتنتها
خلق الورد عاطراً من شذاها
تربة فاقت الضراح عاوا
واهن بنت النبي طابا مقاما
من يذوعان عزة واحتشامها
حمة ينهل قطرها تسجامها
للق يختال ضاحكاً بسامها
مسك فواحته انتشى تماماً
وستى ربه الأريج البشامها
واجتبت مفرق الثريا سناما

٨٠ -

* * *

وثرى السيد المطهر في طن
يتهاوى الفجر المنير حفافيه
حسبه جوده نجاراً نضارا
طابا هي به الصعيده الساما
به وفيه شذا الرسول أقامها
حسبه آله جدودا فخامها

* * *

واستطابت للشافعي قباب
أخذ الصبح قبسة من سناها
ظل يحنو وعلى الفصاحة أما
سامقات شم تجير الغمامها
فتجلى راد الضحى بسامها
وأنارت آراؤه الأحكامها

* * *

شمخ الأزهر الخيبر ربيعها
سجد الدهر في رواقيه عبدا
كبر الله ضارعا ألف عام
وتهاوى الإيوان فيه ركوعا
وتعالى التهليل فيه دهورا
يتحدى السنين والأعوامها
وجثا عنده الزمان غلامها
فلا شاهقها وعز مرامها
والأساطين سبحة قيامها
فانحنى فوقه الهلال احترامها

٩٠ -

* * *

واستطالت دار العلوم نديا
حاول الدهر أن يغير عليه
مشمخراً يسدد الأوهام
فانشى سيفه رخشيماً كهام

* * *

وزمت بنت مصر جامعة العصب
(سوف تفتى في ساحتها الليالي)
ر هي الصبح يصدع الأظلاما
وتشيب الدهور والأيام

* * *

شاد هذا الرواق للضاد إبرا
رافعاً من قواعد البيت ما أسد
حجرات يطوف الفضل فيم -
فكأن البيت العتيق حياها
وكأن المقام أهدي إليها
وكأن الركن اليماني أولاً
بسطت كفها تشير إليه
وتجلى نور الفصاحة وضوا
وتراءى فجر البلاغة سحرا
كلمات الرحمن عزت جلالاتها
فهو البحر لا يساجل نجما
وهو الحم لا يخافل موا

- ١٠٠ -

* * *

وعلى الفاضلين ضم جناحيه
نخبة فيهم الأديب أريبها
والطبيب الآسى يناجى ابن سينا
والحكيم اللبيب يستلهم الكنه
ها هنا الراغبون في كل علم
فرشوا المجمع المعلى نجومها
تخذوا من بلاغة القدم نهجا
كلهم ها هنا أقام عزيزا

- ١١٠ -

* * *

شمخ المعجم الكبير كتابها
وحسوى المعجم الوجيز أفانيه
وتعالى مباركاً معجم الألفاظ
موجب يحتوى على كلمات الذ
- ١٢٠ -
يمطر المعجم الوسيط رهاما
من من القول تؤنس الأفهاما
لغاظ بجراد ثرا يروى الأواما
كرجلت حروفه لا يسامى

* * *

وضع المجمع البسيط من الألفاظ
وألف الألفاظ قد كشف المحج
وألف الألفاظ عربها المحج
منهج قوم المقاول لكننا
وأجار البيان من جنف العجم
وأعاد المنشور من عرة اللوح
(وسماع لولا الحسابة منى)
ذكرتنا مسعاة جمد أبينا

لغاظ رقت غدوبة وانسجاما
سمع عن وجهها الجميل اللثاما
سمع راحت تداعب الأقالما
وهدى الناثرين والنظاما
حمة فازدان معرباً واستقاما
من وصان المنظموم يزهى نظاما
عاطرات كمثل نشر الخزامى
وأبى جدنا الرفيع دعامنا

* * *

بالسان التنزيل بوركوت وها
لغمة الله والنبي وأهل ال
يتجلى القرآن فيها سراجا
والكتاب الحكيم ذو الذكر زخا
والكتاب المنير نزل بالحسق
والكتاب العزيز يسر للذك
والكتاب المبين أنزل نوراً
فيه تبيان كل شيء لسانا
نحشعت سجداً له الكتب إعظا
مطلع أعجز الخلائق بدءا
- ١٣٠ -
جا تزيل الدجى وتردى القتاما
سجنة المكرمين عز كلاما
مستطير السنا وبدرا تماما
را عبا يرمى الرشاد ركاما
عظيماً مباركاً مسجماً
رضياء ينور الأفهاما
وهدى جل نعمته أن يراما
عربياً يحير الأوهاماً
ما وخرت لغزه استسلاماً
ونختم أعيان البرايا نختاماً

* * *

وحديث النبي معجزة الوح
تنصه لدى جوامع الكلم الثما
بى بحور تطمو علت أن تعاماً
قب فيها مثل النجوم اضطراماً

هو ثانی الثقلین یأتلق النور
أفصح الناطقین بالضداد أمطى
بیسد أنى إلى ذراریه أنمى
وبأبنائه شرفت فخـورا
نجلتنى عقائل من بنات الـ
ورقت نى إلى العواتك أنسا
نسب یرتقى العسلاء نضار

ر حوالیهما وینقى الظلاما
لغسة الضداد غاربا وسناما
والى آله بدورا تمامما
وبأسباطه اعتصمت اعتصاما
وحى تأبى مدى الدهور انجناما
ب تعاورن زمزما والمقامما
ونجار یعلمو للذرى قد اما

* * *

وتسامیت أیها النکوکـب الدر
وسراجاً یعشوا إلى ضوءه الننا
(أیها الباهر العقول فما ید
سرح اللیل مظلمما وادلح الصبـ

— ١٥٠

ى شمسا تشعشع الأيامما
س وتهفو إلى سناه ازدحامما
رك وصفما ولا ینال مرامما
ح لسانا صلتما یقد الظلامما

* * *

حى هدى الآکام صناجة الحـ
أنت مطراب سرحة النیسل فنوا
وأعنى بالقول یا شاعر الأهم
نحن فی هذه الحمیلة نحلا
تستبیننا ظباء وجرة حـورا
نحن سسیان یا خلیلی فی الوجـ
ملکت حبنا ابنة الضداد الفیه
فکلانا یشکو الغرام أسیراً
کلنا هکذا جوشفه الحـب
یا بنى عمنا الأفاضل حیوا
واذکروا أممة الفطاحل من قـ
والبهلیل عصبة الأدب الغض
عمروا المجمع المبعجل بالفضـ
خدمو العلم والمکارم والآ
باهلوا الأبحر الطوامى وهم أغـ
طاولوا الشمخ الرواسى وهم أر

جمع واهزج وزم الأنغامما
فطارح ورقاءها تهمامما
رام وانثر سحر البیان نظاما
ن أدار الوفا علینا جامما
ونفدى فی حاجیهما الظلامما
سد أافنا سقنى التشاکى مدا
ن وذنبنا شوقاً وتهنا هیامما
وکلانا یشکو الأسار غراما
ویفنى مدلهما مستهامما
مجمع الخالدين عامما فعامما
ل أناخوا هنا وزاروا للماما
وضیبا یغرى الدجى صمصامما
ل ومدوا على السهاک دعاما
داب والضداد والتراث اعتزاما
سدق منها طولاً وأندى غماما
فع منها ذرى وأعلى سنامما

٢٨٦

١٧٠ - سابقوا الصافنات جردا وهم
 لفهم في جلاله عالم الصم -
 واستحبوا وادى السكوت وقد كما
 سبقونا إلى الحقيقة والحق
 رضى الله عنهم ورضوا عنه -
 أوسع منها جريا وأرخی زماما
 ت وباتوا في بردتیه نیاماً
 نوا قديماً يفجرون الكلاما
 كراما وغادرونا كراما
 به ولقاهم النعيم مقاما

* * *

١٨٠ - أهذا الوادى الملقع بالرح
 جادك الغيث كلما ذرت الشم
 وهى هاطلا ملث العزالي
 ويروى ثرى محمد توفيه -
 ويغادى مزار أحمد لطيفي
 ويندى ضريح طه حسين
 نصر الله وجهه كرد على
 والفحول القروم من (شيخة الضا
 رحم الله) عصبة الخير للفص
 حمة يرعى للراجلين ذماما
 س وأرخی على رباك الغماما
 يغمر السهل متنه والاكاما
 ق علا رفعة وجل مقاما
 سيدا بارزا وفحلا هماما
 عبقرياً كم قارع الأياما
 والشببي شاعرا اعلاما
 د) مصاليت قيادة اعلاما
 حى) جميعاً ما روحها النعاما

* * *

وسلام عليكم أيها الأخ
 كالكم فاضل خبير بصير
 أوقى العزم والفصاحة والحك
 هنيء المجمع المبارك بالحم
 حمة ترعون للفصيح ذماما
 ملكته شمس العلوم زماما
 حمة والعقل والنهى قواما
 سين باهى بعيدها الأياما

* * *

١٩٠ - هنيء المجمع الحبيب بكم طو
 مثل طيب الحبيب يارج عرفا
 يتعالى ويستطير سناء
 هن أعضاء الكواكب كالشم
 وبني عمنا ذوائب عدنا
 كل دار فيها العروبة دارى
 دا وهنتم به اعلاما
 ونسيم الصبا وريح الخزامى
 وينير الدهور والأعواما
 س (تميط الدجى وتجلي القتاما)
 ن وقحطان حيثما الضاد قاما
 لست أرضى أنا سواها مقاما

* * *

حي في الشام من عمومتنا البية
أسسو المجمع الخالد ريعا
ظل يسقى عذب المعاني فراتا
واستنارت بجلق مقاسة الده
أنا أفدى بحاجب الشمس مصرا
نص عراقين يعتزون كراما
شاهقا جاوز الثريا مقاما
سائغا رائقا ويهي سخاما
روضات بروقها من شاما
وبجاد البدر المنير الشاما

* * *

وسقاة الربيع ياروضة الأري
راعنا دوحية البهيج نظيرا
وارتقى في عمان مجمعها العا
جبل تطمح الرواسي إليه
وتألا يشع مجمع آل الـ
يتقرى التراث في كل واد
دن جوداً يدر غزرا ركاما
وطعمنا ريبا شذاه مداما
مر أعلى الذرى وهز سناما
شاخات الشعاف يقرى الغاما
بيت ينبي عن الوجود الظلاما
ويباهى بأخشبييه لكاماما

* * *

وتراءت جبال لبنان عصما
مربع لقن الجمال رواه
دار أهلى محجابين وأعما
عمروا الفضل في ذراهاقررنا
زينت عاطل الزمان حلاهم
وتجلى الصباح في المغرب المش
تتمشى فيه المعالي طوالا
وعلى العلم زرت الأكاذم
أسفر الصباح في مطالعها الغر
شاهقات فذكرتنا شاماما
وسقاه تفاح لبنان جاماما
في فحولاً أكرم بهم أعماما
وأقاموا في روقها أعلاما
وأعزوا السيوف والأقلاما
مرق بدرا تما يشق الظلاما
وتلوح العلياء فيه سناما
يه تنضو في الغرب عنه اللثاما
يروع الدجى ويورى الهاماما

* * *

ورياض الجنات في تونس الخض
يستعير الربيع فوح شذاهها
مراء طابت أرائحها ونساما
وأريج الأنفاس منها الخزامي

* * *

وطرابلس جبهة الدهر وضيا
ظل فيها المختار يختال رمزا
حا تزف العلاء للعزلاما
عبقريا يوهى الحميس الالهاما

* * *

شمخت ساحة الجزائر تروى
تخذت منكب النجوم مقاما
قصص المجد فذها والتواما
وترقت إلى الدرى تتسامى

* * *

٢٢٠ - ومفانى السودان علمت الكح
نخلع الليل حلتيه عليها
ل عيون المها فهمن وهـ - اما
وسقى الصبح ثغرها بساما

* * *

وموريتانية المقرطقة السم
ورثت عالياتها مجد شنقيه
راء يجلو قشيبها الأظلاما
ط وحامت على الجمال وحاما

* * *

وارتيرية لواحظ عيني
شاق زنجى ليلها الصبح فافتر
ها ملئن السحر الحلال مداما
سنا برقه يضى ابتساما

* * *

رفلت في مطارف الوشى جيبيو
أخذ البرق من ضحاها سنه
ويفاع الأفيال في اليمن الخ
ذكرتنا دياراً سنمة العز
يتراعى الفخار في بطن وادي
(تلك آثارنا تدل علينا)
تى ودار السلام فاضت سلاما
وروى المسك عن دجاها الظلاما
صب لاحت آثارها أطاما
ة في ربعها طوالا جساما
ها وأعلى بقاعها أعلاما
ونباهي بشمها الأقواما

* * *

وكويت الخليج طرزت السا
وقفت مثل غرة الصبح يحكى
حسل وردا وفوفته بشاما
وجهها طلعة الحبيب ابتساما

* * *

ولآلىء البحرين حالية السم
خلعت صفوها على البحر رهوا
وأول الفخار والمجد كم من
ط تزين الظباء والآراما
فصفا ماؤه وجساد الغماما
أمة أخرجت أوال عظاما

* * *

وعمان الراسى علا الجبل الأخ
ناوحت شمه جبال سرندير
ب فأمـطرن لؤلؤا معتاما
بهر طودا نال الثريا هاما

* * *

والأمارات انهن عذارى الـ
لقتت غنها الطيور صداها
بهر حلم يراود الأحلاما
وحبت ريمها الظباء البغاما

* * *

قطر كالجمان قطر نداها
قانت الشمس لونها الساحر الزا
يقت يورث البياض الثغاما
هر مثل الشراب يغرى الندامى

* * *

والعراق العظيم منبت آبا
مجمع الكوفتين منتجع الأم
لنها (الدار ما ترام امتناعا
روقت للصدىق عذبا هنيئا
هى أم البلاد مبتدا التنا
تلك دارى بغداد سيدة الدن
ومناط الرجـا (وأول أرض
تى وقوى غلبا سراة عظاما
ة مرتاد شمها فمقاما
من عدو) ولاتسام اهتضاما
وأمرت للمعتدين سهاما
ريخ تسمو بداية وختاما
يا تربى منتاجها الأعلاما
مس جلدى ترابها) إكراما

* * *

وفلسطين ملتقى الصحف الأو
منزل الوحي موضع المسجد الأة
لى تناجى النجوم فيها الرضا ما
صى ومرقى النبي جل مقاما

* * *

وتجلت جزيرة العرب الشم
واستطالت أم القرى مهبط الوح
اء فى بطن مكة تتسامى
ى تشع الذكر الحكيم جماما

بزغت في قرارة الأرض شمسا
بسمل الأنبياء في سرّة الأر
واستدارت من فوقه القبة الزر
وانحنت فوقه السماوات تقدير
وئنت دارة الملال حزاما
ض فقام البيت العتيق حراما
قاء عينا ترنو إليه دواما
سا وخرت جباهها إعظاما

* * *

شرفت هجرة النبي ثرى طا
حسدت تربها السماوات عليا
تخذت من ذؤابة الشمس فرقا
واستحال الصعيد فيها جمانا
واستجارت بقبره القبة الخض
ودنا في علوه قاب قوسية
وتدلى في حضرة القدس صدي
وأناه اليقين وانشرح الصد
وحد الله والرسالات والأم
سيد الرسل مستجار النبوي
بلغ المنتهى من الحمد والشأ
هو مجد أمنع به أن يضاما
تستعير السماء منه قباها
عارضها بنى مفديا ركب نجد
واكتبا ذلك الحديث بدمعى
وأعيدا ذكر الجزيرة معطا
دار قومي ومربع الصحب والأه
أباغا نخلة الأبيرق شوقى

٢٦٠ -
٢٧٠ -

به طابت مهاجرا ومقاما
ء وساوى النضار فيها الرجاما
ومن النجم سجدا أقداما
وتللا التراب فيها ساما
سراء تحنى هاما وترفع هاما
ن وجاز السبع الطباق مقاما
قما نبيا برا وخاف مقاما
روث الإيمان والإسلاما
ة فردا ونكس الأصناما
ن منار الهدى الرفيع دعاما
ن وصلى الورى عليه احتراما
هو فخر أعظم به أن يراما
ويلف الأفق المبين لفامام
واستملا عراره والبشاما
وارويا عنى الدموع سجاما
را يزيد الشوق الملح ضراما
ل يضم الأخوال والأعماما
وانثرا أدمعى عليها سلاما

* * *

وتذكرت والحديث شجون
رب قوم تغافل العصر عنه
وتناسى الزمان عيلمه الطا
وكلام الصفا يجر الكلاما
وجفته الأيام سجلا رهاما
مى وأرخت عنه العيون قراما

٢٨٠ - وهمام يفجر الفضل ينبو
نسيته مرابع الفضل غيدا
غفلت عنه أعين الناس وضها
ليس عجبا فالعين لا تبصر الأخ
عا وتخذى جدا يديه الغماما
قا فألقى السنى عليه ركاما
حا فأرختى الدجى عليه ظلاما
رى على قرب هذه وهندى مقاما

* * *

رب بحر غادرته أنت دثرا
وسناء تركته مستطير-را
وعليم جانبته لودع-ما
وتجاهلته سراج-ا منيرا
وسحاب أغفلته مسجاء-ا
وعلاء جنفت عنه سنام-ا
وتجافيت عنه فحلا همام-ا
وتباعدت منه بدرا تمام-ا

* * *

٢٩٠ - ذكرتنى هندى الخليل الفراهي
فجر الفضل والزكائة والفظ
ترك العين مبصرا ولم تره الأء
تجيب الشمس بالقتير ويخشى الـ
ويزن البحر المحيط أجاجا
يحمد الصارم الصقيل وقد يغ
ويعاف الخطى لدنا وقد كا
إنما تكسف الشموس كبارا
سدى بحراً غطامطا هلقاما
مة والعقل المعيا هماما
ين لإاميتنا يعب الحماما
بدر تما على سنياه الرغاما
وهو يعطى العذب الفرات الغماما
مد عضبا ، ولا يسيل هداما
ن يعير السمر الطوال قواما
إنما تخسف البدور تماما

* * *

٣٠٠ - ونسينا عين الخليل فغاضت
ثم نحننا على الخليل وقلنا :
وبكيننا فسأل بالدمع واد
كم طويننا عن مثلها ذلك كشحا
وسد لنا دون المنجد ثوبسا
عد عن ذا فالشمس تحجبها الأص
ثم فاضت فوارة لن تراما
عبقرى مضى وكان إماما
كان يرجو لو نال منه تماما
وتركناه يستطيب الزواما
وهجرناه فاستحال ذماما
بع مهزولة وتحنى لماما

* * *

لو أطلنا المقال في لغة الضأ
طاب في نعتها الكلام افتتاحا
فاسلمى ثمت اسلمى أيها الدا
وتفرع يأياها المجمع البسا
واستنيرى من مقبس الحمد يامص
واعتلى أمة العروبة لأفض

د يد الدهر مابلغنا المرما
عبقا ذاكيا وطاب اختتام
ر وتيهى على الزمان دوامسا
هر مجدا قدامسا قد اما
ر فخرارا يطاول الأيقاما
لك الدهر ما اجتمعت نظامسا

* * *

أمة العرب جهة الحسب العد
وجبين التاريخ أبيض وضأ
ولباب الأقوام ليس كمثل ال
جمع الناس يستظلون بالألا
وتجلى الإنسان في شرعة التو
هو بنيانه تعالى على الأر
من يعظم بناه يلحق سلامسا

تعالى مفارقا ولامسا
ح الأسارير معرقا قدامسا
عرب شعب يباهل الأقواما
فمة بندا مرفوفا قوامسا
حيد شينا مقدسا وكرامسا
ض وحسب الإنسان هذا مقاما
من يهدم بناه يلحق أثامسا

- ٣١٠ -

* * *

وتسأى طلاعة يابلاذ ال
هل تباهى الشعوب عسلاء
هل تساوى أم الكتاب افتتاحا

عرب لا تدرकिन قط اعتزاما
هل تضاهى أم البلاد مقامسا
هل توازى أم الكتاب اختتامسا

- ٣١٧ -

الدكتور حسين على محفوظ
عضو المجمع من العراق

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية

رئيس مجلس الادارة
رمزى السيد شعبان

رقم الإيداع بدار المكتب ١٩٨٧/٢١٠

الهيئة العامة لشئون المطابع الاميرية
٢٠٠٠ - ١٩٨٦ - ٤٦١٠

